

الجامعة التونسية
الكلية الزيتونية للشرائع
وَأُصُولُ الدِّينِ

أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني

حياته وآثاره
وكتاب النوازل والزبادات

بحث جامعي
تحت إشراف
الدكتور أحمد بكير محمود

إعداد
الهادي المرقاش

الجامعة التونسية
الكلية الزيتونية للشرعة
وَأَصُولُ الدِّينِ

أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني

حياته وآثاره
وكتاب النوازل والزبائد



بحث جامعي
تحت إشراف
الدكتور أحمد بكير محمود

إعداد
الهادي المرقاش

"الهدية" *****

اختياراتها الفكرية هي جزء من ذاتها تتشأ معها وتتمو بدمها وداركها .
وتتضح بعمق تجاربنا وتتلور بكثرة ممارستها إذ قد يعتق^{الفردي} منا هداً من الهادي
او يوم من يمثل من المثل او يمثل الى رأي من الاراء في اية قضية من قضايا الحياة
المتجددة والمتنوعة فيصبح هذا الهدا او ذاك المثل او ذلك الرأي اختياراً ذاتياً يعبر
عن موقف ذاتي من تلك القضايا المتجددة المتنوعة .

ومن هنا فاختلاف اراء الناس عائد اساساً الى اختلاف ذاتهم لا اختلاف الموهبات
التي اثرت في هذه الذات وشكلتها بالشكل المميز، وكما تختلف الموهبات تتفاد وت
في تأثيرها ويعود ذلك الى تفاوت في التجربة والممارسة للشئ الموهبة في الاختيار الذاتي
للكائن الحي العاقل .

ومن هنا فله الموهبات الحياتية - داخلية ام خارجية - دور هام في اعطاء الشكل
الفكري المميز لهذا او ذلك او تلك .

اذ قد يتأثر الانسان مثلاً في حياته بشخصية معينة لها مقامها الاسدي
في الفقه او الادب في الفلسفة او الاجتماع في السياسة والاقتصاد مما يجعله أكثر نشاطاً
في استيعاب افكار تلك الشخصية في ميدان ايداعها وفي مجال اختصاصها واعظم قدرة
من غيره على هضم افكارها واكثر كفاءة في فهم مواقعها واوراها ، ومن هنا فمبنى الفطري
للفقه وتاريخه هو الذي جعلني اتجه الى رحاب هذا الفرع من الثقافة الاسلامية
وموما دفنني ايضا الى تتبع اساطين الفقه ممن اصبح الفقه عندهم ملكة وكانت
شخصية ابي محمد عبدالله ابن ابي زيد من أكثر الشخصيات الفقهية قرباً مني للعشرة
القديمة التي كانت بيني وبينه ، هذه المعاشرة التي قني اواصرها بشيوخ اجلاء
من الجامعة الزيتونية كانوا يدرسون لنا كتبه ويسطون لنا آراءه ويوضحون لنا ترجيحاته .

ويتقدم في السن والدراسة ازدادت هذه الرغبة الحاحاً من اجل مزيد التعرف
عن ابي محمد الفقيه وما تميزت به آراؤه من تجديد قد تصل الى حد التفسر
وقد لمن احد الاصدقاء في هذه الرغبة فاشار علي بالتشريع لابي محمد والانفراد به لما له
من دور هام في المحافظة على الشرائع السنوية للمجتمع القبرواني وحمايته من
الهجمة الرافضة التي كانت تود عدلته فكان هذا الرأي من الحوافز المهمة التي
نشطتني لا تكاب على هذا البحث، وقد برز رأي هذا الصديق واضحاً في ثنايا هذا البحث
اذ ذكرت عدة مرات مواقف ابي محمد من مقاومة البدع الشيعية ماوضح منها وما اختفى .

ان مثل هذه المواقف قد جعلت منه فقيها من الفقهاء المرجحين الذين وان التزموا ،
منهج الامام الذي يقلدونه الا أنهم اجتهدوا بداخل المذهب مراعاة للمصلحة ودراة للمفسدة
ان النزعة الاصلاحية التي تتجلى للباحث المنصف فيما تركه ابو محمد تعود اساسا الى عصره
الذي فرض عليه استمرارية الحركة مع قوة الحجة وحضور البديهة وذلك لان عصره كان
عصر اضطراب لما يحدث فيه من تحولات اجتماعية شملت السياسة والفكر والادب والفقه والعقائد
وغمرها من قضايا الحياة للمجتمع القيرواني خاصة والمجتمع الاسلامي عامة .

ومع ذلك فقد اخذتني الرهبة وتملكتني الخشية من الدخول في حياة شيخ المالكية
في القرن الرابع لطول بقاءه الفقهي وتنوع جوانب شخصيته وتعدد اشطته وثرأ معارفه
وكثرة اختصاصاته ، فهو اديب شاعر وهو فقيه اصولي وهو مفسر ومحدث له علم بالرواية ومعرفة
بالدراية ، قد برز منهجه التجديدي في ميدان التربية والتعليم وفي ميادين الفقه والافتاء حتى
اصبح الفقه عنده ملكة فطرية لذلك وصفه اهل عصره ومن جاء بعدهم بذلك الاصغر
و الذاب عن المذهب .

الا ان هذه الخشية زالت وهذا التردد ولحق لما صح مني العزم واصبحت الرغبة هداً
ومثلاً الا ان هذه الرغبة تصطمم بقلة المصادر واقدرتها في اغلب الاحيان ، لان اغلب هذه المصادر
لم يبق منها الا الاسم الذي ذكرته كتب التراجم والتاريخ وما ظفرت به منها ، قد تعارضت فيه
الاقوال وتناحرت فيه الروايات لا اختلاف النزعات وتنوع الملل والدل ، اما مؤلفات ابي محمد نفسه
فقد احتفى اغلبها ولم يبق منها سوى كتابين احدهما تام مطبوع والاخر مخطوط لا تملك نسخة
تامة منه الى حد الآن ، وهو كتاب البوادر والزيادات ، لكن ذلك لم يقل في عهدي وخاصة
عندما شئت الظروف السعيدة ان انتقل بحكم عملي الى بلدان لابي محمد فيها ذكر ولموه لقاته
بها نصيب وخبر ، فتوكلت على الله في جمع شتات المسائل ونقت الاخبار وصوراً الأحداث والوقائع
لابي بها اصرح هذا البحث الذي ارجو ان يكون جزاؤه من الله اكثر واعظم من كل جزاء .

وبهذه الصورة تجرأت على الدخول في حياة شيخ ابي محمد بن ابي زيد حيث حضرت
حلقات درسه وتدريسه ومطالعة اثاره وتفهم اقواله واستنكناه ارائه ، وقد سمي عدني على تقدم عملي
فني هذا الميدان الخبرة التي حصلت لي من خلال معاشرتي لفقيه من طبقتة هو ابو يوسف
القاضي تلميذ ابي حنيفة اذ كنت قد تتلمذت عليه بحكم الدراسة التي جرت حول كتابة الخراج
والحق يقال ان شخصية ابي محمد ابن ابي زيد القيرواني كانت بحق الشخصية الاكثر بريقاً والاشد
لمعاناً ولا اخصب ارضاً ولا اكثر عطاءً فانقدت لها انقياد الضمان لغدير ماء صاف لم تدره الدلا .
وان كثر وارده .

لقد اعتمدت في تحقيق بختي من هذا البحث وتجسيم هدفى هذه الدراسة المنهج التاريخى محاولا استطاق النصوص باصداقها دون قشورها وبليها دون نواتها معتمدا في ذلك وبالدرجة الاولى على مصادر افريقية مغربية واندلسية عملا بالمثل السائر اهل مكة ادرى بشعابها مختارا في اغلب الاحيان اقوال من كان اقرب عهدا بعصر ابى محمد عبدالله ابن ابى زيد ككتاب تاريخ العلماء ورواه المعلم بلانديس لابن الفرضى (403) وكرباغر النفوس للملكى (بعد سنة 453 هـ) بل كان من مصادرى ما حبره شيوخ ابن ابى زيد كطبقات علماء افريقية وتونس لابى العرب التميمى (333 هـ) ومثله لابن الحارث الخشنى (361 هـ) ومن مصادرى الاساسية ايضا بتقريب المدارك للقاضى عياض (544 هـ) الذي يعتبر مرجعا مهما في مجال تاريخ الفقه الاسلامى بافريقيا والمغرب والاندلس ومن مصادرى ايضا معالم الايمان للدباغ (605 - 696) والدبيح لابن فرحون (799 هـ) والمقدمة لابن خلدون (732 هـ - 808 هـ) .

اما المصادر الحديثة فاذا ذكر على سبيل المثال : القاضيان القيروانيان ابو محمد بن ابى زيد وابو الحسن القابسى ، للمستشرق الهادى روجى ادريس ، ومقدمة كتاب الجامع للمحققين الاستاذين ابو الجفان وعثمان بطيخ .
وهناك غير ما ذكرت من المصادر الحديثة والقديمة والكثيرة استفدت منها استفادة طيبة لاصحابها بنى الشكر ولهم من الله المغفرة والاجر .
وعلى كل فالثانيون مصدرا ومرجعا والمبدؤة بقائمة المصادر والمراجع هى فى الواقع منتقاة من عدد اكثر اعرضت عن ذكره اجتنابا للتلطز بطول القوائم والتباهى بوفرة المراجع .
وتوجيه من الاستاذ المشرف قسمت بحثى الى خمسة ابواب وقسمت كل باب الى فصول على النحو التالى :

الباب الاول :

تناولت فيه عصر ابى محمد وبثته وقسمت ذلك الى فصلين فالاول تحدثت عن عصر ابى محمد من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية واقد اثبتت الخصائص المميزة لهذا العصر وما شاهده من اضطرابات سياسية ومن تحولات اجتماعية ومن نهضة علمية ، كان من اساطيرها ، ابو محمد بن ابى زيد ومن دعائمها ابن الجزار الطبيب وغيرهما من العلماء فى كل مجالات المعرفة .

اما الفصل الثانى فقد تناولت فيه الحديث عن تاريخ المدارس الفقهية بالقيروان من اثرية واوزايعه وظاهريه وحنفية ومالكية لاثبت ان المادة الفقهية التى تلقاها ابو محمد لم تكن مادة لذهب واحد بل كانت مادة متنوعة لتتنوع المذاهب المتداولة فى المجتمع القيروانى ومن هذا بثقافته الفقهية هى ثقافة متعددة الروايد متنوعة المصادر وهو ما مكنته فيما بعد من الحركة النشطة فى مجالى الافتاء والتدريس والمناظرة ، فكان هذا الفصل فى الواقع هو عبارة عن حلقة رابطة بين ملك الكبير وملك الصغير اي بين النصف الثانى من القرن الثانى والقرن

الفصل الثاني :

وقد جاء تحت عنوان : ابن ابي زيد من الميلاد الى ساعة التحمل والاداء وقد اشتمل على ثلاثة فصول جاءت مرتبة على النحو التالي :

الفصل الاول :

من الميلاد الى لدراسة ، تناولت فيه الحديث عن نسبه ومولده وطفولته وصباه وما تلقاه من المعارف في هذا الطور من حياته مما جعله املا لولوج حلقات الشيوخ العلماء فيما سيقبل من الزمن

الفصل الثاني :

شيوخ ابن ابي زيد وقد ترجمت لثلاثة وثلاثين منهم مقسما اياهم الى مجموعات تبعها الاكملون لا مضارهم ماداف من وراء هذا التقسيم الى ابراز تنوع المناهج التعليمية التي كانت وراء تكوين شخصية ابن ابي زيد التربوية وبجائه في مهنة التدريس واختياره لها دون غيرها من المهن ثم انتهت الفصل بالحديث عن نوعية العلاقات التي كانت تربطه بهؤلاء الشيوخ وبغيرهم من زملاء الدراسة الاقربين .

الفصل الثالث :

طلبة ابن ابي زيد بدأت هذا الفصل بالحديث عن منهجه التعليمي الذي حُبب فيه التلاميذ حتى قلت كانما يولد معلما بفطرته وسليقته . ثم ترجمت لتلاميذه مقسما اياهم الى مجموعات حسب امصارهم لابرز المدى الذي بلغه واشعاع ابن ابي محمد العلمي فكان تعداد النبغاء منهم تسعة وسبعين طالبا وهذا العدد في الواقع لا يمثل الحقيقة في شيء وذلك لان ابا محمد قد عاش ستا وسبعين سنة منها اكثر من ستين سنة مدرسا فلا يحقل ان طوال هذه المدة لم يتخرج على يديه سوى هذا العدد ثم ما قول الباحثين اذا ما علموا ان تلاميذ الامام سحنون كانوا يعدون بالآلاف اذ ورد ان عدد مبعوثاته طالب اولم يكن ابي محمد هو وارث علم سحنون ومركزه في التدريس بالقيروان . وقد انتهت هذا الفصل بالحديث عن علاقاته بطلابه هذه العلاقات التي اتسمت بالسود وتسربت بالعطف وتضمنت بحسن التوجيه اذ كان ينفق على فقرائهم ويوجه من يحتاج منهم الى التوجيه .

الباب الثالث :

شخصية ابن ابي محمد الاجتماعية والعلمية وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول مرتبة على النحو التالي :

الفصل الاول :

(ابو محمد ابن ابي زيد والمجتمع القيرواني) تناولت الحديث فيه عن سلوكه ازاء افراد أسرته وما كان يليه لهم من شديد عنايته ومن سامي عطفه وما كان يخبره بناته من العطف الابوي العميق وقد اتت هذه العناية ثمرتها اذ تولى اكد ابنائه وهو ابو بكر احمد قضاء القيروان

سنة 53هـ ثم تحدث عن علاقاته بافراد مجتمعه ان كان يشارك هذا المجتمع افراحه واحزانه حتى قلت ان من اخر اعماله الاجتماعية تكفيده للشيخ ابن قمره وقد عايناه بعدة ابو محمد ثلاثة ايام فقط وعلى الرغم من شدة الرابطة التي كانت تربطه بمجتمعه الا انه كان كيماء يرياً بنفسه عن السقوط في موقعا لماور السياسية والشخصية ومهمي خاصة من خصائص العلماء الاذ ان الذين لا يخشون في الحق لومة لائم وقد برز ذلك في علاقاته برجالات عصره من العلماء والادباء واهل السياسة .

وقد انتهت هذا الفصل بالحديث عن مكافئه وشاائله التي كانت حديث الركبان وحلقات الدروس لما كان عليه من شجاعة وكرم وغفة وطهر .

الفصل الثاني :

اراء ابي محمد التجديدية في هذا الفصل تعرضت لثقافته التي كانت كالكوكبات تنوعت مصادرهما وتعددت رواقد ما خط جعله بحق مؤملاً لان يكون مجدد المائة الرابعة ومواقفه غيري من الذين درسوا حياة ابن ابي زيد و اشاره ومحصوا اراءه ومواقفه من شتى القضايا فهو اذا ولج حلقات الكلام ابكى الخصوم واذا واجه اهل البدع فضح بدعهم وازال ترهاتهم واذا انتصب للفتوى والتدريس ابدع واقنع واذا لمسك القلم احاط واصاب حتى غدت كتبه تناع بوزنها ذمها ، انه شخصية علمية دفعت غزارة علمه اهل عصره الى تلقيه بما لك الصغير والى نعته بعالم المائة الرابعة .

الفصل الثالث :

وفاء ابي محمد ابن ابي زيد القيرواني

المباب الرابع :

مؤلفات ابن ابي زيد القيرواني وقد اشتمل هذا الباب على فصلين وردا على الدحو الطلي :

الفصل الاول :

الشيخ المؤلف : في هذا الفصل تحدث عن جملة مؤلفات ابن ابي زيد وقسمتها صنفين صنف الرسائل وعددها ثمانية وثلاثين رسالة وصنف الكتب الدراسية والموسوعات الفقهية وهي اربعة كتب فتكون جملة مؤلفاته حسبما ذكرته المصادر اثنى واربعين كتابا ورسالة الموجود منها قليل وقليل جداً ، وما طبع منها اقل .

الفصل الثاني :

موسوعات ابي محمد الفقهية :

— مختصر المدونة والذي اشتمل على خمسين الف مسألة وقد حقق جزءا من اجزائه فسمى السنوات الاخيرة استاذان من اساتذة هذه الكلية الماجدة تحت عنوان " الكتاب الجامع " وعسى ان ياتى غيرهما لواصل طريقهما حتى ترجع مختصر المدونة الى سالف اشعاعه وليس ذلك بعزيز اذا ما شحذت العزائم من اجل خدمة التراث .

— تهذيب العتبية للقرطبي المعروف بالعتبي " (255 هـ) ان قام ابو محمد بتهذيب

هذا الكتاب الا انه الآن في حكم المفقود .



الرسالة وهي باكورة انتاجه العلمى وقد لاقت من الاقبال والعناية
ما جاء مفصلا في ثانيا هذا البحث

النوادر والزيادات على ما فى المدونة والامهات من مسائل مالك واصحابه
والتمنى فيها ابو محمد قبيل سنة 363 هـ وقد كان حظها من هذا البحث
الثلث حيث جاءت دراستها على النحو التالى :

* عرض عام للنوادر والزيادات

* شيوخ النوادر والزيادات

* مصادرهما :

* مادتها الفقهية

* منهجها واسلوبها :

* وتعليقات حول ما جاء فيها من اراء ابي محمد ~~تركيبها~~ وترجيحاته الفقهية

الباب الخاص :

من المدونة الى النوادر والزيادات وقد اشتمل هذا الباب على فصل وخاتمه جاء
مرتين عن النحو التالى :

الفصل الاول :

نصوص من المدونة والنوادر والزيادات :

نصوص ملخصة من النوادر والزيادات لابرار ابي محمد وقد تناولت ابواب الطميلة
وضوء وتيمم وغسل - والباب الاول من ابواب الصلاة .

وكان هدفى من وراء ذلك كله ابراز مدى تاثير ابي محمد بمدونة سحنون ومدى استفادته
منها وما تفرد به من نوادر والمسائل .

الخاتمة :

تلخص جملة ماورد من الاراء الهامة فى ثانيا هذا البحث ورويا مستقبلية فيما يخص
الدهور بالدراسات الفقهية واحياء التراث الضخم الذي اشتملت عليه مدرسة الفقه المالكي
بالقيروان خاصة وبالعالم الاسلامى عامة .

وذيلت هذه الدراسة التى اريد ان تكون خالصة لوجه الله والعلم بفهارس تناولت
الاعلام والجماعات والقبائل والاماكن واسماء المساجد والجوامع والايات والحديث والاشعار
وبالملة التوفيق اولا واخيرا .

عصر ابن أبي زيد

الفصل الأول : القيروان في المائة الرابعة

- / - / - / - / - / - / - / - / - / -

تمهيد :

ليست الأرقام التاريخية التي تحدد الأزمنة وتؤرخ لأحداثها بقادرة على فصل هذه الأحداث عن نتائجها ولا على عزل الأسباب عن مسبباتها، وذلك لأن الحدث الذي قد يقع في القرن الأول قد يمتد تأثيره في لواقعه لمدة قد تطول وقد تقتصر تبعاً لأهميته التي تحدد بها البصمات التي تركها هذا الحدث على صفة الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية لاية أمة من الأمم أو لاي شعب من الشعوب.

إن حديثنا عن القيروان في القرن الرابع يدفعنا حتماً إلى الحديث عما سبقه من الأزمنة التي قد تبعد عنه وقد تقترب منه، وذلك لأن هذه السوابق هي الرءاء الحار الذي لمسببات الأحداث التي جرت في هذا القرن ... ويدفعنا هذا اضطراباً إلى الحديث عن الزمن الموالي الذي قد يطول أو يقتصر تبعاً لأهمية الحدث. ومن هنا فحديثنا عن الشيعة الاسماعلية وعن دولتها في القرن الرابع ينزل علينا حتماً أن نرجع القهقري لنتعرف على تاريخ تكوينها كحزب سياسي اتخذ من الدين شعاراً ومن أهل البيت دثاراً ولنتعرف أيضاً على الأسباب الكامنة وراء هذا البروز ثم الدوافع التي دفعت الدعاة الأولين إلى مغادرة الأوطان إلى هذه الاصقاع البعيدة عنها، ثم نتحدث عن أعمالهم ومواقفهم وتأثيرهم وتأثرهم في ومن حولهم. ثم ما تركوه من بصمات على سير الحياة بعد انتقالهم وخمود ذكرهم، فغير أن هذه النتائج لن تكون في القرن الرابع بل في غيره من القرون التي قد تطول وقد تقتصر تبعاً لقيمة العمل وأهمية النتائج. ومع ذلك فللقرون الرابع من حديثنا حصة الأسد ولغيره حصة الشعالة على اعتبار أن بالسابق الأسباب واللاحق النتائج وبين تلك وهذه صلة لا يمكن أن يفصلها رقم مؤرخ ولا تسلسل أحداث.

ومن أملاك القيروان فقد امتلك أفريقية والمغرب وافتتحت أمامه أبواب بلاد الأندلس وبلدان غربي أوروبا وقد انتبه إلى خاصيتها هذه أحد شيوخ بني هلال اثنا زحفهم على أفريقية فقد ورد أن مؤسس بني يحيى المرادمي الهلالي دعا شيوخ بني هلال اثنا زحفهم على القيروان فقال لهم : (ليس المبادرة عند برأي ؟ فقالوا : كيف تحب أن نمنع فأخذ بساطاً فبسطه ثم قال لهم من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشي عليه ؟ فقالوا : لا ندر على ذلك قال : فمكثوا القيروان ... أخذوا شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى إلا القيروان

فخذوها حينئذ . فقالوا انت شيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولنا نقطع أمجادك (1) .
 ولم ينقر من روعة القيوان ولا من اشعاعها الحضاري انتقال السلطة العبيدية الى مدينة المهدية
 بعد تقييدها (2) . بل بقيت القيوان دار السلام وعاصمة العلماء في كل مجالات المعارف ، والكوكب
 المنير الذي تشد اليه الرحال من مشارق الارض الى مغاربها كيغلا ٠٠٠ . وهي نديدة بغداد وقرطبة ٠٠٠ .
 بل اقدم منهما تقييرا ٠٠٠ . واعرق منهما حضارة ٠٠٠ . وان القرنان الثالث والرابع هما القرنان اللذان
 تسابقت فيهما هذه العواصم الثلاثة على قيادة العالم الاسلامي سياسيا وحضاريا وخاصة بعد ان سلبت
 من بني العباس سلطتهم ولم يبق لهم منها الا الدعاء على المنابر (3) . ٠٠٠ . أما قرطبة فقد كانت في
 بداية هذه الخطوات ان لم يكن الأمن بها مستتباً ولا الإستقرار بها متوفراً لكثرة اختلافات أهلها
 بسبب كثرة الطامعين منهم الى الحكم والقبالة ، ولا ادل على ذلك من هذه المساجلة الشعرية
 التي جدت بين شاعرين من شعراء القيوان عند ما اقترح أحدهما على الآخر مغادرة القيوان الى
 الاندلس أثناء الزحف الهلالي وانخرام الامن بمدينة عتقة . والشاعران هما : ابن رشيق وابن
 شرف (4) . قال ابن رشيق (5) :

ما يبغضني في أرض اندلس سماع مقتدرفيها ومعتضد
 القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

فأجابه ابن شرف (6) :

ان تروك الغربية في معشر قد جبل الطبع على بغضهم
 فدارهم مادمت في دارهم وأرضهم مادمت في أرضهم .

- ① الكامل لابن الاثير ج ٣ ص 567 ط بيروت دار صادر سنة 1966
- ② تاريخ ابن خلدون ج 4 ص 38 ط 1391 - 1393
- ③ الكامل لابن الاثير ج 3 ص 263 - 262 . وذلك من ميلاد دولته في بوبه سنة 324 هـ
- ④ معالم الایمان 3/ 193 تحقيق محمد ماضور ط تونس 1978 نشر المكتبة العتيقة تونس
- ⑤ ابن رشيق ادیب قیروانی ولد بالمعدية سنة 385 وقدم القيوان سنة 406 وفيما نبغ واشتهر له كتابان العدة وقراءة الذهب وغيرها . ونوفي بما رُسِنه 463 على الأرجح انظر الواقيات .
- ⑥ ابن شرف هو محمد بن ابي سعيد بن شرف الاجداني اديب وشاعر خرج من القيوان سنة 447 هـ عندما امتدد الفخط الهلالي عليها حيث نزل الاندلس له من الكتب اعلام الكلام - وابكار الافكار ونوفي بالاندلس سنة 462 قبل ابن رشيق صاحبه - المعالم ج 3 / 193

لقد كان ابن رشيقي القيرواني صادقاً في وصفه للاوضاع السياسية بالاندلس ان لم
تعرف قرطبة غزاً ائبلاً واشعاعاً عظيماً اكرمما عرفته في عهد عبد الرحمان الناصر
(550هـ) (1) . وبانتهاؤه عهد رجعته اليها الانتفاضات وعمتها الاختلافات التي
ان اصبحت كل مدينة من بلاد الاندلس دولة بذاتها، وكان ما يعرف في التاريخ بملوك
الطوائف (2) ، وكانت النهاية المحزنة والمأساة العميق حرجها في جسم الحضارة العربية
الاسلامية ، وذلك عند ما استولى الاسبان على الاندلس وقضاهم على آخر امارات طائفة
مثلة في بني الاحمر بغرناطة [897هـ] (3) وقد بكى شعراؤهم هذه المأساة بدموع حار
تمزق اوصال الانفة لسماعها وتفتت حناياها لوقعها من ذلك القصيدة الثورية لابن
الرندي (4) . اورد بعض ابياتها كشاهد على نهاية البداية لأول مصرانق على
الخلافة الاسلامية .

كل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يعثر يليب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءت ازمان
يا راتعين وراء البحر دعة
لكم يا وطنكم عز وسلطان
- ايامكم نبأ من اهل اندلس
وقد سرى محمد بن القوم ركباً

- ① تاريخ ابن خلدون 46/4 - 47 - الكامل 535/8
- ② الكامل لابن الأثير 284/9 - 292
- ③ سياسة النصارى المستعبدات اليهود العربى بالاندلس ص 464-468 طدار البيضاء سنة 1967

ونفر المصير الذي انتهت اليه الاندلس انتهت اليه الدولة العباسية سنة 656هـ على يد هولاكو (1) وهو نفر المصير الذي انتهت اليه القيروان قبلها على يد بني هلال سنة 449 (2) . في عهد المعز بن باديس الامير الصنهاجي ، ولكن خلال هذا الزمان لم تكن القيروان بالتي تفتنح بالدور الثانوي وهي عاصمة الموالث السنيين في المغرب وافريقية مثلها في ذلك مثل بغداد حيث تعددت فيها المذاهب السنية وتعدت فيها الفرق الكرامية بتعدد عقائدها وتنوع مشاربها واهوائها . فاذا كانت بغداد قد سقطت تحت سنايت خيول اصحاب الملر والنحر وقراطية قسد هرعته سيوف الطموحات الهوجاء . فان القيروان قد ثبتت على ارتعاشها امام الزحف الهائل الي المييت بليل . . .

ان ما ساعد القيروان على هذا الصمود في احلك الظروف التي مرت بها هي ارضيتها الاجتماعية الاجتماعية الصلبة المتحدة في النشرة الدينية في مجالها العقائدي والعملي بحيث كان المنهج الغالب على اهليها هو المنهج السني عقيدة وسلوكا، فكرا وممارسة . وهذا ما سوف نلمسه في فصل لاحق من هذا البحث ان شاء الله (3) .

اننا مقيدون بحكم المجال الزمني لهذا البحث باعطاء صورة عن القيروان كعاصمة لافريقية والمغرب في القرنين الثالث والرابع خاصة ثم النتائج التي تمخضت عنها احداث هذين القرنين والتي برزت في النصف الاول من القرن الخامس للهجرة . لكن هذه النظرة التي نريدها صادقة وشاملة تضررنو اضطرار المسلم الى التيهيم عند فقدان المأوى وحلول وقت الصلاة ، ان ابدأ هذا الحديث من اوله اعتمادا على المقولة القائلة بان كل حاضر هو نتيجة من نتائج الماضي وكس مستقبل هو نتيجة من نتائج الحاضر لكن كل حاضر ماضي وكل حاضر مستقبلي .

① تاريخ التشريع الاسلامي طبع في 235

② المعالم 3/ 190 ط. تونس ودرهه . وقع هراب الهيروان واستباحتهما في طرف بني هلال واول رمضان سنة 449 هـ

③ المدارس النقضيه ص 50-58 من هذا البحث

وكان نشأ شيخنا عبد الله بن أبو زيد في القرن الرابع فليس معنى ذلك أن أحداث القسرون
الاولى الغابرة لم تنسب الى القرن الذي عاش فيه كما لا يعني ذلك ان اثر القرن الذي عاش فيه
قد توفد ولم يتجاوز حدوده الى ما بعده فان ادوار الحياة متداخلة متداورة يؤثر احدها في
الآخر ويتطور احدها عن الآخر فليس لنا بد من ان نشكر الادوار التي مرت على هذه البيئة
حتى اتخذت شكلها الذي نحن بازائه واستقبلت فيه شيخنا متأثراً بها ومؤثراً فيها (1) .

وحتر تتون الحياة في افريقية القيروان في القرن الرابع واضحة المعالم بيئة الصفات لا يدعينا
من الاحاطة الواعية والدراسة المتعمقة لمجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية،
ومن بعد ذلك يسهر علينا الحكم له او عليه، لانه قد تأثر وأثر .

الحياة السياسية :

القيروان كما سميت (2) . . . ومدينة عتية كما عرفت (3) . . . وعاصمة الاغلبية كما نعتت
واشتهرت في عصرنا الحديث (4) . . . وهي التي ذلك عاصمة افريقية والمغرب وثالث الامصار
الاسلامية بناءً وتحصيراً (5) . . . وأول مصر للمسلمين بافريقية وهبط رجالهم . . . ونقطة
انطلاقهم وملجؤهم في كرمهم وقرهم ومدتهم وزجرهم منذ حركة الفتوحات الاولى على يد عبد الله بن
أبي سرح سنة 27 هـ . فيما يعرف بغزوة العبادلة السبعة في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان
بن النورين (6) . . . لقد ادت هذه الفتوحات وما صاحبها من سياسة تكونية التزمها أصحاب
الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن تابعهم باحسان الى يوم الدين الى تعميم مبدأ وحدانية
الله في الوجدان البربر . . . فأطاعت نفوس الافارقة بعد خوفها . . . وآمنت الجموع - بعد
ارتياحها وأرتعابها من الداخلين افريقيهم العذراء - مغازلين اياها أولاً ثم ناجحين لخيراتهم
أخيراً بعد ان يستقر بهم المقام ويلذ لهم العيش على اديمها وتحت سماءها الصافية دوماً .
من القيروان فتحت الاندلس وبها وفيها تحضر البربر ونزلوا من جبالهم بعد ان كانوا رافضين
التعامل مع كل واحد عليهم (7) . . . جاعلين اصابعهم في آذانهم عن كل دعوة تصدر عنه معرضين
عن كل منبه دعاهم للأخذ به في حياتهم ولهذا كان انتشار الاديان السابقة في اوساطهم
قليل (8) . . . بر كانت الوثنية هي الغالبة على معتقداتهم لانها جزء من تراثهم وسمه من سمات
وطنيهم الذي احبوه أكثر من حبهم لأنفسهم .

① حياة القيروان وموت ابن رسيق منها . . . عبد الرحمن باعني طم بيروت سنة 1961 ص 11 بتصرف

② وأصله في لغة العرب وفي لفظ القيروان قبيل هو موضع الناصر الجدي وقيل عطا القائل الجدي نفسه المعنى مقاربات العالم الخ 3 ص 1

③ فتح العرب للمغرب حين مؤسس ص 153 - طبقات علماء افريقية طم دار الكتاب اللبناني ج 1 ص 8

④ معالم الايمان * 4/1

⑤ وسائل الاعلام يترن عده الاستقلال ليترامنتت مدينة القيروان بعاصمة الاغلبية

⑥ قبلها اللقمة والبصرة مصر قوا وعبد عمرو الفصار سنة . . .

⑦ طبقات علماء افريقية ج 1 ص 15 - المعالم 3/1

⑧ حياة القيروان وموت ابن رسيق منها ص 24

⑨ رسالة العرب د. غوستاف لوبون طم ترجمه عبد رعيص ص 364 حيث يذكر ان البربر قبل الفتح الاسلامي

كانوا يعبدون آلهة فرعونية وكانوا يسمون بعض الاولاد بقربا لا اله الا الله (كوان) وكانوا يعبدون
اسرارهم التي كانت تسمى الهة اليهودية والاشورية البصرية .

لقد شهدت القيروان منذ تأسيسها والى سنة 440 هـ (1) أربعة أنواع من الحكم اثنين منها يحكمها باسم الخليفة، واثنين يحكمها كثر باسمه .

أ - عهد الولاية والذي يتدئ بمعاوية بن حديج سنة 34 هـ . ويتنهى بعهد حمدي بن مقاتل الكعبي سنة (133 هـ) . فو عهد هارون الرشيد العباسي وقد امتد هذا العهد 149 سنة (2) .

ب - عهد الامارة الاغلبية والذي اشتمل على احد عشر اميرا بدايته ابراهيم بن الاغلب سنة 184 هـ . ونهايته ابو حنيفة زيادة الله الاغلب سنة 296 هـ . وقد امتد هذا العهد 112 سنة (3) .

ج - عهد الولاية العبيدية بداية من 296 هـ . والى سنة 440 هـ . بالنسبة للوجود الفاطمي بافريقية حيث استقر العبيديون بحكمها طيلة هذه الفترة وهو الانقراض الثالث الذي حدث في الاراضي التابعة للخلافة الاسامية بعد انقراض الامويين بالاندلس واستقرت الادارة بالمغرب (4) .

د - عهد الدولة الزييرية التي خلفت العبيديين وكانت في فترتها الاولى مسن (362 - 440) . (5) . عبارة عن ولاية تابعة للعبيديين ثم استقلت عنهم بداية من سنة 440 هـ . الو ان حانت نهايتها في سنة 542 هـ . وطيلة هذه الفترة كان كنوزيري يحكمون افريقية باسمهم مع الدعاء لخليفة بغداد على منابرهم والى سنة 440 هـ . تمثل تاريخ انقراض امارة بني زييري على الدولة العبيدية بالقاهرة المعزية وذلك عند ما ابطل المعز بن باديس الصنهاجي ذكر اسم المستنصر العلوي ر من على منابر مساجد المهدية والقيروان وسائر حواضر افريقية وما عقب ذلك من رمية باعواب بني هلال مما سبب حدوثه كبتاج للأحداث السياسية التي كانت وليدة القرن الرابع والتي لا يمكن فصلها عنه ، وما صاحب هذه الاحداث من عودة اهل السنة الى سائر عهودهم بعد مدة بلغت 143 سنة قضاها رازحين تحت حكم الروافض من الشيعة وان استمرت من ذلك الدولة الفاطمية فوالشرق الى سنة 567 هـ وذلك بتولي صريح الدين الايوب اخيه = من الحكم عندما شاخت وهرمت واصبح اكثر حكامها من الغلمان والموالي ، ووقع لها شرطا سوف يتولى لدولة بني العباس بعد هذا التاريخ بحوالي مائة سنة .

① وهي السنة التي أبطل فيها المعز بن باديس الدعوة للعبيد يزعمه المذاهب - انظر التامل 66/9

② تاريخ ابن خلدون 4/ 185 - 195

③ " " " 4/ 196 - 206

④ التامل لابن الاثير 8/ 49 . وما بعد ما

⑤ " " " 8/ 566

وبما أن موضوعنا يتناول الاحداث التي سبقت انبعثت دولة العبيديين ٠٠ ثم ما جد في فترتها الافريقية ، وما عقبها بعد رحيلها الى الشرق الوان حدث القطيعة بينها وبين ولايتها من بنى زيري سنة 440هـ . وبذلك اكون مضطرا الى التعرف الى هذا كله وخاصة ان من تشرجم له قد ولد في بداية تركيز الدولة الفاطمية ومات بعد رحيلها الى مصر .
لقد حققت نهاية القرن الثالث (236هـ) حلما داعب جفون الائمة من الطائفة الاسماعلية للشيعة منذ سنة 148هـ . عقب موت جعفر الصادق وانقسام الشيعة من اتباعه الى طائفتين اثنا عشرية واسماعلية كما سوف نبينه بحول الله ٠٠٠ لكن انتقال الفرق الشيعة الى افريقية يجعل الباحث يتساءل ويلج في السؤال ٠٠٠ ويبحث ويجد في البحث عن الدوافع التي دفعتهم الى الانتقال الى افريقية على الرغم من جهلهم بها وبطبيعة اهلها بالإضافة الى بعدها على المسرح الحقيقي للاحداث الذي ههنا ما لحق العلويين من قتل وتشريد والتي كان لهم فيها دخل كبير اذا لم نقف "جنت على نفسها براقش" .

ذلك ان تصرفاتهم المادية والعقائد التي كانوا يثبونها والتي بلغت حد التطرف عند بعض قرقهم كانت من الاسباب التي عرضتهم الى النكبات المتتالية وبقدرا ما لاقوه من نكبات بقدر ما انزلوه بخيرهم عند ما اصبح الامر بايدهم ولا ادل على ذلك مما لاقاه المجتمع السني بالقيروان عندهما "آل الله امره" .

واري لازما علينا قبل ان نتعرف على سبب انطلاقهم لافريقية وتحقيق حلمهم بها ان نتعرض الى حقيقة نسبهم الذي كثرت حول صحتة الاقاويل منذ القرن الثاني . اذ هناك من يجعلهم محدثين من اص اص يهودي او نصراني او حتى مجوسي (1) . وكان حكام بني العباس يعقدون الاجتماعات ويصدرون الفتاوى ويخضون المحاضر على حلية دماهم لانهم كفرة لا يمتنون للاسلام "بصلة" كافتوا التي اصدرها الحاكم العباسي المعروف بالقادر مشهدا على صحتها اعلم الائمة في وقته ومثل ذلك ما ذكره صاحب المعالم بعده بقرون لكن بعض المؤرخين كابن خلدون وابن الاثير يشكان في صحة هذه المزاعم التي زعمها بعض الفقهاء سواء عن اقتناع او عن اكراه يقول ابن خلدون (ولا عبرة لمن انكر صحة هذا النسب من اهل القيروان وغيرهم ولا بالمحضر الذي كتب ببغداد ايام القادر بالظعن في نسبهم وشهد فيه اعلم الائمة ٠٠٠ وظهرت كلمتهم في مكة والمدينة ادل شئ " على صحة نسبهم واما من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية ليعممو القدر وغيره فكناه اثما وسفينة ٠٠٠ الح) (3) .

① تاريخ ابن خلدون 31/4

② معالي الايمان 3/150

③ تاريخ ابن خلدون 31/4

أما ابن الاثير فقد اخبر رأى الامير عبد العزيز صاحب كتاب تاريخ افريقيا والمغرب القائل بأن نسبهم مغرب في اليهودية ثم عمد الى التعليق على هذا الموقف بأنه يتبرأ من هذا السدى يورده ولا دخل له الا فى النقل ثم يقول (وسألت انا جماعة من العلويين فى نسبة - عبيد الله المهدي - فلم يرتابوا فى صحته وذهب غيرهم الى ان نسبهم مدخول) (1) .
وعلى كل يمكن لنا ان نتجاوز هذه القضية تاريخ القول فيها لغيرنا من ذوى الاختصاص وذلك لان موضوعها ليس لنا بموضوع ، ونعدها الى ما هو اهم وهي الاحداث التى جرت بسبب حلهم هذا النسب الذى دفعهم بدوره الى المطالبة بامر كانوا يعتقدون انهم اولى الساربه .
والذى ما شغروا به الاعلى ان يمارسوا افريقية والمغرب فنقول :

ان خروج العلويين على السلطة الحاكمة لم يهدأ له اوار منذ مقتل الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب - كرم الله وجهه - حيث قتل ابنه الحسن مسموما والحسين مطعونا فى واقعة كربلاء المشهورة ثم تواصلت مسيرة العذاب منتظمة الخطوات متصلة الحلقات الى بداية القرن الثامن ففى عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الاموى (سنة 125هـ - 132هـ) ثار زيد بن علي بن الحسين وشبهت الحرب بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي والى العراق من قبل هشام بن عبد الملك الحاكم الاموى وانتبت بمقتل زيد وما يذكر ان جماعة من الشيعة جاؤوا الى زيد اثناء المعركة وسألوه عن رأيه فى ابي بكر وعمر حيث قالوا له : اننا نصررك على اعدائك بعد ان تحدثنا برأيك فى ابي بكر وعمر اللذين ظلموا جدك على بن ابي طالب فقال انى لا اقول فيهما الا خيرا ففارقوه فقال لهم " رفضتمونى " (2)
ومن يومها سموا رافضة ، وقد تطور مفهوم هذا الاطلاق حتى اصبح يدل على كل صاحب نحلة متطرف فى نحلته مما دفع شعراءهم الى الرد عن ذلك حيث قال احدهم :

ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الشعلان ابنى رافضا .

اما من بقي مع زيد فهم المعروفون بالزيدية يقول ابن خلدون (ومنهم الزيدية القائلون بامامة بنى فاطمة لفضل علي وبنيه على سائر الصحابة على شروطا يشترطونها وامامة الشيخين عندهم صحيحة وان كان على الافض وهذا مذهب زيد واصحابه وهم جمهور الشيعة وابعدهم على الغلو والانحراف) (3) . وقد نجحوا فى تكوين دولة لهم فى اليمن .

(1) انكار لابن الاثير 26/8

(2) تاريخ الدولة العباسية 29

(3) تاريخ ابن خلدون 3/4

أما الروافد المنشقون على زيد فقد انضموا بعد ذلك إلى طائفة الإمامية من أنصار الإمام جعفر الصادق - 34 هـ لولائيته مديركها الانقسام بعد وفاته إلى فرقتين (1) .

1 - الإمامية الاثنى عشرية وتعرف أيضا بالموسوية لتوليها الإمامة لابنه موسى الكاظم ورتبوا الإمامة في أبنائه وأبناء أبنائه إلى الإمام الثاني عشر منهم ولهذا عرفوا بالإمامية الاثنى عشرية والإمام الثاني عشر هو المسمى أبو القاسم محمد العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهم يدعون بأنه اختفى بعيد وفاة والده سنة 255 هـ وسيظهر في آخر الزمان حيث ينتقم من الطغاة وينشر العدل وإلى الآن هم ينتشرون ظهوره .
2 - الاسماعلية وكذلك تسمى بالسبعية يقولون بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق وأبيه نسبوا . وكان اسماعيل هذا أكبر أولاد الإمام جعفر الصادق ولما توفي في حياة والده فحوتوا إمامة اسماعيل إلى ابنه محمد وهو عندهم الإمام السابع ولذلك اللد عليهم لقب السبعية تمييزا لهم عن الاثنى عشرية (2) .

وكانت هذه الفرقة أكثر سعيا من الأخرى في الوصول إلى الحكم ولهذا وضع دعايتها هجاء منهاجا لدعوتهم «استطاعوا به تعبئة قوى الجماهير ضد بني العباس والامارات التابعة لهم حيث تمكنوا من الاعلان عن ميلاد دولة الفواطم بأفريقية سنة 296 هـ . وعند ذلك ظهر امامهم عبيد الله المهدي وهو رأس دولتهم التي امتدت بعد تركيزها من الشام شرقا إلى المحيط الاطلس غربا (3) . ذلك انه لما ضعفت الدولة الاموية واختل توازنها السياسي صغرت هيبتها في اعين المتربصين بها من خوارج وعباسيين وشيعة . فاجتمع آل البيت من الهوالم عباسيين وعلويين وبايعوا سرا محمد بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن بن علي المعروف بالنفس الزكية وقد مثل العباسيين في هذا الاجتماع أبو جعفر المنصور نفسه والذي يعتبر رأس الدولة العباسية بعد ذلك . حيث بايع في جملة من بايع . ولذلك اعتبر الامامان أبو حنيفة ومالك ان امامة النفس الزكية هي امامة صحيحة لحصول الاجتماع حولها . وموقفهما هو الذي سبب لهم الكثير من المتاعب المعروفة في التاريخ على يد المنصور نفسه (4) .

ولما تم اعلان الدولة الجديدة في بني العباس سارع المنصور بوضع اقارب النفس الزكية في السجون خوفا منهم على دولته الناشئة مما عجز بخروج النفس الزكية عليه واعلن نفسه خليفة تحت لقب المهدي .

① تاريخ السريعة الاسلامي ط 9 ص 127

② تاريخ الدولة السامانية ص 29

③ التامل بين الايسر 47/8 - 50

④ تاريخ ابن خلدون 3/4 - 4

وكان ذلك بالمدينة المنورة سنة 145هـ . وبإشرافه ما يقتضيه منصبه حيث بحث ولا تسه
الى التوفه والبصرة والاهواز والمدينة ومكة . ولما بلغ ذلك الو علم المنصور بعث له برسالة
يدعوه الى طاعته والرجوع فيما ادعاه . فاجابه بمثل جوابه قائلا بان بنى على هم احب بالآ...
بالخرقة من بنى العباس فقط كان من المنصور الا ان بعث له برسالة أخرى فيها تهديد ووعيد (1) .
مردفا اياها بجير يقوده ابن عمه عيسى بن موسى حيث زحف به على المدينة وقتل النفس
الزكية (2) في منتصف رمضان سنة 145 للهجرة (3) .

غير ان قتل النفس الزكية لم يزد الثغور الا اشتعالا اذ حوّل الخلاف حول الحكم من خلاف بين
الاباعد الى خلاف بين الاقارب حيث نجد في سنة 163هـ . في عهد موسى الهادي خروج حسن
الحسين بن علو بن حسن المثلث اخو النفس الزكية حيث ادعى بانه المهدي فهو يبعث له بالخرقة
ثم سار الى مكة المكرمة فبعث له موسى الهادي بجير حيث نشبت الحرب بين الطرفين يوم
التروية حيث انهزم الجير العلوي وقتل حسن المثلث بمكان يعرف بفجه على بعد ثلاثة
اميان من مكة وقيل ستة اميان (4) ولم ينج من هذه الذبحة غير عمه يحيى بن عبد الله صاحب
الديلم واخوه ادريس . اما الاول فقد استنزل الرشيد بعد ذلك حيث قيل انه قتله غيلة بعد
ذلك مسموما . واما ادريس فقد انتقل الى المغرب ليؤسس هناك دولة الادارسة سنة 176هـ .
والتي استمرت الى سنة 316هـ . حيث ستزول من طرف نزعة شيعية اخرى هي النزعة العبيدية
الاسماعيلية (5) .

ان تكوين دولة الادارسة بالمغرب يعتبر ثانو انشطار للخلافة الاسلامية وبداية لاستقلال
اطرافها بعد ان استقل عبد الرحمن الداخل بارض الاندلس عقب ملاقاته العويضي الامويون
من تعصف وظلم فطليعين من طرف بنى عمومهم بنى العباس .
وقد حاول الرشيد القضاء على هذا الانشطار الادريسي الثاني وذلك بتكليف أحد ضناعه
وهو سليمان بن حريز الشماخ الذي تمكن من اغتيال ادريس بفنر سم اعطاه اياه بعنوان د . واهدي
به اسنانه (6) . بالإضافة الى هذا فقد مكن الرشيد بنى الاغلب من الاستقلال الداخلي بافريقية

① تاريخ ابن خلدون 3/4 - 6 حيث اورد مصوص الرسائل المتبادلة

② النفس الزكية هو محمد بن عبد الله بن الحسن من آل البيت خرج على ابي جعفر المنصور بعد ان هلك المنصور
اطلعه الى العراق فبعثه من . وما من محمد هذا من الذين يابغون المنصور بالثومة قيل فويلها الى العباسيين .
وما بلغ الى المنصور امره فخرج منه بعث له كبش يناديه عيسى بن محمد . ودارت المفارقة بين النفس الزكية وبين المنصور
بانه بنى . حيث انقزع النفس الزكية وقتل يوم الاثنين 14 رمضان 145هـ . انظر الياديه والشهاب الجزء العاشر . ط 2
ببروتشت .
③ تاريخ ابن خلدون 7/4

④ " " " " " "

⑤ " " " " 12/4 - 18

⑥ تاريخ ابن خلدون 8/4

على ان يدفعوا من خراجها قدرا معلوما لخزينة الدولة ببغداد وبذلك أوجد حاجزا بشريا بينه وبين الادارة حيث غدت افريقية الاغلبية عبارة عن شرطى حدود يحصى الحدود الغربية للدولة العباسية وهو نجر المنهج السياسى الذى سلكه مع الدولة الاموية بالاندلس حيث ارتبطت بعلاقات جدا ممتازة مع ملك الغان شارلمان . اذن هناك دولة علوية بالمغرب أصبحت فى عداوة مستمرة مع امارة هنبية بافريقية الا ان السؤال الذى يلج كثيرا هو كيف تم للعوليين اراحة امسار الاغلبية حتى أصبحت افريقية والمغرب ارضا يسارا هلهما من طرف الشيعة بقطع النضر عن نحلهم ونرقهم بعد ان عجزت الادارة على الامتداد شرقا . وانقسام دولتهم الى امارات صغيرة وزعت بين الاثنا والاحفاد لذا يكون لزاما علينا أن نرجع التقهقر لتعمرت على الميزان السياسى للعبيديين بعد ان عرفنا ميلادهم العقائدى بملاد النحلة الاسماعلية فى النصف الثانى من القرن الثانى والسبى كانت قبل ذلك ضمن الفرقة الزيدية التى استت دولة اليمن وبالنظر للروابط التاريخية والعقائدية التى تربط بين الزيدية والاسماعلية فقد وجدت هذه الاخيرة فى اليمن خير مكان وآمنة لتهيئة كوادر الدعاة وأطر الفرقة حيث جعلت لنفسها هناك دار هجرة ومنها انظر **الوعلة** شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . وتذكر لنا المصادر التاريخية ان اول بعثة دعائية شيعية قد وصلت افريقية تألفت من شخصين هما الحلوانى وابوسفیان وكان ذلك سنة 145 هـ . أى قبيل انتشار الزيدية حيث قالوا للداعيين : ان المغرب ارض بورفانها فاحرنا حتى يجي* صاحب البدر فنزل احدهما بارض كتامة ببلدة تسمى : **هرهجنه** : والاخر ببلدة تسمى " **يسوق الحمار** " حيث لانت قلوب تلك النواحي اليهما الى ان ماتا (1) . وبذلك نرى ان المجمع المغربى قد عرف الدعوة الشيعية وكذلك دعوة الخوارج منذ النصف الاول من القرن الثانى . ثم تواصل وفود الوافدين من آل البيت على ارض افريقية وخاصة بعد ان اصبح بالمغرب دولة يلتقون واياها فى الكثير من المبادىء . الا ان وجود مثل هذه الدولة لم يقنع الكثيرين من الشيعة وخاصة الاسماعيليين منهم ولذلك نجد ان اباعبد الله الشيعي لما **تصل** اتصل بامام الشيعة الاسماعلية وكان قبل هذا الاتصان معتقلا لذهب الامامية الاثنى عشرية ، قلت لما اتصل ابوعبد الله الشيعي بالامام الاسماعلي اعجب هذا الاخير بالامانيات العلمية التى كان عليها ابوعبد الله وانتم منه كفاية وذلك . فاقده الى اليمن وهو ابنها واليهما ينصب حيث تلقبه بعد المصادر تارة بالشيعي واخرى بالصنعاني . فوصلها سنة 278 هـ . حيث اتصل برئيس الدعاة هناك وهو ابن حوشب النجار فصحبه بعدن الو . ان صار كى اكبر اصحابه وخاصة ولما وشد ابن حوشب من علم ابو عبد الله وفهمه وذكائه ومكره ودهائه قال لابي عبد الله الصنعاني (ان ارض كتامة من المغرب قد حرشها الحلوانى وابوسفیان وقد ماتا وليس لها غير . فبادر فانها موطاة **ومعدة**) (2) .

① التامل لابن الاثير 30/8 - 31

② 31/8

فخرج أبوعبد الله إلى إفريقية بعد خروج البعثة الأولى بها قدره 143 هـ . سنة حيث ذهب إلى الحج والتقوا هناك برجلان من كتامة واستعمر معهم ذكاهم وحيلته إلى أن فاز بثقتهم وحبهم فانطلق معهم إلى إفريقية متخذين الصحراء طريقا اجتمعا بالعيون الاغلبية التي كان لهم علم بمقدمه حيث وصل إلى أرض كتامة في شهر ربيع الأول من سنة 233 هـ . (1) انها عشرين سنوات قضاها أبوعبد الله الشيعي في التيهيؤ من أجل بلوغ هذا الهدف وبذلك نرى مدى عناية الاسماعلية بتكوين الدعاة ضامنا لنجاح الدعوة . وكاد امر كتامة وافخاذها ان يتقاتلوا من أجل الفوز بمسكنة ابن عبد الله لهم وخاصة لما اظهره من تقوى ومن علم وفصاحة لسان وبعد فكلوا لما شاهد الضعفاني ما يحدث بين افخاذ كتامة استعمر ذكاهم لحسم النزاع اذ سألهم عن فج الاخبار فقالوا له عند بني سليمان فقال اليه نقصد ثم تأتوا كن قوم فيكم في ديارهم فارضوا الجني (2) وتخلد من انقضاء صفهم الذي يدخروا وحدته إلى يوم ات قريب .

والى حد الآن لم يكشف عن هويته ولا عن غرضه . ثم سار بعد هذا إلى في الاخبار الواقعية بجبل انجلان وعند وصوله قال مخاطبا كتامة " هذا في الاخبار وما سمي الا بكم وقد جاء فسوق الاثاران للمهدي هجرة تبوعن الاوطان ينصره فيكم الاخبار من امر هذا الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان فانهم كتامة " (3) .

ولم يكشف بهذا بل عمد إلى اظهار كثير من الخييل التي تعلمها واعدها لمش هذه المواقف وانتشر هذا الضمير في القبائل البربرية انتشار النار في الهشيم لسبب مرده تعلق البربر بالخرافة وخوارق العادات لبدائية تفكيرهم اذ ليس من طبيعة الفكر البدائي مناقشة ما يقع امامه بل يكفون بتصديق الخوارق التي تحدث امامه ولهذا كان الفكر البربري عاجزا عن فهم الابعاد الفكرية والفلسفية التي اقيمت على أساسها الدعوة الاسماعلية وانما الذي فهمه اغلب البرابرة من كتامة وغيرها ان هذا الذي امامهم هو رجل ليس كغيره من الناس اعطي علما وبركة يجب عليهم بسببها ان يأخذوا بيده وينصروا دعوته ويشدوا ازره وبالإضافة إلى هذا فان لبربر إفريقية تعلقا بالبيت وعظما عليهم منذ النصف الأول من القرن الثاني لهذا لم ننس منذ الفتوحات الأولى على اسرار ان صاحب الرسالة هو الذي ينتسب إليه هؤلاء فنصرتهم لهم هي نصرة له ومن ينصر الرسول صلى الله عليه وسلم نصر الله . كن هذه العوامل وغيرها مجتمعة ساعدت أباعبد الله الشيعي على الانتصار في المعركة النفسية مما عمأله جنودا الغاء في القتال قد التزموا بأداء علقاته وأمنوا بصدق مزاعمه وصدقوا بصحة أراجازه وحيله ولا ادل على ذلك من تقاتلهم فيما بينهم من أجل الفوز بشرف مجاورته ومساندته . حتى غدا أبوعبد المشرقى لما يسمنونه هنا (4) درة عقد هم

✕ (١) هـ

① الكامل لابن الأثير 32/8

②

③ 33/

④

لم يقد ترد يد اسمه عند حدود بلاد البربرين وصر الى القيروان وبلغ
 الى اميرها ابراهيم بن احمد بن الاغلب (261/289) فاهتم لهذا الامر وبعث الى واليه على ميله
 فسأله عن امر المشرق فذا فنقله من شأنه (1) ولم كان مخطئا فوا هذا التصغير. وعند هذا
 الحد بدأ ابو عبد الله الشيعي في تطوير دعوته وأخذ يكشف عن حقيقتها شيئا فشيئا حيث سمى
 نفسه بصاحب الهدى إشارة الى ما وصيت به البعثة الاولى "فان هيا فاحرنا حتى يجي" صاحب
 البدر" (2) وعندئذ اختلفت القبائر بين صدقة له ومكذبة به وكان أن يلاقي حقه لولا ان أخذه
 عنده الحسن بن هارون بقي من اكبر كتامة حيث انتقل به الى مدينة ناصرون (3) ومنها بدأ المعداده
 للحرب حيث جمع مجيره الكتامى الحسن بن هارون قائد الجيش وبذلك دخل مرحلة أخرى من مراحل
 الدعوة وهي المرحلة الحاسمة فيها بعد ان ضمن اغلبية كبرى معه فكانت اولى عطياته الحربية استلامه
 على مدينة "تتمت" ميلة: التابعة لامارة الاغلبية غير انه لم يضل بها مقامه انسرعا ما انهزم امام الجيوش
 الاغلبية بقيادة الاحول عم ابي ضر زيادة الله الاغلبى بن ابراهيم بن أحمد وفي هذا الطرف العصيب
 يموت ابراهيم بن أحمد الاغلبى فيخلفه ابنه ابو العباس الذي يقتل غيلة من طرف ابنه زيادة الله
 لشدة معه وسجنه من أجل ادمانة على العسكر ولم يكن زيادة الله يقتل ابيه بل قتل عمه الاحول وكان
 اقاربه الذين يخطى يخشى منهم على ملكه. ولما بلغ صنيعه هذا الى أبو عبد الله الشيعي فرح كثيرا
 لأنه كان يعرف ان الذي يحول بينه وبين القيروان هو جيل الاغلبية بقيادة الاحول الاغلبى وقد جاءته
 هذه الاخبار السارة وهو معتم بجيل انجان حيث ابتنى به دار للهجرة. وكان اهتمامه هذا
 اثره زيمته امام الاحول في مدينة "ميلة" (4).

وبالاضافة الى ما حل بعائلة بنى الاغلب من كثرة تشتت على يد اميرها. فقد كان لبعض وزراء بنى الاغلب
 ميولات شيعية جعلت منهم عيونا لابي عبد الله الشيعي يرصدون له كل اعمال الدولة ان يسرهم
 انهزم الاغلبية وانتصار العبيديين. فاذا اضعنا الى هذا كله الانحطاط الخلقي لزيادة الله عرفنا
 الحالة النفسية العالية التي كان عليها ابو عبد الله الشيعي وحشية حيث خرج من معتمه بجيل انجان
 وجعل يهاجم اطراف الامارة الاغلبية فتساقط امام جيشه مدنها تساقط او زلق الشجر في فصل الخريف.

① الكامل لابن الاثير 33/8

②

③ 34/8

④ 35-34/8

مكتفا في الآن نفسه حربه النفسية حيث صاريقور (المهدي يخزن في هذه الايام ويطلب الارض
 فيا طوبى لمن هاجر الي واطاعني) (1) وكان يغري الناس بابو مضر ويعيبه . وما وصلت
 سنة 291 حتى أصبحت الشيعة هي صاحبة الكلمة العليا في كل الاراضى الواقعة غرب القيروان (2)
 وهذا يفسره لنا دعوة أبي عبد الله الشيعي لا مائة عبيد المهدي بالحلاوة في افريقية ، وفعل
 حزم عبيد الله المهدي متاعه الى افريقية بعد ان أشاع بين الناس بحضرة وجهته اليمن وذلك
 كله من أجل الافلات من قبضة بني العباس وقد صاحبه في رحلته هذه جمع من اصحابه وابنه
 ابو القاسم وابو العباس اخو ابو عبد الله الشيعي وبعد مسيرة هذنية مرعبة مخيفة تمكن من
 الوصول الى سجلماسة (3) وقد افصحت سيرته هذه عن ذلك سياسي مستلح النظير اذ سلك
 الطريق الصحراوي مبتعدا بقدر الامكان عن الطريق المعتادة المسلك خوفا من الوقوع في قبضة
 الاغلبية حيث مربقسطيلية ولم يكت بها ومنها كما قلنا الى سجلماسة ولما زيد التغطية بعثت
 بابي العباس الى القيروان في زى تاجر من التجار حيث تم القبر عليه واودع السجن ولم يخزن منه
 الا بعد استيلاء أبي عبد الله الشيعي على القيروان . وقلنا دخل عبيد الله المهدي سجلماسة
 سنة 292 هـ . وكان صاحبها هو اليسع بن مدرار فاهدى له المهدي فقر به اليسع وأمنه الى ان
 وصلتته رسالة من زيادة الله الاغلبى حيب حذره فيها من المشرق في الوافد عليه وانه الرجل الذي
 يدعو له ابو عبد الله الصنعاني عندئذ قبر عليه واودعه السجن مع ابنه ابي القاسم ولم يخرج منه
 الا بعد ان فت اغلالهما ابو عبد الله الشيعي (4) .

أما بالنسبة للشيعي فقد واصل هجوماته المتفرقة وكثرت من حروبه النفسية بواسطة دعاة اكفاء
 ينقلون تعليماته انطفا من دار الهجرة بانكجان في حين كان امر زيادة الله في تراجع ونجمه
 في افقر . بل اكثر من الشرب حتى بلغ حد الادمان ومن توادره في هذا المجال انه اصابه غم كبير
 ذات يوم فقال له مضحك : يا مولانا لند عمت لك بيت شعر فعمس تجعل من يد يلحنه وتشرب
 عليه واترت هذا الحزن فقال ما هو ؟ فقال الضحك :

غنوا شعرا كذا وكذا وقولوا بعد كل بيت

اشرب واستقنا من القرن يتكينا .

فلما غنوا طرب زيادة الله وشرب وانهم في الاكل والشرب والشبهوات ولما رأى ذلك اصحابه
 ساعدوه على مراده (5) : ترى ان هذه النادرة تعبرك صدق علومها وصل اليه امر البيت الاغلبى
 من ارتخاء امام الزحف الشيعي الذي بدأ يدق ابواب القيروان . ان ترى عدوين متحاربين

(1) الكامل لابن الاثير 35/8

(2) تاريخ الدولة الفاطمية ص 50

(3) الكامل لابن الاثير 36/8 - 39

(4) " " 33/8

(5) " " 42/43

احدهما يسمى للنصر والاخر يسمى للهزيمة احدهما جاء شريدا طريدا الى هذه الاصقاع حيث
 اصبح في سنوات معدودة الرجز الذي ترتعد لذكراسه الفرائر والاخر اعيل القيروان لنن ما ان
 يذكراسه حتى تتطلق النكات على سفاسفه انها النهاية لدولة طار عمرها الذي تجاوز المائة
 سنة بن زاد عليها اثني عشر عاما . وفعلما ان حل آخر جمادى الآخرة من سنة 296 هـ . حتى
 انهزم الجير الاغلبى بقيادة ابراهيم بن ابو الاغلب هزيمة نكراء حيث يعود بقوله ^{الاهريوان} فيجد زيادة
 الله قد غادرها على عجل قارا باهله وامواله الى منبر ليموت بعد ذلك في الرحلة بارض تونس (1)
 وقد حاول ابراهيم بن ابي الاغلب ان يثبت لكن اهل القيروان طردوه شرطرده فالتحق بابن عمه
 الذي حاول قتله في الطريد الا انه فر منه ليوقع بينه وبين صاحب منبر من قب بني العباس .
 ولما بلغ خبر قرار زيادة الله الى ابو عبد الله الشيعي الذي كان عندئذ بسببيه ~~ح~~ امره بالخطو
 الى القيروان التي خرجت لاستقباله فامسهم . ثم دخل رقادة يوم السبت 296 رجب سنة (2)
 ونادى بالامان ولما كانت الجمعة امر خطبا المساجد برقادة والقيروان ان يخطبوا ولا يذكروا احدا
 انه الذكاء السياسي الذي جعر من هذا الشريد ~~الطريد~~ الطريد رجب الساعة في القيروان فسق
 ذلك الوقت . ثم ضرب السنة وبعث الولاة الى الجهات واقبل علو تركيز اسرالدولة واقامة
 هياكلها (3) . ولما تم له ذلك استخلف اخاه ابا العباس واهلها زاكى عليها حيث فعلا ~~الاعراب~~ ^{الاعراب}
 بعلمها اهل السنة اما هو فقد انطلق الى سجلماة لتحرير سيدة عبيد الله المهدي من رب السجون
 وكان ذلك في رمضان من سنة 296 هـ . وقد لاذ اليسع مارا خوفا على حياة عبيد الله وابنته ولما
 لم يجد ذلك نفعا بهجم على سجلماة حيث تمكن من تحرير المسجونين . بعد ان فر اليسع بكن
 مدار صاحب سجلماة السني وبذلك تم القضاء على امارة بني مدار التي عمرت 130 سنة
 وفي نفس الفترة زال ملك بني رستم من مآهت بعد ان عمر 160 سنة وهي امارة خارجية (4) . وبذلك
 تمكن ابو عبد الله الشيعي من تخليص المسجونين حيث عادوا جميعا الى افريقية فوهوا رقاده فسق
 العشر الاخيرة من ربيع الآخر سنة 297 هـ .
 وكانت اولى اعمال عبيد الله العلوي ان امر بذكراسه على المنابر حيث تلقب بالمهدي امير المؤمنين
 ثم جلس بعد اداء الجمعة ومعه الدعاة واحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم الى الغضاق مذ هبهم
 الشيعي فمن اجاب احسن اليه ومن ابي حبس فلم يدخل في مذ هبهم الا بعض الناس وقتل كثير ممن لم
 يوافقهم على قولهم (5) .

- ① الكامل لابن الاثير 23-22/8
- ② 46/8
- ③ 47/8
- ④ 49/8
- ⑤ 43/8

وقد كان رد علماء القيروان عنيفا مثل العنف الذي مارسه عبيد الله مع من رفضوا الدخول في نحلته فقد كُتروا ان جيله بن حمود (ت 297هـ) قد حضرا و جمع خطب فيها عبيد الله المهدي فسي القيروان فلما سمع خطبته نهض قائما وكشد عن رأسه حتى رآه الناس وخرج يشو الى آخر الجامع وهو يقول قطعوها قطعهم الله فلما حضرها احد من أهل العلم بعد ذلك (1) : وورد أيضا انه لما بلغه نزول عبيد الله المهدي رقاداة ترك سكنى الرباط ونزل القيروان فكلّم في ذلك فقال : لنا نمرعدوا بيننا وبينه البحر والآن حل العد وبنا حتا وهو اشد علينا من ذلك فكان اذا أصبح وصلى الصبح خرج الى طرف القيروان من ناحية رقاداة مع سيفه وترسه وفرسه وسهامه وجلس محاذًا للرقاداة الى مغروب الشمس ثم يرجع الى داره ويقول " احرس عورات المسلمين منهم فاذا رأيت شيئا حركت المسلمين عليهم " (2) وكان يقول جهاد هؤلاء افضل من جهاد الشر (3) .

بن وبلغه ان من حملة الخارجين لاستقبال عبيد الله حماد بن مروان القاضى فقال اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليه واغتم لذلك غما شديدا فلما انتهوا الى وادي ابن كريب جردوا واخذت ثيابهم فلما عرفوا جيله بذلك قال ما تعلمنى الا رجس واحد فيه خير لا ذنبا له والرجس هو حماد بن مروان القاضى (4) .

ونفس المواقف التي وقفها جيله بن حمود وقفها اغلب علماء القيروان حتى ان بعضهم قد وقع اعدامه كما هو الحال بالنسبة لابن البرزون وابن هذيل الفقيهين القيروانيين فقد ذكرانه : لما وصل عبيد الله الى رقاداة أرسل الى القيروان من أمه بابتين البرزون وابن هذيل فلما وصل اليه وجداه على سرير منته وعن أبيه ابوعبد الله الشيعي وعن يساره ابوالعباس أخوه فلما وقفا بين يديه قال لهما ابوعبد الله وابوالعباس : اشهدا ان هذا رسول الله - وأشار الى عبيد الله - فقالا جميعا بلفظ واحد والذي لا اله الا هو لوجاهة هذا والشمع عن يمينه والقمع عن يساره يقولان انه رسول الله ما قلنا انه رسول الله صلى الله وسلم . فأمر عبيد الله بذبحهما جميعا وأمر بريشتهما ان يلقى اذ ناب النبال (5) .

① معالم الايمان 273/2

② " " 272/2

③ " " 273/2

④ " " 273/2

⑤ " " 263/2

ولم يقتصر هذا الارهاب على أهل السنة من القيروانيين بل تجاوزهم الى الولايات الاخرى فو داخل
افريقية فقد اُكبره أهل طرابلس على التشيع وحملوا عليه حملاً (1) . غير ان هذا التعسف لم يزد
أهل السنة الا ثباتاً على عقيدتهم بل دفعهم الى الخروج على بني عبيد عدة مرات بالإضافة الى
مقاطعة مساجدهم ورفض الصلاة على موتاهم مما يضيق الصفاق هنا على ذكره (2) . وكانت من
أوليات اعماله بعد تركيز دولته أمره باغتيال ابو عبد الله الشيعي وأخيه ابي العباس عند ما ظهرت
منهما بوادر تدل على تأمرهما عليه وكان ذلك في جمادى سنة 298^{هـ} ولاقي ابو زائى نذرا صغيرا
نفس السنة وذلك بطرابلس حيث عييه واليا الا انه بعث سرا لوالو طرابلس بأمره بقتل ابي زاكسو
وهكذا يقتل ابي عبيد الله الشيعي نفس ما وقع لابي مسلم الخرساني (3) وما يذكر ان القاتلين
عما حماس وعروبه ابنا يوسف ويقال ان ابا عبد الله الشيعي لما هم عروبه بن يوسف بقتله قال له :
لا تفعل يا بني فقال له ان الذي امرتنا بضاعته امرنا بقتل (4) . غير ان هذه العملية لم ترمي
ان تارت كنامة مما اضطر عبيد الله الى بعث ابنه ابي القاسم لاختاد ثورتها وتارت عليه صقلية
وتهاوت الا انه فر كى مزاك ينتمى . وقد عرفت السنوات ما بين 300 و 315 نشاطا عسكريا مكثفا
وحشا امتد من مصر شرقا الى بلاد المغرب وكانت اغلب هذه الحملات تحت قيادة ابنه ابي
القاسم كما شاهدت هذه الفترة تمصير مدينة المهدي كعاصمة للقواطم حيث ابتداء في سنة 303^{هـ}
ويوما قال بنيتها لتعتمد بها القواطم ساعة من نهار وانتهى من بنائها سنة 306^{هـ} ويومها
قال اليوم آمنت على القواطم (5) .

وبحلول سنة 322^{هـ} يوفى الله عبيد الله المهدي ويوصى بالامر بعده الى ابنه ابي القاسم
نزار الذي يلقب بالقائم بأمر الله (322^{هـ} 334^{هـ}) (6) . ويواصل اعمال ابيه في دعم هياكل الدولة
وتوسيع اطرافها حيث وصلت جيوشه الى مصر والمغرب الا ان في عهده يبرز على المسرح السياسي
ابو يزيد الخارجي الملقب بصاحب الحمار وهو ابو يزيد مخلص بن كنداد من اهل قسطنطينية من
ضواحي مدينة توزر الآن ولد بالسودان لام هوارية اذ كانت لابيها تجارة هناك ثم جاء به الى قسطنطينية
حيث حفظ القرآن ودرس علوم عصره وخالط هناك طائفة النصارى وهي من طوائف الصفرية من
الخور فقال الى مذهبه فم ارتحل الى تهاوت عاصمة الخوار التي كان يحكمها بنو رستم فمهم
حيث اشتغل في تعليم القرآن وكان ذلك سنة 296^{هـ} في زمن وصول ابي عبيد الله الشيعي الى
سجلماسه لك اعتقال المهدي وابنه من سجن سجلماسه ثم انتقل الى تقيور حيث اشترى ضيعة واستمر
في تعليم القرآن هناك (7) .

① معالم الايمان 2/ 65

② 274/ 2

③ انساب ملوك العرب 2/ 8

④ 33/ 8

⑤ 34/ 8 - تاريخ ابن خلدون 4/ 38

⑥ 284/ 8

⑦ 422/ 8 - تاريخ ابن خلدون 4/ 44

وكغيره من الخوارج كان مذهبه يقوم على تكفير من خالفهم من المسلمين واستباحة أموالهم واعراضهم وحكم مهنته واتعاله بالناس فقد اشتهر ووجد من الناس من يثق به ويقطعه في اراءه وذلك منذ ايام المهدي سنة 316 هـ . ولم يزل كذلك الى ان قوت امره في عهد القائم بأمر الله حيث بدأ في تبليغ فرضيات نحلته فاكثرت الغارات فافسد البلاد . بين وصلت به الجزة الى مهاجمة عاصمة العبيد بين مرات عديدة خاصة في السنتين 333 هـ - 334 هـ بين دخر القيروان عدة مرات ودخل تونس ورقادة وباجه وغيرها من اصارا فرقة العبيدية ، وكان أن يقضي على دولة العبيديين وهي لا تزال في خطواتها الاولى . وقد استعان اليه شيوخ القيروان من الفقهاء والعلماء حيث شاركوه في هجومه على المهدي سنة 333 هـ . الا أنه خولهم عند مآتركهم وجها لوجه مع قوات العبيديين حيث استشهد منهم في يوم واحد 55 فتيها زيادة على العامة . يقول ابن الاثير عند استعراضه لاحداث سنة 333 هـ . (فلما رأى شدة قتال اصحاب القائم كتب الى عامر القيروان يأمره بارسال مقاتله اهلها اليه ففعل ذلك ~~فأوفدوا~~ اليه فرح بهم آخر رجب فجرى قتال شديد انهزم فيه ابو يزيد هزيمة هائلة وتفرق فيه جماعة من اصحابه واكثر اهل القيروان) (1) .

وهذه الواقعة سوف نتعرف عليها أكثر عند ما نترجم لسيوخ ابن ابي زيد وخاصة شيوخه المسمى وربيع القطان وابن اسحاق السائى وابن اللياد وغيرهم سيرون . وقد ذكرت مراجع اخرى خيانة ابي يزيد الخارجي لسفقاتة اهل القيروان من فقهاء وعامة فقال صاحب المعالم : (قال ابو الحسن القاسم) عن شيوخه الذين ادركهم - ان الذين ماتوا في دار البحر بالمهدي من حين دخول عبيد الله الى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح ولذلك يقول سهل الوراق :

واحل دار البحر من اغلاله ~~من~~ من كان ذا تقوى وذا صلوات .

(قلت) وكان القروانيون غلبوا من كان بالمهدي وطمعوا في اخذها فمكربهم ابو يزيد الخارجي فقال لجيشه : القروانيون اذا حكموا على بنى عينا واستاصلوهم يرجعون عينا فلا نقدر عليهم فاذا كان من الغد والتحم الناس في القتال اعزلوا عنهم حتى تقع الكسرة عليهم فنرتاح من شوقهم او نحو هذا الكرم ففعلوا ذلك فوقع الهزيمة عليهم لما سبق في سابق علم الله تعالى باستشهاد من استشهد كابى الفضل المسمى وربيع القطان) (2) .

وبقدر ما كان ابو يزيد الخارجي غير صادق مع اهل القيروان كان هؤلاء صادقين معه لان نحلته على ما فيها ~~فهي~~ لا تصح الى حد عبادة الاشخاص وتزيههم مثل ما هو الحال بالنسبة للنحلة الاسماعيلية المتطرفة ولهذا نجد احد الشيوخ الشهداء ~~مفهم~~ وهو ابو الفضل المسمى يرى (أن الخروج مع ابي يزيد الخارجي وقطع دولة بنى عبيد فرضا لان الخوارج من اهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام ويرثون ويورثون وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زان عنهم اسم المسلمين فلا يورثون معهم ولا ينتسبون اليهم) (3) .

① الكامل لابن الاثير 428/8

② معالم الايمان 34/3

③ 28/3

وعلى كل فان الله ليس بغافل عما يفكر ابو يزيد ولا غيره اذ لم يذهب دم العلماء بؤادى الطلح
هدرا حيث انتقم الله من ابو يزيد انتقاما فظيحا سوا في هزيمته بالمهدية اوفى قتله بصورة
قضية (1) بعد ذلك وفي هذا الزمن بالذات كان عمر الشيخ ابن ابي يزيد ثلاث وعشرين
سنة وهو طور حياتي يمثل قمة التحصيل العلمي وقد ذكر بعض المصادر ان ابن ابي زيد كان
في شغل عن ابي يزيد وحروبه بتحصيله العلمي فقد ورد في ترجمة ابن اخو هشام (2) (وكان
شيخ الفقهاء وامام أهل العفة والورع لم يكن عنده رياء ولا تعصب وكان يجتمع هو وابوا الازهر بن
معتب وابي محمد بن ابي زيد وابن شبلون وابن الشبان والفاطمي وجماعة ذكرناهم ونذكرهم
في جامع القيروان للاتفق عندما شغل ابن ابي يزيد على بني عبدة (3)
وبذلك نرى ان اوائل الشذائيات بعد الثلاثمائة كانت سنوات العرب والخوف التي عاشتها
القيروان وغيرها من امارات افريقية الاغلبية بل كانت سنوات الدمار العمراني حتى قيل ان من الاسباب
التي شتت جبر صاحب الجمار هو ان جنده لم يجد ما ينهب ففضل العودة الى قراه باعلى
الجبال (3) ٠٠٠ وما فشل فيه القائم بالله نجح فيه ابنه المنصور الذي تولى الحكم في سنة 334 هـ
حيث استطاع بشجاعته وجراته وحسنه السياسية ان يلحق هزيمة نكراء بابي يزيد الخارجي
ويتبركه يموت من جراحه ثم يباشر بسلج جلد و امرائه تبنا ووضعوه في قفصاعد لذلك مع قوردين
ثانية فيه وتشويهها لسمعه وارهأها لغيره من المتربصين بالفواطم وتان ذلك سنة 336 هـ بقلعة
كتامة (4) .

مالتخدر من ابي يزيد الخارجي بدأ العلويون استعداداتهم للانتقال الى مصر وهذا ما وقع
بعد موت المنصور العلوي سنة 341 هـ . حيث خلفه ابنه المعز لدين الله الفاطمي (5) . الذي
صالح البربر واحسن اليهم فجاؤوه طائعين ومن اعماله انه هاجم المربة من ارض الاندلس
سنة 344 هـ . مما دفع عبد الرحمان الناصر (ت 350) الى مهاجمة سوسة وتخریب
مينائها سنة 345 (6) . وبعد ما دانت له افريقية والمغرب حو احتطاه بالشرق بوجه جيشه
بتيادة جوهر الصقلي الى مصر فدخلها يوم 17 شعبان سنة 356 هـ حيث اقام الدعوة للمعز في
شهر شوال من نفس السنة بالجامع العتيق وفي جمادى الاولى من سنة 359 هـ سار جوهر الى
جامع ابن طولون وامر المؤذن بان يذيقوا الاذان "حي على خير العمل" ثم امر ببدء بنا
القاهرة المعزية (7) ثم تنطلق جيوشه لتستولى على دمشق وغيرها من بلاد الشام .

① الكامل لابن الاثير 441/3

② الديباج ص 114

③ الكامل لاس الاثير حوادث سنة 334

④ الكامل لابن الاثير 441/8 تاريخ ابن خلدون 40/4

⑤ 497/8

⑥ تاريخ ابن خلدون 46/4

⑦ الكامل لابن الاثير 490/8

ولما بلغت هذه الانتصارات الى المعز بالمهديه فرح لذلك فرحا شديدا وقد سحر لنا ذلك ابن هاني في قصيدة طويلة منها :

يقول بنو العباس قد فتحت مصر فقلت لبني العباس قد قضى الامر (1) .

ويعلم فرح المعز بانتصار جيشه بقيادة يوسف بن بلكين بن زيري 360 هـ على محمد بن الحسن الزناتاني لانه كان من اشد الخارجين عنه مرات واشدهم خطرا على اطراف دولته ولهذا ما ان حل آخر شوال من سنة 361 هـ حتى كان المعز لدين الله في طريقه الى مصر حاملا معه اموار القيروان وخيرات افريقية الخضراء حتى قيل انه سبك الدنانير على شكر طواحين وحملت كل اثنتين منها على بعير واستعمل على افريقا يوسف بن بلكين بن زيري الصنهاجي المصيري بعد الدولة الصنهاجية بعد ذلك (2) ودخل المعز القاهرة في يوم مشهود وكان ذلك يوم الخامس من رمضان سنة 362 هـ (3) . وعلى الرغم من سياسة المعز التي اخذت بماخذ اللين الا ان في عقيدته كمال من غيره من الروافضويين لا يدل على ذلك ما قيل امامه من شعر ناطقا بالكرم تحديدا للشاعر السني . وقد حوز ديوانه قصائد كثيرة لا يمكن عند سماعها الا طلب المغفرة لقاتلها من ذلك قوله : (4) :

ما شئت الا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار
فكانما انت الرسول محمد وتأنى انصارك الانصار .
أو قوله :

حل برقادة السيج حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو المعالي فكل شيء سواء ربيح .

وبانتقال الفواطم الى مصر خف الضغط الرافضي على افريقية ، الا ان حياة المعز لم تدم طويلا . بمصر بل مات سنة 365 هـ فخلعه ابنه العزيز الذي بدأت افريقية في عهده تتحرك وخاصة ان قادتها الجدد هم من البربر وهم ابعد الناس على فهم عقائد الروافض التي هي عبارة عن خليط من الاراء الهندية والفارسية والعقائد اليهودية والتثنية المسيحية والافلوطينية اليونانية . ولذلك فعقولهم الصافية لا تتعنها مثل هذه السطوات ولذلك فهم اقرب الى اهل السنة بفطرتهم منهم الى غيرهم ، ولهذا نرى افريقية تزدهر على عهد بني زيري . لذا فلما احبس العزيز العلوي ببوار هذه النهضة اراد ان يغتالها بليل وان يضربها من خلف حيث بعث سنة 377 هـ داعيا الى كتابته يقال له أبو الفهم حسن بن نصر دعاهم الى طاعته وهدفه من وراء ذلك استماله كامة خاصة والبربر عامة اليه والآخرى على المنصور الصنهاجي وبذلك يضعف العزيز الطرفين البربريين وعندئذ تكون افريقية طوعا وبنا . ولما بلغ ذلك الى المنصور الصنهاجي بعث بعث يعلم العزيز بذلك فكان رده بان لا يتعرض لكامه ولا لابي الفهم وكان ذلك بواسطه

① الكامل لابن الاثير 559/8

② " " " 627/8

③ " " " 622/8

④ " " " 621/8

رسولين جاءاه خصيما من مصر . فاعتاض المنصور من هذا التصرف فحبر الرسولين طيلة شعبان عامه ورضان ولم يتركهما يتصان بغيره ثم اقبل يتجهز لحرب كامة وابو الفهم وبعيد عيسد الاضحى انطلق الى مدينة سديف عاصمة كامة فقاتلهم وهزمهم هزيمة شنعاء وقبر على ابو الفهم فضر به ثم قتله وسلخه واكثر صنهاجة وبعيد المنصور لحمه . كما قتل جماعة الدعاة ورد الرسولين الى العزيز بمصر فاخبراه بنى المنصور الصنهاجي وقال له : جئت من عند شياطين ياثون الناس : فارس العزيز الى المنصور يطيب خاطره وارسل له هدية ولم يذكر له ايا الفهم (1) وقر سنة 386 هـ يتوفى العزيز العلوى ومنصور الصنهاجي فيخلفه الاول ابنه الحاكم بامر الله ويخلفه الثانى ابنه بادير . ثم يعود الهدوء والاطمئنان الى الربوع الافريقية وفى سنة 406 يموت بادير ويخلفه ابنه المعز الذى رآى عهده عودة مذهب أهل السنة الى ما كان عليه قبل العبيديين ففى شهر محرم فى سنة 407 بينما كان المعز بن بادير مارا فى موكبه بالقيروان اذ شاهد جماعة فسأل عنهم فتبين له هؤلاء رافضة يسبون ابا بكر وعمر فقال رضى الله على ابي بكر وعمر فاعتبر العامة قوله هذا اذ نالهم بتصفية بقايا الروافد من القيروان ومن غيرها من اصاب افريقية فلا حقهم قتل وذبحا حتى من احتسب منهم بالمساجد ولم ينس منهم الا من عبر الحدود لاحقا بنى عبيد بمصر (2) . وبذلك تخلعت القيروان من نحلة مدمرة للقيم والاخلاق العالية التى جاء الاسلام اليها داعيا وبها آثرا . وكانت هذه الطائفة قد حدثت فى عهد الحاكم بامر الله (336 هـ 411 هـ) ولا بد انها تركت شرخا فى العلاقات بين الامارة الصنهاجية والدولة العبيدية بالقاهرة مما دفع المعز الى زيادة الالتحام باهل افريقية استعدادا لما يخفيه له بنو عبيد . ثم يموت الحاكم سنة 411 هـ ويتولى بعده الظاهر (411 - 427 هـ) . ثم يموت هو ايضا فيخلفه المستنصر معد ابوتيم (427 - 487 هـ) والذى فى عهده ازداد الشرخ اتساعا بين الدولة والامارة . ولا ادل على ذلك من امر المعز بن بادير بقطع الخطبه على المنابر باسم المستنصر العلوى ومخاطب للقاء العباسى وكان ذلك سنة 440 هـ (3) . ولما علم المستنصر العلوى بذلك بعث للمعز يهدده ويتوعده فاغضب له المعز فى الجواب وعندئذ لم يجد العلوى ما ينتقم به من افريقية السنية سوى ان يرميها بنى هلال حيث يحاصرون القيروان سنة 446 هـ . فلعل على الرغم من ان المعز قد احسن اليهم ومما يقال ان وزير المستنصر العلوى الذى كانت بينه وبين المعز صداقة قد كتب رسالة الى المعز قبيل وصول بنى هلال الى افريقية جاء فيها (اما بعد : فقد ارسلنا اليكم خيولا وحملنا عليها رجلا فحولا ليقتل الله امرا كان فعولا) (4) . وان انتصروا بنو هلال على جيش المعز الا ان ذلك لم ينفسر من بشولته ولم يمر من كرامته صدار ذلك ما قاله احد شعرا : ذلك الزمان (5) :
وان ابن بادير لا فضل ماله
ولكن لعمرى ما لديه رجال
ثلاثون الفا منهم غلبتهم
ثلاثة الاف ان ذا المحان .

① الكامل لابن الاثير 54/9

② 54/9

③ 566/9

④ 566/9

⑤ 568/9

هذه صورة موجزة لما كانت عليه افريقية طوال القرنين الثالث والرابع بقطع السرعة سنة 230 من أحداث وما جاء بعد القرن الرابع من أحداث لانه كما قلت : اذا كان السابق اساسا للحاضر فان اللاحق هو نتيجة للحاضر . وعلى كل فان حالة الاضطراب هذه لم تكن خاصة بافريقية بل كانت عامة في جميع انحاء العالم الاسلامي . وتكاثر الانقسام عن الدولة العباسية ان بالإضافة الى انقسام الاندلس والادارة قديما انفصلت اراضي ما وراء النهر حيث تأسست الدولة السامانية اما في غرب بغداد فكانت الامارة الحمدانية وبعض الاخشيديون وبافريقية والمغرب العبيديون كما هناك امارات اقل قيمة من السابقة كإمارة بني مدرار السنية بسجلطة وامارة بني رستم الخارجية في تيارت . . . الى بل فر وقت لاحق من القرن الرابع ينتسب بنو بويه في بغداد ولم يعد للحاكم العباسي سوى الاعلاء على المنابر وهكذا أصبحت الحالة سيئة في كل هذه الامارات ما عدا دولة الفواطم التي كانت اقواهم حيث منعت من ذكر اسم الحاكم العباسي على منابر حواهر افريقيا منذ 297 هـ ثم منعت بعد ذلك في مصر والشام وغيرها من الاراضي التي استولت عليها هذا بالإضافة الى انقطاع الروابط السياسية بين الاقاليم الاسلامية التي انقلب الى كيانات هزيلة متطابقة مما جراً الغرور وغيرهم عليها . يقول الأستاذ الخضري " في هذا الدور انقطعت الروابط السياسية بين الاقاليم الاسلامية فاذا ابتدأت بالمغرب وجدت في الاندلس بني امية يقودهم عبد الرحمن الناصر (350 هـ) تسمى بالأمير المؤمنين لما احسن بضعف الدولة العباسية وفي شمال افريقيا وجدت الشيعة الاسماعيلية قد اسسوا لهم دولة باسم الدولة الفاطمية عبيد الله المهدي الفاطمي الذي تسمى بالأمير المؤمنين وجعل مقره مدينة المهدية التي اسسها بالترب من تونس ووجدت بعض محمد الاخشيد يدعوليني العباس ووجدت باليمن الشيعة الزيدية قد رسخت اقدامهم فيها ووجدت في بغداد دولة الدليم المعروفة بدولة بني بويه صاحبة السلطان الفعلي وبني العباس مجرد الاسم ووجدت بالشرق الدولة المعنوية التي قاعدتها بخارى لما وراء النهر (1) وهكذا كان العالم الاسلامي قد اشتعلت ارضه بنار الفتنة وحو وطيسها خاصة بين بني العباس الذين كانوا يحملون بامجاد ابي جعفر المنصور والرشيد والمأمون وبين الفواطم الذين لم يغفروا لاجداد بني عمومهم مجزرة الفجة بكة ومقتلة المدينة وغيرهما كثير . هذه صورة موجزة عن الاوضاع السياسية خلال قرون طويلة بدأتها باوائل القرن الثاني مركزا على اهم الاحداث وتعمقت في أحداث القرن الرابع ونهاية الثالث ثم انتهت باحداث النصف الاول من القرن الخامس وكنت مضطرا الى ذلك لان الحدث التاريخي لا يموت بفواته زمن وقوعه بل قد يكون له تاثير على ما ياتي بعده . وهذا ما لاحظناه في الاسباب التي ترتبت عنها انبعاث دولة الفواطم وغيرها من الدول والامارات . يقول الأستاذ د . عبد الرحمن ياغي () والما الزمان فاهيته ليست تقوم بثلث الحدود التي رسمها لنا الارغام السنوية وانما تتضح لنا بطريق فيها من أحداث وما يجري فيها من شؤون تتصل بحياة الافراد وتؤثر في حياة الجماعات وتتناول الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والادبية (2) . وبذلك نكون قد انما بجاز بالاحداث السياسية التي لها تاثير كبير على مجالات أخرى من الحياة .

① تاريخ الشريعة الاسلامي ص 232 . نقل في الفصل

② حياة البيردان وموقف ابن رستق منها ص 11

ب : الحياة الاقتصادية والاجتماعية :

لير هناك خلاف حول الحياة السياسية من تأثير عميق في الحياة الاجتماعية والاقتصادية إذ بقدر ما يعم الاستقرار السياسي بقدر ما يتوفر الاطمئنان الاجتماعي ويزداد النمو الاقتصادي ذلك ان المجتمع البشري اذا ما احرب بالسلم اندفع فطريا الى بناء اقتصاده بتنمية موارده و تحثيز ضروريات المعاش وكماليات الحياة على حد السواء .

اننا لو طبقنا هذا المذهب على الحياة الاجتماعية والاقتصادية بافريقية العبيدية وجدنا انفسنا اننا غير مجانبين للصواب في الذي قلنا واليه ذهبنا وبصحته اعتقدنا .

1 : الحياة الاجتماعية :

لم يكن المجتمع افريقية والمغرب مجتمعا منعزلا عن غيره من المجتمعات ما قرب منها له وما بعد منها عنه . اذ كانت له مع الشروق علاقات سببتها العقيدة الاسلامية المشتركة ومنتجها حركة الفتوحات بما اوجدته من اخوة في السراح ألم تكن اقلية الحند الفاتحين للاندرلس وصقلية من البربر؟ وقد هسرتها الرحلات العلمية المتبادلة بين المغرب والمشرق حتى قيل ان امام دار "الهجرة عرض على ابن غانم تزويجه ابنته (1) . اولم يكن من بين علماء القيروان وتونس مشاركة من خراسان وفارر كاسد بن الفرات (213هـ) وعلى بن زياد (185هـ) وعبد الله بن فروخ الفارسي (176هـ) . بل كان سكانها العرب من اليمن والانصار وقوتها التجارة التي لم تكن حركتها تعرب الانقطاع . ويعرور الزمن انصهر المجتمع الافريقي البوبري والمجتمع الاسامي المشرقي في بوتقة واحدة لغتها العربية ودينها الاسلام . مبداء ذلك ماورد (ان العامر الهام في تغيير الجنس كان غزوة بني هانز ثم بني سليم حتى أصبح من المستحير التمييز بين قبائر العرب وقبائر البربر حتى ان التهجاء البربرية أخذت تختفي (2) .

ومثل ما ان لهذا المجتمع علاقات متينة مع المشرق الاسامي كانت له علاقات اخوية مع بلاد الاندلس منتشها القوافل التجارية ودعمتها الرحلة في طلب العلم او نشره وحافظت على استمراريتها وحدة العقيدة ووحدة الجنس ووحدة المدرسة الفقهية اذ كان الجميع موالت وكان الغالب عليهم العقيدة الاشعرية السنية .

هذه العزقة المتينة يفسرها انتقال اغلب أهل الاندلس الى بلاد افريقية والمغرب عند ما اخرجوا من ارضهم إبان ماساة فقد ان الاندلس .

① معالم الايمان 1 / 304

② دائره المعارف الاسلاميه م 3 / 17 ا - ترجمة انه ثابث القندي وجماعة .

وكانت لهم أيضا علاقات اجتماعية مع جيرانهم في الشمال منذ اقدم العصور وقد دعم هذه العلاقات الفتح الاسلامي لصقلية وجنوب ايطاليا فكان التبادل التجاري وكان التعاون العلمي وكان ما ينتج عن هذا التبادل والتعاون من علاقات ودية بين الافراد والجماعات وقد ترك العرب الافارقة بصماتهم على مجتمع جنوب ايطاليا حيث لا زالت آثارها واضحة للعيان حتى في عصرنا الحديث (1) .

أما في الجنوب فقد ارتبط مجتمع افريقية والمغرب بعلاقات حميمة مع دول ماوراء الصحراء غربها وشرقها اذ كانت هذه المناطق مصدرا لثروات عظيمة وتجارات رابحة كجارة العبيد والذهب وغيرها من المنتجات وكانت لبلاد سلجاسة وأودغست وبرد السودان علاقات اجتماعية وثيقة مع مجتمع افريقية والمغرب من ذلك ماورد في ترجمة ابي يزيد الخارجي من تونه ولد بالسودان لجارية هوارية اذ كان ابوهم يختلف للتجارة الى هذه البلاد (2) . وما وجود العنصر الاسود بافريقية الا اثر من اثار هذا الترابط الاجتماعي .

وما قوى هذه الروابط الاجتماعية بين افريقية وماجاورها بعيدا كان او قريبا موق القيروان كقنطرة لقاء ومحط رحال قوافل الحجيج والتجار المسافرة او المغربية العابرة للبحر والقادمة من الصحراء .

أما اذا القينا نظرة فاحصة على الحياة الاجتماعية داخل المجتمع نفسه ونوعية العلاقات التي تربط بين افراده من ناحية ثم بينهم وبين السلطة الحاكمة من ناحية أخرى نجد : ان للحياة الاجتماعية هناك نفس السمة التي اتسمت بها الحياة الاجتماعية في المجتمعات الاسلامية العربية الاخرى . فقد قامت حلقات الجدل والمناظرة بين الفرق الاسلامية من معتزلة وخوارج وسنة وشيعة اذ هناك من جلد من العلماء لما قامت قضية خلق القرآن وهناك من تولى الرد على مزاعم المعتزلة كما فعل ابو محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني في رده على رسالة المعتزلي (3) . ومن ذلك خلافهم حول هل يجوز ان يقول الانسان انا مؤمن ان شاء الله ام لا ؟ وقد اختلف في ذلك ابي عبد ورواين ستمون ثم وقع الخلاف في زمن هذا الشيخ - محمد بن الثبان - وهو من يجوز ان يقول انا مؤمن عند الله ام لا ؟ فجوزه محمد بن الثبان وقال بقوله جملة وخالفه ابو محمد بن ابي زيد وانكر عليه ذلك وقال انما يقال ان كانت سيرتك مثل عازيتك فانت مؤمن ووافقه على ذلك اكثر القرويين (4) . وكان الخلاف بين الخوارج واهل السنة وكان الجدل العنيف بين السنة والشيعة مما شتت عرض اليه عند الحديث عن سمات الحياة الفكرية للمجتمع القيرواني (5) . وكان هناك خلاف اقل حدة من سابقه هو الخلاف بين المدارس الفقهية من مالكية وحناف وهو خلاف ناتج عن تنوع المدارس

① حياة القيروان ص 71-72 - نقل عن العرب والروم تأليف : فاريليف ترجمه د. سعيقة دار الفكر العربي ص 24-26

المغرب الاسلامي

② الكامل لابن الاثير 8/ 424-425 . انظر ايضا كتاب الجهاد الاقصادية والادبية للمؤرخ المغربي المصطفى في القرنين الثالث والرابع للمؤلف ابي حبيب البجلي ط 1 ص 1978 . حيث تحدث عن اهم المراكز الفكرية فيه .

③ ترتيب الادراك 4/ 49

④ معالم الايمان 3/ 96

⑤ هذا البحث ص : 31-49

والتكوين لطلبة القيروان حتى اننا واجدوني في ترجمة الامام سحنون كان اولى من فرق اهل البدع من المساجد واول من ابتنى بيتا في المسجد ليحكم فيها بين المتخاصمين وقد في ذلك قبضة المائنة الذين جاؤوا بعده اما اذا تولي قاضي حنفى فانه يقوم بهدمها (1) وكذلك مانجده في ترجمة جيله ابن حمود والتقاءه بابن عبدون القاضي الحنفى (2) الى غير ذلك من عراقات تنم عن خلافات غير حادة الا انها موجودة وقد تأخذ العلاقات الاجتماعية في بعض الاحيان طابع العنف شكلا كما حدث في ثورة الفقهاء سنة 333هـ (3) او في ثورة العامة سنة 236هـ (4) اثناء نهبهم لقصور رقادة الاغلبية بعد مغادرة زيادة الله لها او في مجزرة الشيعة سنة 407هـ (5) ان كل هذه الاحداث وغيرها "كلقات العلماء" بمسجد السبت وغيره من مساجد القيروان للمذاكرة العلمية ولدراسة الاوضاع الاجتماعية مما أوجست منه السلطة الشيعية خيفة حيث كانت ترصد مثل هذه التقلبات وتتابع احداثها اولا بأول ومثل ذلك سعى للتقاة والعلماء بدفع من العامة التي لا يغيب عنها شيء الى الحد من امتلاك القواد والنوشرين الكبار للعبيد والاموال وغير هذا من الاموال وحياة سحنون ونحوه القاضي وحاملي القاضى وجيله ابن حمود (6) لا يكون لير علو ان المجتمع القيرواني كان مجتمعاً متقدماً فترياً ناضجاً اجتماعياً مطلعاً على خفايا الامور مما جعله يمتلك ثقافة سياسية عميقة وواضحة الرؤيا ، هذا بالإضافة الى تماسك اغليته لا شراكتهم في العقيدة السنية واتحادهم في المذهب الفقهي السني . لهذا كله حق للدكتور باغى ان يقول (كل هذه العوامل كانت لبثات في حياة القوم الاجتماعية والحضارية اثرت في حياتهم الاقتصادية واثرت في اللغة والادب واثرت في المرأة واثرت في غير ذلك من شؤون الحياة اثرا خفياً حيناً وظاهراً احياناً أخرى (7) .

① معالم الايمان 2/ 27- 28 . انظر ترجمة الامام سحنون في هذا البحث .

② 274/2 " "

③ 34-33/3 " "

④ 46/8 شامل لابن الاثير

⑤ 294/3 " "

⑥ ترتيب المدارك 3/ 247- 254

⑦ سيرة النبوة ص 73- 74

لقد سبق ان قلنا ان النما الاقتصادية يقتضى وجوبا وجود الاطمئنان الاجتماعى والامن داخل البنية الاجتماعية وذلك لان الانسان هو الحرب للاقتصاد اذ لا يرغب بدون فلاح ولا محراث بدون حداد ولا بضاعة بدون تاجر، ولهذا فتطور الاقتصاد متوقفا على هدى توفير السلم الاجتماعية وذلك لان الفلاح والصانع والتاجر هم لبنات مهمة فى بنية المجتمع. فانما سلمنا بهذا يكون لزاما علينا ان ندرس مصادر الاقتصاد ببلاد افريقية والمغرب حتى نعرف اهمية مواردها ومدى قدرتها على توفير الامن الغذائى لاهلها ومدى عدالة حكمها فى توزيع الثروة الاقتصادية على افراد هذا المجتمع فنقول يقوم الاقتصاد بافريقية والمغرب على صدين هامين وموردين اساسيين هما الزراعة وما تبعها من تصنيع لانتاج الفلاحى، وكذلك التجارة وما يترتب عنها من ترويج للبضائع فلا حية كانت او صناعية. أما فيما يخص المجال الفلاحى فقد ساعد على ازدهاره مناخ معتدل وثرورة مائية قادرة على ارواء اراضى شاسعة صالحة لانتاج الفلاحى ومراع خصبه وفرت لهذا الثروة حيوانية مهمة ولقد عرفت سهول تونس وماجاورها شمالا وجنوبا بالخضرة الدائمة منذ اقدم العصور حتى نعتها قديما انرومان بـ «مورة رومسة» ومش ذلك سهول القيروان وما كانت تزخر به من انتاج فلاحى وما كان متوفرا فيها من مياه يجرى فيها نهراها زروود ومرق اللين وقد وصف خصوبتها المؤرخون القدامى من امثال ابن حوقل ومن بعده البكري والادريسي بانها مناطق عامرة ذات انتاج زراعى جيد وغزير حتى قال البكري فى حديثه عن سهول القيروان الغربية المعروفة بفحص الدارة انها تبت فى بعض الاحيان ثلث مائة ضعف ما يذرف فيها (1) اما لو انطلقنا جنوبا فانتا سون نص الى واحات الجريد ونفساوة وما كانت تزخر به تلك الواحات من انتاج غزير لمادة التمور وغيرها من البقول والخضروات فى سباتين لا تخترقها اشعة الشمس لثياب اغصان اشجارها، حتى قال البكري أيضا ان الفحص من التمور يخزن منها يوما (2) اما اذا ما اتجهنا شرق الجريد فانتا سون نص الى غابات الزياتين من ارض صافى وما حولها وهي غابات عرفت منذ القديم بغزارة انتاجها وجودته مثلها فى ذلك مثل منطقة الساحل الشرقى، حتى قيل ان سفن المسلمين والنصارى كانت تزدحم فى مياه مينا صافى لاشتراء الزيوت والاتجار فيه مع البلدان الاخرى مثل ايطاليا وغيرها بل يقال ان اهل بينة قد جعلوا لانفسهم فندقا بصافى لاشتراء الزيت وغيره من البضائع مما يدل على وجود علاقات تجارية نشطة بينهم وبين احدى حواضر افريقية القيروان (3) ولم يتناقص هذا الانتاج الزراعى من زيت الزيتون بصافى الا بعد تغرية بني هلال الذين غاصوا فى تلك الغابات فسادا.

① اَلْعَرَبُ فِي ذِكْرِ بِلَادِ اَقْرَبَتِهِ وَالْمَغْرِبِ عِزِّ مَنَاقِبِ الْمَسَالِكِ وَالْاَعْلَالِ لِلْيَلْمِ ص ١٤٢

48 3 " " " " " " (2)

③ حياة النيران ص 76

وقد ارتبطت بالانتاج الزراعي صناعة متطورة ومتقنة وجيدة الصنع هي صناعة الخزاي والبست والشباب
الصوفية والقطنية والحريرية . وكانت تونس والقيروان والمنصورية وبزاز الجريد وصفاقس وسوسة
والمهدية من اهم حواضر افريقية القيروان في هذه الصناعة التي اشتهرت شهرة عالمية ولا زالت الى الان
حتى غدا الطابع القيرواني على الزربية دليل الجودة والاتقان .

كما كانت مدن الشواطئ الافريقية مصدرا مهما في تجارة الاسماك والانتاج البحري مثل بنزرت وتونس
والمهدية وصفاقس وقابس وجربة . . . الخ ذكر المؤرخون ان مدينة بنزرت مثلا كانت مدينة تجارية
جميلة وان تجارة الاسماك بها كانت تجارة لها رواج (1) .

ان هذه النهضة الاقتصادية من تجارة وصناعة وفلاحة قد استفاد منها أولا وبالذات الامير الحاکم
ومن دار في فلكه بسبب كثرة الضرائب وارتفاع مقاديرها ، وتنوع المكوس والشدة في جمعها يضاف الى
ذلك الصادرات العشوائية لاموال الناس حتى قيل ان جباة الضرائب والعبيدين قد اغتصبوا اربعمئة
الف دينار من سكان مدينتي المنصورية والقيروان في مدة واحدة (2) .

ويذكر البكري ان المكوس التي كانت تجبي عند باب المنصورية قد بلغت ستة وعشرين ألف درهم
في اليوم (3) . ولا استبعد ان تكون مثل هذه التصرفات من قبل السلطة الحاكمة العبيدية وغيرها
هي التي عمقت كراهية الافارقة للفواطم بصفة خاصة ولمن جاء بعدهم من دول بصفة عامة ولهذا رأينا
عديد الثورات والانتفاضات في العهد العبيدي ثم توجت ذلك كله انتفاضة 407 حيث اشغوا غلبهم
من بقى من شيعة الروافض بالقيروان في تلك المذبحة المعروفة .

نعم لقد احب الافارقة ارضهم حبا جعلهم يبدعون في تفجير خيراتهم ويتفننون في مضاعفة انتاجهم
حتى اصبحت الزراعة علما مارسه العلماء ودونوا فيه الكتب والرسائل الم يكن الامام سخون زراعيا
لا يشغله الدرس عن خدمة الارض حتى كان بعض تلاميذه يقوم مقامه في حراثة الارض على ان يجلس
الشيخ ويتفرغ لمريدي علمه من الطلبة والدارسين (4) ، وقصة من يحيى بن عمر لهي اقوى حجة على
ما نقول (5) . فاذا كان علما القيروان - وهم القدوة - هذا هو موقفهم من الزراعة فما عسى موقف
العامة منها وهم الذين يضعون بالنفس والنفس اقتداء بالعالم الخفي ، ولم يكن علما القيروان بمبتدعين
بن ثمانو لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم متزمن وبها آخذين في اقبالهم على فلاحه الارض واستخراج
خيراتها (6) .

- ① الادريسي : وصف المغرب وارض السودان ومصر والاندلس - مأخوذة من كتابه في نزهة اللسان ص 115 ط . ليدن
- ② حياة السودان وتوقف ابن رستم ص 75
- ③ المغرب في ذكر بلاد المغرب والمغرب ص 28 ط . ليدن .
- ④ ترتيب المدارك 2/ 594
- ⑤ = 2/ 610
- ⑥ صحيح مسلم شرح النووي المحلى الرابع [كتاب المساقاة والزراعة] الاصدار 1 - 10 ص 61 ط . دار السقيف - مصر

وبالإضافة إلى هذا كله فقد كانت بافريقية حركة تجارية نشطة بالنظر لموقعها على طريق القوافل
 مهما كانت وجهتها ومهما تنوع مراميها ومقصداتها بالإضافة إلى كثرة موانئها وطول شواطئها وقربها
 من بلاد أوروبا التي كانت في ذلك الوقت أقل منها نهياً وتحضراً . وكانت القيروان من الأمصار الإسلامية
 التي يحلو فيها العنبر يحكم طيب هوائها وقربها من كل بلاد العالم ولهذا كانت أسواق حواضرها
 زاخرة بالبضائع مكتله بالسلع ما وفر لا هله ثروة هائلة الأمر الذي دفعهم إلى مزيد الانفاق ومزيد
 الإبداع في الهندسة المعمارية لدورهم ومساجدهم ومؤسساتهم العامة ، وإلى مزيد الاتقان في
 صناعاتهم وإلى مزيد الجودة في إنتاجهم منادى ذلك الثروة الطائلة التي جمعها المعز لدين الله
 الفاطمي حتى قيل أن يوم مغادرته إفريقية إلى مصر سبب الدنانير الذهبية وكُتب منها طواحين حجر
 كل اثنتين منها على بعير ، ولا أدل على ذلك أيضاً من بناء الأغلبية مدينة رقادة ومانيها من قصور
 وكذلك أقامتهم للفخسفة المعروفة باسمهم بالإضافة إلى ما حمله معه زيادة الأغلب يوم أن غادر
 القيروان من أموال وجوار وما تركه كان أكثر بكثير سلمه بعد ذلك أبو عبد الله الشيعي إلى عبيد الله
 المهدي رأس الدولة العبيدية بافريقية (1) .

وخلاصة القول أنه إن موقع إفريقية القيروان من العالم جعلها أرضاً منتجة زراعيًا وموقع القيروان
 من المسالك التجارية وطرقها جعلها صراطاً ترومه القوافل وتناح في بطاحه وتفرغ ما أثقل كواهلها من
 السلع والبضائع لتغادره بعد ذلك محملة بالإنتاج الفلاحي مثقلة بالإنتاج الصناعي ولهذا يقول
 د . عبد الرحمن ياق (وتقرأ إلى جانب هذا كله للاستاد آدم مترعن تلك الطرق التي كانت تمر بها
 بهذا القطر كالطريق المتدبين مصر إلى السفلى والسور إلى دني على المحيط الأطلسي والطريق
 الموصل بين الأندلس والشرق والطريق الشجع للسودان فتبين لنا الحركة التجارية والغزوات الزراعية
 والنشاط الذي كان يقوم به أهل القطر ما جعل الرخاء المادي ييسر لهم سبل الحياة ويعينهم على
 قيام حضارة رخية) (2) .

إن ما فعله الأغلبية وخاصة آخر أمرائهم زيادة الله أبو نصر الأغلب وما فعله من بعده المعز لدين الله
 الفاطمي لهو الصورة الحقيقية للحالة الاقتصادية في إفريقية من حيث النماء ولها وياها الصورة الحقيقية
 لتصرف الحاكم إزاء الثروة الوطنية إذ كان لا يرضى إلا بنصيب الأسد منها مشركاً في ذلك معه من دار في
 فلكه فنعمت حياته وحياتهم وغاص في الترف وغرقوا في وحله حيث أقبل كما أقبلوا على طيب المأكول وجمال
 الطيب ورفاهية المركب وفتنة المسكن وقد حوت كتب التاريخ والتراجم ما فيه الغنية والكفاية على ما كانوا
 فيه ينعمون وبه كفون وعليه حريصون من ذلك أن يكونوا لا يبق الفتوح بلكن بن زيري أربعمائة
 جارية حتى بشر في يوم واحد بميلاد سبعة عشر ولداً من صلبه ، وهذا يحيى بن تميم بن المعز يقوم
 إلى مجلس الطعام متكئاً على إحدى جواريه الكثيرات (3) مبر كان ليعر مشاهير الفقهاء بعد ما لمشاهير
 السياسة من ذلك أنه كان لمحمد بن سحنون تسع أسرة لكن سرير سرية يتمتع بها (4) . وما قاله ابن
 أبي زيد لأحد طلبته عند ما زوجه من جاريته لا تقول دليل على أن هناك من الفقهاء من كان يعبر في
 بحبوحة العبي من العير فقد ورد أن أبا محمد كان لطلبته لما رآه عليه من الخوف والارتباك : يا بني
 إنما جئت معتذراً عن تقصير في حقك إذ لم أتم بحمي ما تحتاج إليه وذلك أني لم أقتدأت تحتل إلى

① الكامل لابن الأثير 49/8

② حياة القيروان ص 77

③ وفيات الأعيان ج 6 ص 25 - ترجمه يحيى بن تميم

④ ترتيب المذكر 114/3

النساء فان شاب وها انا شيخ احتاج الى الزيادة من ذلك فكيف انت ؟ واما الحسية التي رايتها خارجة من الحمام فاني ربيتها صغيرة لنفسى (٠٠٠) (١) وفي هذا الشأن نذكر ما كان يغدقه من عطاء على خليفته وما كان يعين به اصحابه وما كان يبعث به الى شيوخ المالكية من اموال وهدايا مما ستفصل فيه القور في مكانه من هذا البحث بحول الله (٢) .

ولير حريبا والحالة الاقتصادية بافرقية كما ذكرنا ان يفرق الحكام ومن دارفوق فكهم في الترف اغراقا مريعا بلغ الى حد ان يعقد المعزلدين الله المباريات بين الشعراء في وصف ساق بها زغب ووصف طعام حفلت به مائدته (٠٠٠) (٣) . وكما بالي هو غيره في هذا التذير بالي شعراؤه في مدحه حتى مادوا ان يؤلهوه وديوان ابن هاني لا قوى دليل على ما نقول وان لهذا الترف رد نفوس اغتلت باختلاف الفصائل الاجتماعية منها طائفة مقبلة عليه فرحة به معتبرة اياه من قبيل النعمة منتهكس قز رب انتم فرد متخذة في القور بالمزيد منه المداينة شعارا والنفاق منهجا وطريقا ويشر هؤلاء اغلبية من الشعراء وحاشية الامراء واقلية من الفقهاء . اما اغلبية الفقهاء فقد رفضوه واعتبروه عمر من اعمال الشيطان حيث انبروا المقاومة العنيفة حتى ان بعض القضاة قد ابوا اخذ مخططاتهم من خزينة الدولة هربوا من وقوعهم تحت رحمة الحكام . ولا ادل على ذلك من المواقف التي سجلها التاريخ لقضاة امثال ابو كريب وسحنون ، وحملهم بالقضاة وغيرهم من هناك من الفقهاء من رفضوا تولي القضاء رفضا باثما للامر نفسه امثال علي بن زياد وعبد الله بن فروج وجيلة بن حمود ويحيى بن عمر وغيرهم ، حتى غدت هذه القضية الراضية عبارة عن جبهة معارضة قوية الجانب صعبة المراسه لم يشنها عن موقفها وعدولا وعيدا ولا ترغيب ولا تهريب ولذلك اتان السلطان يخشاها لتاثيرها في اوساط الجماهير يقول د . ياغي " وكان لعنف هذه الطبقة من الفقهاء وقوة معارضتهم سلطان على نفوس الناس لانهم لم يكونوا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم انما كانوا يصرون عن قلوب صادقة ويتخذون لانفسهم منهجا في الحياة لا يتعارضوا يومسون به فهم يحيون ما يقولون به ويقولون بما يحيون دون ان يجد العامة منهم تناقضا او رياء او مداينة " (٤) .

ان من يطالع كتب التراجم ليجدها طافحة بمواقف متحدوا فيها ارباب السلطة من ذلك مواقف ابن النباد وابو العرب وابو الفضل المسري وقبلهم سعيد الحداد وبعدهم ابو اسحاق السبائي الذي جاءه نفسى احدى المرات رسول الامير العبيدي فقال الشيخ من هذا فقال انا فلان قال ادخل يا شيطان ما يريد الشيطان ؟ اخو الشيطان فلم يكلمه الا بالشيطان " (٥) .

① معالم الايمان ١١٤/٣

② ١١٤/٣

③ البدايح ٢٢٤/١ هياه القيردان ص ٢٨

④ هياه القيردان موقفه من رقيق منها ص ٨٥

⑤ معالم الايمان ٢٣/٣

وكذلك محمد ابن التبان الذي كان لسانه على امرأ بنى عبيد أشد من وقع السيد المهند والقائمة طويلة والمواقف الشجاعة والرافعة للنظم السياسى والتمايز الاجتماعى أكثر من ان تقى الاحاطة بها ففى مقدمة لبحث لانها نفسها تقتضى بحثا مستقلا يعطى صورة حقيقية لجهاد هؤلاء ، الا تقياً الصادقين الذين لا يخشون الا الله .

الى هذا الحد ما راينا الا الصورة الباسمة لاقريقية المتطورة اجتماعيا والناهضة اقتصاديا ولكن لا يمنع ذلك من رؤية صور أخرى قائمة حزينة نتيجة للاثاراجات الاجتماعية والكساد الاقتصادى دفعت باهلها الى مغادرة ارضها والهجرة الى غيرها من البلدان والولايات المجاورة . من ذلك ما شاهدته المهدية اثنا محاصرة ابى يزيد الخارجى لها من قلة فى الطعام وفقره فى وسائل العبور حتى ان اهلها تركوها الى طرابلس وصقلية وغيرها من البلدان واهبط اميرها العلوى عندئذ الى اشهارماتسان مدخرا من المؤن وتوزيعها ~~على~~ على اهل عاصمته الجياح ويذكر لنا المؤرخان ابن الاثير والديلم اخبارا عن هذا الكساد الاقتصادى ضمن حوادث 395هـ . فقد ذكر الاول ان غرة شديدا قد انتاب افريقية فى هذه السنة ادى الى تعطيل المخازن وغلق الحماطات وذهبت الاموال وطلب الناس وكثر الوباء وانتشرت الامراض حتى كان عدد الموتى يصل يوميا ما بين 500 و 700 نفس (1) .

أما الديلم فيقول (ثم دخلت سنة 395هـ . فكان فى هذه السنة قحط شديد وموت ذريع حتى خلت البوادي واكثر الحواضر وقلت الاسواق والمساجد وعدت البيهائم فمات فى هذه السنة عدد كثير من العلماء والصلحا . قلت : زاد غيره وتحول كثير من وجوه الناس فضلا عن عاصمهم وسوقتهم وأهل البوادي الى جزيرة صقلية لرخا سعرها وامن سبيلها وعدن سلطانها) (2) . وعلى كل فلا تخلو الحياة فى بلاد افريقية والمغرب من التناقضات اذ شهدت الامن والرعب والسلام والاضطراب وكان فيها الترف والتبذير والاملاى وقلة ذات اليد ومرت بها سنوات سمان وأخرى عجاف وعرفت الغنى وذاقت الفقر وشاهدت الرهد والتقىيد والمروق والعصيان ، وحكمها أهل العدل وأهل الطغيان هذا التناقض هو الذى اعطى للحياة الاجتماعية صفتها السيزة وهو الذى مهد الحياة الاقتصادية . بمقومات جعلتها قادرة فى بعض الاحيان على توفير الرخا للمجتمع وعاجزة احيانا أخرى ذات بايجاز قد يكون مخيرا لما كانت عليه الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى العصر الذى يعاش فيه شيخنا ابو محمد عبيد الله بن أبى زيد القيروانى .

④ الكامل لابن الاثير حوادث 395.

② معالم الايمان 3 / 127

وان كانت الحياة الفكرية اولى بالتقديم عن غيرها باعتبارها المؤثر الاول فسي توجه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية على اساس ان دور العلماء في ذلك يعتبر حجر الزاوية في كل استقرار سياسي وعدم اجتماعي ومهضة اقتصادية ولذلك حاولت فيما سبدا ان لا امر بدون ان اشير الى هذا الدور في الاحداث السياسية والتطورات الاجتماعية ومظاهر النمو والكساد الاقتصادي . وانما اخرت الحديث عنها الى هذا الموقع من البحث حتى يسهل علينا ربطها بشخصية العالم الفكر والمقصود ببحثنا هذا :

وعلى كرفان دراسة الحياة الفكرية في بلاد افريقية والمغرب وابرار ما يحبا يقتضى التركيز على دراسة مكان بعلم في دور العلم من معارف ومكان منتشر في الوسط الاجتماعي من النماذج والانطة الثقافية والتي كان يستوى في الاقبال عليها العالم والمثقف والمعلم ومادون هؤلاء من العامة . وحتى يمكن لنا ان تكون فكرة عن هذا كله لا بد ان نستعرض مكان فائزا باقبالهم وحائزا على رضاهم وجالب لا ثباتهم . الا ان هذا الفائز والحائز والجالب شيء كثير يتجاوز ما هو مطلوب من مقدمة وضعت لابرار ملاح دون الغوص العميق في اعماق الحياة الفكرية والتي تقتضى وحدها مؤلفا مستقلا . وحتى تجنب هذه المقدمة للسطحية وتبتعد عن الاطالة عمدت الى استعراض ملاح الحياة الفكرية من خلال الحديث عن كل فن داخل الاطار العلمي الذي ينتمي اليه . مكفيا بشاهير العلماء دون غيرهم ذاكرنا مناهجهم ونظرياتهم واثارهم التي دونوا فيها هذه النظريات وبرز من خلالها منهاجهم . فوجدت اولى بالتقديم العلوم العقلية من علم كلام وفلسفة ورياضيات ثم العلوم الانسانية من لغة وتاريخ وتراجم ثم العلوم التطبيقية من طب وصيدلة ثم العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وقد اخرتها بفرض ربطها بما بعدها والذي يعتبر بداية للبحث .

(1) العلوم العقلية

ان من اهم العلوم العقلية التي اخصت بها الحضارة الاسلامية وتميزت بها عن غيرها

١ - علم الكلام :

وهو العلم الذي يعتبر وليد البيئة الاسلامية منذ بداية العهد الاول عندما اختلف الناس حول الامة ومجال البحث فيه يبدأ بايمان الباحث بالقضية المطروحة على بساط البحث ثم ينطلق مدعما ايمانه بها بالادلة والبراهين العقلية مستعملا في ذلك منهجا يبدأ بالمحسوس ثم شبهه ثم المجرد وقد رأى هذا العلم تطورا على ايدي المعتزلة عندما اختلف واصد بن عطاء من الحسن البصري حول مرتكب الكبيرة الذي اثبت له المعتزلة المنزلة بين المنزلتين، ويزداد مجال هذا العلم عمقا عند ما ترجمت الفلسفة اليونانية ومنطقها الموروث . ثم يمرور الزمن وتاثر الاحداث التي شاهدها ساحة المجتمع الاسلامي منذ قتل عثمان ذو النورين وما وقع من خلاف بين علي ومعاوية تكاثرت الفرق الدامية التي هي في حقيقتها احزاب سياسية تسربت بسربال الدين وطفقت كن فرقة تبحث في الكتاب والسنة مستخرجة النصوص التي تدعم مذاهبها مستعملة في الصرد اثناء الجدل والمناظرة المنطق الموروث كنهج وقد غالت المعتزلة في الاعتماد على العقل الى درجة ان قالت بالحسن وانتج العقلين فيما يخبر افعال العباد . . . وسللت العقل على الصفات الالهية كالعدل والقدرة والكلام الى آخر ما هو مبسوط في كتب الملل والنحل . والذي يهمننا هو ان بلاد افريقية والمغرب قد كان لها علم بهذه الخلافات بل ومارسها مجتمعها في حلقات الجدل والمناظرة منذ ان وطئت اقدام بعض الدعاة من اصحاب الملل والنحل ارضاها وكانت الخواص من اقدم الفرق وجودا في هذه الديار

ثم تلتها المعتزلة التي دُعيت في بعد الاحيان من طرف الاغلبية ثم كانت الشيعة الاسطوعية . الا ان الاشاعة كانوا هم المنتصرون دأبوا وان كان يعتربهم الضعف عند ما تتدخّر السلطة الى جانب كسر فرقة من الفرق المذكورة والتي عادة تكون محمية من طرف من له سلطان على الارض الافريقية كبني رستم في تهاارت وابو يزيد الخارجي بالنسبة لفرق الخوارج وكيعصراماء بني الاغلب بالنسبة لمعتزلة وتالد دولة العبيدية بالنسبة للشيعة الاسطوعية .

والذي يجدر بنا التنبيه اليه ان اوضاع الاجتماعي بافريقية كان يختلف منها ما على ما هو عليه بالشرق . اذ ان دور هذه الفرق دورا ثانويا وكان ذلك تثيرها الفكري باهتا اذ لم يترك بصماته على الصفحة الفكرية والاجتماعية للافارقة ، وانما اعتقد ان ذلك يعود في اكثره الى الاثر الفكري الذي تركته اواخر الفاتحين من صحابة وتابعين في العقر الافريقي المغربي هذا من ناحية ومن آخر الى ما تركه أيضا فقهاء التابعين العشرة وتلاميذهم من أثر في توجيه الفكر العقائدي من حيث تمسكه بالاسلام الاسلامي كماله في القرآن والسنة .

وعلى كل فقد كان للخوارج وجود فكري بالقيروان ومدى بحواضرها وخاصة في جبال البربر حتى وصل بهم الامر الى تكوين دولة بني رستم والتي عمرت اكثر من 160 سنة وكانت لهم أيضا ثورة بقيادة أبو يزيد الخارجي صاحب الحمار والتي كادت ان تدك هرج دولة بني عبيد الناشئة . وقبل هذا النشأة بمائة عام كثر في تقريباً مجد الجدان مشتداً بين المجتمع القيرواني ^{بني} ^{المسلمين} والخوارج ^{المسلمين} لم يتوان بعضهم من استعمار السير ضد الاغلبية من ذلك ثورة القويين على محمد بن الاغلب والظاهر انها كانت ثورة شديدة حتى أشار بعض القواد على الامير الاغلب بالاستعانة بالامام سحنون لانه صاحب الكلمة المسموعة لدى العامة فقد ورد : ان قار بعد القواد : اليوم يستمكن من سحنون اما يخسر دينه او ديناه فقالوا للامير سحنون داعيه مبالغ فيه يصرك على هذا الخارجي فبعث فيه الامير واعلمه بالامر واستشاره في قتاله وان يعلم الناس بفرض ذلك عليهم فقال سحنون غلب من ذلك على هذا من ثبات التثاؤن تثار الملوك في صلاح سلطانها ؟ ونهر من عنده (1) . والظاهر ان سحنون لم يشأ ان يتورط في هذه القضية بالنظر الى تباين المواقف العقائدية بينه وبين الاغلبية لانهم كانوا معتزلة حتى انهم ابوا الصلوة عليه لما توفي لانه كان يكفرهم فقد جاء (واستغفى رجاء ابن الاغلب في النصرة عليه وقالوا قد علمت ما بيننا وبينه وانه كان يقرنا وفكره لان اكثرهم كانوا معتزلة وانما خرجنا طاعة له فان صلينا عليه راي الناس اننا راضينا حاله فاعفاهم وتقدم فصرى في عبيده وعامة اهل السنة وصاروا المسلمين (2)

① تراجم اهل البيت ص 109

② ترتيب ادراك 2/624

ومع ذلك فقد كان الامام سحنون من اشد قضاة اهل السنة على اهل من المغيرة البدع والضلالات اذ ورد انه (اور القضاة فرق خلق اهل البدع وشرى اهل الاهواء منه وكانوا فيه حلقا من الصغوية والاباضية المغيرية وكانوا منه حلقا تبتا قررون فيه - الجانب - ويظهرون زيغهم وعزلهم ان يكونوا ائمة المسلمين او معلمين لصبيانهم ، او مؤذنين وامرهم ان لا يجتمعوا وادب جماعة منهم بعد هذا . خالفوا امره وأطافهم وتوب جماعة منهم فكان يقيم من اظهر التوبة منهم على البسوا (كذا ٠٠٠) وغيره فيعلن بتوبته عن بدعته (1) .

اما طائفة اهل الاعتزال فقد عرفتها القيروان منذ النصف الاول من القرن الثاني فقد ورد ان المعتزلة كانت تدعي ان ابن فروخ منها غيراته لما سئل عن ذلك لعنهم ولما قال له سائله : وفيهم قوم صالحون فقال له ويح و هو فيهم رجل صالح (2) . وورد أيضا ان ابن فروخ كتب الى مالك يخبره : ان بلدنا كثير البدع وأنه الفد لهم كلام في الرد عليهم فكتب اليه مالك : ان ضمنت ذلك بنفسك خفت ان تزل وتهلك لا يرد عليهم الا من ان ضابطا عارضا بما يقول لهم ولا يقدرون ان يعرجوا عليه فهذا لا بأس به اما غير ذلك فاني أخاف ان يكلمهم فيخطئ فيضوا على خطائه او يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديا على ذلك (3) .

وتشاهد افريقة ما يعرف في تاريخ علم العقائد والكنم بقضية خلق القرآن والتي ذهب ضحيتها علماء كبيرون وبلغت اهدا هذه المحنة مدينة القيروان من ذلك ان سحنون سئل : يقولون ان اسدا قال يخلق القرآن فقال والله ما قاله (4) . وقال داود بن يحيى (رايث اسدا يعرض التفسير فتلا هذه الآية : فاستمع لما يعبري حو اني انا الله لا اله الا انا فاعبدوني) فقال اسد ويح اهل البدع هلكت هو الكهم يزعمون ان الله خلق الف - كلاما يقول ذلك الكنم المخلوق اني انا الله ٠٠٠ الآية قال يحيى بن سئم حدث اسد يوما بحديث الدومة وسليمان البراء المعتزلي في آخر المجلس فانكر فسمع اسد فقام حث اليه وجميع بين طوقيه ولحيته واستقبله بنعله فضربه حتى ادماء وطرده من مجلسه وقيل بل كان يقرأ عليه في تفسير المسيب بن شريك [جوه يومئذ : ناضرة الى ربها ناضرة] سليمان حاضر فقال من الانتظار يا ابا عبد الله فأخذ اسد بشلبيه ونعلا غليظة بيده الاخرى وقال يا زنديق لتقولن لها اولا تبصر بها عني فقال سليمان نعم تنظر (5) .

وتذكر لنا كتب التراجم انه في زمن الواثق العباسي امتحن اهل القيروان بمحنة خلق القرآن حتى عزم محمد ابن الاغلب على قتل محمد بن سعيد (6) . وهذا موسى الصمادحي (226٠٠ هـ) . يمتحنه قاضي القيروان ابن ابي الجواد المعتزلي فسأله عن القرآن فقال له موسى سمعت فلانا وفلانا وذكر جماعة من اهل العلم يقولون لمن قال القرآن مخلوق فهو كافر . فقال له ابن ابي الجواد لقد اعنى الله قلبك كما اعنى بصرك (7) .

① ترتيب المدارك 600/3

② 346-345/1

③ 345/1 - تراجم اغلبيه ص 48

④ 473/2

⑤ 474/1

⑥ معالم الايمان 25/1

⑦ ترتيب المدارك 8-7/3

ولم يقد القاضي ابن ابي الجواد عند موسى الصمادجي بل تعداه الى سحنون فقد ذكر ان سحنون حضر جنازة فتقدم ابن ابي الجواد الذي كان قاضيا قبله وكان يذهب الى رأى الكوفيين ويقول بالخلق فصلى عليها فرجع سحنون ولم يصل خلفه فبلغ ذلك الامير زيادة الله . فامر بان يوجه الى عامل القيروان يضرب سحنون خمسمائة سوط ويحلق رأسه ولحيته فبلغ ذلك وزيره على بن حيد فامر الوزير بالبر ان يتوقف ولطف حتى دخل على الامير وقت القائلة وقد نام ، فقال له ماشى ، بلغنى فو كذا ، قال : لا تفعل فان العكي انما هلك في ضربه للبهلول بن راشد فقال : وهذا مثل البهلول قال : نعم وقد حبست البريد شفقة على الامير فشكره ولم ينفذ امره (1) .

وورد أيضا (ولما ولي احمد بن الاغلب الامارة وأخذ الناس بالحنة وخطب به بالقيروان توجه سحنون الى عبد الرحيم الزاهد = بقصر زياد فارا فكان عنده فوجه في طلبه الى هناك رجلا يقال له ابن السلطان وكان مبغضا في سحنون فضا غليظا اختاره في ذلك في خيل وجهها معه فلما وصل الى سحنون قال له ابن سلطان - وجهني الامير اليك وقصدي فيك لبغض فيك لا ببلغ منك وقد حالت بغيتي عن ذلك وانا ابذل دمي دونك . فذهب حيث شئت من البلاد او اقم فانا معك ، فشكره سحنون وقال له ما كنت اعرض لك لهذا . بل اذهب معك وخرج فشيعة أصحابه فقال عبد الرحيم للرسول : قل للامير او حشنتا من صاحبنا وأخينا في هذا الشهر العظيم وكان شهر رمضان سلبك الله أنت فيه واوحشت منه وفي رواية عرضتني في ضيفي فوالله لا عرضتك على رب العالمين فلما وصل الامر جمع له قواده وقاضيه ابن ابي الجواد وغيره وسأله عن القرآن فقال سحنون اما شيء اهديته في نفسي فلا ولكن سمعت من تعلمت منهم واخذت عنهم كلهم يقولون كلام الله غير مخلوق : فقال ابن ابي الجواد كفى فاقتله ودمه في عنقي وقال غيره مثله من يرى رأيه (2) . الآن الله نجى سحنون من هذه الحنة برحمة منه .

أما في عهد الدولة العبيدية فقد اكتثت حلقات الجدل واشتدت المناظرات وحمى وطيسها بين أهل السنة والشيعة البروافر . وكان اغلب مواضيعها تدور حول افضلية علي عليه السلام وغيره من الخلفاء الراشدين واحقهم بالخلافة وقد ارجب الحكام الشيعيون حماهير القيروان بوعلماءها من أجل تشريقهم (3) . ونقد سبق ان راينا أنموذجا من هذا الحوار الساخن في أول جمعة صلاها عبيد الله المهدي بالقيروان وراينا انه تم قتل شيخين من = شيوخ اهل السنة في سنة 297هـ . من طرف عبيد الله المهدي وهما ابن البردوان (4) . وابن هذيل (5) ويذكر ان سبب قتل ابن البردوان انه كان يقول " كان على بن ابي طالب رضي الله يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويعينه على أموره فلولا لم يكن عنده امام هدى مستحقا للتقدمة ما فعل (6) .

① ترتيب المدارك 609/2

② " " 610/2 - 611

③ معالم الايمان 91/3

④ هو ابو اسحاق ابن حسين الذهبي الشهيد المعروف بابن البردوان سمع من رجال سحنون كان مسكينا ، وفي بن عمر وكان فقيرا ، يذهب مذنب ابن الحداد في مناظرة الروافض فزبه القاضي الصدقي الذي كان يصيح بخلق القرآن قتله عبيد الله المهدي [297هـ] ترجم له : المعالم 261/2 - 263 - الديباج ص 266 - 267 .

⑤ هو ابو بكر ابن هذيل الفقيه سمع من رجال سحنون يحيى بن عمر وابن عماد وابن مسكين كان راهبا يعيش من غزل ووجهه وسعى به القاضي المرودي الى بني عبيد فقتلوه مع ابن البردوان في نفس اليوم . انظر ترجمته في المعالم ص 266 ، الديباج ص 267 .

⑥ معالم الايمان 262/2

وكان من اشد علماء القيروان على الشيعة جيله بن حمود وابو النضر المسور وربي القطان وابواسحاق السبائي وكان من اقواهم حجة ابو عثمان سعيد بن الحداد ^ومحمد بن التبان ولولا خشية الاما لسه لا وردنا تصور مناظرات (1) ابن الحداد . وابن التبان (2) . وهي مناظرات استمدت بدقة التعبير وقوة الحجة وعمد الايمان .

وكان أبو محمد عبد الله بن ابي زيد من العلماء الذين شاركوا في الرد على الفرق الفالسة فقد رد على رسالة المعتزلي برسالة عنوانها رسالة في الرد على التدرية ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي (3) . ورد على البدع الشيعة في منعهم قيام رمضان برسالة عنوانها كتاب في فضل قيام رمضان والاعتناء به (4) . كما رد على الزنادقة من امثال بن مسرة رسالة في الرد عن ابن مسرة الطائي (5) . كذلك رد على المتصوفة القائلين بإمكانية رؤية الله في الدنيا وما الى ذلك مما لم يأت نصوصه وكسبه في ذلك رسالتين رسالة : كتاب الاستبصار في الرد على البكرية ، وكتاب كذب التبليغ (6) .

وقد سبق ان عرفنا موقفه من قضية هزيجوزان يقول الانسان اننا مؤمن عند الله (7) . وقد اورد محمد ابن الحارث الخشني في كتابه طبقات علماء افريقية باباً سماه : باب تسمية من احدث انتحش النضر وتحلسس بالجدل من اهل السنة (8) . وترجم في هذا الباب لتسعة عشر عالماً من ابرزهم محمد بن سخون وسعيد ابن محمد بن الحداد الذي اورد له اربع مجالس من مناظراته وكذلك ذكر عابدين عيسى المسور وقد بدأ بالترجمة لمحمد بن نصر بن حضم وختم بابها هذا بالترجمة لمحمد المعروف بابن أحد الشركاء ثم عود على ذلك قائلًا (هذه تسمية من علمته ينهض في المناظرة والنظر من اهل السنة بالقيروان مما علمته بالخبر وامتحنته بالمشاهدة من قد مات او كان حيا) (9) .

ولقد لخص صاحب المعالم ما هتاهدته القيروان من ويلات الفرق وما عاشته من رعب وظلم بسبب تعنت الامراء الذين حكموها فيقول (وبالجملعة فالذي كان اهل القيروان عليه قديماً من قوة الايمان بالله والانتصار للحق والصبر على الاذى في الله والجهاد لاعزاز الدين والقيام بالرد على اهل الاهواء بالدلائل القاطعة والحجج الدامغة لتفتيت عقائد عامة الموحدين فقد ناضلوا بالسيف وجادلوا باللسان ففسقوا تقرير الدين وتثبيت قواعد اليقين فذلك كله شيء لا يسعه ديوان ولا يطيعه لسان قد امتحنوا باستيلاء الخوان عليهم من الصفرية والاياضية ، وكذلك امتحنوا بخلق القرآن في زمن الواثق وعزم محمد بن

① طبقات علماء افريقية للخشني 197/6 - 212 - معالم الايمان 298/2 - 309

② معالم الايمان 93/3 - 93

③ ترتيب المدارك 494/4

④ معالم الايمان 111/3

⑤ هداية العارفين المجلد الاول ص 448

⑥ ترتيب المدارك 494/4

⑦ 116/3

⑧ طبقات علماء افريقية 197/6 - 219

⑨ 219/6

اغلب علو قتر محمد بن سعيد فمالوا على انما اعتقاد اهل السنة وصبروا على الاذى في دين الله وما زادهم الا يقينا وبصرة في دينهم ولما استولو العبيديون على افريقية وانضاف اليهم طوائف كثيرة من اهل الشيعة الغالبة قدموا عليهم من البلاد متوسلين اليهم بحب اهل البيت والتعصب لهم حتى اولوهم في الولايات ورفعوا منازلهم ثم اظهروا مذاهبهم القاسد في هب الصحابة رضي الله عنهم رضوان الله عليهم - وتبديل الشرائع والاهل بالاهل سنة من محمد بن عمر السمرقوني لعنه الله وعبد الله بن محمد الكاتب ومحمد بن ابو سعيد حتى كثر الله استارهم فقتلوا بالعذاب .

وبعد ذلك هدم اهل القيروان علو هؤلاء الاشرار بعد ما تولوا المعز بن بادير فقتلوه عن آخرهم وظهروا القيروان من رجسهم والحمد لله رب العالمين . ولم يزل اهل القيروان في جهاد الثرو الدالة والنفثة الطارقة ولم يزل الشيعة الا واحد ابو عثمان سعيد بن العداد وابو محمد عبد الله بن اسحاق بن التبان يناظران على مذهب اهل السنة ويرون ذلك من اعظم الجهاد حتى اخذ الله نارهم وقر عددهم وظهر عزب الحق واعلى الله ثلثته والحمد لله رب العالمين (1) .

(2) العليوم الانسانية

(1) اللغة وادابها :

لقد كان لهذا الميدان علما اجلا في اللغة وادابها وفي النحو ومدارسه وفي اليلافة مجازها وبيانها وبديعها ، وفي النقد الادبي ومعاهده . وفي التاريخ الادبي مغربيه ومشرقيه وكان لهذا الميدان ايضا شعراؤه الفطاحل وناثروه المبدعون . وقد ترك هؤلاء جميعا بصما تهلل لظاهرة على الحياة الادبية لا في القيروان وحدها بل في كل ارجاء العالم الاسلامي وحواضره وامصاره ، وذلك بما عرفوا به من دراسات لغوية عميقة من شعر جيد ومن تشريح ضار في جماله ومثانة أسلوبه ما عرف عند المشاركة في هذا المجال . وحتى نبدأ كلامنا من اوله علينا ان نتحدث عن مجال الدراسات اللغوية فنقول :

لقد كان للمجتمع القيرواني عامة وعلما خاصة عناية شديدة بالدراسات اللغوية دفعهم اليها حرصهم على فهم النصوص الدينية وشعورهم بالانتماء الى امتهم العربية حتى اننا واعدون ان البهلور بن راشد (2) الفقيه العابد يقيم مأدبة عشاء لعلما القيروان ولما سئل على ذلك اخبر بانه تحقق اليوم من نسبه العربي بواسطة علما الانساب ، وهي حادثة تم على مدى تعلق اهل القيروان بالانتماء الى الامة العربية هذا الانتماء جعلهم يتشبثون بهذه اللغة ويضعون فيها المعاجم بعد ان وعوا وخفوا ما كتبه غيرهم من اخوتهم المشاركة في هذا المجال كتاب العين للخليل بن احمد ، والمصنف لابي عبيدة وغيرهم من كتب اللغة المتجرة (3) . . . وعلى سبيل المثال والانموذج في هذا الميدان اخذ محمد بن جعفر القزاز (412 هـ) شيع اللغة في المغرب (4) وكان الغالب عليه النحو واللغة والافتتان في التأليف (5) . واشهر كتاب له في اللغة : الجامع في اللغة ، قيل ان العزيز العلوي (الذي حكم من 365-383) قد طلب من الشيخ القزاز ان يولف كتابا يجمع فيه سائر الحروف وان يقيمه في تأليفه الى ذكر الحرف الذي جاء لمعنى .

(1) معالم الريعان 24/1 - 25

(2) ترتيب المداكر 332/1

(3) حياة القيروان وموقف ابن ريشون منها ص 93

(4) ص 94

وان يجرى ما ألفه في ذلك على حرف المعجم، وقال ابن الجزار ما علمت ان نحويا الدشيئا من النحو على هذا التأليف وقيل انه جمع الفترق من السبب التفسير في هذا المعنى على اقتصد سيل واقرب ما خسد وأوضح طريق قبل جملة الكتاب ألف ورقة ذكر ذلك كنه الامير المختار المعروف بالمسحي في تاريخه الكبير، كما له كتاب التعرير ذكر فيه ما دار بين الناصر من المعارف في كلامهم، ويذكر له غيره كتب أخرى مثل التصريح والمغرب الدريدي

وما أخذ عن المتبى والصاد والثاء كما يذكر له ادب السلطان والتأديب له نو عشرة مجلدات وشرح رسالة البلاغة في عدة مجلدات واثبات معان من شعر المتنبي كما يذكر انه صنف كتاب العشرات في اللغة ذكر منه المنشئة ومعانيها المترادفة ويزيد في بعضها على العشرة وقال في آخره: وعيها جهز كتاب المئات (1) . وهناك غير ابو عبد الله القزاري من العلماء الاجلاء الذين برعوا في هذا الميدان مما جعل السون اللغوية رائجة في افريقية والمغرب تركت الحديث عنه خشية الإطالة .

كما هناك من العلماء من انتفى في الدراسات اللغوية منعى آخر وهو تحصى النحو وهو العلم الذى يحفظ اللسان ويستقيم به معنى الكلام وخاصة لما كثر الداخلون الى الاسلام من الامم الاخرى والذين لم تكن لهم دراية باللغة العربية وعلومها . وعليها ان تنصف كتب تاريخ الدراسات اللغوية لتعرف على طبقات النحويين من اهل افريقية والمغرب فنجد ان الزبيدي في طبقاته (2) ذكر ثمانية وعشرين منهم موزعا اياهم على اربع طبقات وكان اشهر هولاء النحاة ابن الوزان الذى يمثل اتجاهه في هذا المجال ما كان عليه علم النحوي في النصف الاول من القرن الرابع فقد ذكر كنه من الزبيدي في طبقاته المشار اليها والتطرق في اثبات رواته ان ابن الوزان حفظ كتابا لغويا كثيرة كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي والمصنف لابي عبيدة واصلاح المنطق لابن سكت والكتاب لسبويه وكتاب القراء وغيرها من كتب اللغة وكان ذا ميل الى مذاهب البصريين في النحو من احاطته بمذاهب اهل الكوفة في نفس الميدان . وكان يفيض المازني في النحو وابن السكيت في اللغة (3) . قال فيه ابو علي بن ابي سعيد (ولوان قائدا قال انه اعلم من المبرد وطبع ثعلب لصدقه من وقد علو علمه ونفاذ سمعت جماعة من جالساين النحاس الصرب من اهل بلدنا واهل المشرق ثم جالسا القاسم بن الوزان يزعمون انه اعلم من ابو النحاس واكثر منظرا وان من اضبط خلق الله وهو من ذلك حسن الاستخراج ولقد كان يستخرج من سائر النحو والعربية امورا لم يتقدم فيها أحد وكان غاية في استخراج المعنى وقد توفي سنة 346 (4) .

وغير هذا كثيرون وما اذن ان واحدا منهم يصل الى الفهم الدقيق للنصوص الشرعية ولا يكون عارفا بالخلف عالم بفنونه وقواعده من ذلك ما ورد ان التاشي (347هـ) . وهو احد شيوخ ابن ابي زيد رحمه الله كان عالما بالعربية وعلومها (5) ومنهم ايضا ابو الحسن المؤدب (342) الذى يقول فيه صاحب المعالم : انه كان عالما باختلاف العلماء واتفاقهم من المعرفة الواسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن (6) ومنهم ايضا ابو عثمان سعيد بن الحداد الذى كان غاية في علم النحو ويحفظ كتاب سيبويه ولم يكن بافريقية اعلم

① الوافي بالوفيات للصدفي 354/2 . دكانات 2/ 183

② حياة القيروان ص 39 نقل عن طبقات الزبيدي في خطوطه عند 3237 م مكتبة القاهرة

③ انباء الرواة للذهبي : حقيق في النفل يراهم 172/2 هـ ، السروان ص 93

④ 147/2 " " " " 94 ص

⑤ ترتيب المدارك 368/3

منه بالنحو (1) . وتقرأ في ترجمة ابن ابي زيد (336هـ) ما ينسب :

(... وعذوبة الفاظ وملاحة ايراد وجزالة معان حوت اليه الاكباد من سائر البلدان ... وورد ايضا فصيح اللسان ذا بيان ومعرفة بط يقوله (2) .

وقد علق الدكتور باغي عن هذه النخبة اللغوية بقوله (وهكذا تعرف الثقافة اللغوية والاتجاه اللغوي والمناهج اللغوية التي كانت تصدر عن امثال هؤلاء من النحويين اللغويين القيرانيين ، ومن تراجمهم يتبين لنا ان معظمهم كانوا شعراء الى جانب علمهم بالنحو واللغة وان بعضا منهم كانوا يقومون بتعليم اولاد السلاطين ورجال السطان (3) .

اما اذا انتقلنا من هذا الميدان الى ميدان الشعرفاته تصادفنا كثرة كبيرة من الشعراء ولا ادل على ذلك من كثرة الانتاج الشعري في هذه الفترة والذي حُفَّت به كتب تاريخ الادب العربي بالقيروان بل قد وصل بعد شعراء هذا العصر الى قمة الابداع الفني من حيث عمق المعاني وجزالة الالفاظ وجمال التعبير ويتمتد رهؤلاء شاعر العبيديين ابن هاني الاندلسي (362هـ) . بل كان الشعراء من الكثرة لا يعدون حتى قيل ان عدد القصائد التي وثق بها محمد بن سحنون (4) (256هـ) . بلغت ثلاثمائة قصيد وان احدى هذه القصائد بلغت ثلاثمائة بيت وهي للشاعر احمد بن ابي سليمان (5) والتي مطلعها :

الافاق لداسلام ان كتب بالسياح
لحزن من الاسلام اصبح واهيا .

وكان ابن ابي زيد قدر ثني جل شيوخه كاللهاث وابي الفضل المسمي (6) بشعر جيد حتى جاء في ترجمته (يقوى الشعر ويجيده) (7) .

وقد رثاه تلاميذه بهرات كثيرة ذكرت بعضها في موقعها من هذا البحث (8) يقول صاحب المعالم قهر ان يورد مرثيه تلميذه الشقراطسي له . وقد رثي بهرات كثيرة تركها الشقراط الاختصار منها مرثية أبو زكريا يحيى بن علي الفقيه الشقراطسي يقوى فيها (9) :

خطب ألم فعم السهل والجبال
وحادث جز انسى الحوادث الجللا

ناح نعو ابن ابي زيد قتل له
اشمست كسفت ام بدرنا افلا .

ونفد الحال بالنسبة لقريبة ابو الحسن الفاسي حتى ورد (ورثاه الشعراء بنحو مائة مرثية واقم البيت على قبره واشدت المراثي سنة كاملة) (10) .

① تراجم العلوية ص 352

② معالم الايمان 3 / 110

③ حياة القيروان ص/ 96

④ معالم الايمان 5 / 135

⑤ ترتيب المداكر 3 / 118

⑥ انظر نماذج من ذلك في تراجم شيوخه بهذا البحث

⑦ معالم الايمان 3 / 110

⑧ انظر فصل ما بين ابي زيد و ابي ربه من هذا البحث ص 307 309

⑨ معالم الايمان 3 / 112

⑩ 142 / 3

والى جانب شعر المرائى هذا هناك الشعر الصوفى ، المعروف عندهم بالرفائق ينشدونه فى مجالسهم وفى رباطاتهم يتاجون به خالقهم ما يذكرنا بشعراى العتاهية (1) . وذكرت كتب التراجم نأج من هذا الشعر الروحانى عند ما ترجمت لهؤلاء العلماء العباد المتصوفين من ذلك ما ذكر فى ترجمة ابي عبد الله محمد بن سهل الصوفى (2) (333هـ) . قال ودخل يوما - ابن سهل - على ابي جعفر بن ابي خالد بالقصر الكبير بالقممير قال : فقال لى يا ابا عبد الله هات من رفائقت فاشدته :

يا من اذاب نفا دي فى محبته	واحزم النار فى قلبي واحشائى
ما ان ذكرت الا كنت فى كيدى	بموض الطم من قلبي واعضائى
ولا ذكرت فى قوم اسربهم	الا وجدت لهيبا بين احشائى .

فقام احمد بن ابي خالد يصيح وينوح وقد أخذ بيده وقام معه وهو يتولى هكذا قلوب المؤمنين فلما ما تلت - يعنى باثر ذلك :

ولا همت بشرب الطم من عطر	الا وجدت خيالا منك فى الماء
فصاح احمد بن ابي خالد : لا لالا	الا ذكرت ارى لى من الماء .

قلت : زاد غيره ووقع احمد بن ابي خالد مغشيا عليه ولم يبق فى وجهه نقطة دم (3) . وجاء أيضا فى ترجمة ابي بكر محمد بن سعدون التميمى (4) (268 هـ - 344 هـ) ما يلى : قال ابي الحسن الزعفرانى حضرت مسجد السبت (4) ومعنا فيه ابو بكر بن اللباد الفقيه وابو بكر بن سعدون الامام فقال بعذر القواله :

لا يشغلنك عن حبيبك شاغل	فاذا فعلت فان حبك باطل .
أأمن بعد ستين تبكى الطولا	وتندب ربعا ييا با محيلا
وقد ضحت الشيب فى عارضيك	وجعل على فرقك الذيلولا .

فقام - ابن قمره - وهو مستغرق فى حاله ثم قال من لم يصلح الماضى بالاتى اخذ بالوقت (7) . واغرموا بالشرحتى كبوه على الاضرحه و : اعطين مرشدين الاحياء مهيين الى عذاب القبر الذى ينتظر المارقين من ذلك هذه الابيات التى كتبت على قبر ابي حفص عمر العطار (8) :

(1) حياة القيدوان ص 97

(2) معالم الايمان 21/3

(3) " " "

(4) انظر ترجمته المعالم 52/3-53

(5) مساجد القيدوان 1 مسجد الانصار خطه ربيع الانصاري صاحب رسال الله - فى - سنة 416 فى مسجد الزيتونه 3 مسجد ابي حنيفة 4 - مسجد الجبل 5 مسجد حنبل 6 مسجد علي بن ابي طالب 7 مسجد السبت 8 - مسجد ابي بكر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب 9 - مسجد عبد الله . انظر المعالم 1/27 - 2/32 . وعلى الرغم من ان الديباغ ذكر انها سبعة الا انه قد لا يتفق على ذلك فربما سبعة

(6) معالم الايمان 53/3 - 54

(7) ترجمته معالم الايمان 108/3 - 109

(8) معالم الايمان 108/3 - 109

(9) ترجمته معالم الايمان 164/3 - 165

الموت بحر عاصم موجه
يا نفسي اني واعظ فاسمعوا
ما يصحب الميت في قبره

تحارفيه حيلة السابع
مقالة من مشعر ناصح
غير التقى والعمل الصالح (1)

وعرفوا أيضا شعر المعانيات التي تقع عادة بين الاحبة من ذلك المعانيات التي وقعت بين ابن الراسم (ت 344) والفقهاء ابن العباس والبيان () حيث قال ابن الراسم: نرى بها : (2) :

وأشد ما التقى وانفصا
اما الزمان فواعدت بصرفه
هذا ابو العباس واحد عصره
انبت به اخلاقه عن وطنه
انرا اتيت شاكيا وخبرنا

عدم الوفاء وجهوة الاخوان
لونت متعظا بصرف زمان
وفيها والذات الاقران
وسلامنا في السرو الاعلان
اشكو اليك حوادث الازمان

وله أيضا في هذا المجال :

بل الوشاة على حيث اراد و
والله يعلم انني ما كنت ما ..
فهب الوشاة اتوا بأمر بين
عفا لموتك عن الذنوب مدائح

والله يسألهم وما قد كادوا
قد قال الوشاة تافكا واعتادوا
ابن الكرام ابدلوا ام عادوا
مدحوا لها في نفسهم واجادوا

ولم يقتصر شعرهم على الرثاء والمدح والتصوف والمعاينة بل تجاوز هذه المجالات والافراد الى غيرها هذا هو معروف .

ما حسن منها وما سفل وما عمق منها وما ضحل حيث قالوا في الملح والنوادر كقصيد الديك لعبيد الله بن الجراوي (3) . وقالوا في الخمر والعشق وفي العلمان ووصفوا العود بتمايل في حطن الذارب عليه بل وصفوا السفن الجارية في البحر كالاعلام ، وقلدوا فحول الشعراء ، ويزوهم ، وارحلوا لنحوادث التي شاهدتها بزدحم وحتى الصئيف وحنوه وحتى الزغب على السار تحدثوا عنه وخصوه بالنظم ووعفوا الاطمعه ومجالسها . حتى غدا شعرهم مراء لعصرهم (4) .

ويكفي ان نعرف ان عدد الشعراء الذين ذكرهم ابن الرشيقي ستة وسبعين شاعرا من الفحول النبغاء في هذا الفن من الادب (5) .

ونزداد يقينا لما كان للشعر في هذا العصر من دور في الحياة السياسية والفكرية بفضل الشعراء العظام الذين أبدعوا امثال ابن هانو الاندلسي (362هـ) وابن رشيقي وابن شرف والحضر وغيرهم شيرون . ولم تكن هذه النهضة المباركة والحركة النشطة متوقفة على اللغة وعلومها وعلى الشعر وفنونه بل تجاوزتها الى النثر الفني والنقد الادبي وقد بلغت كبرها الذروة في هذا الميدان كتاب العمدة لابن رشيقي ورسالة قراصة الذهب له أيضا ، اوكرسان ابن شرف صاحب رسائل الانتقاد واعظم النظم وكتاب زهر الادب لابي اسحاق الحضر صاحب القصيدة المشهورة (6) .

(1) معالم الايمان 165/3

(2) " 56/3

(3) حيا ذا القيردان ص 98-100 ، ما بهما

(4) " ص 98

(5) " ص 101

(6) " ص 102-103

يأبى الصب متى غده أيام الساعة موعده .

ويكفى ان نقرأ في تراجم بعض شيوخ القيروان انهم لم يكونوا بشار عن ميدان اللغة كيف لا وهم القادة والعلماء الذين يدرسون كتاب الله وسنة رسوله من ذلك ماورد في ترجمة ابن اللباد (353هـ) . وكان لا يثبته في علم القرآن قراءته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وخصر باسما الرواة ومعرفة الصغاف منهم والشقات وضرب اليه اكباد (الابل) (1) . وهذا زميله ربيع القطان (333هـ) كان يؤلف الخطب والرسائل ويقوم الشعر وكان لسان افريقية في وقته في الزهد والرقائق (2) ومن شعره (3) :

إذا انقطع الصديق بغير عذر	فزاد الله خلة انقطاعا
الى يوم ائتناد بلا رجوع	وان رام الرجوع فلا استطاعا
إذا ولي اخوك فوف عنه	ورده ورا ماولات باعنا
وناد ورا يارب تممم	ولا تجع لفرقتنا اجتماعا

ويعلق الاستاذ يافى على هذه النهضة الشعرية بقوله : وبذلك شئت ان نتصور ولوح التوم بالشعر حتى كتاب الخراج منهم ومن كانوا يكتبون للحكام وكيف يدفعون انفسهم الى قوله في شتى المناسبات (4) .

(2) التاريخ والتراجم :

ومن العلوم الانسانية التي حظيت بعناية علماء القيروان علم التاريخ والتراجم والتي ألفها الكثيرون من علماء القيروان فقد ألف ابو العرب الشيمى الفقيه المؤرخ كتابا كثيرة لم يصلنا منها الا كتابه طبقات علماء افريقية (5) . يقول فيه صاحب المعالم (6) وهو ارفع لواء التاريخ بافريقية ومن كتبه التي لم تصلنا في هذا الفن كتاب التاريخ سبعة عشر جزءا (7) . ومن المؤرخين أيضا ابن الحارث الخشني (364هـ) (8) له من كتب التاريخ : تاريخ علماء الاندلس وتاريخ قضاة الاندلس .

(1) معالم الايمان 22/3

(2) " " 30/3

(3) " " 35/3

(4) حياة القيروان ص 98

(5) مطبوع - دار الكتاب العربي - وصف مؤلف الدكتور على السبيعي طبعه هيئة منفرد عن غيره .

(6) معالم الايمان 36/3

(7) " " 37/3

(8) انظر ترجمته بالمعالم 83-81/3

وتاريخ الأفريقيين وهو نفسه كتاب تاريخ علماء إفريقية المطبوع مع كتاب أبي العرب (1) .
ومنه أيضا أبو القاسم بن رشيق المؤرخ الذي كانت له تأليف كثيرة في التاريخ والتراجم والسير
والذي يقارن أنه حي سنة 370هـ (2) .
ومنه أيضا ابن الأجداب وهو من تلاميذ أبي أبي زيد فقد كان لهما من الدراسات التاريخية
حتى أن أبا عبد الله الحسين الأجدابي (432هـ) كان شيخا لأبي بكر المالكي صاحب ريادة النفوس (3) .
ومنه أيضا أبو بكر المالكي (بعد 453هـ) الفقيه المؤرخ له طبقات علماء إفريقية وزهادها (4) .
ويذكر ياقوت أنه شاهد لابن الجزار القيرواني كتابا في التاريخ في عشر مجلدات اسمه التاريخ الصحيح (5)
وغير هؤلاء كثير من علماء القيروان كانت لهم عناية بالتاريخ عميقة مما أهلت مجتمعهم بعد ذلك أن يكون
المجتمع الذي أنجب ابن خلدون وغيره .

علم الطب والرياضيات :

وكانت الحركة نشطة في ميدان هذين العلمين ففي مجال الطب كان لاسحاق بن عمران البغدادي
الذي قدم القيروان زمن زيادة الله الأغلب دور كبير في أرساء قواعد هذا العلم (6) وقد رزق تلاميذ
نجباء مثل اسحاق بن سليمان الأسرائيلي الذي بالإضافة إلى إتقانه الطب كصناعة وعلم كان بصيرا بالمنطق
متبحرا في علوم كثيرة وقد ساعده على هذا الإنتاج العزير وهذه الشهرة الفائقة عمره المديد إذ خدم
الأغلبية والعبيديين ومات سنة 320هـ (7) . وقد تلمذ عليه تلاميذ كثيرون من أبناء القيروان وكان من
أشهرهم على الإطلاق : أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار القيرواني وقد برع في الطب وطور
وسائل العلاج ونظم العلاقة بين الطبيب والمريض وكان يكتب له الوصفات ولا يتقاضى الأجر منه مباشرة
بل يأمره يدفعه إلى عون له بالباب مثل ما يفعل الأطباء في عصرنا هذا (8) .
وكما برع في تطوير وسائل العلاج برع في التأليف إذ له رسائل في علم النفس وله أيضا مؤلفات أخرى
وكلها خصيصا للمعالجة منها زاد المسافر كما خفي الأدوية بالتأليف إذ وضع في المفردة منها كتابه :
الاعتماد " ووضع في المركبة منها كتابه : البقية " . وله أيضا كتاب طب الفقراء والمساكين وآخرف في
الدم والتحذير من إخراج الدم لغير حاجة وله أيضا كتاب سياسة الصبيان و . تدبيرهم ويقول الأستاذ
حسن حسني عبد الوهاب أن علماء أوروبا من القديم قد عتبت أليفه وقدروها حق قدرها فترجموا جانبها
وانترا منها إلى اللغة اللاتينية وغيرها لأهمية ما احتوت عليه من الإفادات الجمة (9) .

① معالم الأديان 82/3 - 83

② " " 186/3

③ " " 170/3

④ " " 190/3

⑤ معجم الأدباء 136/2

⑥ حياة القيروان ص 105

⑦ " " "

⑧ دررحات ج. ح. عبد الوهاب 307/2 - طونسي 1965

⑨ " " 317/2 - 314 وما بعدها .

غير انه ليس بتاريخ الطب بالقيروان ابن الجزار فقط بل هناك عشرات الاطباء من ذلك مذكروا ابن ابي زيد في ترجمة ابن اسحاق السبائي من قوله : كان السبائي مستجاب الدعاء وذلك انه كانت له بنسب أصابها في عينها شيئا فكرهت المسير بها الو ابن اعين الطبيب فآخبرت الشيخ بذلك فقال له اتركها وانما ارقبها من هاهنا فما زان يرقبها وهو في داره حتى ذهب ما كان في بصرها (1) . وقد أوردت هذه القصة في علم ان القيروان كانت تعج بالاطباء البارعين في كل الاختصاصات من امثال طب العيون . وطب الاطفال - وطب الفترأ . الخ .

ونفرا النهضة شاهدها العلوم الرياضية وما يعت اليها بطلا وان من ابرز علما هذا العصر ابو الطيب عبد المنعم الكندي القيرواني ت 435 هـ . وكما كان اما في العلوم الشرعية ان اما في العلوم الرياضية حتى قيل انه فث نظرية اقليدس يد منه (2) . وقد رثاه تلميذه ابو محمد عبد الله بن ابي زكريا يحيى الشقراطي التوزري (466 هـ) بقصيدة منها (3) :

ومن العبارات الغوامر بعده اذا شيب منها ما تجن الغوامر
اذا شكلت اشكال اقليدس انبرى لها منه حير بار الفهم ثاقب .

ويذكر عياض في المدارك : وكان له حظ في الحساب والهندسة في العلوم القديمة ويحك انه يثر جلب ما البحر من ساحل تونس الى القيروان وسوقه خليجا من هناك ينظر هندسي شهر له . فآخترم قبل ثفا ذراية فيه وظهور ما دبره منه (4) .

العلوم الشرعية :

لقد أخرجت الحديث في هذا المجال من النهضة الفكرية بالقيروان لاهيته ولربطه من ناحية ثانية بما يستقبل من هذا البحث . وقد تنوعت العلوم الشرعية بتنوع اهتمامات العلماء وتعدد اختصاصاتهم وقد خف القرآن الكريم بالجانب الاوفر من هذه الاهتمامات وبالقدر الاكبر من الجهد منذ اواخر القرن الثالث حين وضع يحيى بن سلام كتابه في التفسير (5) والذي يعتبر الحلقة الرابطة بين التفسيرين الاثرى والعقلى وكان هذا الكتاب من اهم المصادر التي استفاد منها محمد بن جرير الطبري في القرن الرابع اذ توفي سنة 310 هـ (6) . وكان ابن اللباد من العلماء البارعين في ميدان القرآن وعلومه اذ ورد في ترجمته (وكان لا نظير له في علم القرآن قرأه وواعراه واحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وبصر باسما الرواؤ ومعرفة الضعفاء منهم والفتا وضربت اليه اكباد الابل (7) . وكان لابي محمد عبد الله بن ابي زيد اهتمام بالد راسات القرآنية اذ له فيها كتاب البيان في اعجاز القرآن (8) . وكذلك الحال بالنسبة لاحد تلاميذه وهو ابو طالب المكي (437 هـ) اذ هو الجديعين في الدراسات القرآنية اذ له فيها تأليف كثيرة فقد ورد في ترجمته (وصنف تصانيف جليلة في علوم القرآن وغير ذلك ومن اشهر تصانيفه كتاب الهداية في التفسير وكتاب الكشف في القراءات

① معالم الايمان 67/3

② عنوان الاربيب 43-42/1

③ " " "

④ ترتيب المدارك 371/4

⑤ معالم الايمان 326/1

⑥ التفسير در رجاله : محمده ايوب البربري .

⑦ معالم الايمان 22/3

⑧ ترتيب المدارك 494/4

وكتاب اعراب القرآن وكتاب الايضاح في ناسخه ومسوخه وهو كتاب حسن (1) .

أما ثاني علم اعتنى به أهل القيروان وكثرا قبلهم عليه هو علم السنة دراية ورواية وكان موضع ذلك الى كثرة من دخر من صحابة رسول الله - ص - والتابعين افرافريقية من امثال عبد الله بن عباس حبر الامة وابو ذر الغفاري وعبد الله بن عمرو وغيرهم كثيرون ولذلك كان حب القيروان من السنة عظيما وتزايدها وافرأ حتى لنا سريان الفقه الذي انتشروا افريقية الى دخولهم المذهب المالكي كان فقه السنة هذا بالإضافة الى الرحلات الشيخية لطلبة القيروان وعلماؤها الى الثاني الاصلية للسنة بالحجاز ولهذا كانوا اشد تعلقا بالمذهب المالكي من أهل العراق الذين هم اقرب الى الحجاز منهم ولذلك الا بسبب ما كان لأهل القيروان من وفرة في الزاد السني وما كان لأهل العراق من قلة فيه ، ولهذا وجد الافارقة في مذهب مالك بغيتهم لكونه مذهبا ثريا بما يملكونه ويحفظونه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذلك ثابوا اول من نشر كتاب الموطأ شرقا وغربا فقد اخذه ابو يوسف القاضي عن اسد بن الفرات (2) . كما اخذه عنه غيره من التقو بهم من التلاميذ العراقيين وقام علو بن زياد تبه بنشره في افرينية والمغرب . وكانت لمشيخة القيروان معرفة بعلم الحديث وفنونه ودرأية بصحيحه وحسنه وضحيفه ان لا تخلو ترجمة من تراجمهم من ذكر معرفتهم بالسنة حتى ان كتاب الرسالة لابن ابي زيد يقال انه يشتم على اربعة آلاف اثر من الآثار السنية (3) ونحن واجدون فسي ترجمة يحيى بن سلام ان مالك بن انراخذ عنه اربعة وعشرين حديثا (4) . ووصفت كتب التراجم شيوخ القيروان عامة بالثقة في القهل والاداء وقد سبق ان عرفنا ذلك فيما وصف به ابن اللباد واما شيخنا ابو محمد بن ابي زيد فقد وصف بانه كان امانا في السنة دراية ورواية " وغير هؤلاء كثيرون . ولا ادا ل على هذه الفقه من اخراج البخاري لبعضهم بالغة فقهه هو وبنو حتى ان بعضهم رفقوا في هذه الكتب كابن غانم (5) . وابن زياد وابن فروخ وكذلك فعل غيره من اصحاب كتب السنة المعتمدة .

وان تسمت أهل القيروان بالسنة تسمتا شديدا حتى ان بعضهم رفقوا كل المذاهب الفقهية بما فيها المذهب المالكي لانه يرى فيها اجتهادات قد تدفع المسلم الى العمل بها وترك السنة من ذلك ما ورد في ترجمه اسد بن الفرات (ولما احرق عباس الفارسي كتب المدونة وغيرها من كتب المدنيين ضربه اسد دررا ففكف رجل من اصحابه في ذلك فقام انفسا . نحييته بشرابي هذا من القتل فيه أمره الامير لحرقة كتبها العلم وفيها ذكر الله فقلت ايها الامير دعني أخبره وأشهره فهو ابلغ له فاستنقذته بذلك مسن من القتل وكان عباس هذا محدثا ييخرا أهل الفقه والرأى ويقف فراسد وابن القاسم وسحنون فيقال ان ابن القاسم دعا الله عليه ان يشهره في بلده وانه تشكى منه لأسد) (6) .

اما قصة البهلون والخيظ الذي وضعه في ابهامه انط تدل في أبعادها علو مدى تسمت أهل القيروان بالسنة

(1) وفيات الاعيان ج 5 ص 275 - 276

(2) ترتيب المدارك 465/3

(3) كتاب الجامع ص 55 - نقلا من مائة الجمهورية على اسلام 10/1

(4) معالم الاسمان 322/1

(5) ترتيب المدارك 316/1

(6) ترتيب المدارك 473/2

في من ما ياتونه من قور او عن فقد ورد مايو (خن البهلون بن راشد ذات يوم مع اصحابه وقد غطى
 خنصره بكنه فاقبل على رحل من اصحابه فاسرا اليه كلاما دون سائرهم المجلس ثم انصرف الرجل ثم
 عاد اليه فكلمه فيما بينه وبينه فازان البهلون كفه من خنصره وجعل يقول : الحمد لله الذي لم يجعلني ممن
 ابتدع بدعة في الاسلام ثم اقبل على الرجل فقال حدث القوم بما بيني وبينك فقال الرجل ارسلني السو
 عبد الله بن فروخ اسأله هل كان احد من السلف اذا وصو بحاجة - ربه في خنصره خطأ ؟ فتوجهت
 الى عبد الله بن فروخ فسأله عن ذلك فقال نعم كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يفعلها فقال البهلون
 عند من كان ذلك ان اهلى سألوني في قضا حاجة فربطت فو خنصره خطأ لا ذكرها جنتهم ثم خفت ان اكون
 ابتدعت بدعة في الاسلام (1) . ولذلك اخطى حق البهلون ان يقار فيه : **هاتين** .
 (ما كان لهذا البلد أحد اقوم بالسنة من رجلين البهلون بن راشد في وقته وسحنون بن سعيد في وقته) (2)
 هذا بعذر من ثل وثقطة من بحر ما بذله الافارقة من جهد في سبيل العناية بالسنة رواية ودراسة تحملا
 واداء . وهو موضوع **يحتاج** الى بحث منفرد قد يستغرق العمر كله ، وحتى احيط بالجوانب دون الخوض
 في الاعطاء عمدت الى التلميح والعرض خشية الاطالة التي قد تخرب بنا على ما نهدف اليه من وراء استيعاف
 الحياة الفكرية من كل جوانبها بافرقة القيروان .
 اما في ميدان علم الفقه فحدث عن البحر ولا حرج ان تطالع طبقات علماء افريقية وتونسية
 العرب التميم (353 هـ) . وطبقات علماء افريقية لابن الحارث الخشني (364 هـ) . ورياء النور لمالي
 (بعد 453 هـ) والمدارك للقاضي عياض (544 هـ) . ومعالم الايمان للدباغ (699) والدباج لابن
 فرحون (719 - 759) وشجرة النور الزكية لمخلوف () وغيرها ما لم اذكر من كتب التاريخ
 والتراجم حتى تدرك ما كانت تعجج به القيروان من فقهاء وعلماء ومدرسين شددت الى قيروانهم الرحال وضربت
 الى ارضهم ابياد الابل كيف لا والذهب المائي لم يخرب بالتدوين الرسمي الاعلى ايدي الافارقة من امثال
 أسد في أسديته وسحنون في مدونته وابن ابو زيد في رسالته ونوايدره وزيادته والبرافعي في تنزيهه
 والقائمة طويلة يكتبها واسما مؤلفيها ، حتى قيل ان جملة طلبة سحنون قد بلغ سبعة طالب منهم من بلغ
 حد الاجتهاد ومنهم من بلغت مؤلفاته من الثرة لا تعد كابين سحنون **وحتى** ازداد يقينا من كثرة
 علماء القيروان فانه عينا ان تصفح كتاب المعالم بادئين بترجمة أسد على اعتبار انه اول من وضع موسوعة في
 الفقه المائي الى اخرا حقا عبد الله بن ابو زيد وهو ابو الطيب عبد المنعم بن عمر بن ابي محمد بن ابي
 زيد (495 هـ) وبعبارة اخرى لو بدأنا من بداية القرن الثالث الى نهاية الخامسة لوجدنا ان جملة من ترجم
 لهم صاحب المعالم تبلغ عددهم (235 عالما) وهو عدد مبارك ترتب عنه عدد اكثر من تلاميذ القرون الموالية
 اما لو رجعنا القهقري الى ما قبل القرن الثالث فانه يصادفنا النور التالي (ان عمر بن غانم سأل بعذر جلسائه
 يوم الجمعة بقوله هل حضرت الجامع اليوم ؟ قال نعم ، قال من رايت به قال رايت سبعين قلنسوة يستحقون
 القضاء ورايت ثلاثمائة قلنسوة فقيه فاسترجع ابن غانم عند ما سمع ذلك وقال ذهب النار فاسترجاعه يسدل
 على ان علماء زمانه اقل مما كان عليه العلماء في القديم من الكثرة و **ما زالت البركة فيها**) (3) .

① معالم الايمان 246/1 - 247

② 266/1

③ 310/1

ومادنا نتحدث عن هذه الكثرة المباركة فيكون ان نشير الى ماأوردته المراجع التاريخية في واقعة
الوادي المالح بالقرب من الهدية ساعة ثورة ابي يزيد الخارجي من استشهاد خمسة وثمانين فتية
دفعه واخذة (1) . على اسوار الهدية . تلك الكثرة المباركة هي التي اعطت للحياة الفكرية بالقيروان
طوان قرون عديدة حركية لا تتوقف عن عطاءها الخير المداره، وخاصة ان الله وهبها علما، صادقين من
دوي الكفاءات العالية والنظر البعيد مع قدرة علو الابداع ومقدرة علو التنظيم .
وقد كان الامام سحنون من هؤلاء العلماء الموهوبين الانفا، وذلك بما استنه في النفا من منافع
واذحة المعالم ادت الى المحافظة على حقوق الناس وضمت كرامة العلماء وحقت تسليم شؤون الحياة
المختلفة ورتبت العلاقة بين افراد المجتمع من ناحية وبين السلطة الحاكمة من ناحية اخرى، ولذلك كان
على سحنون معلومهم في الفقه والقضاء وفي تسيير الشؤون العامة و بانضباط القضاة والعلماء والفقهاء
الى احكام الشريعة خشاهم السلطان لعالهم من تأثير في العامة وكان من ابرز الفقهاء الذين ورثوا علم
سحنون وسلوكه ومجده ابو محمد عبد الله بن ابي زيد (356هـ) صاحب القوادير والزيادات وكتاب الرسالة
والذي لعلمه اطلقوا عليه لقب : مال الصغير (2) وعالم المغرب (3) . وغيرها من الاوصاف التي تدل
على بلوغه اعلى درجات العرفان والصالح، وعنه وبه اخذ وتفقه علما القرن الخامس ولا في كتاب الرسالة
. ان مال يلقه كتاب آخر عدا الموطأ والدونة . وكان بينه وبين مال علما كثيرون ابلغوا له علم مال
وكان بينه وبين علما القرون التالية تلاميذه العلماء الذين تحملوا منه وادوا عنه فكانوا خير المتحمسين
واصدق المؤيدين ولعن خيرا ما نتخم به هذه المقدمة تلك الرسالة التي كتبها ابو علي بن الربيب (430هـ)
من أهل القيروان حيث بعث بها الى الوزير الكاتب ابي المغيرة عبد الوهاب بن حزم في قرطبة وفيها
مقارنة بين مظاهر الحياة الفكرية بكل من الاندلس والقيروان

① معالم الايمان 34/3

② طبقات الفقهاء للسيرازي ص 160

③ النجوم الزاهرة ص 200 - سذرات الذهب 131/3

④ ابن الربيب هو ابو علي الحسن بن محمد بن أحمد النيسابري المعروف بابن الربيب ويعرف ايضا بالقاضي الناهري
لولايته يرهقة من الزمان مدينة ناهرت أخذ العلم عن علماء القيروان وعلمه القزار كبيرة النفا
الاخارقة كان ابن الربيب عالما بالعلم وشاعرا ونائرا توفي بالقيروان وقد جاوز الخمسين
انظر جيل تاريخ تونس ج-ح-ع ص 120 - ط المنار 1968

يقول ابن الربيب القيرواني (1)

اني فكرت في بلدكم اهل الاندلس ان كان قراره كل فضل ومغدد كل حرفة ومورد كل تحفة
ان بارت تجارة او صناعة فاليكم تجلب وان كسدت فعندكم تنفق مع كثرة علمائها ووفور ادائها
وجلالة ملوكهم ووجبتهم للعلم واهله ورفعهم من رفا ادبهم وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون
من قدمته لجهادته وعظمت في الحروب نكايته فتخرج عنكم بذلك الجبان واقدام الهيبان ونبيه الخامل
وعلم المراهل ونداق العبيبي وشعر البكي واستنصر البخت وتشعين الحفاني وتنافر الناس في
العلوم ثم هم في ذلك في غاية التفسير ونهاية التفريط من اجل علماء الامصار دونوا فضائل اعيانهم
وقدوا الكتب ما اثر اقطارهم واخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والسلافة فابقوا لهم
ذكر في الغابرين ولسان صدق في الاخرين وعلماء هم مع اشتغالهم على العلوم كل امرئ قائم
في ظله لا يبين وثابت على كعبه لا يتزحزح يخاف ان صنف ان يعنف او تخطفه الطير او تهوى به
الريح في مكان محقق لم يتعب نفسا احدا منهم بعناقب كتابه ووزرائه :

(1) الذخيرة في مسائل اهل البصرة لابن بسام الجليلي الاول القسم الاول ع 133 - 136
تحقيق د. ا. س. عباس نشر الدار العربية للكتاب ليبيا تونس .

ولاسود قد داسا بمحاسن قنائه وعلمائه على انه لراطلق ماعقل الاقتال من لسانه وسط ما قبل
الاقتال من بيانه لوجود اللؤلؤ مسافرا ولم تدبر عليه المسالك خناك ولكن هم كل واحد منهم
ان يحلب يثاب ومن تقدمه من رؤساء العلماء ليجوز نصب السبق ويغزى بفتح ابن مقبل ويأخذ
بكظم د عبل ويصير شجى في حلق ابي العميل فاذا ادرك تلك البنية وجاءته بعد العنية
دفن علمه معه ومات ذكره وانقطع خبره ومن قدمنا ذكره من علماء الامم اراحتالوا لبقاء ذكرهم
فالتقوا دراوين يبقى لهم بها ذكر يتجدد كل الابد .

ثم يقول ... فان قلت انه كان ذلك من علمائهم والقوا كتباً لكتبها لم تصل اليها فخذوه دعور لم
 يصحبها تحقيقاً ند ليس بيننا وبينكم الا روحه راكباً او دلجة قارباً لو نزل ببلدكم مصدور
 لاسم ببلدنا من في القهور فضاء عن في الدور والقهور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان
 ابن عبد ربه منكم الذي سماه بـ (العقد) على انه يلحقه فيه بعض النجوم ان لم يجعل فذائل
 بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه لكنه اكثر ودأول واخذاً المفضل واطال الهز بسيف
 غير منصل وقد دبه ماقعد باصحابه من ترا ما يعنيههم واغفال ما يهيمهم فارشد اخاك ارشدك
 الله ان كان عندك في ذلك الجلية ويبدأ القضية ان شاء الله.

يقول صاحب المعالم في ترجمة الصحابي أبي زمعة البلوي (فاذا كان بريدة قائد أهل المشرق ولونه مات بمرونا بوزمعة قائد أهل المغرب اذ لم يدفن بالمغرب وافريقية من الصحابة سواء) (1) .
ان في هذا القول مجانبة للحقيقة وبالعلة ترفضها كثرة الفتوحات التي شاهدها ارض افريقية ذلك انه بداية من سنة سبعة وعشرين للهجرة والى غاية سنة تسعة وستين للهجرة أينما لم تبدأ حركة الفتوحات ولم يتوقف سيرن الحير الاسلامي من المشرق فاذا كانت البداية بعبد الله بن سعد بن أبي هاشم فيما يعرف بغزوة العبادلة السبع كانت النهاية بتركيز الراية الاسلمية على ارض افريقية سنة 55هـ على يد حسان بن النخعي (2) . وكان في عي جيث من هذه الجيوش جمهرة من صحابة رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم كعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وابي ذر الغفاري وعبد الله بن عمرو وغيرهم كثيرين مما هو مذکور في كتب التاريخ . ومن عساها ان تكون اقلية الخ هذا الحير الذي يخرج في عهد عثمان بن عفان عهده ثالث الخلفاء الراشدين وبعد سبع عشرة سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . ان هذه الاقلية ولاشك من الصحابة ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة العبادلة السبع . قلنا انه استمرار وجود الصحابة مع ما بعدها من الغزوات والحملات فجيتر عقبه قيل ~~المعظم~~ قيل انه كان يشتمل على خمسة وعشرين صحابيا . وذلك في سنة 55هـ . عندما جمعهم لتخطيط القيروان والدعوة لها (3) . والذي يجب ملاحظته ان مقولة الدباغ السني تصدرت هذا الجزء من البحث لم تقنع ابن ناجي حيث قال (قلت في هذا نظرو ذلك انه لما وليت قضاء قابس وجدتهم يزورون قبرا في بيت لطيف داخل مسجد خارج البلد في غربيتها يسمى مسجد ابي لبابة وفي الحائط عند رأس القبر لوح مكتوب فيه هذا قبر ابي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع من بقا بهر وسائر عملها يقولون ذلك وينقلونه نقل متواتر حرهم وعبد هم ويعده النار كثيرا ويقم بذلك المكان رجل يصح له من وعدات النار ما يكيه هو وعياله برفاهية فقلت لهم ان المؤرخين قالوا لم يدفن في ارض افريقية من الصحابة غير ابي زمعة البلوي بالقيروان فقالوا ما رأينا أينما تردد فيما ذكرناه لثم لما وصلت الى تونس بعد ذلك سألت شيخنا ابا القاسم البرزلي فقال لي لما حججت زرت قبره ونقلهم فيه متواتر مما ذكره المؤرخون انما هو فيط علموه وذلك يد على ان غيرهم علم خلاف ما لم يعلموه فالعلم على ما ذكره أهل قابس ولا قادح يقدر في نقلهم) (4) .
لذا فليس من المستبعد احتوا ارض افريقية على رفات غيرهما من الصحابة فقل المؤرخون عن ذكرها وخاصة بعد ان علمنا ان عددهم كان كبيرا جاء على دفعات بدأت في السنة السابعة والعشرين للهجرة واستمرت في القدوم مع الغزوات اللاحقة حتى اننا قد رأينا خمسة وعشرين منهم يحضرون تخطيط القيروان والدعاء لها مع عقبه بن نافع سنة (55هـ) .

① معالم الايمان 12/1

② " 60/1

③ " 7/1

④ " 13/1

وقد ذكرت هذا كله لأص من ورائه الى ان الافارقة القدامى قد تلقوا التعاليم الاسلامية السحابة على ايدى الاميد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كابن عمار وابن الزبير وابو ذر وابن انيرالجهني وغيرهم . وقد استعز صاحب المعالم هؤلاء المعلمين الاوائل من الصحابة كبيرهم وصغيرهم من دخلوا افريقية الخير فكان تعدادهم يربو على اثنين واربعين صاحبيا (1) .

وعن هؤلاء تخرج فوج جديد من المعلمين الذين انتصبا منذ اواسط القرن الاول لنشر الاسلام وتغذية الناصر وتعليمهم اصول دينهم حسب حاجه في القرآن وماورد في السنة الطاهرة من عمر وقور وتقدير حيث كان الافريقى الذى آمن حديثا يؤدى عبادته تبعها لما لقنه اياه الصحابي . ان كان من الذين حضروا الفتوحات . والتقى بالصحابة اثنا هاء وعن التابعي اذا كان من الذين لم يسعهم ان يلبسوا بالصحابة . وتدارد صاحب المعالم قائمة في اساطير بعض التابعين من اهل افريقية مثقلا علو ذكر علمائهم وفناءهم وقد اشتملت عظيم على ما يفوق سبعة وعشرين شيخا تابعيا (2) .

وتتوالى المسيرة الخيرة في تثبيت دعائم الاسلام باقامة مجتمعة على اسر من الحد والعدل الى خرافة عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد في الخاضر حيث يبعث فقها يعرفون بالفتها التابعين العشرة واما سبب ذلك فان اهل افريقية لم يكونوا قد احاطوا علما بالحذر والحرام . فرأى عمر بشاغب نوره انه لابد من تفريق جمهرة خيرة من العلماء العارفين بافريقية ليعلموا اهلها ما يجب وما يمنع وما هو حلال وما هو حرام ثم كلفه يؤدون عباداتهم وقيمون الحدود عندهم مصداق ذلك ماورد (حدثني جبلة بن حمود عن سحنون عن معاوية الصادق عن عبد الرحمان بن زياد ان الخمر كانت عند اهل افريقية حلالا حتى بعث عمر بن عبد العزيز هؤلاء الفقها فعرفوا انها حرمت ثم انها لما دخلت السوداء - يعنى الجند - فشا ذكرها انها حرام وانتشر مع اهل المشرق (3) .

اما هؤلاء الفقها التابعون العشرة فهم :

- (1) ابو مسعود سعد بن مسعود التجيبى (4)
 - (2) ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافى الافريقى الحبلى (ت 100هـ) (5)
 - (3) اسماعيل بن عبيد الله الانصارى المعروف بتاجر الله (5) . (107هـ) .
 - (4) ابو جهم عبد الرحمن بن رافع التنوخى (7) . (ت 113هـ) .
 - (5) ابو سعيد جعثن بن هاعان ابن عمر الرعيني (ت 115هـ) . (8)
-
- ① معالم الاميان 71 / 1 - 178
 - ② 43 / 1 - 68
 - ③ طبقات علماء افريقية لابي العرب 2 / 1
 - ④ ابن مسعود التجيبى سكن القيروان ونشر بها علما كثيرا نادى معروفها بالصلاح وعدم تقسية الحكم روى عن ابي الدرداء معالم الاميان 187 / 1 - 186
 - ⑤ المعافى الافريقى [100هـ] من فقهاء التابعين العشرة الافارقة تهبوا فتح الاندلس ثم استقر بالقيروان يروى عن ابي يوسف الاقطاني وعبد الله بن عمرو بن العاصى وقطاعة بن عبد الله القطاوى وعقبة بن عامر - معالم الاميان 180 / 1 - 184
 - ⑥ تاجر الله [107هـ] وهو بابي جامع الزيتونة بالقيروان [91] روى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر مارة محرفا سنة [107هـ] - معالم الاميان 191 / 1 - 192
 - ⑦ التنوخى [113هـ] وهو اهل قاضي بالقيروان بعد بنائها اذ ولد له موسى بن النضر الفقهاء سنة [80هـ] يروى عن عبد الله بن ابن العاصى - معالم الاميان 198 / 1
 - ⑧ الرعيني [115هـ] دلاه هشتام بن عبد الملك فضاء جند افريقية يروى عن ابي تميم عبد الله بن مالك الجيساني روى عنه ابن سوادة وعبد الله بن زحر وابن النعم - معالم الاميان 202 / 1

- (6) اسماعيل بن عبيد الله بن ابي مهاجر المخزومي (1) (ت 122 أو 132 هـ) .
- (7) جهان بن ابي جيله القرشي (2) ، (ت 125 هـ) .
- (8) موهب بن حبيب المعافري (3) .
- (9) طلق بن جابان الفارسي (4) .
- 10 بكر بن سواد الجذامي (5) . (ت 123 هـ) . (6) .

هو " لا الفقهاء " يثلون مدرسة فقه السنن أى الفقه الذى يعتمد اساسا ما جاء به النص الشرعى من قرآن وسنة قولية او فعلية او تقريرية .

ومن هذا الفقه الاثرى السنن قد عرفت افريقية القيروان نوعا آخر من الفقه السنن المعروف بالفقه الاوزاعي نسبة الى امام القيار الشامية الامام الاوزاعي (33 هـ - 157) (7) . وهو من المذاهب البائدة التى لم ينشط اصحابها فى تفتيحها ونشرها بين الناس ومثلها من ذلك مذهب سفيان الثوري (8) بالكوفة والليث بن سعد (9) بصخر واسحاق بن راهويه (10) . بنيسابور وداود الظاهري (11) . وابن جرير الطبري (12) ببغداد فى حين ان مذاهب اهل السنة الاربعة الباقية انما يرجع بقاؤها الى ما بذله تلاميذ ائمتها من جهد فى سبيل تركيزها ونشرها (13) .

وبما ان الاوزاعية من المذاهب التى كان لها وجود بافريقية ولوعلى نطاق ضيق ولفترة وجيزة فانى رأيت من تمام الفائدة ان اشير الى اهم معالمها التى لا تبعد عن ملامح فقه السنن السائدة بافريقية قبل انتشار المذاهب الاخرى وخاصة المذهب المالكي . فاقول : كان للامام الاوزاعي مذهب الخاص فى الاستنباط خالف به بقية الائمة فهو لا يتوسع فى استخدام الراى كمدسة الزاى بالعراق ، وهو لا يرى فى عمل اهل المدينة حجة كما هو مذهب مدرسة اهل الحجاز ولكنه يميل الى مدرسة الحديث فى الوقوف مع السنة وعدم العمل بالراى الا عند الضورة القصوى فقد روى عنه انه قال : اذا بلغت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فاياك ان تقول بخيره فانه كان مبلغا عن الله وقال أيضا = تدبر مع السنة حيث دارت ولهذا قال صاحب الفكر السامي : ان الاوزاعي كان يكره القياس ويقتف من السنة .

- ① الخروسي [122] تولى قضاء افريقية سنة 99 هـ من قبل عمر بن عبد العزيز ثم روى عن ابن عمر بن الخطاب وقضاء بن عبيد الاشجار وروى عنه الاوزاعي وابن النعم - معالم الاسمان 203/1 - 206
- ② الخروسي [125] سكن القيروان وانتفع الناس بجله روى عن ابن عباس وعمر بن الخطاب وولده . المعالم 209/1
- ③ ابن حبيب المعافري - سكن القيروان وعلم بها روى عن ابن عباس - المعالم 213/1
- ④ احمد الفقهاء العشرة الذين يعتم على عمر بن عبد العزيز فى القيروان روى عنه موكو بن على وابن النعم - المعالم 215/1 - 218
- ⑤ الخروسي [128] سكن القيروان ونشر بها علما روى عن ابن عمر وعقبة بن عامر وغيرهما - المعالم 211/1 - 213
- ⑥ معالم الاسمان 180/1 - 213 - طبقات علماء افريقية 20/1
- ⑦ مقدمة خيمق المدارك 8/1 د . احمد يكيو
- ⑧ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ابو عبد الله الكوفي الابن الجليل (161م)
- ⑨ الليث بن سعد من اتراب مالك وماتت يمينه مراسلات وخامه فى مقبلة على المدينة توفى سنة 175 هـ
- ⑩ ابن راهويه
- ⑪ داردين على بن خلف الاموي ابو سفيان المعروف بالظاهرى الامام الزاهد السفي (270م)
- ⑫ ابن جرير الطبري [310م] الملقب بالمفسر المعروف
- ⑬ الفكر السامي 110/2

وقال الشافعي من قبله (ما رايته احداً اشبهه بحدیثه من الاوزاعي (1) .

ويقول عبد الله الجبوري : لقد نشأ مذهب الاوزاعي بالشام واعتقره تلاميذه والرواة عنه الى العراق ومصر وانتشر بالشام والاندلس والمغرب (2) . مستنداً في هذا على ما قاله الثويرثاني ان المغرب على مذهب الاوزاعي قبل انتقالهم الى مذهب مالك (3) . الا ان الاوزاعية بالمغرب لم يكن لها من راسخ التقدم كمثل حالها بالاندلس اذ بقيت هي المذهب الغالب اكثر من اربعين سنة بغض حسان صمصمة بن سالم الاندلسي الدمشقي تلميذ الاوزاعي وخطيب قرطبة . ولذلك قال عباد (واما اهل الاندلس فكان رايهم منذ فتحت على راس الاوزاعي الى ان رحل الى مالك زياد بن عبد الرحمن - المعروف بابن شبلون - وقرعوس بن العباس والغازي بن قير ومن بعدهم فجاءوا بعلمه وابانوا للناس فضله واقتداء الامه به فعرف حقه ودرس مذهبه (4) . وذلك في زمن الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل سنة 666هـ (171 - 180هـ) . والميلفت للنظر ان بلاد افريقية القيروان - والاندلس كانتا دائماً محدثتين في المذاهب الحثائية والفقهية فاي مذهب وجد في احدهما لا بد ان تجده وجوداً في الاخر خرى اذ فيهما كان اشعري العقيدة سني المذهب الفقهي . وليرد ذلك بغريب عن مجتبي اتخذت فيه الاجناس وتقاربت فيه المناهج الفكرية والسالك الحياتية . وقد شاهدت بلاد افريقية والمغرب مذاهب اخرى غير فقه السنن والاوزاعية كالحنفية والشافعية والظاهرية يقر عياض وكان بالقيروان قوم قلته في القديم اخذوا بمذهب الشافعي ونظما شيء من مذهب داود ولكن الغالب عليها المذاهب الثلاث مذهب المدينة والكوفة وكان الجمهور في دولة عبيد لمذهب الكوفيين لموافقتهم اياهم في مسألة التفضيل فكان فيهم القضاء والرياسة وتشرقت قوم منهم لمسرتهم واصطياداً لدنياهم والارجوا ضغائنهم فجرت على المالكية في تلك المدة (مح) (5) .

وخلاصة القول ان بلاد افريقية والمغرب قد عرفت في النصف الاول من القرن الثاني فقه السنن على نطاق واسع وفقه الاوزاعي على نطاق ضيق ثم في النصف الثاني من القرن الثاني وخاصة في عهد بني الاغلب قد عرفت مذهب الاحناف ، وفي القرن الثالث عرفت الشافعية والظاهرية وان كانتا في نطاق حدود جدا (6) . يقابل هذه المحدودية انتشارية للمذهب المالكي بداية من النصف الثاني من القرن الثاني عقب عودة طلائع الطلاب الافارقة الذين جلسوا الى مالك ورؤوا عنه موطأه ونشروا اقواله لا بافريقية فحسب بن بغيرها من بلاد العالم الاسلامي التي وطئها ارجلهم .

① فقه الامام الاوزاعي 1 / 62

② " " " 1 / 64

③ " " " 1 / 66 - 67

④ ترتيب المدارك 1 / 55

⑤ " " 1 / 24 - 55

⑥ " " 1 / 50

بقى علينا قبل مواصلة السير مع مدرسة الموالك بافريقية ارى لازماً علي ان اثبت امرين . اولهما :
ان الامام الاوزاعي (83 - 157) كان احد التلاميذ (1) الذين أخذوا عن بعض فقهاء التابعين
العشرة وهو سعيد بن عبد الله بن أبي مهاجر المخزومي (ت 122هـ) ولذلك قلت ان الاوزاعي
وان وجدت بافريقية فهي لا تتنافى ومدرسة فقه السنن بن هي مترجمة بها ولهذا كانت ملاحظة
الاوزاعي كمذهب فقهي بالنسبة للاندلس واضح وابين لعدم وجود غيرها من الامدارات الفقهية .
أما الملاحظة الثانية فان علم فقهاء التابعين العشرة قد تجمع كله عند الفقيه عبد الرحمن بن زياد بن
انعم المعافري (2) . (95 - 156هـ) على الأرجح فهو مالك انداد واتباعه وتوفي قبل مائة
بشائة وعشرين سنة .

وبوفاة عبد الرحمن بن زياد بن انعم تبرز ملامح مدرسة فقهية جديدة هي مدرسة امر الحجاز ممثلة
في المذهب المالكي بغض جهد الطلائع الاولى من الطلاب الافارقة من القيروان وتونس والديلم
التقوا بمالك واخذوا عنه الموطأ وقاموا بنشره في ربوع بلاد افريقية والمغرب مزاحمين في ذلك ما كان
منتشرا من فقه أهل التوفة يقول عياض (3) واما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في
القديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد وابن اشرس والبهلول بن راشد وبعدهم اسدين
الفرات وغيرهم بمذهب مالك فاخذ به كثير من الناس ولم يزل يفسحوا الى ان جاء سحنون فغلب في أيامه
وفرح خلق المخالفين واستقر المذهب بعده في اصحابه فشاخ في تلك الاقطار الى وقتنا هذا (3) .
اننا لو القينا نظرة على مجموعات هذه الطلائع الاولى التي جلست الى مالك واخذت عنه موطأ واقتولاه
الفقهية لوجدناها على النحو التالي تقريبا .

مجموعة اشتهر منها علي بن زياد (183) حيث التقى بمالك واخذ عنه الموطأ وهو ابرز من ادخله
افريقية وكان من طبقة عبد الرحيم بن اشرس ابو مسعود التونسي (4) .
وعن علي بن زياد أخذ البهلول بن راشد واسدين الفرقات وسحنون . يقول الامام سحنون : كان علي
ابن زياد خير أهل افريقية في الضبط للعلم وكان ابن اشرس احدث على الرواية (5) . وقال ابو
العرب وبلغني عن اسد بن الفرقات انه قال ان اولاد عوائله لعلي بن زياد من والدي لانه اول من تعلم
منه العلم قال ابو العرب ولم يكن سحنون يقدم عليه احدا من أهل افريقية فاما سماع البهلول بن راشد
عن علي بن زياد عن سفيان الثوري بجاي سفيان الكثير الاثار (6) .

① معجم الاسماء 203/1

② " " 230/1 - 237

③ ترتيب المدارك 54/1

④ طبقات علماء إفريقية 251/7 - 255

⑤ " " 233/7

⑥ " " 251/7

وهناك مجموعة أخرى انطلقت الى مالک بعيد ان بلغها شهرة اسمه في مجال الدراسات الفقهية وميادين السنة النبوية . وكان من اشهر افراد هذه المجموعة من أهل القيروان مثل : عبد الله بن فروخ (115هـ - 176م) . والبهلول بن راشد (128هـ - 183م) . وعبد الله بن عمر بن غانم القاضي (128هـ - 190م) . وجمهرة أخرى من التلاميذ مثل صلاب بن زياد النعماني وحسين عمارة وابو عثمان حاتم بن عثمان المعافري . وافي أخيه أبو طالب وابي خارجة عنبسية بن خارجة الخثاني . . .
 الا ان الذين يهتأ بهم هم اكثر من هذه المجموعة هم ثلاثتهم الا انهم تقف رحلتهم عند حدود المدنية بل ذهبوا الى العراق وغيرها من حواضر المشرق الاسلامي وفتقوا بفقه الاحناف والمعتزلي على اتواتهم مقارنين اياهم بسامعوا عند مالک وخاصة اولهم عبد الله بن فروخ الذي ~~هو~~ = ناشر زمر (1) تلميذ ابو حنيفة وانتشر عليه وجائرا با حنيفة واخذ عنه عديد المسائل التي قير انهم بلغت عشرة الاف مسألة (2) . والظاهر ان هذه الرحلة هي الرحلة الاولى وكان فيها ابن فروخ مسنلا بالنظر لزميله ولاشك ان وقوعها تبين وفاة ابو حنيفة قال ابو العرب (عبد الله بن فروخ كان من شيوخ اهل افريقية وكان مسنلا من رحل في طلب العلم فلقى مالک بن انس وسفيان الثوري وقد لقي ايضا ابا حنيفة) . (3) .

كما كانت لابن فروخ رحلة ثانية الى مالک سنة 175هـ الا انه توفي بمصر اثر عودته منها سنة 176هـ (4) اما بالنسبة لزميله عبد الله بن غانم الذي كان مالک يجله ويعظمه حتى قيل انه عرض عليه تزويجه من ابنته فاطمة (5) فبعد ان عرف من علم مالک انطلق مع صحبه الى العراق فأعجب به ابو يوسف القاضي الذي يقرر انه قد خل له لدى الرشيد لتعيينه قاضيا بافريقية ~~لوجا~~ في ترجمة بهلول (روى انه دخل على مالک بن انس وهو عبد الله بن غانم وعبد الله بن فروخ فقال مالک للبهلول هذا عايد ببلده وقال لعبد الله بن عمر بن غانم هذا قاض ببلده وقال لابن فروخ هذا فقيه ببلده) (6) . وصدق مالک ان كان انبهلول احد العباد الاربعة في العالم الاسدي في وقته (7) . وصدق حدس مالک ان ابن غانم قاض القيروان طيلة عشرين سنة من 171هـ - 190هـ سنة وفاته (8) . وصدق مالک ان كان ابن فروخ الفقيه الذي نذر نفسه لله وللشرع واجتنب القضاء وفر منه (9) .

(1) ترتيب المدارك 251/1

(2) 344/1

(3) طبقات علماء افريقية 33/1

(4) معجم الاسماء 248/1

(5) ترتيب المدارك 317/1

(6) معجم الاسماء 265/1

(7) طبقات علماء افريقية 55/2

(8) 23/2

(9) معجم الاسماء 244/1

وكان اميل الثلاثة الى فقه مالك هو البهلول بن راشد نظرا لشدة تمسكه بالسنة حيث وجد في الذهب المالكى بغيلة مصداق ذلك قوله : ما رأيت أنزع باية من كتاب الله من مالك بن أنس عن معرفته بالصحيح والسقيم والمعمول به من الحديث والثروت وميزة الرجال وصحة حفظه وكثرة نقده الى ما يؤشر عنه من الكلام في غير ذلك من العلوم كرسالته الى ابن وهب في الرد على أهل القدر وكفونه جالست ابن هريرة ثلاث عشرة سنة ويروي سنة عشرة سنة في علم لم ابته لاحد من الناس قال وكان من اعلم الناس بالرد على أهل الاهواء وبما اختلف فيه الناس (1) .

غير ان الصلة بين ابن فروخ وابن غانم من جهة ومالك من جهة ثانية لم تنقطع طوال حياة مالك اذ كان ابن فروخ يبعث لمالك يستفتيه في بعض القضايا ويأخذ رايه في وضع المؤلفات للرد على اصحاب الاهواء وكان ابن غانم يبعث له تارة مباشرة وتارة عن طريق كاتبه (2) حيث يشرح عليه بعض القضايا التي تعترضه في ذلك مهنته .

وهناك مجموعة أخرى انطلقت بعيد هذه بها اسد بن الفرات (145 - 213 هـ) وصحبه فيها جماعة منهم حارث بن اسد القضي وغالب بن مهدي وعمار بن الوليد الفارسي (3) قال اسد (دخلت انسا وحارث بن اسد القضي وغالب بن مهدي على مالك بن أنس فادعوه فتقدم اليه صاحبى فقالا له اوصنا يرحمك الله) فاوصا هما ثم قال لي اوصيت ببقوى الله تعالى والقرآن والنصيحة لهذه الاممة فلما خرجنا من عنده قال لي صاحبى : زاد والله علينا يا ابا عبد الله) (4) .

والغالب على الظن ان رحلة اسد وصحبه الى مالك كانت في آخر عمر مالك اذ يقرر ان اسدا ارتحل الى مالك سنة 172 هـ (5) . فأخذ عنه الموطأ وكتب عليه سماعات في فقه المسائل وكان كثيرا لاسئلة ملحا فيها ولما فرغ اسد من سماعه للموطأ قال لمالك (زدني يا ابا عبد الله) وكأنه استنق الموطأ فقال له مالك حسب ما للناس (5) . فانطلق الى العراق حيث اخذ عنه ابو يوسف القاضي (182 هـ) موثقا مالك والتحق بابن الحسن الشيباني فاخذ عنه فقه الاحكام مقارنة اياه بسماعه عن مالك ولما بلغته وفاة مالك قال قولته الشهيرة (ان ان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم اصحابه) (7) .

① ترتيب المدارك 90/1

② معارج الايمان 298/1

③ طبقات علماء افريقية 254/7

④ معارج الايمان 6/2

⑤ رياض النفوس 173/1 - 174

⑥ معارج الايمان 5/2

⑦ المسند السريه ج 1 - 3 - 745

وفى مصر جلس إلى ابن القاسم (191هـ) تلميذ مالك وزميله فى حلقته وانكب على تصحيح سماعته وارجاعها إلى أصولها حتى دون ستين كتابا وسماها الاسدي (1) وهى فقرة نفاذ علمي مدته تسع سنوات اذ عان إلى افريقية القيروان سنة 131هـ (2) والاسدية اور كتاب افريقي دون فيه مذهب مالك ومجموعه اسد تختبر آخر مجموعة التفت بمالك واما من رجل بعدها فقد التقى بكبار تلاميذ مالك من 4 أمثال ابن ونجب وابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم وغيرهم ، ويتبعي لكتاب طبقات علما افريقية (3) .

لابى الحرب التميمي وجدت ان عدد من جلس إلى مالك من طلبة افريقية قد تجاوز الثلاثين وقد سرد اسماهم فى الجزء الاول والثاني والثالث بداية من الصفحة 34 - إلى ص 100 اما فى الجزء السابع المخصص لعلما تونس فقد ذكر ثلاثة منهم على بن زياد وابن اشروس وعباس بن الوليد الفارسى (4) .

وقد اورد صاحب الحارث العسدي عن ابن الحارث قوله : كان افريقية تبنى رحلة سحنون قد غمرها مذهب مالك بن انزلاته رحن منها اكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقي مالك بن انرو سمع منه وان ان الفقيه والفتيا انما كان فى القليل منهم كمالان ذلك فى علما البلاد (5) .

وبعد هذه المجموعة كانت هناك مجموعة أخرى اخذت عن كبار تلاميذ مالك ، ويش هذه المجموعة الامام سحنون ومن اصحابه فى هذه الرحلة ابن رشيد ، وكان سحنون قد اخذ عن علي بن زياد واسد والبهلون بن راشد وابن غانم ومعاوية الصمادحي وابن فروخ وكلهم تلاميذ لمالك الا انه بعد ان اخذ علمهم التحق بالشرق سنة 188هـ فسمع هناك من المصريين من تلاميذ مالك الا ان معوله كان على عبد الرحمن بن القاسم العتقى (191هـ) وعليه صحح الاسدي ثم عاد بها إلى افريقية ومعه كتاب من ابن القاسم إلى اسد يطلب منه فيه تصحيح اسديته على المدونة فرفض ذلك (6) . والمدونه تعتبر الكتاب الثانى بمدون فى المذهب المالكي ، فاعتنى به المولك اختصارا وشرحا وتهذيبا وكان المصدر الذى استمدت منه الكتب المؤلفة بعده كالمجموعة لابن عبد ورس وغيرها من الكتب .

- ① معالم الايمان 2/ 12 - 13
- ② طبقات علماء افريقية 2/ 83
- ③ " " 2/ 34 - 100
- ④ صغبات علماء افریفة الششنى فى 251 - 253 ط دار الكتب البشاني
- ⑤ المحرر السدي ج 3/ 774
- ⑥ معالم الايمان 2/ 78

اما في القرن الرابع فكانت رسالة بن ابي زيد القيرواني وكتابه النوادر والزيادات على المدونه
وكتابه مختصر المدونه وكانت النوادر والزيادات لابو محمد من اكثر الكتب احاطة بالذهب
المالكي اذ حوت زيادة عما جاء في المدونه ما جاء في غيرها وما بلغ الى مؤلفها من اقوال
شيوخه وشيوخهم .

وقد كتب لسفريه الرسالة والنوادر والزيادات نسخة الانتشار شرقا وغربا حتى كانت الرسالة
تقرأ في ان واحد بالقرى والبلدان وفي غرب افريقية من بلاد المثلثين (1) وكانت هذه الكتب عنوانا
على ما بلغه شيخنا ابو محمد من علم وصالح حتى قيل : ونسبه "شاهد له بهذا" (2) ، بل بقولها "مطلقا"
لقب بطالب الصغير (3) . وهذا ما سنفضل فيه القول بحسب الله فيما يستقبل من هذا البحث .

① ذكر لي ذلك العلامة المرحوم تاجي مختار بن حامد

② رئيس الدار 4 / 492

③ الديباج 135 /

ابن أبي زيد من الهيلاد إلى ساحة التحمل والاداء

الفصل الأول . من الهيلاد إلى الدراسة

تمهيد :

لقد رأينا عند حديثنا عن مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية بالقيروان في القرن الرابع للهجرة ما لفتنا "افريقية" وما لعلنا منها من دور بارز وفعال في تشكيل أحداث تلك الحياة بشكل يجعل منها حياة ثرية بانتاجها الفكري غنية بانتاجها الاقتصادي متزنة في تحركها الاجتماعي .

ولا أرى لهذه الخاصة من سبب سوى تمسك الاغلبية العظمى من اهلها - عالمهم وعاميتهم - بذهب واحد فقها وعقيدة . لقد هيأت هذه الوحدة الفكرية للعلماء الباحثين مناخا طيبا ساعدهم على تعميق دراساتهم وتوضيح مناهجهم وبلورة آرائهم ودعم اجتهاداتهم . مما مكّنهم من البروز مؤثرين ومؤثرين ومشرّين للإنتاج الفكري خاصة وللشريعة الاسلامي عامة . حتى غدا تاريخ القيروان العلمي تاريخا حافلا بجهاذة العلماء عظماء باستدراكاتهم عن سبقهم عسلا باجتهاداتهم المستمدة من النصوص احيانا ومن القياس احيانا أخرى . وإن أهل القيروان غيرهم من ساكني الامصار الاسلامية منهم المتشبه بحرفية النحر . . . ومنهم المتطرف في تعلقه بالشرع ومنهم من يجمع بينهما فهو نصفي عند توفر النصوص الصحيح وهو عقلي عند انعدام النص الصحيح وهذا المنهج الاخير هو الغالب على تفكيرهم ولذلك كان انتشار فقه مدرسة الراي بينهم قليلا على الرغم من دعم السلطة له في عهد الاغلبية وغيرهم ، وكذلك الحال بالنسبة للظاهرية الراضية للقياس اذ كان عدد القيروانيين الاخذين بها قليلا وقليلا جدا (1) .

ان وقعة متأمة في تاريخ تدوين الاسدية بداية من سنة 172 هـ . والى غاية 181 هـ . وهي السنة التي عاد فيها أسد الى افريقية حاملا معه اوز كتاب يدون في الفقه المالكي بافريقية لتثبت لنا اثباتا قطعيا حرص هذا المدون على الجمع بين النص والراي اذ قد بدأ كتابه بتدوين سماعاته على مالك ثم ارتحل الى العراق لاثراء هذه السماعات الاثرية بالاراء العقلية وقد اختار لهذا الاثر اسد تلاميذ مالكا لانه اكثر اهلية من غيره في تحقيق بغيته . ثم يرتحل الى مصر للتحقق من صحة ما أخذ في العراق . واعتقد انه لو طار العمر بمالك العباد اليه ولم يذهب الى غيره . ألم يقل عندما بلغته وفاة مالك (ان كان فائتي لزوم مالك فلا يفوتني لزوم اصحابه) ؟ (2) . ولم يكن هذا الموقف خاصا بأسد بل تجد مثله لابن فروخ قبله اذ كانت له رحلتان التقى في اولهما بمالك وبابن حنيفة ثم عاد ثانيهما الى مالك سنة 175 هـ . ولا أرى لذلك من سبب سوى شدة تمسك اهل القيروان بهذا المنهج اجماع بين النص والعقل .

انظر قائمة مصادر البحث حيث ترجعت له كلها

① ترتيب المدارك 54/1

② 469/2

ان يفضل مش هؤلاء التلاميذ المخلصين الاكفاء من أهل القيروان فمن ذهب الطالبي من انتشار من بغداد شرقا الى المحيط الاطلسي غربا بن عبر العدو واخترق الصحرا واصلا بين مجاهل افريقية وغاياتها وتلويج اوروبا ومرتفعاتها ثم ليخترق بعد ذلك التهرين والبحرين حيث تلتحم باختراقة هذا القارات انشأت بحبر الله . . . ولا حبر لله سوى الاسنام . وبذلك ترى ان دور القيروان قد تجاوز دور المحطة التي يسترجع فيها الجنود الانفس ويبتلون فيها القوى ويشدون فيها العزائم لمواصلة مسيرة الخير . . . بن كانت مدينة عتبة معلما حضاريا فخر هدى وتقوى واشع نورا وضيا وسطع علما ومعرفة ، وما ذلك الا بسبب ما انجبهت تربتها الطاهرة من فحول العلم وجهابذة الباحثين في شتى المعارف والعلوم ولذلك اكتظت سفحات كتب التاريخ والتراجم بالاسماء وطفت صفحات دوائر المعارف بالالقاب واثرى اوراق كتب المعاجم والطبقات بالالاء والنثرية ، وتعددت بتعدد العلماء الآثار والصفات في مجالات علمية كثيرة من فقه الى تاريخ ومن علم كلام الى فلسفة ومن حساب الى طب ومن طبعة الى كيمياء . . الخ الا ان في هذه الدراسة ساركز بحثي في فرع من فروع هذه الحضارة التي تحم في طياتها بذرة الخلود والبقاء مادام هناك قرآن يرس . . . وما دامت هناك " الله اكبر " بها تستقبل تياشير انفجر وعلى معانيها القدسية يودع اللين .

ان الحديث عن جزء من تاريخ الفقه الاسلامي بهذه الربوع يجربنا حتما الى الحديث عن عالم ملا الدنيا بعلمه وشغل الناس بشجاعته فاقبلوا على قيروانه طالبين علما باحثين عن معرفة ، وقد وجدوا علما غزيرا وصادقا معرفة واسعة وعميقة فلتبوه بآلت الصغير وعالم المغرب ، وكانوا نياما اطلقوه عليه من القاب ونعوت لصادقين ان انه : اشهر علما المالكية في المائة الرابعة (1) . وليس هناك اشهر من ابي محمد عبد الله بن ابي زيد النفزاوي القيرواني . فمن هو ؟ . . . وما هو موقعه في تاريخ الشريعة الاسلامي . . . وما هي اشهر اعطاه التي جعلت منه ملك الاصغر وعالم المغرب . . . ؟ .

نسيبه :

هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزاوي القيرواني هو لدا ومنشأ ومدفنا (2) . وقد شب بروكلمان في اسمه فقال هو عبد الله (أو عبيد الله) (3) وقد نقل آخرون هذا الشاعنه (4) . غير أن الذي عليه المعول ان اسمه هو عبد الله وهو ما اتفقت على ذكره كتب التراجم المعتبرة قديما وحديثا على حد سواء .

① تاريخ الادب العربي ، مادل بروكلمان 286/3

② معالم الايمان 109/3 ط، تونس 1978

③ تاريخ الادب العربي ، بروكلمان 286/3

④ دائرة المعارف للدبستاني المجلد الثاني ص 312 ط، بيروت 1958

وكما اختلف في اسمه اختلف في اسم والده فتيل هو بلال بن عبد الرحمان بن اسحاق (1) وقيل هو ابو زيد بن عبد الرحمان، الا ان هذا الخلاف ليرثه اسلاف من النسخة اذ من الممكن انه راجع الى خطأ النسخ. وذلك ان كـ كتب التراجم التي ألفت قريبا من عصره تنفي على ان اسم والده هو عبد الرحمن واسم ابو زيد عبد الرحمان اصيلة مدينة القيروان غير اننا لانعرف متى وجدت عليها ولا استبعد ان يكون و هو دها قديما جدا حتى غدا لا يعرف لها بلد سوى القيروان حيث نسبت اليه فتيل التبروانى الا ان لابي محمد نسبة أخرى تنسب اليه القيروان وهي : النفزاوي * وهذه النسبة قد تعطى لثمة عن الموطن الاصلي القديم جدا لهذه الاسرة . واين يقع لهن بداخر ارض افريقية والمغرب ام ... بخارجها ؟ وبالعقد الكـ الـ الـ الرحالة والجغرافيين نجد : ان اسم نفز، موجود بكـ من الاندلس و افريقية ففي الاندلس توجد نفزة بمنطقة " جانيف (2) " أما بافريقية فهناك موضعان احدهما في الشمال حيث نجد في سهول باجة قرية تسمى نفزة، والاخرى بالجنوب الغربي حيث نجد جنوب سطـ الجريد منطقة تتألف من قري عديدة اسمها نفزاوة (3) .

ونظرا لهذا اختلفت الاراء حول مكان نفز او نفزاوه التي انتقلت منها عائلة ابن ابو زيد الى القيروان فقد ذهب يقولون في معجم البلدان (4) . الى ان الموطن الاصلي لهذه القبيلة هي منطقة " مـ مـ مـ " بالاندلس بل ان لها فخذين هناك وبذلك فان ابا محمد الذي لاش في انحداره من هذه القبيلة هو اصلي الاندلسي وانما استقرت عائلته بالقيروان عقب هجرة القبيلة او بعضها اليها . وهذا ما أخذ به أحد المؤرخين التونسيين (5) وتابعته في ذلك دائرة المعارف الاسلامية (6) . وهناك طائفة اخرى من المؤرخين يرجعون نسبته الى قبيلة نفزاوه المستقرة بالجنوب التونسي من ذلك ما ذهب اليه الشيخان التتائي و زروق من ان نفزاوه قبيلة من قبائل افريقية تقع شرق سطـ الجريد واليهما ينسب عبد الله بن ابي زيد (7) . .

① دعوة الحق عدد 3 سنة 21 ص 52

② OULI JURISTES KAIROUANIS و EPOUE MIRIDE H.R. IDRISS R 125

③ معالم الايمان 109/3 . يقول الحق في تعليقه على لقب النفزاوي : النفزي ولا سواء بينهما لانه يوجد بالفطر التونسي شمالا نفزة وجنوبا نفزاوة . واكثر النقل النفزي .

④ معجم البلدان لافقوت المحمدي 4/ 499 ط . ليبزغ 1869

⑤ دعوة الحق عدد 3 سنة 21 ص 52

⑥ دائرة المعارف الاسلامية . 84 ط . ديسمبر 1933

⑦ مقدمة شرح الرسالة 5/1 .

أما الأستاذ الحاج الهادي ادريس فقد علق على ما زعمه بقوت قائلاً ينبغي ان نفهم من اسم انجسر - نفزي - ان ابا منحد من قبيلة نفزه المستقرة بنفزاو شرقو شط الجريد وإذا ان يقاتل قد أشار الى وجود فخذين لهذه القبيلة بمنطقة : جانيقا واكد ان ابن أبي زيد كان نفزيا فهذا ليرمعناه انه ينبغي ارجاعه الى اصل اندلسي او انقوي انه ولد بالاندلس وان كان من المحتمل ان تكون قبائل نفزة بالاندلس يعود اصلها الى افريقية وبصفة عامة فلو كان من اصل اندلسي للقب او كني احيانا بالاندلسي وهذا لم يبق البتة (1).

و عند وضع الرأيين على بساط البحث نجد ان ثانيهما هو اقرب الى الحقيقة والمنطق التاريخي ذلك ان قبيلة نفزاو الواقعة اراضيها شرقي شط الجريد وجنوب غربي قابر عزي هي عبارة عن اراض متراصة الاغراف يغطيها شجر النخيل وتتشر فيها القرى الوديعة داخل واحات ملتفة حول نفسها مما جعلها رباطات صحراوية تحمي الواجهة البحرية لارض افريقية حيث تشكل العمق الاستراتيجي لها . ونحن الرجعة لهذه الواجهة اذا ما اشتد ضغط الغزاة عليها بالاضافة الى ذلك فان الاغلبية اعطى في سكانها هم من العرب الذين تواجدوا على افريقية منذ حركة الفتوح الاولى حيث استقروا هناك بعائلاتهم ومواسيهم وعبيدهم وهذا ما يفسره كثرة وجود الزنوج هناك . وقد وجدوا في هذه المنطقة ما تعودوا عليه من مناخ صحراوي جاف في موطنهم الاصل . وتبعاً لهذه الخصائص فقد عرفوا أهل هذه المنطقة بتعلقهم باللغة العربية حتى يعبر لهجات عروشهم تكاد تكون لغة بدو الجزيرة العربية في عصرها الجاهلي . يضاف الى هذا التعلق تعلقاً ثانياً وهو تعلقهم بتحفيظ القرآن لصبيانهم وتدريبهم على الشريعة منذ اقدم العصور ما هي هذه المنطقة ان تكون موطناً لكثير من العلماء ان لقب النفزاوي والمعاقرى والقباسي والجنيني والمزروقي والمعظمي ترد كثيراً في كتب التراجم . فكري جمنه وتوجان والحامة والمرازيق وقبلي وغيرها من القرى التي كان يحفظ فيها القرآن وتدرس فيها علوم الشريعة والعربية وادابها وعند ما يتهيأ للطلاب حفظ القرآن واكتساب ملكات في علمي المقاصد والوسائل فان نفسه تشاق الى المزيد وليرامه سوى الرحين نالي احدى حواضر افريقية وكانت القيروان حاضرة الحواضر ببلاد افريقية والمغرب وعاصمة العلماء والنبع الذي استقى منه علماء الواحة ومؤيدوها علماً نافعا ومعرفة عميقة ولذا فلا استعبد ان يكون أحد اجداد ابن أبي زيد قد ارتحل الى القيروان لهذا الغرض فوجد هناك ما ارتاح اليه نفسه فاستقر بها وكون فيما عسرف من بعد بأسرة النفزاوي اولاً وبالقيرواني ثانياً وهذا ما تدعمه الرابطة الدموية التي يقال انها موجودة بين ابن الحسن القباسي وابن أبي زيد النفزاوي (2) . اذ من المعروف الى وقتنا الحاضر ان الثالبيين الى الحواضر كثيراً لفضلون السكن في حى واحد ، ويحكم هذه المسألة صاهر كل من جد في النفزاوي والقباسي الى عائلة واحدة . فكان من بنتي هذه العائلة تسلمها بالقيروان .

DEUXIÈME PARTIE, 14 R. 10 RIS P 125

(1)

NOTES SUR L'IDENTIFICATION du dédicataire de la RISÂLA d'IBN ABÏ ZAÏD (2)
AL-Qarawâni. Les cahiers de Tunisie. Année 1953 Tome 1. P 63.

H R IDRIS

ولد ابو محمد عبد الله بن أبي زيد سنة 310 هـ / 922 م بالقيروان بعيد ثلاث عشرة سنة من قيام دولة الفوطم الشيعية بالقيروان إلى بغداد (1) ومن خلال تتبعي لتاريخ ميلاده المحدد بسنة (310 هـ / 922 م) والذي ذكره أغلبه من ترجم له وجدت ان هناك شبه اجماع على هذا التاريخ من ائمة البغدادى فى هدايته (2) والديباغ بن معالنه (3) ومخلوف بن شحرته (4) وقد سار على منوالهم فى عصرنا هذا الزركلى (5) وكحاله فى معجمه (6) ، دائرة المعارف الاسلاميه (7) ، اما الشيخان النفزاوى وزروق فقد ذكرا ان ميلاده (8) كسسان سنة (316 هـ / 928 م) وهو ما أخذ به بروكلمان فى تاريخه لدرب العربى (9) ، اما الهستانى فى دائرة معارفه (10) فانه ذكر التاريخين لكنه اسبق الثانى بلفظ قين ما يشعر القارى بان الاول أصح واقرب الى الحقيقة .

غير اننا لانست من الحجج المادية ما ترجح به مذهب احدى المجموعتين على الاخرى بحكم ان تواريخ ميلاد اهل العلم لا يحتاج اليها الا بعد ان يشتهر صاحبها ولكن مع ذلك فقد وجدنا ما يمكن ان يجعلنا نطمئن الى راء الجموعة الاولى دون راء الجموعة الثانية يقول الاستاذ احمد سحنون و ذكر الشيخ زروق انه ولد سنة 316 هـ فاذا قابلناه على اجماع مؤرخيه بانه صنف رسالته فى الفقه سنة 327 هـ كان عمره يومئذ على قول زروق احدى عشرة سنة وهذا بعيد (11) . يضاف الى هذا انى اعتبار ان اكثر المؤرخين غلبه به و بترجمته هو المؤرخ ابن ناجي اذ له زيادات كثيرة على الترجمة التى وضعها له الديباغ فى المعالم ولهذا فلولا ديه اى ريب فيما يخص تاريخ ميلاده لاورده على غرار ما فعله فى كس ما يتصل بحياته من قريب او من بعيد (12) .

① الكامل لابن الاثير 8 / احداث 296 هـ .

② هداية المفسرين فى اسماء المؤلفين و آثار المفسرين لاسماعيل ياسين البغدادي 447 / 1 - 448 . ط ، استنبول 1953

③ معالم الايمان للديباغ 418 / 3 . ط ، تونس 1978

④ سيرة النور الزكية و طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ط ، القاهرة 1348 هـ ص 96 ترجمه عدد 227

⑤ الاعلام للزركلى 230 / 4

⑥ معجم المؤلفين للحالة 73 / 6

⑦ دائرة المعارف الاسلاميه ط ، ديسمبر 1933 80 /

⑧ دعوة الحق العدد (33) السنة (25) ص 52

⑨ تاريخ الادب العربى لبروكلمان ط ، مصر 1962 . 286 / 3

⑩ دائرة المعارف للبستاني المجلد الثانى ص 312 ط بيروت 1958

⑪ دعوة الحق العدد الثالث السنة 21 ص 52 - الرباط - وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميه

⑫ معالم الايمان 109 / 3 - 121

ليست لدينا اية معلومات عن طفولة ابي محمد عبد الله بن ابي زيد الفزاري القيرواني
سواء ما يمكن ان يقال بالنسبة لغيره من الخلفاء عصره وما عورف عليه بين الاسر القيروانية من حيث
أخذ اطفالهم الى الكتائب العامة او الخاصة لتحتفيظهم القرآن وتعليمهم أصول الكتابة . ثم التدرج
معهم في علوم الوسائل والمقاصد اعداداً لما يستتبع من الدراسات العلمية الواسعة على أيدي قضاة
العلماء القيروانيين . في مساجد القيروان ودور العلماء او باحدى الرباطات وما اكثر الرباطات
بافريقية . . . وتظهر عناية أهل القيروان بتعليم اطفالهم خاصة وبالعناية التربوية عامة المؤلفات
التي وضعت في هذا الميدان مثل ذلك احكام المعلمين والمتعلمين (1) لابن ابي زيد ومثله للتايتو
وهو المعروف بالرسالة الفصلة لآحوال المعلمين والمتعلمين (2) ولا بن الجزار القيرواني كتاب سياسة
الهيئات (3) وقد الف قبر هؤلاء جميعاً محمد بن سحنون رحمهم الله كتاب المعلمين (4) . ومن خلال بحثي
عن بعض صور لطفولته وجدت النص التالي : (بالقيروان نشأ وتربى ولم تذكر المصادر شيئاً عن أسرته
ولا عن ماضي حياته الاولى . وكيف تلقى دراسته الاولى الا ما هو معروف عن ظروف التعليم في عصره وبنيته
فحفظ القرآن الكريم أولاً في الكتاب وكان مؤديه الشيخ حمز بن خلف . ثم انتقل الى دراسة علوم
الاسلام والعربية وظهر بيقظة مبكراً حيث تذكر المصادر انه الف الرسالة سنة 327 هـ وهو انذاك ابن
سبع عشرة سنة) (5) . في هذا النص حقيقة تاريخية لا مجال للشك فيها وهي المتمثلة في النبوة
الميكروا لابي محمد عبد الله بن ابي زيد وفيه ايضاً خطأ تاريخي فظيع احتس في اعتبار الشيخ حمز بن
خلف المؤدب (6) بتونس مؤدبا لابن ابي زيد القيرواني في حين اننا لو عدنا لتاريخ ميلادهما لوجدنا
ان ابا محمد هو اقدم من الشيخ حمز ميلاداً .

ان جعل امام تونس معلماً لابي محمد بن ابي زيد هو أمر لم يـ من السهر التسليم بصحته بالاضافة الى
انه لم يرد نصوصاً واحدة يتضمن انتقال ابي محمد الى تونس في حياته لاخذ العلم بها . والذي اعتقده جازماً
ان ماورد في هذا النص لا يعدو ان يكون اسطورة لير لها مايدعها منطقاً وتاريخاً ويظهر لي ان قائده
قد اغتم شهرة الشيخ حمز في حفظ القرآن ثم القرابة الرابطة بينه وبين ابي محمد ونسيح من هذا كله
اسطوره هذه .

دراسته :

ليـ من قبيل الرجم بالغيب عند ما نعين العلوم التي تلقاها ابو محمد اثناً دراسته
الى ساعة تصدرة للفتيا والتدريس وذلك من خلال معرفتنا بما كان يدرس في المعاهد العلمية بالقيروان
في القرن الرابع الذي عاش فيه هذا الطالب القيرواني الذي سيصبح بعد تخرجه عالم الطائفة الرابعة
بلا منازع .

لقد بدأ ابن ابي بكر غيره من تلاميذ عصره بحفظ القرآن الا اننا لانعلم هل حفظه بالكتاب العام أم على يد
مؤدب خاص لان التاريخ قد سكث عن الناء اذواءه عن حالة أسرته . وذلك لان من عادة الاسر الغنيمة
ان تخصص لاطفالها مؤدبا خاصة يقوم على تحفيظهم وتعليمهم أصول الكتابة والمبادئ الاولى للعلوم

① المعتمد ص 1043 طو دار الكتاب بيروت سنة 1967

② معالم الايمان 3/ 136 ط. تونس 1978

③ مختصر تاريخ تونس ج. ح. عبد الوهاب ص 107 ط. تونس 1976

④ الديباج لابن زحون ص 235 - 236

⑤ دعوة الحق عدد 3 لسنة 1960 ص 60

⑥ انظر ترجمه الشيخ حمز بن خلف ص 127 - 129

الوسائل والمقاصد بكان خاثر بمنزل العائلة وهو نفس المثل الذي سلكه ابن أبي زيد مع
اطفاله ونجد مثله لمحتون مع ابنه محمد وغيرهما كثير من العوائل القيروانية .
ان غاية ما بلغ الى علمنا انه حفظ القرآن (وأجلد حفظه وتعلم اصور الكتابة واتقنها واستفاد - من
المبادئ الأولية للعلوم استفادة مكنته بعد ذلك من الجول الى حلقات الشيوخ العلماء . وبقي
امروا حاد ثابت لدينا شيوخ الشمر في رابعة النهار وهو جدي ابو محمد في دراسته ومواظبته على
هذه الدراسة حتى ابان حالات الاضطراب والخوف التي مرت بالقيروان . ان انعام النظر فيها روتته
كتب التراجم لتجعلنا نتيقن من هذا السلوك الدراسي الواحد كـ هذه الماثرة التي لم تعرف انقطاعا
ولا تنكسا من ذلك " انه لما سجن شيخه ابن اللباد من طرف بني عبيد اياما ثم اطلقه راحه ومن من
الفتوى والتسامح كان ابو محمد ابن أبي زيد وأبو محمد ابن التبان بأتان اليه في خفية وربط جعل
الكتب في اوساطهم وحجزتهما حتى تبت باعراقهما خوفا من بني عبيد ان يثا لولهم بمكره (1) . بل
نجد مقبلا على دروسه حاضرا مجالس شيوخه حتى ابان الفتى الكرى من ذلك ما ذكرته لنا كتب التراجم
من انه كان زمن املاك القيروان من طرف أبي يزيد الخارجي من الطلبة الذين لم تره بهم تلك الجيوش
وتشني عزائمهم عن اخذ العلم اذ ورد في ترجمة شيوخها المعروف بابن اخي هشام (وكان يجتمع الى
شيخه - هو وابو الازهر بن معتب وابو محمد بن أبي زيد وابن شهلون وابن التبان والقابسي
وجماة ذكرناهم ونذكرهم في جامع القيروان للفتحة عندهما ظهر ابو يزيد على بني عبيد) (2) . وفي
نفس الوقت كان يجلس الى حلقات الشيوخ الاخرين من امثال ابن اسحاق السبائي وكثيرا ما كانت السلط
العبيدية تهاجم هذه الحلقات وكثيرا ما كان ابو محمد يفر من الغارين ، من ذلك ما ورد أيضا في ترجمة
أبي اسحاق السبائي (واستأذن عليه - أن السبائي - يوما صاحب المحرس فهو ب كل من كان معه -
ومنهم ابو محمد بن أبي زيد - ولم يبق معه غير القابسي فقال الشيخ من هذا فقال انا فلان قال ادخل
يا شيطان ما يريد الشيطان اخو الشيطان فلم يكلمه يوما فلا بالشيطان فلما خرج من هرب فقال لهم :
ما هذا حق الصحة تهريون وتتركوني ؟ ولا مهم على فعلهم) (3) . والذي يظهر من هروب أبي محمد
وزملائه من حلقة الشيخ انما كان بسبب خوفهم من حملهم على التشيع حملا بدليي نرا آخر ورد في المعالم
بيسن ذلك ان ورد : كان عبد الله المعروف بالمختار صاحب القيروان شدد في طلب العلماء ليشرقهم (4)
فطلب الشيخ ابا سعيد بن اخي هشام و ابا محمد بن التبان و ابا القاسم بن شهلون و ابا محمد بن أبي
زيد و ابا الحسن القابسي فاجتمعوا في مسجد اللجام - وسمعت شيخنا ابا الفضل البرزلي ينقل غير
مارة ان اجتماعهم كان بدار أبي محمد بن أبي زيد - فقال لهم ابن التبان ان امضى واكنكم مؤمنة
الاجتماع به ويكون كل واحد منكم في داره ويقال انهم ارادوا السير اليه فقال لهم انا امضى اليه ابيع
روحي من الله دونكم لانه ان اتني عليكم وقع على الاسنام و هن) (5) .

① معالم الايمان 25/3

② الديباج المذهب ومعرفة اعيان علماء المذهب لابن زهرن ص 331 ط مصر 1351

③ معالم الايمان 73/3

④ المراد فيما يظهر للجمع على مذهب المشاركة وهو الدسيع (التعليق لما هو في معالم الايمان 91/3)

⑤ معالم الايمان 81/3

وبالإضافة الى هذا الاقبال على حضور حلقات الدروس عند العديد من الشيوخ كان يقضى ساعات فراغه في المذاكرة مع زملائه تارة على افراد وطورا بحضور شيخ من شيوخهم لحسم ما قد يقع بينهم من خلاف علمي وكان ابو محمد هو الذي يتولى قراءة المخطصات وقبول الكتب وتوجيه النقاش حول المسائل المعروضة من ذلك ماورد في ترجمة السبائي : ويتذاكر العلماء بحضرته - السبائي - وفي مجلسه ابن ابي زيد - وهو انعتق عليهم - وابو القاسم بن شبلون وابو الحسن القابسي وسعيد بن ابراهيم وغيرهم من يعرف مسالة كان يحضر مجلسه وذلك لما منعوا من المواعيد والفتوى فلما اذا تنازعوا فصل بينهم بامر يرجعون ثم اليه (1) . وليس هناك اتوز حجة على نيوته ابان تلمذه من تنيذه فو اراءه من طرفه . عن شيوخه كابو اسحاق السبائي وغيره من هم دونه سنا وعلم (2) . وقد تأمل هذا الطالب الذكي معلمة شيوخه له باحسن منها اذ كان بارا بهم محترما لهم مرتادا لمجالسهم حتى وقتان ووضعا تحت الاقامة الجبرية باكيا عليهم بدموع حري ابان موتهم او استشهادهم ، فتشبهها بهم في سلوكهم متمسكا باخلاقهم و تصرفاتهم مدافعا عن ارائهم واختياراتهم واصفا اياهم باحسن الاوصاف مضيافا اليهم اطيب النعوت ملحقا بهم خيرا الخصال وازكى السمات من ذلك ماورد في ترجمة ابي الفضل المسمي (جمع الفقه البار والورع الحاجز والسمت الحسن ، وحسن الاشارة والهدى والسكينة وحسن ان مشيته كانت تشبه مشية عمر بن عبد العزيز وبه كان ابو محمد بن ابي زيد يشبه في احواله) (3) . وبالإضافة الى هذا التشبه بهم فقد كان عارفا باقدارهم محترما لعلمهم حتى قال في بعض المرات واصفا ابا اسحاق السبائي (وكان ابو محمد بن ابي زيد يصفه بكثرة العلم والعقل ويقول : ما هذا الذي نحن فيه الا ببركته) (4) .

ان جدية هذا الطالب القيرواني وشدة مفاهيمه في الاخذ توضحها كثرة العلماء الذين جلس اليهم شرقا وغربا حتى ان أحد الباحثين في العصر الحديث قد ترجم لاكثر من أربعين منهم وهو مع ذلك لم يترجم لكثير شيوخه لان المصادر التي ارخت لحياة ابو محمد التعليمية في عصور متأخرة لم يثنها العدد الكثير لهؤلاء الشيوخ (5) . وحتى اعطى فكرة عن عددهم واسمائهم اقوم بايراد بعض من كتابين من كتب التراجم ذكرت جملة من هؤلاء الشيوخ على ان اضيف غيرهم لهم ساعة الترجمة الفردية لك واحد منهم ممن اجد له ترجمة .

قلي كتاب المدارك للقاضي عياض (6) . (544هـ) ورد قوله عند الحديث عن شيوخ ابي محمد بن ابي زيد القيرواني (وسمع من شيوخه وعول على ابي بكر اللباد وابي الفضل المسمي وأخذ أيضا عن محمد بن مسرور والعسال وعبد الله بن مسرور الحجام والقطان والاياني وزيايد بن موسى وسعدون الخولاني

① معالم الايمان 64/3

② " " " "

③ " " 27/3

④ " " 63/3

⑤ DEUX JURISTES KAIROMANES ET LEUR IDÉES 125

⑥ ترتيب المدارك 493/4 حقيق د. بكر ط. بيروت 1967

وابو العرب واحمد بن أبي سعيد وحبیب مولی بن ابی سلیمان وآخرین . ورحل فحج وسمع من ابن الاعرابی و ابراهیم بن محمد بن المنذر و ابی علي بن ابی هلال واحمد بن ابراهیم بن حماد القاضی والحسن بن نصر السوسی ، ودارم بن ~~ألف~~ عمار بن عثمان بن سعيد الغرابلی وحبیب بن ابی حبیب الجزولی . وغيرهم واستجاز ابن شعبان والابهرت والمرزى وسمع منه خلق كثير (1) .

اما لو تصفحنا كتاب المعالم للدباغ (605هـ - 636هـ) لوجدنا قوله عند اشتغرافه لشیوخ ابی زید : (سمعنا فریقیة من ابی بکر محمد بن محمد بن النبیاد وعليه كان اعتمادہ فی الفقه وسمع من عبد الله بن مسرور الحجام و ابی عبد الله حمد بن العساک وحبیب بن الربیع ودارم بن اسماعیل الفاسی الجعراوی والحسن بن نصر القوزری و ابی الحسن علی بن محمد الخولانی ، و ابی القصر العباس بن المسی و ابی مسهر أحمد بن نزار و ابی العرب محمد بن أحمد بن تیم و عبد الله بن سعید الحداد والحسن بن بدر وحبیب بن ابی حبیب الجزوی .) و محمد بن موسی القطان وسعدون الخولانی و ابی الحسن الکناشی (2) و ابی عبد الله حمد بن الفتح المرحی ، و عثمان بن سعید ~~666هـ~~ الغرابلی و ابی بکر بن سعدون واجازه من أهر الشریک ابو سعید بن الاعرابی و ابراهیم بن ابی بکر بن المنذر عن أبيه ، و ابو بکر الابهري و جماعة من البغدادیین (3) . هذان ~~انسان~~ لا يدعیان انهما احاطا بذكر کل الشیوخ الذین أخذ عنهم بل یعترفان ان ماذکراه منهم هو جزء من کل ولیرى کل من کل بعد لیق قول عیاض فی نه السابق عقب ذکرک مجموعة : " وأخرین ثم قال بعد ان ذکر مجموعة أخرى " غیرهم : " و من ذلك ما قاله الدباغ عقب ذکر الشیوخ " و جماعة من البغدادیین " وهذا هو الذی قد فعنی الی القول بان كثرة شیوخہ دفعت بالذین ترجعوا له الی اضافة کل واحد منهم جماعة من هؤلاء الشیوخ الی ماذکره غیره وقد یزید وقد ینقص عن هذا الغیرہ مما دفعنی الی جمع شتاتہم من كتب متعددة ، و هو نفر ما فعله من سبقنی فی هذا الموضوع ، و یعود سبب ذلك الی ان ابا محمد أخذ عن غیر واحد و فی امکت متعددة سواء داخل حواضر افریقیة و رباطاتها الكثيرة او خارج افریقیة بحد و المدينة و مآثنا اداءه لفریضة الحج . وكذلك اخذ عن بعضهم عن طریق الاجازة ، و منهم من كان افریقیاً و منهم من كان حجازياً و منهم من كان یغدادياً و منهم من كان مصریاً و منهم من كان اندلسیاً ، و منهم من أخذ عنه الفقه و منهم من اخذ عنه علم الکلام و منهم من أخذ عنه السنة و القرآن و منهم من أخذ عنه العربیة و غیرها ، ولذلك سوف یمسک نفس المنهج الذی سلكه غیرنا بغرض الاحاطة باغلبیة الشیوخ حیث نقوم باستعراضهم علی أسرار أمارهم بقطع النظر عن المكان الذی اخذ فیہ عنهم ابو محمد بن ابی زید .

وقد ان أقوم بذلک ارتأیت من تمام الفائدة الاشارة الی أهم شیوخہ فی أهم مادة عرف بها وانتی فیها انتاجا کثیرا وثریا و هی مادة الفقه ، فان شدة اعجابه بشیوخہ فی هذا العلم دفعته لاشتغال الی

① الدباغ ص 136 - 137 أعداد من المدا رک

② المعالم یسمیہ الکناشی [109/3] حقا فاللهادر الاقری التسمیة الکناشی

③ معالم الايمان 109/3

الاقبال على مسائله والتعمق في دراستها حتى امتد من وراء ذلك ملكة قوية فيه جعلت منه بحرا يزخر
اصفا تلج على سطحه السائل لعان اليوات في هذه الاصداف ان من اشهر الشيوخ الذين عمل
عليهم في هذا العلم هما : ابن اللباد والمسعودي : وكان سريره الانتباه الى
الحديث بفقها بده وسمع من شيوخه وعمل على ابر بكر اللباد وابو الفضل العمري (1) وكان
الشرابي (93 هـ - 476 هـ) وهو اقدم وفاة من عايناه : (وتفق بابو الفضل رابع المسعودي) (1) وكان
ويذكر الدباغ (وسبق بافريقية من ابو بكر محمد بن محمد بن النباد وعليه كان الله اعلم) (تتمة) .
وهكذا ترى اجماع المصادر القديمة على تعويله على هذين الشيخين في المادة التي كان فيها نبوغه
وهذا لا ينفي نبوغه في مواد اخرى على يديهما ايضا . وعلى غيرهما من الشيوخ وحتى نعرف النية
العلمية لهذين الشيخين علينا ان نقرأ ما وصفاه في هذا الميدان . حيث نجد ان ابن اسباب قد وصفه
الدباغ عند ما ترجم له بقوله (2) (وكان لا ينظر له في علم القرآن وقراءته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه
مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وبصير بامسأ الرواة ومعرفة
الضعفاء منهم والنفاق وضربت اليه اكباد الابن) . ونقرأ في ترجمة ابو الفضل العمري (333 هـ) قوله (3)
(قال الشيخ ابو اسحاق السبائي حفظ القرآن ابو الفضل العمري وهو ابن ثمانين سنين وحفظ الموطأ
وهو ابن خمس عشرة سنة) (قال) جمع الفقه البارخ والنور الحاضر والسمت الحسن وحسن الاشارة والهدى
والسكينة) . ونقرأ في ترجمة شيخه ربيع القطان (4) . (333 هـ) انه كان يؤلف الخطب والرسائل = يو =
ويقول الشعر وكان لسان افريقية في وقته في الزهد والرفائق) كما أخذ عن ابي العرب التميمي (5) .
(333 هـ) علم الاشارة وكيفية ضبطها وروايتها كما مده بعلم التراجم وخاصة تراجم علماء مدرسة سحنون
واما شيخه ابو ميسرة بن نزار (6) فقد تأثر به ابو محمد وخاصة في المحال العقائدية اذ كان هذا الشيخ
رافضا لبعيد مذاهب المتصوفة القائلة بامكانية رؤية الله في الدنيا وقصده مع ابليرسياني ذكرها في
موقعها ولهذا نجد ابا همد يقف موقفا شديدا من مثل هذه الاقوال المتصوفة ويجد مقاومة عنيفة
ايضا . ونجد شيخه ابن الحجام (7) . (259 هـ - 346 هـ) يوصي له بثلاث مكتبة لما لسه فيه من اقبال على
الأخذ ومواظبة على الدرس وذلك فطري يحسنه قادرا على الاستفادة والافادة من هذه الوصية التي
لا تقدر بثمن ، وكان شيخه الكلثي (8) (239 هـ - 347 هـ) تزيل الكثير من الشيوخ الادباء ومن
اكثرهم دراية بالعربية وعلومها شعرها ونثرها ولعل ابا محمد قد تأثر به في هذا الميدان

① ترتيب المدارك 4 / 493 ط . بيروت 1967 تحقيق د . بكير

② معالم الايمان 3 / 22 ط . تونس 1974 تحقيق ماضور

③ " " 3 / 27 " " " " " "

④ " " 3 / 30 " " " " " "

⑤ الدرياج المذهب ص 250 ط . القاهرة 1351 هـ

⑥ معالم الايمان 3 / 41

⑦ " " 3 / 58

⑧ الدرياج المذهب ص 104

اذ كان من المبدعين في النثر والشعر في مرحلة اداء ما تحمله على هؤلاء الشيوخ وكتبه وشعره لشاهدة له على هذا الابداع . وكما كان ابو محمد يزور بقموسه والمستشير للاخذ والعلم كان يزور مرثاق لاخذ العلم من ائمة عن شيخه الابيانى (261 - 352هـ) الذي كان يدرس الواضحة لابن حبيب الاندلسي (1) . وكان للابيانى رأى حسن في ابي محمد فقد سئل عن علماء القيروان فذكر ابن اخى هشام ثم قال (واما الثاني من الاثنين فاني رايت شابا عاقلا كاملا قاضيا لو وزنت انجاس الرواس بعقله لرجحها يقال له عبد الله بن ابي زيد) (2) . وما دمتا في ذكر الفقه المالكى بالاندلس فقد اخذ ايضا الواضحة واستخرجه فلما ريفلى يدى دارم الفارسي (357هـ) الذي وقده على القيروان واستقر عند ابو محمد (3) مدة اقامته هناك كما اخذ هذا الفقه ايضا على الاصيلي (4) عند وفوده على القيروان . واخذ اصول الفقه والقضاء والحوال على شيعة ابن اخى ابي الازهر (5) (371هـ) وكان ابو محمد شديد الاعجاب بهذا الشيخ حتى قال فيه (ما بافرقية افقه من ابي الازهرين معتب وانما قطع به لقله) . وكان قد وجد في شيعة ابن اخى هشام (297 - 373هـ) خير من اخذ عنه وخير من وجهه ابان احتلال القيروان من طرف ابي يزيد الخارجي وبعده (6) . فقد ورد (انه دخل يوما على ابي سعيد بن اخى هشام يزوره فوجد مجلسه محتفلا فقال له بلغني انت ألفت كتابا فقال له نعم اصالح الله فقال له اسمع مسألة ٠٠ ؟ قال له ابو محمد اكنه اذكر اصالحك الله فان أصبت اخبرتنا وان اخضأت علمتنا فسكت ابو سعيد ولم يعاوده) (7) . كما عمق معرفته بالعقيدة الاشعرية على ابي بكر بن عبد المومن تلميذ ابن مجاهد البصري الذي هو بدوره تلميذ ابي الحسن الاشعري ، فقد انتقل ابو بكر بن عبد المومن الى القيروان وسكنها وزامن اباي محمد فيها فاخذ عنه وتثقف ما عمق به معرفته بالعقيدة الاشعرية التي لاشت انه اطلع عليها ابان حجة من اتقى بهم من شيوخ الاشاعرة (8) .

هناك شيوخ شارقة قد اجازوه لما بلغهم عنه من علم ومعرفة كابن شعبان المصري وابي سعيد بن الاعرابي وابي بكر الابهري والمروزي وغيرهم في البغداديين (9) .

- ① الديباج المذهب ص 136
- ② معالم الايمان 100/3
- ③ DEUX JURISTES KAIROUANAIS. H.R. IDRIS. P 134
- ④ R 136
- ⑤ الديباج المذهب 167
- ⑥ الديباج ص : 110 - 111
- ⑦ ترتيب المدارك 497/4
- ⑧ DEUX JURISTES KAIROUANAIS. H.R. IDRIS P 139
- ⑨ معالم الايمان 109/3

فإذا كان هؤلاء الشيوخ هم بعض من شارف في تكوين شخصية أبي محمد بن أبي زيد غنيا فهاهي
 أبرز العلوم التي تلقاها ؟ أن أبرز العلوم التي درسها ابن أبي زيد هي : علوم القرآن إذ بعد أن
 تهيأ له حفظه أخذ عن شيوخه علوم القرآن ما يساعده على فهمه وتفسيره وتدبره باعتباره المحاضر
 الأول من مصادر التشريع الأسري . وبفس هذه الدراسة العميقة المتأنية المثبتة أمكن له الإبداع في
 علوم آخر كالعربية وعلومها والفقه ومذاهبه وأقواله معبرا عن ذلك بأسلوب سهل سلس حتى
 غدت كتبه الفقهية فصيحة في أسلوبها ولغتها بأسلوب ولغة كتب الأدب والنقد ، وبفضل هذه الدراسة
 الجادة للقرآن أمكن له فيما بعد أن يضع كتاب البيان في إعجاز القرآن وهو من الفنون التي كان علماء
 القرن الرابع يتبارون في إنتاجها . ومن عنايته بالقرآن أعتى بالسنة النبوية دراسة ورواية ورحل
 في طلب نصوصها داخليا وخارجيا وكيف لا يمر فيها ومن شيوخه ابن اللباد (1) (333) وأبي
 العرب التميمي (2) وهما أشهر من اعتنى بدراسة علوم السنة ومن أكثر شيوخ الفقهاء شيئا وتحقيقا
 إلا أن العلم الذي أخذ به جامع قلبه هو علم الفقه الذي أمكن فيه بفضل دراسته الجادة ملكة قوية تمكن
 بها من وضع المؤلفات وهو لم يخط خطوات مرحلة الشباب الأولى .
 إن الاحاطة الدقيقة بالمناهج التعليمية وبموادها في القرن الرابع تقتضى من الباحث سبرا منفردا حتى
 يمكن له أن يأتي على هذه المناهج ويطلع على تلك العلوم ويكتفي بتدريسها وبالمهريين فيها .
 الحق إلا أن إبداعه العلمي في هذه العلوم منحصر له فضلا عن ما نفع أبي محمد كعالم في الميادين
 فيما سيتبين من هذا البحث ويكفي أن نورد هنا قول عياض (وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية
 وكتبه تشهد له بذلك) (3) .

① معالم الإيمان 22/3 ط، بيروت 1978

② " " " 36/3 " " "

③ تريب المدارك 492/4 ط، بيروت 1967 تحقيق دكتور بكير

١ - شيوخه الافارقة .

④ - عبد الله بن الحداد (٠٠٠ بعد 320 هـ / 341 م)

هو أبو محمد عبد الله بن أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد . كان أبوه سعيداً من العلماء المشهورين في مجال المناظرات التي وقعت بين الشيعة وأهل السنة في بداية الدولة العبيدية (1) سمع أبو محمد من أبيه وأحمد بن يزيد وغيرهما (2) وأخذ عنه أبو محمد بن أبي زيد وغيره من طلبة القيروان . قال : الهادي اذ زير (قد مدّ أبو محمد تلميذه ابن أبي زيد بعلم والده الذي كان منهجه يقوم على النظر والتميز والاجتهاد ان لم يكن يقبل طريقة مدرسية الاثر القائمة على النقد دون استعمال العقل وهذه الطريقة كان يرى فيها علامة من علامات ضعف التفكير وقد تأثر ابن أبي زيد بهذا المنهج السليم حتى عذا ابن الحداد بعناية الابن الروح حوله (3) . وقال محمد بن الحارث (وكان أبو عثمان آثر الفقهاء مجلساً واغزهم خيراً وهذه صفة ولده عبد الله الى اليوم ما رايت آثر منه مجلساً اذا قعد مقعداً لم يطع احد في القول ولا في الحديث) (4) . وصفه عياناً بالعقل والحماقة وعلو الهمة ثم قال : وان علاج الصلح كثير الحكاية توفي بعد العشرين وثلاثمائة (5) .

* : ترجمته بترييب المدارك 340/3 . ط. بيروت 1967 . فحق د. بكير

① معالم الايمان 2/295 - 315

② تريب المدارك 340/3 .

③ DEUX JUSTES KARAOUANIS - P. 128

④ طبقات علماء افريقيه الحشني 151/4

⑤ تريب المدارك 340/3



(2) سعدون الخولاني * (224 هـ - 324 هـ)

هو أبو عثمان سعدون بن أحمد الخولاني (1) سمع من محمد بن سحنون ومن

أبي عمران النقاد ومن غيره من شيوخ القيروان (2) .

وسمع منه ابن حارث وعبد الله بن أبي زيد وغيرهما من طلبة القيروان (3) . يقول ابن حارث الخشني

لقيه سنة عشر وثلاث مائة وكتب عنه حديثا كثيرا في غير ما نقل وقال لي رأيت سحنونا في محل قضاءه

في مسجد القيروان ولكن لم يسمع منه شيئا (4) . وقد عثر كثيرا ومات صحيح العقر والبصر وقد

عرف طوال حياته بالورع والتقوى وقضى قدرا كبيرا منها مرابطا بالمنستير (5) .

يتروا ابن حارث (وكان أبو عثمان هذا قد عمر قال لي سنة عشر وثلاث مائة أنا ابن خمر أو سبع

وتسعين وخرجت أنا من إفريقية وهو حي ولا أدرك سنة مات رحمه الله) (6) .

ترجمته بطيقات علماء إفريقية للمعني 166/5 . شجرة السور الزكية ص 82 .
- تراجم الطلبة ص 405 - 408 .

① دعوة الحق ج 3 . ص 21 - ص 33

② طبقات علماء إفريقية 166/5

③ - Deux Justes Keraouanis P. 127

④ طبقات علماء إفريقية 166/5

⑤ شجرة السور الزكية ص 82

⑥ طبقات علماء إفريقية 166/5

هو محمد أبو بكر بن السيد بن محمد بن وشاح مولى الأقرع (1) مولى موسى بن النخعي . وقد غلب عليه لقب ابن السيد فُتِرَ فيه دون غيره ولد سنة 250 هـ وتوفي يوم السبت الرابع عشر من صفر سنة 333 هـ . وهو ابن ثلاث وثمانين سنة (2) .

سمع من علماء تشرين مثل يحيى بن عمر الذي كان عليه اعتماده ومن أخيه محمد بن عمر وسعد بن يونس القطان وابن طالب القاضى وعبد الجبار بن خالد وحماد بن مروان وسعيد بن الحداد (3) . وتخرج على يديه علماء كثيرون منهم ابن الثبان وعبد الله بن أبي زيد الذي كان اعتماده عليه في الفقه والأخبار وغيرهم (4) . قال أبو النعرب التميمي (فيه) كان فتيها جليل القدر عالما باخترت أهل المدينة واجتماعهم مهيبا مثاقا دينيا ورعا زاهدا من الحفاظ المعدودين والفقهاء المبرزين (5) .

وقال فيه الدباج : (كان من أهل الحفظ والذكاء والغنى بحرا من بحور العلم وكان لا يسير له في علم القرآن قراءته وأعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه من نسخة في الفسحة وحفظ التريب واللغة ومشاركة

في علم الانساب وبصير بآسرة الرواة ومعرفة الضعفاء منهم والثقات وضربت إليه أجاد الأيل (6) . وكانت له تاليف كثيرة حتى قيل (شغله اسماء الكتب عن التكلم في الفقه وكانت مذاكرته تعسر لضيق في خلقه وإن أخرسيوخ وقته) (7) ومن تاليفه كتاب الطهارة ، وكتاب إنبات الحجة في إثبات العصمة وكتاب فضائل مالك ابن أنس وكتاب الآثار والفوائد في عشرة أجزاء وكتاب الحكاية في عشرة أجزاء أيضا (8) . وكتاب عصمة النبيين (9) .

وقد كان مناوئا للعبيديين ناكرا عليهم ضلالتهم ما تخلف قط عن خارج عليهم أو عن ناقد لهم ورغم ذلك فقد حاولوا استماتته إلا أنه لم يمل اليهم من ذلك أنه دخل عليه عبيد الله المهدي فقال له (يا محمد افتتلا ذبلعك في كم من العيال أنت ؟ قال : نفور لك في بيت المال ما يكفي من النفقة والكسوة وغيرهما فقال قبلت ولكن أترك ذلك في بيت المال حتى نحتل إليه) (10) . يعلق ابن ناجي عن هذه القصة بقوله : هذه سياسة حسنة ومحاولة برفق إذ هو خير من رده بلا محاولة محاولة (11) . ومما هو العبيديون استماتته عن طريق توليته القضاء فاعتذر وقال : صرت فوق حد لو كنت على القضاء لوجب التأخر السني

ترجمته بمعالم الأعيان 2/3 - 277 م الديباج ص 249 - 250 . طبقات علماء إفريقية الحسيني 2/32 - 232
ترتيب المدارك 3/304 . تفاهة قلوبهم وعلماء إفريقية لابن رستم الحسيني . تحقيق عزت الخطار ط 1411 مطبوع في بيروت
سنة 1372

① طبقات علماء إفريقية 2/377 ط 1 بيروت دار الكتاب اللبناني

② معالم الأعيان 3/26

③ الديباج ص 249

④ معالم الأعيان 3/24 . الديباج ص 249

⑤ الديباج ص 249 . الديباج ص 249 . وقد درس للمنهج أبو بكر بن رشيد بن الحسيني المستخرج للعبيدي
انظر منه المصادر

⑥ الديباج ص 22/3

⑦ معالم الأعيان 3/24 - الديباج ص 249

⑧ الديباج ص 249 - المعالم 3/22

⑨ الديباج 3/250

⑩ الديباج 3/225

فكيف ابتدأوا وقد كبر سني ودخلتني زمانه؟ فاعفاه (1) عبيد الله المهدي . وبقدرا تهرب من انزاعات العبيدين بقدر ما تقرب من المناوئين لهم والخارجين عنهم . من ذلك انه كان من المواظبين على حضور المجالس الاسبوعية التي كانت تعقد بمجسد السبت : ولقد كان يصل اليه وهو يخوض في الطين والنظر ولقد لقيه رحى ذات وهو يخوض في الطين متوجها اليه فسلم عليه وقال اصلح الله في هذا الطين ؟ يعمر علي يحيى بن عمر لورث فقال له ابو بكر ليرانا غلام ابن عمر قال الله تعالى (ولا يثبون موظنا يغيث الكفار ولا يثابون من عدونا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين) . وحضور هذا المسجد يغير بني عبيد . . . فكان جميع الشيعة يسيحون حضوره ويحضره من يحضره معهم من الصالحين والزهاد واهل الخير من يوم السبت الاثلاثة يحيى بن عمر في زمانه والفايبي وابو عمران في زمانهما (2) .

وأما سبب خوف بني عبيد من حضور العلماء لمش هذه المجالس انما يعود الى خوفهم من اجتماع الفئة النيرة في المجتمع الذي يحكمونه ما قد يمر بوجودهم كحاكين . ولهذا كان العلماء مراقبين من طرف السلطة الحاكمة بقول ابن الحارث الخشني (ودارت على ابن اللباد دائرة في حين تغريم الناس فحبس وضرب على يد أبو زيد الشاهدي) (3) . أما صاحب المعالم فقد قام بتوضيح سبب هذا التريب والسجن فقال (كان اصل محنته انه صلى على جنازة استودن لها وقد حضر ابن ابي منهار القاضي بجنازة أخرى كلم عليها وصلى ابو بكر وصلى وراه ابن ابي منهار ثم قدمت الجنازة الاخرى وصلى عليها ابن ابي منهار فجلس ابو بكر ومدرجليه واستدير القيلة ولم يصبر وراه فشق ذلك على ابن ابي منهار فبعث وراه ودار بينهما كلام في ذلك فامر بسجنه فجاء الغرم لياخذ بيده فانتهره وقال : دغ اشهدكم اني مسجون ومضى الى السجن فذهب محمد بن أخيه الى المهدي فاخبر بذلك اليعنلادي وكان يحبه فسعى له عند عبيد الله حتى أمره ان يكتب الى ابن ابي منهار باخراجه من السجن على ان لا يفتي ولا يجتمع اليه أحد ولا يفتي الا بذهب السلطان وكتب في رقعة داخل الكتاب ما هذا الذي فعلت؟ عمدت الى عمدة بلده فاحدثت فيه هذه الاحدوثة وهذا مما كرهه امير المؤمنين فلا تعد الى مثل هذا فلما وصل الكتاب اخبره وقال له هذا كتاب امير المؤمنين نجد فيه ان لا تفتي ولا يجتمع اليك أحد وان مرضت فلا تعاد فقال ابو بكر هذه مسألة لم تزل بعد وبقي ابو بكر لا يسمع الا خفية فاذا اجتمعوا فتحت لهم الخادم الباب فيدخلون وتغلق عليهم فيقرؤون وكان منهم ابو محمد بن أبي زيد وابو محمد بن التبان (4) . وقد وصف صاحب المعالم دخولهما خفية فقال : وربط جعل التيب في اوساطهما وحجزتهما حتى تبتل باعراقهما خوفا من بني عبيد ان يثالوهم بمكروه) (5) .

• التوبة 120

① معالم الاسمان 23/3

② 25-24/3

③ لمحيي العلماء الزيدية للخشني 232/6

④ معالم الاسمان 26/3

⑤ 25/3

ومن ابتدعه بيتي عبيد الله بزوجته سنيقة النسان حتى قال له طلبته ذات يوم خلقها ونحن نردى صداقتها فقال لهم انها حفنتها من احر والدها وذلك لانو خطبت الى جماعة من الناس فردوني وقالوا لانو صاحب حجره وتلم ثم خطبت الى ابو هذه فزوجني ابنته له عزوجن وكان يعمر معو حبيلا ويرفئني بط قدر عليه أفكون م مكافاتي له طلاق ابنته (1) وقير غير ذلك .

هذا الشيخ الاور لا ماما ابو محمد بن ابي زيد والذى كان عليه معوله فى الفقه يصاب بالقالح سنة 330 هـ فيقعده الفرائد ويحكى انه م ذات يوم رحليه ثم نشر اليهما وقد انتخبا فيكى وجرى دموعه على شبيهه ثم قال اللهم شتبه على جواز السراط يوم تزن الاقدام انت العالم بهما والشاهد عليهما انها ما مشيا لك فى معصية وبعد ثلاث سنوات من ملازمة فراس المرض يتوفاه ربه يوم السبت ابراح عشر من دفر سنة 333 هـ (2) . وقد اودى ان يعلى عليه محمد بن ابي الفتح النرجى ، وكان له م العسل ثلاث وثمانون سنة (3) ، ودفن ببات السلم . وقد رثاه تلميذه محمد بن ابي زيد بقصيدة منها (4) :

يا طول شوقي الى من غاب منظره
لهفى على ميت مات به سبيل
كم محنة طرقت فى اى لا م فلم
يذكره فى جوى الاحشا قد سكتا
قد كان احيا رسوم الدين والسنا
يحزن لذلك اذ فى ربه امتحنا

يا طول شوقي الى من غاب منظره
لهفى على ميت مات به سبيل
كم محنة طرقت فى اى لا م فلم

ومنها ايضا :

لنولاه مات به الاسلام واندفنا
والدين زينته والله شاهدنا
وفى النوازل ملجأنا ومقرعنا .

حتى استنار به الاسلام فى بلد
الفقه حلت والعلوم حلت به
اب لا صغرنا كهذا لا كبرنا

(4) أبو الفضل المُسَيَّبِي (333-944 هـ) :

-----*

هو أبو الفضل عباس بن عيسى بن محمد بن عيسى المسوسى نسبة الى قرية مس (5) . عالم من علماء القيروان المجاهدين الزهاد وشيخ من شيوخ الفقه بها . أخذ عن موسى القطان وجهه بن حمود واحمد بن سليمان وسن الحديث اثنا رحلة حجه سنة 317 هـ من علماء كثيرين منهم جعفر بن أحمد بن عبد السلام بمصر وابي بكر الحضرمي وابي عبيد الله بن الربيع الجيزي وابي الحسين بن المنتاب بمكة (6) . وكان ذا حافظه قوية اذ حفظ القرآن ابن ثمان سنين وموطأ مالك بن خمس عشرة سنة (7) له مولفات كثيرة منها : كتاب تحريم الخمر عارضه كتاب الطحاود وله كتاب فى أصول الاعمال

① معالم الايمان 25/3

② الدرباج ص 250 - معالم الايمان 26/3

③ معالم الايمان 26/3

④ 27/3

⑤ ضبطها فى م : يضم الميم الاولى دى (ق) سكون الثانية فتكون النسبة اليها مقسبي انظر التعليق - المعالم 7/3

⑥ الدرباج ص 217

⑦ معالم الايمان 27/3

✻ ترجمته بترتيب المدارك 333/182 معالم الايمان 27/3 - 30 - الدرباج ص 27 - منها زعماء ، (نسبة للمسيحي)

ومختصر كتاب الموازية (1) وصفه ابن فرحون بقوله : كان يتكلم في علم ماله كذا ما عاليا وفيهم علم الوثائق فهما جيدا ويناضون في الجدر وفي مذاهب أهل النضر على رسم المتكلمين والفقهاء مناظرة حسنة وإن لسانه مينا وقلمه بليغا مع حصافه العقر وذكاء الفهم وكان في المناظرة والفتنة انزل منه في علم اللزوم وكان من أهل المروءة والانقياد والصيانة لم يكن في طبيعته افقه منه ولا أصون وعنى بالنشر والخلاف والذلاجدابي فوفضائله (2) اما الدباغ فيقول فيه (جمع الفقه البسارغ والورخ الحاجز والسمت الحسن وحسن الاشارة والهدى والسكينة وحكى ان شبته كانت تشبه منية عمر بن عبد العزيز وبه كان ابو محمد بن أبو زيد يشبه في احواله (3) . وسمع منه ابو محمد بن أبي زيد وكان عليه وعلى ابن اللباد اعتماده في الفقه وسمع منه أيضا ابن الحارث وابو الحسن بن الخزاز وابو الأزهري منيث وآخرون (4) .

وبعد عودته من الحج سنة 318 هـ اجتنب مباحج الحياة واقبل على العبادة وهجادة الروافض العبيديين ولهذا كان كما قال ابن الحارث الخشني : والناس فيه فرقان فرقة تترأ منه وتشنعه وتمقت اخلاقه وفرقة تحبه وتواليه وتذبح عنه (5) . ولا استبعد ان يكون المناوئون له من الشيعة عصر خلافات بين الشيعة الحاكمة والسنة المحكومة حتى وصلت هذه الخلافات الى حد استعمار انبيد وذلك ايمان ثورة الخوان بقيادة صاحب الحمار فقد ورد : ان ابا الفضل من خن لقتال بني عبيد مع أهل القيروان لما كان يعتقد من كفرهم (قت) قال ابو بكر الطائي رأى ان الخروج مع ابي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرضا لان الخواص من أهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام . ويرثون ويورثون . وبني عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زان عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم (6) وقد استشهد في هذه الواقعة وذلك سنة 333 هـ بالوادي المالح قرب المهدية ولم توجد له جثة زه وقيل ان بعض اقاربه وجده في القتل وبه رمق فقال له : يا بني حزن وجهي الى المهدية لكز أموت وانا مولى ظهري الى هؤلاء القوم فلما مات هدم عليه جوف فاخفاه عنهم منهم وكانوا في غاية الطلب لرأسه (7) وبذلك حماه الله من شر العبيديين حيا وميتا . ويذكر ابنه محمد (كان ابي لا يدخل أحد مرحاضه سواء وفيه آيته وجميع ما يحتاج اليه وختاحه معه فيوم قتل سمعنا آنية اكسرت فيه ولها حيلة فقاتل الولادة أعطانا الله خيرها فاذا بها الساعة التي استشهد فيها رحمه الله (8) . وكان استشهاده يوم الاثنين لثمان يقين من رجب سنة 333 هـ (9) وقد رشاه تلميذه

① الديباج ص 217

② " " " "

③ معالم الايمان 27/3

④ معالم الايمان 27/3 - الديباج ص 217

⑤ طبقات علماء افریقیة المحسنين 179/5

⑥ معالم الايمان 29/3

⑦ " " " "

⑧ الديباج ص 217

⑨ معالم الايمان 30/3

489
ابو محمد عبد الله بن ابي زيد بعثية جدا مؤثرة منها (1) .

وبذلت نفسك مخلصا ومريدا	يا ناصر الدين تمت مسارعا
وبعت بيعا رابحا محمودا	وذبيت عن دين الاله مجاهدا
لله عند لقاء العدو وكنودا	وعهدى به بين الاسنة لم يكن
له حورا بها وخلصودا	حتى يخيره الجليل لداره وانا
قمرية او فردت تغريدا	فعليك ابك يا ابن عيسى ما بكت
ينعيك وقد تعدت شهيدا	يا لوعة ظرفت فؤادى اذا اتى ناع
سعدت في المعجى ومث شهيدا	كانت حياتك طاعة وعبادة
وعلت مناقبة فعاش سعيدا	لله من شهدت له احواله
وعسدة وعد يددا	يا قرة للناظرين وعصمة للمسلمين
وفعالة لالمت فيك حمودا	يا ايها المحسود في اخلاقه

(1) رياض النفوس نظير مصور من نسخة باريس عدد 20386 المكتبة الوطنية

هو محمد بن احمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي وكان جده ابو جهم تميم بن تمام من امراء افريقية وكان ابو احمد من سبعة ابناء سليمان بن عمران وبكر بن حماد (1) وذلك نزل ابا العرب من عائلة امارة علم ولذلك قيل غريبا ان يقتدى الولد بالوالد وقد حدثنا هو نفسه عن بداية دراسته فقال (اتيت يوما وانا حدث الى دار محمد بن يحيى بن همام رأيت عنده الدابة ورأيت امرا اعجبني وركنت انيه نفسي فعاودت الموضع وكنت آتي اليه وانظر طورا الى راعي ونعلي احمر في رجلي في زى ابنا المصلاطين وكان الطلبة ينقبون من اجل ذلك الزى فقال لي رجل - يوما بجواري - لا تنزى بهذا الزى فليس هو زى طلبة العلم واهله ، وزهدني فرجعت الى امي فقلت لنس الرداء وثيابا تكل كبا راهل العلم والتجار فابت علمسى وقالت : انما تكون مثل اباك واعماله ، فالتفت حتى اشتريت ثيابا عدد صباغ في باب ابي الربيع فكنت اذا اتيت من النضر القديم اتيت بذلك الزى الذي تحب امي والدي فاذا وصلت الى باب ابي الربيع ودخلت حانوت الصباغ خلعتما وليست الثياب الاخرى فكنت كلما ترددت فعلت ذلك ثم قال لي رجل من اصحابي يا رايك تأتي هذا المجلس فتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئا مما تسمع يكون عندك ما هذا حقيقة طالب العلم فقلت له والدي راغب عن هذا وعن المعونة عليه وما مكنتي من شيء اشتري به الرق فقال لي انا اعطيك جلدا تكتب لنفسك وتكتب لي جلدا عوضا منه فرضيت له بذلك فكنت اكتب لنفسي ما شئت واكتب له في جلوده ما يحب حتى يسر الله عز وجل ما اشتريت به الرق وما عوتيت به على طلب العلم) (2)

هكذا بدأ هذا الشيخ الجليل حياته التعليمية الجادة اذ لم يكن يبلغه خبر عن شيخ من الشيخين حتى يذهب اليهم وينضم الى حلقة حتى بلغ عدد تلميذه مائة وعشرين وثلاثين (3) من ابرزهم عيسى بن مسكين ويحيى بن عمرو ابن طالب القاضي وسعيد بن الحداد وحميد بن القادان ~~وغيرهم~~

* ترجم له : الديلم ص 250 - 251 معالم الايمان ج 3 ص 36-33 طبقات علماء افريقية للبخاري ج 5 ص 173

(1) معالم الايمان ج 3 ص 36-37

(2) 37-33

(3) الديلم ص 250 اما صاحب المعالم ج 3 ص 36 فيذكر عددهم هو 125 شيخا

وغيرهم (1) . وأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم عبد الله بن أبي زيد وأبو الحسن بن زياد والخراط وأما لا يحصى (2) .

قال فيه ابن فرحون (3) : كان رجلاً صالحاً ثقة عالماً بالسنن والرجال من أبصر أهل وقته بها كبراً نسب حسن التقيد كريم النذر والخلد كتب بخطه كثيراً في الحديث والفقه (3) . وقال الدباج (4) : كان فقيهاً صالحاً متواضعاً كثيراً الآثار من عسرة ثياباً صحيح التقيد ضابط الرواية كثير التاليف والمناقب ، وكان غيره كان أبو العرب إمام عصره وواحد دهره دأب في طلب العلم وبر في براعة فاق فيها من تقدمه من رجال إفريقية (4) . وقيل هؤلاء كان ابن الحارث تغلب عليه الرواية والجمع (5) . وهو بالإضافة إلى ذلك فقد كان شاعراً عالماً بالعربية وبيانها من ذلك قوله (6) :

إذا ولو الصديق بغير عذر فرد الله خنته انقطاعاً
إلى يوم التناوب لا رجوع فإن رام الرجوع فلا استطاعاً
إذا ولو أخوت ققاء عنك قول ققاء عنه وزده باعاً
وناد وراة يارب تميم ولا تجعل لفرقة اجتماعاً

ومن شعره أيضاً (7) :

ضعفت حيلتي وقل اصحابي وإلى الله اشكو كل ما بي
وهن العظم بعد ما كان صلباً وفقدت الشباب أي شبابي .

ويعتبر أبو العرب من رافعي لواء التاليف في التاريخ بإفريقية حتى ذكر أنه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب وخمسة . والتي منها طبقات علماء إفريقية (8) . وكتاب عباد إفريقية وسند حديث مالك وكتاب التاريخ سبعة أجزاء وكتاب مناقب بني تميم وجزئين في موت العلماء وكتاب المحسن وكتاب فضائل مالك وكتاب فضائل سحنون وكتاب الوضوء والطهارة وكتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر وكتاب عوالمو حديثه وكتاب في الصلاة وغير ذلك (9) .

① الديباج ص 250 - طبقات علماء إفريقية 173/5

② معالم الأيمان 36/3

③ الديباج ص 250

④ معالم الأيمان 36/3

⑤ طبقات علماء إفريقية للحفصيني 173/5

⑥ ترتيب المدارك 336/1 - الديباج ص 251

⑦ الديباج ص 251

⑧ مطبوع مع غيره ط دار الكتاب اللبناني بدون تاريخ - كما حققته د. علوشاني والياقي ط تونس 1968

⑨ الديباج ص 250 - معالم الأيمان 36/3-37

وقد شارف أبو العرب في ثورة الفقهاء حيث خزن من جملة من خزن منهم (1) وفي اثنا هذه أخرجه اسمع
الناس كتاب الإمامة لمحمد بن سحنون وكان يقول: والله لسمع هذين الكتابين عليّ هنا أفسس من كسر
ما كتب (2) لكثرة من سمعها منه من العلماء والعامة من الثائرين على بني عبيد. وقد امتحن من
الشيعة حسبه وقيدته مع ابنه مدة بسبب بني الأغلب (3). واستمر أبو العرب يجاهد باللسان والتمس
وبالسيف أحيانا الموت فوافاه خالقه في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ووصل عليه اسحق بن أبو
الوليد ودفن بباب السلم (4).

(6) الغرابي السوسي

(333 هـ)

هو موسى بن أحمد الغرابي السوسي (5) سمع من أبو الغنم نفيس
الغرابي السوسي (214-309 هـ) (6) ويحيى بن عمرو ومحمد بن بسطام وعيسو (7).
كان رجلا صالحا فقيها ثقة ذا ورع وسكينة حفر اللوف طويز اللحية توفى بسوسة سنة ثلاث وثلاثين
وثلاثمائة وقيل 336 هـ.

(7) ربيع القطان

(334 هـ / 946):

هو أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله ينتسبون إلى قريش من سنة 324 هـ
فأخذ عن أبي الحسن الديوري بمصر وعن أبي يعقوب الجوهري وأبي سعيد بن الأعرابي وأبو علي بن
الكتابيكة. وعن أبي بكر بن اللباد وأبي العرب بالقيروان، وكانت له حلقة بالمسجد الجامع بالقيروان
يحضرها عدد كبير من الطلبة منهم أحمد بن نصر وأبو محمد بن أبي زيد وأبو القاسم بن شبلون وكان
ذلك أيام امتلاك أبو يزيد الخارجي للقيروان (3). ويذكر ابن حارث الخشني أن ربيع بن سليمان القطان
صاحب فوثن مجلد ومساعد في كل علم غلب وديوان درس حتى سنة 324 هـ. وأُنفرد عن كل ما كان
عليه وذهب إلى العلم الباطن وألوا من ذلك الفن وصار داعية إليه فتبلى وتب إليه أنه نفع الله به
خلقا كثيرا ويكتفى إلى الاندلس كثيرا يدعون إلى الهدى من الدنيا والتخلي عنها والإجابة لله في كل
مادعا إليه من الزهادة في الدنيا (9).

[1] معالم الأيمان 37/3

[2] " " "

[3] الديباج ص 250 - 251

[4] معالم الأيمان 38/3

[5] ترجم له عياض في ترتيب المدارك 358/3. ويذكر كروندادك 493/4 أيضا أن من شيوخ ابن أبي زيد: عثمان بن سعيد الغزالي
ونقله عنه أيضا الديباج ص 137. وصاحب للعالم 409/3. ويابن عثمة وعبد شمعون من شيوخ سوسة كملان نفس اللقب الغزالي
ما أبو الحسن نفيس الغرابي (314-309 هـ) ذكره ابن أحمد الغرابي [333 هـ] وهو تبعه الدول والذي يمكن أن يكون شيخ
أبي زيد. يبقى الاختلاف في الاسم يمكن إرجاعه إلى التكييف إذ ليس الغرابي بالشيخ السوسي الوهيد لابن أبي زيد.

[6] تراجم أغلبية ص 386 - 390 ترجم عنه 143

[7] ترتيب المدارك 358/3

✱ ترجمته في ترتيب المدارك 323/3 - 332. معالم الأيمان 30/3 - 36. طبقات علماء إفريقية 179/5

[8] معالم الأيمان 30/3

[9] طبقات علماء إفريقية 179/5

يقول ابن ناجي وكان يؤلف الخطب والرسائل ويقول الشعرونان لسان افريقية في وقته في الزهد والرفائق (1) . وكان قد جعل على نفسه عهدا ان لا يشبع من طعام او نوم حتى تنتهي دولة بني عبيد . قال ابو بكر المالكي وعوتب ربيع في خروجه مع ابي يزيد الى حرب بني عبيد : فقال : وكيف لا افعل وقد سمعت الكفرياذني ؟ فمن ذلك اني حضرت اشهادا . وان فيه جيا كثير من اهل سنة ومشاركة . وكان بالحرب مني ابو قضاة الداعي فاتي رجن مشرقى من اهل المشرق ومن اعظم المشاركة فقام اليه رجن مشرقى وقال له الى هاهنا ياسيدي الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ابا قضاة الداعي ويشير بيده اليه - فما انكر احد شيئا من ذلك فكيف ينبغي ان اترب النيام عليهم (2) . ولذلك كان ربيع هو الذي خرج لانتداب الناس للخروج على بني عبيد وكان لربيع ثلاثة بنين واحد وحده ولكن من ابي الفضل المسمى وهشروان العابد . بندان اثنان وواحد لابراهيم بن الحبشا واجتنب الناس للصلاة بامامة احمد بن ابي الوليد الامام الخطيب البليغ والذي اشار اليه ابو الفضل المسمى ، وخرجوا يوم السبت الى المهدي حيث وقعت المعركة بالترب منها بمئان^{بمئان} بالوادي الطالع . وفي هذه المعركة يثار ربيع وصحبة الشهادة **الا** ان اهل التاريخ يختلفون في تاريخ استشهادهم فمن قائل انه استشهد في شهر صفر سنة 334^{هـ} ومن قائل انه استشهد في رجب سنة 333^{هـ} غير قير انه استشهد هو وابو الفضل المسمى في يوم واحد ولما استشهد قطعوا راسه واتوا به الى الحاكم العلوي في طست فلما كشف عنه فتح الرأي عينييه وفمه فقال : بعدوه عني ويتار ان يومه استشهد خمسة وثمانون عالما من علم النيران (3) .

ومما يروى عنه انه كان مفضلًا في الحديث والتفسير الا انه بعد حجه قال الخشني لشد طريقه التصوف من ذلك انه كان ذات يوم ممسكًا بالعدوة فقال لقد ابعثني هذه كيرا عن الله . لكن هذا لم يمنعه من مواصلة عمله التجاري المتش في بيع القطن في دكانه . ولذلك فالتصوف عنده لا يقعد الانسان عن ممارسة اعماله الدنيوية .

[1] معالم الايمان 30/3

[2] " " 32/3

[3] " " 34/3

هو محمد بن الفتح المرجو المؤدب (1) قال العواني المعروف بالصواف والمكنى بابن بكر . وقال المالكي هو ابو عبد الله محمد بن الفتح سمع من يحيى بن عمرو واحد بن يزيد ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وأخذ عنه ابو بكر بن الطباد وابن زياد وابو محمد بن أبو زيد وغيرهم . كان ثقة اماما عالما عابدا ولادى على ذلك من صلاة عيسى بن مسكين ورائه . وكان من جملة الانفة الذين خرجوا على بني عبيد الا انه لم يشارف في انتفاضتهم المسلحة لضعفه وكبر سنه وكان يفرج الو مقبرة سلم فيستريح بها حيث يحضر ليدرس لطلابه وذلك يوم ان منع بنو عبيد السلام من التدريس والافتاء واستمر فعذه حائلا الى ان توفاه ربه سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة . وقبر بر توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ودفن بباب سلم .

(9) أبو ميسرة بن نزار (337 هـ) :

هو ابو ميسرة احمد بن نزار سمع من احمد بن أبي سليمان وثقات بن محمد وحديث القطان وابو الغصن السوسي وغيرهم ، وأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم ابن ابي زيد وحسن الخراط واللبیدی وابن الحارث ، وعرف بتبحره في الفقه وبعلمه بالاهل الا هو ، والنحر من عقيدة راسخة من ذلك انه ان ذات ليلة مستغرقا في تهنجده وقد اتى على صلاته واذا بنور عظيم قد خرج له من حائط البيت انه محراب ثم قال له تلامن وجهي يا ابا ميسرة فانار يا الاعلى فبصق في وجهه وقال اذهب يا ملعون فعليت لعنة الله فطقو ذلك النور من ساعته كسر اب بقية واذا به ابليس اراد ان يفتنه فنجاه الله منه (2) . ان اشتهاره بالروح والفقه جعل انظار السلطة تتجه اليه في توليته امر القضاة الا انه رفض ذلك قائلا : كيف يلي القضاء رجل اعوى يبول تحته ؟ فقال له الحاكم منذ كم عمت اصلحت الله ؟ فقال منذ ثمان عشرة سنة ؟ (3) . ثم قال : اللهم انت تعلم اني انقطعت اليك وانا ابن ثمان عشرة سنة فلا تمكنهم مني . فلما جاء العصر الا وهو مناهي الآخرة وكان ذلك يوم السبت منتصف ربيع الآخر سنة 337 هـ حيث دفن بباب لسلم (4) .

① معالم الايمان 38/3 - 39

② معالم الايمان 42/3 . لما هناك نوادر افرى ذكرتها المعالم بترجمته [3/ 44-44] تركتها اقتنايا للإزالة

③ معالم الايمان 43/3

④ 44/3 " "

هو أبو القاسم (1) وقيل أبو نصر حبيب بن الربيع مولى أحمد بن سليمان
الفتية (291 هـ) الذي كان من أبرز تلاميذ الأمام سحنون . سمع حبيب من موله أحمد ، ومن يحيى
ابن عمر وأخيه محمد والمغامي وحمار وابن الحداد وابن بسطام ، وأبي عياض وغيرهم (2) وأخذ
عنه ابن أبي زيد وابن إدريس وعلي بن اسحاق وغيرهم (3) .

قال فيه موله أحمد (4) الذي خسرت في ابني ربحته في حبيب (4) وكان حبيب يقول : قال لي
مولاي أحمد (خلق بخلق في الدينار والدرهم - تسعة يده - قال حبيب فخلقت بخلقه فوالى
شيء في الدينار والدرهم) (5) . وذكر أبو علي البصري في كتاب المعرب من أخبار المغرب أن
حبيب هذا فتيها وهو الذي عناه موله أحمد رحمه الله في شعره (6) :

سمع يا حبيبي هديت قولسي تنبل بسطاعه خيرا كثيرا
سمعتك تذكر الشعرا طرا وتشدد شعرهم جهعا كثيرا
وليس مؤلف قولا حلينا كآخر قائلا فكا وزورا .

يقول عياض : وكان حبيب هذا أيضا شاعرا . وهو القائل (7) :

إن الزمان وإن أتى بصروفه فأناله من أعظمى رجاله
ما أن تغير حاله من حاله إلا سمع همي على أحواله
ولقد أتيت وما لصاحب نعمة من ماله قبلي ولا أفضاله
وأصدق ما يذل امرؤ من وجهه لصديقه أو غيره لسؤاله
إن الصديق وإن تغير حاله لم يجد ذات العمر من أفعاله
وصفحت عنه حافظا لمحبيتي ووصلت حبلان نأى بحاله .

قال عياض (8) : ووقفت على جزء من مسائله ما ساله عنه موله وابن الحداد وعبد الرحمن بن الورقة
وابن بطريق (9) . قال ابن فرحون (10) : كان فقيها عالما يمين إلى الحجة عالما بكتبه حسن الأخلاق بـ
بارا سحا (9) . وقد أفتى فيمن دفن فأكله السبع أن تكفنه لورثته وقال غيره لا يورثنن لا وارت له (10)
قال عياض توفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (11) . وقال ابن فرحون وهو ابن ثمانين سنة وهو
معدود من الطبقة الخامسة من أهل إفريقية (12) .

ترجمته بترتيب المدارك 343/3 - 344 . الربيع ص 106

① عبارة المدارك : كناه أبو الوليد الياسي بابي القاسم وغيره يابني نصر ، ترتيب المدارك 343/3

② الربيع ص 106 - ترتيب المدارك 343/3

③ " " " " " "

④ ترتيب المدارك 343/3

⑤ " " 344/3

⑥ " " 344/3

⑦ " " " "

⑧ " " " "

⑨ الربيع ص 106

⑩ ترتيب المدارك 344/3 - الربيع ص 106

⑪ " " " "

هو أيضا مولود من مواليد احمد بن سليمان الفقيه (171 هـ) سمى من مولاه ويحيى بن عمرو وغيرهما (1) . وعنى بالمسائر والمناصرة فيها . وكان منقشبا (2) .

(11) حسن بن نصر (270 هـ / 341 هـ) :

هو ابو علي الحسن بن نصر السوسي كان مولود امرأة من أهل قسطنطينية ومنها أصله (3) . ثم ارتحل الى سوسة . وسمع من شيوخ الطريقة القيروانية الثمناهي ويحيى بن عمرو والشيخ نصر و احمد بن يزيد وعبد الرحمن الورقة وابي الحسن وغيرهم . وبعد ان اشبه تعلمه بالثريثة عزم على الارتحال الى مصر لئلاخذ عن محمد بن عبد الحكم الا انه بلغته وفاته فاغتم لذلك غدا شديدا حين قار ما اغتمت لشيء مشغوا لذلك (4) . وأخذ عنه عمر بن محمد وابن ابو يزيد (5) وابن سهلون وغيرهم من أهل القيروان (6) .
وقد تولى ابن نصر السوسي خطة محتسب بسوسة وذلك ايام زيادة الله الاغلبى عند ما كان حمار قاضيا على القيروان (7) . ويذكر عياد ذلك فيقول (كان قد ولى احكام سوسة لحمار بن مروان ايام زيادة الله وعرف عليه بنوعيد قضاءها ورجع الى القيروان فامتنع ولم يلبث يسيرا حتى مات) (8) .
وما يذكر انه لم يتقدم اجرا ولا صلة لما كان حاكما لحماره وقد التزم العدل في احكامه واجتنابه الشبهات في سلوكه . ان ورد انه نهرا حدهم عند ما اهدى لابنته الصغيرة مزهريه لتلعب بها حيث مزقها وزجره (9) . بد امر يبي قمحه لما ارتفع ثمنه بسوسة حتى يشارك مجتمعه ازمة الغلاء التي يمر بها (10) .
(وكان لا يضمن صاحب الحمام بسوسة ما تلف عنده والزامة الشمن على مشهور النفر فكثر مشكوهه فحكم عليه بالذمان لما حدث به يحيى بن عمر عن الحارث بن وهب عن مالك في تضمين صاحب الحمام قال فما اشتكى اليه احد بعد . وكتب اليه حمار في امر نظرفيه الحسن بن نصر ان يلتزم فيه الفرق والتوبة والمداواة فكتب اليه الحسن . بالتشديد في اقامته وكان عنوان الكتاب : من الحاكم ابن نصر : فلما رأى حمار الكتاب رمى به وقال من الحاكم ؟ وكان عز عليه ذلك وكان حمار لا يكتب من القاضي الا في الاحكام ثم نظرفى الكتاب ورأى فيه من صرامته في الحق ما اعجبه وكان فيه من القاضى في القاضى ما اعجبه . قد انفذت الحق كما يجب وما كان لله فز مرا فيه فسكن عنه ما كان به ثم قال : نعم يا ابا علي من الحاكم وان شئت اكتب من القاضي فان اهل لذلك (11) .

١- ترجع له عياض بترتيب المدارك 344/3

① ترتيب المدارك 344/3

② " " " "

③ ترجمته بترتيب المدارك 363/3-367

④ ترتيب المدارك 363/3

⑤ " " " "

⑥ OEUROPEANISTE Kairouanais P 130

⑦ ترتيب المدارك 363/3

⑧ 365/3

⑨ " " " "

⑩ 366/3

⑪ 364/3

⑫ 366/3

وكان يعدله في أحكامه معابدا حتى روى ابنه قال : قال لي أبي ليلة من الليالي في مرضه الذي توفي فيه : وابني اربط لي حبل في السقف لعلني اقتدر اعلو قائما ففعلت . وحملناه حتر وقد غلب ولم يستطع القيام فبكى وقال واحزنه حين يبكي وبين طاعة ربي فذكرت له الصلاة جالسا فثار ايا بني العمر قصير والعمل قليل و انما اردت ان اعلم انكم ما عطلت (1) .

لهذا العبادة الصادقة وهذا العذر الذي لا تأخذه في الله لومة لائم . استحق ثناء علما عصره من ذلك ان ابا الفضل المصنوع كان يحمله كثيرا (2) حيث ورد ان المصنوع يشرب قدر انحس بن نصر بسوسه وحمود بن سهلون بالساحل وحمود بقبابر (3) . قال في الخرافة : كان شيخا صالحا فاضلا ثقة ورعا زاهدا فتمسعا عدلا في أحكامه صادقا في الحديث لا يهاب سلطانا مشهورا فجهل . بالعلم صحيح الشبه وثان من ذلك تشيرا الاجتهاد في العبادة على قيام الليل وقيام النهار وثلاثة كتاب الله تعالى تشيرا الخشوع والتواضع (4) . ولما طاب به المرض قال لزوجه : قد توليت مني خيرا فاصبري فما اشد أن أجلس قد اقترب فانو سمعت هاتفا من هذا الطابق يقول احسن غدا صلاة الشهر يفن عن فمات في ذلك الوقت (5) وثان ذلك في منسنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وقد جاوز السبعين (6) .

(12) سحنون بن أحمد (343 هـ) :

- هو سحنون بن أحمد التنوخي من أهل قسطنطينية حاضرة بلاد الجريد قديما . واحد علمائها الاكفان (7) .
 سمع من ابيه أحمد التنوخي وغيره من علماء افريقية (3) . واخذ عنه ابو محمد عبد الله بن أبي زييد وابو محمد بن هاشم القاضي (563 هـ) وغيرهما من طلبة القيروان (3) . وكان ابو الفضل المصنوع الشهيد (563 هـ) يكرمه العلم والصالح ان كان يقول (انما هو نواحي افريقية اربعة رجال احدهم سحنون هذا بقسطنطينية وذكر من فضله وورعه) (10) . أما ابو بكر المالكي فكان يقول (كان شيخا صالحا فاضلا فقيها ورعا مشهورا وثان صعبا في الاجازة) (11) .
 توفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة (12) .

- ① ترتيب المدارك 367/3
- ② Deux Juristes Kairouan p 130
- ③ ترتيب المدارك 360/3
- ④ 364-363/3
- ⑤ 367/3
- ⑥ 367/3
- ⑦ ترتيبه بترتيب المدارك 375/3
- ⑧ ترتيب المدارك 375/3
- ⑨
- ⑩
- ⑪
- ⑫

هو أبو بكر محمد بن سعدون التميمي امام الجامع بالقيروان أخذ عن
 شيوخ عصره مثل جبله بن حمود وغيره وأثناء حجه الديني تكرر عدة مرات لقي ابن عبد السلام البزار
 وغيره . وسمع منه تلمذة القيروان منهم أبو محمد بن أبي زيد وغيره .

وقد قضا عمره كله بين التدريس والمرايطة حيث كان يعطي ثلاثة أشهر من كل سنة يقسمها بين
 البعد كما كان يحضر لقاءات العلماء الأسبوعية بمسجد السبب . قال أبو الحسن الزعفراني حضرت
 مسجد السبت ومعنا فيه أبو بكر بن اللباد الفتيه وأبو بكر بن سعدون الإمام فقال بئذ القولة :

لا يشنك عن حبيب شاغل
 فإذا فعلت فان حبت بأطر .

فتحرب محمد بن أبي سهل الصوفي وكان خيرا واستغرقه الحال فما بقي أحد بالمسجد إلا يسو
 لعدته فو حركته ونظرت إلى أبو بكر بن اللباد وإن دموعه لتحد رجلي لحيته وإلى ابن سعدون
 وقد علا نحيبه (1) .

قال فيه الديلم **رَأَى زَيْدًا** وكان فقيها صالحا عابدا ذاهج ورباط وسياحة كريم الأخلاق
 له مروءة وتواضع طلب العلم وجود القراءات وكتب الحديث ونقي الثامر بالشرق والمغرب (2) .
 وما يذكر أن والده سعدون كان رجلا صالحا غزا سردانية حيث استشهد هنالك .

واستمر أبو بكر بن سعدون في حياته مجاهدا بالقلم واللسان مرايطة **عَلَى مَرَايِطِ الْمُسْلِمِينَ** السوان
 توفاه ربه سنة 344 هـ وقيل سنة 345 هـ وهو ابن ست وسبعين سنة حيث دفن بباب سلم (3) .

ترجمته بمعالم الإيمان 52/3 - 54

معالم الإيمان 3/3

" " " "

" " " "

هو أبو عبد الله حمد بن سرور العسال الفقيه العابد شيخ من يحيى بن عمر
 وأحمد بن معتب وعبد الجبار بن خالد ومن أخيه عمر العسال .
 ثم ارتحل إلى المشرق لطلب العلم فلقى علي بن عبد العزيز المديني وغيره (1) . وأخذ عنه
 تلاميذ كثيرون منهم ابن أبي زيد وأبو الحسن القابسي وغيرهما وقد أخذ عنه ابن أبي زيد شافهية
 كتب عبد الله بن عبد الحكم (214 هـ) (2) .
 وكان صالحا متعبدا صبوراً عليّ المحسن منها لما ابتلي بموت ابنه أبي حفص عمر (343 هـ) لم يزد علي
 قوله (رحمك الله يا ولدي فلقد كنت صواماً قواماً حافظاً لكتاب الله ولقد طمعت أن أكون في صحيفتك
 فالحمد لله الذي كنت في صحيفتي ثم أقبل علي القراءة) (3) . ولم يكن هذا الصبر وهذه العبادة
 بمقتضاه عليه وحده بل كان كل أفراد أسرته مثله من ذلك ما رواه أبو الحسن القابسي : (باغ الشيخ
 خادماً أعجمية فهربت من دار مشتريها اليه وقالت بعثني من قوم لا يعلون بالليل وأغثهم يهودا) (4) .
 وتوفي أبو عبد الله ليلة السبت لثلاث بقين من ذي القعدة سنة 346 هـ وهو ابن ست وتسعين سنة
 وصرى عليه عبد الله بن هاشم ودفن بباب الربيع (5) .

☀ ترحمته بعمام الإيمان 59/3 - 60.

① محام الإيمان 59/3

② DEU d'usur Kaerouma P 131

③ محام الإيمان 52/3

④ 59/3 " "

⑤ 60/3 " "

هو أبو محمد عهد الله بن قاسم (1) بن مسرور التجيبي المعروف بابن الحجام مولو بني عبدة التجيبيين • الذي شغله طلب العلم ثم نشره عن الزواج وثنوین أسرة سمع من محمد بن سحنون (256 هـ) وعيسى بن مسكين ومحمد بن أبي سليمان ومحمد بن بسطام وسعيد بن اسحاق وثرث بن محمد ومحمد بن القطان والمغامي وغيرهم (2) •

ثم ارتحل إلى الشرق فلقى بمصر وغيرها جماعة منهم : إبراهيم بن جبير وابن الأعرابي وابن أبي منير وحسب المعالم فإنه أخذ عنه جماعة من أهل الأندلس وإفريقية وطرابلس والاسكندرية وحرر منهم أبو محمد بن أبي زيد وأبو الحسن النابلسي ومحمد بن إدريس وأبو عبد الله الصدفي (3) . وبالإضافة إلى اشتهاؤه بالتدريس فقد وضع مؤلفات كثيرة بين وزنها تسعة قناطير قال أبو الحسن النابلسي ترك أبو محمد هذا تسعة قناطير كتب كلها بخط يده الإكبابين فكان لا يحتمل أن يراها لأجر أنها ليسا بخطه (4) والظاهر من هذه الرواية أنه كان يعمل إلى نسخ كتب العلماء التي تشر إلى يده . مما هو من شأنه من شوقه إلى مكتبة عظيمة لأثرية . بدليل أن صاحب المعالم يذكر : أنه اقتنى كتباً كثيرة من جميع العلوم وزنها سبع قناطير كتبها بخط يده حاشا كتابين (5) . أما مؤلفاته فقد ذكر أنها أيضاً كانت كثيرة فسمى شتى العلوم منها كتاب المواقيت ومعرفة النجوم والازمان ، ويقول صاحب المعالم في هذا الموضوع (5) (وله تأليف في أنواع العلوم) (7) .

هذه المسكة العظيمة كانت مهددة باستيلاء العبيدين عليه لان ابن الحجام لم يكن له وارث لعدم زواجه فاشاروا عليه بتوزيعها اثلا ثا على تلامذته وفعلوا اعطى ثلثها الى ابي محمد بن ابي زيد والثلثين الباقيين الى غيره . ثم لما أصبح قار ما تمت البارحة لما فقدت كتبى ردوها علي فردوا عليه الثلثين ولم يبق الا ما اخذه منه ابن ابي زيد واخذ الامير الثلثين اللذين كانا عنده حين موته (٥) .

✻ - تَرْجُمَتُهُ بِعَالَمِ الْإِيمَانِ 57/3 - 59 - الدِّيْبِاجِ م 135 - 136 - دَعْوَةُ الْفَقَاعِ 3 بَرَأةً م 53

- (١) معالم الايمان ٥٦/٣ : دعوا ابو محمد عبيد الله بن قاسم . الديباج ص ١٣٥ ؛ دعوا ابو محمد عبيد الله بن هاشم . اوضح كنه لك بحقيق ما حور حول اسم والده ولقبه ببعالم الايمان ٥٦/٣
- (٢) معالم الايمان ٥٦/٣ - الديباج ص ١٣٥
- (٣) " " " " " " ص ١٣٦
- (٤) الديباج ص ١٣٥
- (٥) معالم الايمان ٥٨/٣
- (٦) الديباج ص ١٣٥
- (٧) معالم الايمان ٥٨/٣
- (٨) " " " " " "

وروى ان بعض اخوانه اشترى له جارية وادخلوها عليه فلما كان في الليل اخذ في الكعب فكتب الليل كله ولم يلتفت اليها ثم كذا نحو من شهر فلما طال ذلك عليها قالت له [ان كنت لاتصل الي ولين لك في غرض فبعني فقال : من انت قالت جاريته فلانة فقال لها انا ما اشتريت جارية ولكن اخرا لي الذين اشترى بييعونك ففعلت] (1) . وقيل أيضا انه لم يتزوج ولم يتسرح حتى مات (2) .

قال فيه ابن فرحون : وغلب عليه الجمع والرواية يقال اكثر لسماعه من ابن مسكين اجازة كان شيخا عالما ورعا سقا خاشعا رقيق القلب غزير الدمعة مهيبا في نفسه لا يكاد أحد ينطق في مجلسه بخير الصواب يشبه في اموره يحيى بن عمر وحميد بن القطان حسن التقييد صحيح الكتاب وكانت كتبه كلها بخطه كان كثير النيف في انواع العلوم وكثير الكتب (3) .

وحدث ان غضب على بعض تلاميذه فأخذ سجلا وكتب فيه : يشهد من يتسمى في هذا الكتاب ان عبد الله ابن مسرور اشهدهم ان فلانا وفلانا كانوا ياخذون عني شيئا من العلم وسألوني ان اجيز لهم كذا ففعلت فاشهدوا علي اني رجعت فيما روي اعني وعن اجازتي لهم كذا لما ظهر فيهم من سوء حالهم وكذا وكذا (4) . وتوفي ليلة الجمعة لاربع بقين من ذي الحجة سنة ست واربعين وثلاثمائة (5) سنة سبع وثمانون سنة ومولده سنة 273هـ (6) والاصح ان يقول ومولده سنة 259هـ حتى يكون قد توفي على سن تقدر به 87 سنة وهذا ما اعتمدته في تعيين سنة ولادته . وكان سبب موته انه اصطفى فنعمس فالتهب النار في ثيابه فاحترق الاموضع سجوده (7) . وقد دفن بباب سلم بالقيروان (8) .

① معالم الايمان 57/3

②

③ الديباج ص : 135

④ معالم الايمان 58/3

⑤ 59/3

⑥ الديباج ص 136

⑦

⑧ معالم الايمان 59/3

هو أبو الحسن حسن بن محمد بن حسن الخولاني الكاشي من الطبقة

الخامسة من أهل إفريقية ومن رابط (1) بالمستير كان عالما زاهدا سمع من عيسى بن مسكين وكان عليه معوله . ويحيى بن عمرو أحمد ابن زيد وأبو اسحاق بن شعبان (2) .

وأخذ عنه أبو محمد بن أبي زيد وأبو القاسم بن شبلون وأبو الحسن الفلبسي وغيرهم كثيرون (3) . وكان بالإضافة إلى تبحره في العلوم الشرعية كان يحسن العربية والنحو واللغة وشعر العرب (4) . قال فيه تلميذه أبو الحسن الفلبسي (ما رأيت أخيراً من أبي الحسن وكان إذا أعجبه شيء من صاحبه قال والله لا شكر لك في نفسك فيقال له بماذا فيقول بحسن الثناء عليك فقل له فإين الحديث في ذلك احتوا التراب في وجوه المداحين فيقول قال ابن عباس رضي الله عنهما انما إذا مدح الرجل في وجهه بالخير فيه والأفواج مدح الرجل في وجهه بما يجري من حسن أفعاله) (5) .

ووصفه ابن فرحون بقوله (رجل صالح فاضل فقيه مشهور بالعلم ومتعبد مجتهد ورع خائف رقيق القلب كبير النياحة والبكاء سح كثير المعروف باع ضياعه كلها وتصدق بها صرم في مذهبه مجانها لا هل الا هو) ومن يخالف أهل المدينة (6) . وكان الأيباني إذا ذكره قال : ذلك العالم حقا كان من العالمين بالله . ويقول ابن فرحون أيضا : واعتماده في روايته على عيسى بن مسكين اجتمع على فضله المؤلف والمخالف والمخالف (7) : وكان كثيراً ما ينشد (8) .

يا رب كن لي ولياً بالصنع حتى أطيعك لئن ذممت ضيعني

لقد حمدت صنيعك ان كنت اعصيك فاني احب فيك مطيعك .

توفي رحمه الله بالمستير سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وهو ابن مائة وثمانين (9) . ولهذا قيل ومات بالمستير عن سن متقدمة جدا (10) .

❦ ذكره صاحب العالم 13 قد اسم الكاشي . ترجم له ابن فرحون في الديباج ص : 104

① معالم الأيمان 60/3

② الديباج ص 104

③ العالم 109/3

④

⑤

⑥

⑦

⑧

⑨

⑩ D'Eu du r'p'st'ka'ra'ana'is P. 132

هو أبو عبد الله محمد بن نظيف البزاز:

ويعتبر من أشهر أصحاب ابن اللباد . وبسبب ظلم العبيدين هاجر إلى مصر بعد أن سبقته إليها شهرته العلمية وفيها توفي رحمه .

ومن أشهر تلاميذه أبو محمد بن أبي زيد القيرواني الذي قال فيه (لو كان أبو عبد الله بن نظيف البزاز بالقيروان لما وصلت إلى المرتبة التي أنا فيها الآن لأنه أولى مني بها) في حفظه وفهمه وفقهه ودينه وورعه (1) .

وقد روى عياض في مداركه (أن أصحاب أصحاب ابن اللباد يقرءون بأصحاب مالك وهكذا فقد روى البزاز وابن القاسم وابن أبي زيد باشهب وابن أخى هشام وابن نافع وابن التبان وابن بكير) (2) .
وذكره أبو الطيب بن خلدون في بعض كتبه فقال كان إماماً فاضلاً ولما نزل مصر لازم بها أبا إسحاق ابن شعبان وأبا الذكر وبعد هذا النعالي وغيرهم (3) .

ترجمته بالمدارك 3 / 484 - 485

① المدارك 3 / 485

② " "

③ " "



هو ابو اسحاق ابراهيم بن أحمد السبائي الفقيه الزاهد سمع من أبي جعفر أحمد ابن عبد الرحمن القصري وعليه كان اعتاده ومن مطر التونسي ومن أحمد بن نصر وغيرهم وسمع منه ابن أبي زيد والقاسمي وابن التيان وابن شبلون وسعيد بن ابراهيم وغيرهم (1) .
ولكن كان ابو اسحاق قد اشتهر في كتب التراجم بالزاهد الا انه كان أيضا عالما فحلا من ذلك قول الاجد أبي : بلغني على بعض العلماء انه كان يقول رجلان بالقيروان يدعى كل واحد منهما باسم صاحبه وهما ابو الحسن الدباغ وابو اسحاق السبائي يقولون ان الدباغ عالم زاهد واولى بان يسمى عابدا لكثرة حنانه وسعته وسكوته ولينه ووطائه وطمه وابو اسحاق يسمى عابدا وهو اولى بان يسمى عالما لانه كان يدرى العلم ويعرفه ويتذكر العلماء بحضرته وفي مجلسه ابن أبي زيد . وهو ملق عليهم - وابو القاسم بن شبلون وابو الحسن القاسمي وسعيد بن ابراهيم وغيرهم كل من يعرف مسألة كان يحضر مجلسه وذلك لما منعوا من المواعيد والفتوى فاذا تنازعوا فصل بينهم بامر يرجعون كلهم اليه (2) .
وبذلك تحولت دأره الى معهد علم وملتقى للعلماء من ذلك ماورد من انه (استاذن عليه يوما صاحب الحرس فهرب كل من كان معه - ومنهم ابو محمد بن أبي زيد - ولم يبق معه غير القاسمي فقال الشيخ من هذا ؟ فقال انا فلان قال ادخل يا شيطان ما يريد الشيطان اخو الشيطان فلم يكلمه يومئذ الا بالشيطان فلما خرج رجع من هرب فقال لهم ما هذه حق الصبة تهريون وتتركوني ؟ ولا مهم على فعلهم (3) .
وكان تلاميذه شديدي العناية بانفسهم عند ما يدخلون عليه خوفا من ملاحظاته الخفا الدقيقة فقد ورد عن أبي محمد عبد الله بن أبي زيد قوله (كنا اذا اردنا الدخول الى أبي اسحاق السبائي يقول بعضنا لبعض تعالوا نجد التوبة قبل الدخول اليه خوفا ان ينطقه الله علينا (4) .
ولهذا العلم والصلاح وصفاء الرؤية احبة التلاميذ وقلده الناس حتى جاء (لقد كان من بالقيروان من أهل الدين والعلم انما ينظرون اذا نزلت المعضلات الى ما يفعل ؟ فان اغلق بابهم فعلوا مثله وان فتح فتحو وان نطق وتكلم تكلموا مثل كلامه لتقدمه عندهم ومكانه من الفضل والعلم (5) . وكان تلاميذه من اشد الناس حبا له واعترافا بعلمه وفضله وكان ابو محمد بن أبي زيد يصفه بكثرة العلم والعقل ويقول : ما هذا الذي نحن فيه الا من بركه (6) . وقال ابو الحسن القاسمي : ما انتفعت الا بدعا أبي اسحاق قال لي : اعلى الله قدرك في الدنيا والاخرة (7) . وقال احمد بن نصر : لا تعارضوا ابا اسحاق السبائي فلو وزن ايماننا بايمان اهل المغرب لرجحهم (8) .

ترجمته ب : الديباج ص 85-86 - معالم الايمان 3/63-74 . المذكر 3/376-389

① الديباج ص 85 - المعالم 3/63

② المعالم 3/64 الديباج ص 85

③ . . 3/73

④ . . 3/65

⑤ الديباج ص 85 . المعالم 3/37

⑥ المعالم 3/63-74

⑦ . . 3/64

⑧ . . .

وكانت علاقة ابن ابي زيد بشيخه ابي اسحاق علاقة الابن بالوالد حتى قيل ان ابا اسحاق هو الذي طلب من ابي محمد ان يضع كتاب الرسالة لما عرفه فيه من ثبوت علي (1) . وسوف نخص هذا بفصل عند ما نتحدث عن الرسالة في هذا البحث بحول الله (2) . وكان ابو اسحاق من اشد الفقهاء عداوة لبني عبيد فقد كان ضمن جيش الفقهاء بموقعه الموادي الطالح الا ان الله نجاه منهم على الرغم من عيونهم المشوثة حول داره . والعادة عليه انفاسه (3) . وكان من الزهاد المستجابين للدعاء وقد زخرت كتب التراجم بقصص كثيرة في هذا الميدان (4) . بالاضافة الى هذا فقد كان لطيفا مع طلبته من ذلك ماورد في ترجمة ابي حفص العسال من ان : ابا اسحاق السبائي كان يحبه ويعظمه ويقوم له دون غيره (5) . قال فيه الدباغ (كان واحد زمانه ورعا وزهدا وعقلا يوالي في الله ويعادي في الله قويا في ايمانه جلدا في نفسه نزيه النفس كثيرا الجود والاجتهاد سريع الفهم فيما ظهر من العلم له كرامات كثيرة استجابت (6) . وروى صاحب الديلمياج انه (كان مشهورا بالعلم والصلاح والعبادة والاجتهاد كثير الورع وقافا عن الشبهات رقيق القلب غزير الدمعة مجاب الدعوة متواضعا حسن الاخلاق حميد الادب طلق الوجه مابينا لاهل البدع شديد الغلظة عليهم وكان خيزه السعيد فليل له في ذلك فقال لوعلمت ان الجوهر يزييد عقلي وقد رت عليه لسحقته واكثره فاني لا اجد نفس تصلح الا اذا اكلت طيبا (7) . وقد توفي يوم الثلاثاء النصف من رجب سنة 356 هـ (8) ودفن ضحي الاربعاء (9) ومولد كان سنة 270 هـ (10) وصلى عليه صاحبه ابو الحسن الدباغ ودفن بباب نافع (11) . تغمده الله برحمته ونفعنا ببركته .

- ① DEUX desirables Kaurovianais P. 133
- ② انظر ذللا العفوه (322 - 345) من هذا البحث
- ③ معالم الايمان 71/3
- ④ 71-66/3
- ⑤ 51/3
- ⑥ 63/3
- ⑦ الديلمياج ص 82-86
- ⑧ المعالم 73/3
- ⑨ . . .
- ⑩ الديلمياج ص 86
- ⑪ المعالم 73/3

هو أبو ميمونة دراس بن أسماعيل الجراوي الفاسي تفقه بشيوخ بلده فاسه
وارتحل الى الاندلس مجاهدا وطالبا، ثم نزل القيروان وكان في مدة اقامته ضيفا على ابن أبي زيد (1)
سمع بالقيروان من ابن اللباد . وحدث بينه وبين شيخه ابن اللباد خلاف في تحقيق حديث كان الحق
فيه مع دراس الا ان ابن اللباد اغتاض فقال له : يا هذا فيك استقصاء وما اظنك تريد الا ان تكون
ديكا فقال له أبو ميمونة : اكرمك الله لو شئت ان اكون ديكاً في غير بلدي كنت فقال له قم عنا ولا تغش
لى مجلسا (2) ويسمى : الخلاف يعود الى مجاريها حتى غدا اذا دخل أبو ميمونة يترن
له ابن اللباد : يا ابا ميمونة شركنا في صالح دعائك (3) وسمع من ابن أبي مطر وبالا سكندرية سمع
الموازية وحدث بها في القيروان وأخذ عنه جمع كبير من أهل القيروان منهم ابن أبي زيد والقاسمي
ومن الاندلس أبو الفرج بن عبدوس وخلف ابن أبي جعفر وغيرهما ومن المغرب : مثل ابن عبد الله محمد
بن علي واخيه حسن وابن بكر القيس والبهدياني وغيرهم (4) ، وهو أول من نشر المدونة بالمغرب (5)
وكان دراس لحافظا حتى قيل ليس في وقته احفظ منه (6) . اذ كان يحفظ الواضحة والمستخرجة وغيرهما
حتى اعجب به أهل القيروان غاية الاعجاب وانتشر صيته ما جعل الشيخ ابن اخي هشام يروى عن أحد العلماء
القيروان فطلب مناظرته فقد وردوا ولما ورد دراس بن اسماعيل أبو ميمونة من مدينة فاس وعجب من حفظه
سمع أبو سعيد تقصيره بعلماء القيروانيين و اضافته قلة الحفظ اليهم فقال لأصحابه اعملوا على ان تجمعوا
بيني وبينه لئلا يقول دخلت القيروان ولم اربها عالما فلما زالوا حتى اتوا به الى أبي سعيد في مجلسه فسلم
عليه فالتقى عليه أبو ميمونة نحو من اربعين مسألة من المستخرجة والواضحة فاجابها كلها عن أبي سعيد ثم
التقى عليه أبو سعيد عشر مسائل من ديوان ابن سحنون فاخطأ فيها أبو ميمونة كلها فعطف عليه أبو سعيد
لاتغفل عن الدراسة فاني أرى لك فهما فان واظبت كنت شيئا . فلما قام أبو ميمونة ليخرج لم يعرف الباب
من الحيرة (7) . يقول الطالكي فيه كان أبو ميمونة من الحفاظ المعدودين والائمة البرزين من الفضل
والدين (8) . وقال ابن الفرضي كان أبو ميمونة فقيها حافظا للرأى على مذهب مالك (9) . وبعد
سنوات من الدرس والتدريس بالقيروان يعود الى بلده فاس حيث يتوفاه ربه سنة 357 هـ وقيل سنة 358 هـ
وقبره بباب الفتوح الى جانب السور من خارج البلد وله بفاس مسجد يعرف به (10) .

ترجمته بالدارك 395/3 . الخلاصة ج 1 . ق 3 / 649

① ترتيب الدارك 395/3

② 396/3

③ 395/3

④ 395/3

⑤ DEUA d'urist Kaucama P. 134

⑥ ترتيب الدارك 395/3

⑦ معالم الايمان 395/3

⑧ 395/3

⑨ 396/3

⑩ 397/3

هو أبو العباس عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق التونسي المعروف بالأبياني ولد سنة

261 هـ (1)

تلقه بيحيى بن عمر وأحمد بن سليمان وحمد بن القطار ويحيى بن عبد العزيز وحماس بن مروان وغيرهم وصحب لقطان بن يوسف وذاكر أبا بكر بن اللباد (2) . وقد قال الأبياني في هذه المذاكرة : انتفعت بصحبة أبي بكر بن اللباد ودرست معه عشرين سنة يعنى - والله اعلم - قرأتها معا على الأشباح كيحيى ابن عمر . وأيضا كان يجتمع معه بعد في فلتات (3) .

وتخبر على يديه الأصيلي وأبو الحسن اللواتى وعمر بن محمد وسعيد بن ميمون وأبو علي الغفلى والقاسى وابن أبي زيد : الذى كان كثيرا ما يبعث له بالنوازل المشككة ليعينها له (4) . وكما كان لهذا التلميذ ثقة في شيخه كان هذا الشيخ معجبا بصاحبه وقد ظهر ذلك عند استئصاله على صربه من القيروانيين فقال وأنت رجلا بحرا لا تذكره إلا . يقال له أبو سعيد براخى هشام وأما الثانى من الاثنين فأنى رايت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له : عبد الله براخى زيد والثالث يقال له عبد الله بن التبان تكاد كس شعرة في جسده تنص بالحكمة يكون لهما في الفقه باع (5) .

وكان كس يرم ينطق من قريته مرناو بماورا حمام الانب فينزل الى تونس الحاضرة لاداه مهنتا لتعليمية (6) وكانت الواضحة لابن حبيب من الكتب الفقهية التي اعتنى بتدريسها (7) . وذكر أبو الحسن اللواتى احد تلاميذه انه قرأ على أبي العباس الواضحة صدرا من كتاب البين فقال له بقي من الكتاب حد يذكركذا ~~هههههههه~~ كذا فنظرنا فلم نر شيئا ثم تأملنا فإذا ورقتان قد التصقتا فتجاوزنا هما فإذا فيهما كل ما ذكره فتعجبنا من أحفذه وكان قليل الفتون (8) وقد تركت رحلته الى المشرق اثرا عاليا في النفوس حيث تلقاه نحو من اربعين فقيها ولم يكن فيهم افقصة وقال ابن شعبان ما يزان بالمغرب علم مادام فيما أبو العباس ومن أراد ان ينظر الى فقيه فليظفر اليه ، وقال لا يزان اهل المغرب بخير مادام بين اظهريهم ماعدى النيل منذ خمسين سنة اعلم منه (9) .

تأليفه : ترجمته ب : الديباج ص 136 . الترغيب عدد جويلية 1345 ص 11 . الكفاة . تراجم العلماء ص 66 . الأبياني بلسر الازمنة وتفسير البراء ونقيل . انما خفية : المقيم الديباج ص 136

① الترغيب عدد جويلية 1945 ص 11

② الديباج ص 136

③ المعالم 22/3

④ الديباج ص 136

⑤ المعالم 100/3

⑥ 136 م Karoumnia و DEUX Juristes

⑦ المصنف ص 63

وكان ابو الحسن القاسمي يقول : مارايت بالشرق ولا بالمغرب من ابي العباس كان يفصل المسائل
كما يفصل الجزار الحاذق اللحم وكان يحب المنكرة في المعلم ويقول دعونا من السماح القوال المسائل
وكان يدرس كتاب ابن حبيب (١) وكان كثير التواضع واذا قيل له الفقيه يقول لقب لقبناه (٢) يقول
الكعك بلغنا من تاليفه كتاب ترتيب السماصرة وقد نشرناه بمجلة العالم الادبي مع تعليق (٣) .
قال فيه صاحب الديباج : كان عالم افريقيا غير مدافع من شيخ اهل العلم وحفاظ مذهب
مالك من اهل النخيل الرجاءة ويميل الى مذهب الشافعي . رتبنا متقبضا حافظا ذا كرم في الفقه
صالحا ثقة مأمونا اماما فقيها حليما نبيل فصيحا عالما بما في كتبه حسن الضبط حسن الاختصار جيد
الاستنباط (٤)

توفي سنة ٣٥٢ هـ وقيل سنة ٣٥١ هـ وهو ابن مائه سنة الا اربعة شهور (٥) ودفن بمرنا
وقبره هناك مشهور يعرف بسيدنا الابياني (٦) خلافا لما ذكره محمد الصالبي بانّه مدفون
بالقيروان (٧) .

- ① الديباج ص ١٣٦
- ② ..
- ③ ..
- ④ ..
- ⑤ ..
- ⑥ ..
- ⑦ ..
- ⑧ ..
- ⑨ ..
- ⑩ ..

هو ابراسحاق ابراهيم بن احمد بن علي بن اسلم الجبنيان البكري من بكرين واث (1) سمع من شيخ القيروان وكان جده من اصحاب سحنون وله اجازة من عيسى بن مسكين واخذ عن ابن سهلون (2) وتخصي على يديه علماء كثيرين امثال ابي محمد بن ابي زيد ، وابي الحسن القابسي وابي التبان ، (3) وقد كتب في مناقبه كل من الليدي وابي بكر المالكي (4) قال فيه ابراهيم الحسن القابسي : الجبنيان امام يُتَّقَدُّ به (5) وكان ابن ابي زيد يعظم شأنه . وقد اصلعه على مؤلفاته (6) ويذكر صاحب المعالم : قال ابو محمد بن التبان يوما : لاشي افضل من العلم فبلغ خبره ابا اسحاق الجبنيان فقال العمن به افضل فلما بلغه كلامه قال صدق : اذا لم يعص به صاحبه فهو وان عليه واذا عمن به كان حجة له ونورا يوم القيامة وروى انه سار لزيارة ابي اسحاق فلما قرب من جبنيانه هابه وقال لخشي ان يجرب الله على لسانه شيئا يعز على فنكون ممن عادى وليا من اولياء الله تعالى فوجه اليه بالسلم وانصرف (7) وكان لابي اسحاق سبعة اولاد من الصالحين الاتقياء (8) قال فيه صاحب الديباج (9) وكان من اعلم الناس باختلاف العلماء عالما بعبارة الرؤيا يعرف حظا من اللغة والعربية حسن القراءة للقرآن يحسن تفسيره واعرابه وناسخه ومنسوخه لم يترك حقه من دراسة العلم بالليل الا عند ضعفه حين موته بقليل وكان لا يفتي الا ان يسمع احدا يتكلم بما لا يجوز فيرد عليه او يرى من يخصص في صلاته فيرد عليه (10) وقال ايضا (11) وكان ابراسحاق قل ما يتغير على أحد فيفلح وكان اذا روى ذكر الله تعالى من هيئته قد جرت جلد معلق عظمه واسود لونه كثير الصمت قليل الكلام فاذا تكلم نطق بالحكمة وكان قلما يترك ثلاث كلمات جامعها للخير وهي اتين لا تبتدع اتضع لا ترتفع . من ورع لم يتس (12) وبقي هذه حاله الى ان توفاه ربه سنة 369 هـ وسنة 900 وما وجد له من الدنيا قليل ولا كثير غير امداد شعير في قلة مكسورة (13)

تم - ترجم له عياض بالمدارك 497/4 - 517 - وصاحب الديباج ص 86

① ترتيب المدارك 497/4

② " " 499/4

③ " " 500/4

④ الديباج ص 86

⑤ ترتيب المدارك 500/4

⑥ معالم الايمان 94/3

⑦ ترتيب المدارك 516/4 - 517

⑧ الديباج ص 86

⑨ " " " "

⑩ المدارك 516/4

هو ابو الازهر عبد الوارث بن حمر بن احمد بن اخي ابي الازهر عبد الوارث . من عائلة قيروانية تنسب الى العلم وأهله اذا كان جده من اصحاب الامام سحنون (1) سمى ابو الازهر من ابي بكر ابن اللباد وكان عليه اعتقاده لصور صحبتة اياه . وكذلك سمى من النخبة من شيوخ عصره كما بن عبد الله بن مسرور (2)

وسمى منه صلبة كثيرون امثال ابي محمد بن ابي زيد و ابي الحسن القابسي وغيرهما قال ابن الحارث كان ممن يتحلون لجامع القيران مع ابن ابي زيد وابن اخيه .ام وغيرهما (3) . وكان عيشه من كتابة الوثائق . وقد اراد عبد الله بن هاشم القاضي استكتاب فاستشار ابا محمد عبد الله بن ابي زيد فردعه عنه . فبلغ ذلك بالازهر فجلس بالقرب من درب السكة فاذا خرجت مسألة من عند ابن ابي زيد كتب تحتها الجواب غير هذا فضاق من ذلك ابن ابي زيد ووجه اليه معتذرا له وقال انا فعلت ذلك اجزا لا لك اذ انت من شيوخنا (4) وكان ابن ابي زيد محبا بشيخه له ثقة في علمه حتى انه قال (ما بافريقية افقه من ابي الازهر بن معتب وانما قطع به قلة دنياه) (5) وصدى ابر محمد لان الشيخ لم يكونوا يتقاضون أجورا على تدريسهم ، من كانت لهم اعمالهم الخاصة التي يرتزقون منها . وقد بقت هذه السنة سارية المفعول الى اواسد القرن الماضي بالجامعة الزيتونية الوريشة الشرعية لجامعة القيروان . الا ان فقراي الازهر لم يحرمون تيوته المكانة المحترمة بين علماء عصره من ذلك مارواه ابو الحسن القابسي : حيث قال : اختلف اصحابنا فيمن صلى بامرأته المكتوبة من صلى تلك الصلوة في جماعة فقال ابو سعيد بن اخي هشام وغيره (لا يفعل وجعلوا صلاة الرجل مع زوجته جماعة وقال ابو الازهر لا بأس بذلك) (6) . قال فيه الدباغ (كان من ائمة الدين والعلماء الراشخين ذا علم بارع ومعرفة بالاصول والفقه والقضاء والنوازل كثير التواضع حسن السمات) (7) وقال عياض (كان بيت معتب بيت علم بالقيروان وكان من ائمة الراشخين ذا فقه بارع وعلم بالاصول مجرد الوثائق والاحكام وعلم القضاء منور الوجه جميل الشية متواضعا) (8)

وبقى هذا دليله الى ارتقاء رتبته سنة 371 هـ وقيل سنة 372 وقيل سنة 375 هـ والاول ارجح

● ترجم له . معالم الايمان 98/3 - ترتيب المدارك 29/4

① ترتيب المدارك 29/4

② " " " "

③ 29 - 30

④ ترتيب المدارك 29/4

⑤ معالم الايمان ص 98

⑥ ترتيب المدارك 29/4

⑦ معالم الايمان 98/3

⑧ ترتيب المدارك 29/4

⑨ معالم الايمان 98/3

هو ابو سعيد خلف بن عمر . قال المالكي عثمان بن عمر قال ابو عبد الله الخوارزمي عثمان بن خلف .
المعروف بابن اخي هشام الوديعي الحنابلة (1)

سمع مرابن نصر ومن ابن القاسم الصرزي والقصير وابن اللباد وغيرهم (2)

واخذ عنه جماعة من اهل القيروان كابن ابي زيد والقابسي ، وابن شبلون وابن البان وخلف بن قنيم
الهورازي وغيرهم حتى عرف بين العلماء بمعلم الفقهاء (3)

وكان بادي حياته يبيع الحنطة ثم رجع يكتب الوثائق ويأخذ عليها الاجر (4) : ومع هذا فقد كان

يجلس ابي التلاميذ والاصحاب يذكروهم بجامع القيروان زمن ثورة ابي زيد الخارجي ، فقد ورد انه كان يجتمع
هو وابو الازهر ابن معتب وابو محمد بن ابي زيد وابن شبلون وابن التبان والقابسي وجماعة ذكرناهم ونذكرهم
للتفقه في جامع القيروان عند ماضهر امر ابي يزيد علي بن عبيد (5) ثم يقول اخذ عنه جماعة ممن ذكرناهم

وخلف ابن تميم الهورازي (6) ومناضرت من دأب القاسي لا كبر دليل على حفظه وعلمه انه بلغه ان دارسا
يضيق قلبا لحفظ الى علماء القيروان فقال ابو سعيد لأصحابه اعملوا على ان تجمع لي بيني وبينه لئلا يقول دخلت
القيروان ولم اربها عالما (7) . وقد سبق ان اردت ما دار في هذه المناظرة وكيف انتهت بفوز ابي سعيد

وكان ايضا من جملة العلماء المضادين لبني عبيد (8) : ويظهر ذلك في اجابته لاحمد بن القاضي

النعمان الذي قال له : يا ابا سعيد لم تقولون ان من قذف عائشة يقتل وانها قال الله تعالى (والذين

يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) فجلد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تسليما اهل الانث ثمانين جلدة فلم يأتواخذ بالقرآن ولا بما فعل النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ؟ فقال

ابو سعيد قال الله تعالى (اولئك مبرأون مما يقولون) وقال : (الصيات للضيين والصيون للصيات)

فجلد من قذفها قبل البراءة بالقرآن وبعد القرآن من قذفها فقد رد القرآن ومن رد حرفا من القرآن فقد

وجب قتله باجماع (10)

كما ترجم له كرمي : المدارك 488/3 - 492 - المعالم 99/3 - 104 - الديباج 110 - 111 . سيرة النورانية ص 36 .

① المدارك ج 3 - ص 388

② الديباج ص 110 - 111 . المدارك 488/3 - المعالم 99/3

③ المدارك 489/3

④ المعالم 104/3

⑤ الديباج ص 111

⑥ المدارك 488/3

⑦ المعالم 100/3 المدارك 489/3

⑧ انظر ترجمه در اس سبدا ص 10

⑨ المدارك 489/3 والمعالم 103/3 . المدارك 489/3

⑩ المعالم 103/3 - 104

وكان لابي سعيد اجتهادات في نضار المذهب خالف بها غيره من ذلك انه كان يمشي مع احد صلبته في فحوم صيرة فحضرته الصلاة فاراد الشيخ الصلة فقال الصالب اصبر حتى نخبر من اراضي هذه المدينة السوء . فقال لما بوسعيد هذا جهنم منك ان ضرر على هذه الارض من صلاتنا ولو لم تترك الصلاة في الفحور المغصوبة وجب للمصلي ان يستاذن من اربابها اذا كانت غير مغصوبة . قال ابو عبد الرحمن : وهو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : جعلت الى الارض مسجدا وصغورا وان الصلاة في ارض المسلمين بغير اذنهم جائزة بدخول وانما هذا مما لم يحجزه الغاصب بينا . وتجوز على حالها بعد الغاصب كما كانت قبل (1) وقد خالفه في ذلك تلميذه ابن التبان حيث لا يعدم جواز ذلك الا مع خوف خروج الوقت وتبعاً لذلك المرور بها حيث قال ابو سعيد يجوز له وان ابن التبان يعدمه الا ساعة الضرورة (2)

بمش هذه الآراء والمواقف كان ابو سعيد طيب الذكر وجزيل الثناء من تلاميذه واهل عصره . فقد سأل عبد الله صاحب القيروان ابا محمد بن ابي زيد رحمه الله عن احفظ اصحابكم ؟ فقال ابو سعيد . فقال له فمن احفظهم بخلاف الناس ؟ قال ابو سعيد (3) وكان ابن ابي زيد يجله ويقدره ايضا : ان ابا محمد بن ابي زيد دخل يوما على ابي سعيد بن اخي هشام يزوره فوجد مجلسه محتفرا فقال له : بلغني عنك انت الفت كتابا فقال له : نعم اصلحك الله فقال له اسم مسألة ؟ فقال له ابو محمد اذكر اصلحك الله فان اصبحت اخبرتنا وان اخضعت علمتنا فسكت ابو سعيد ولم يعاوده (4) وقال ابن ابي زيد مرة اخرى (ان ابا سعيد ليس يلقى آله يمشي ذرق من رياء) (5) قال تلميذه ما بن شبلون ما اخذ عن ابي سعيد مسألة خطأ قط (6)

وقال المالكي (كان يعرف بعلم الفقهاء . لم يكن في وقته احفظ منه اختلص علم الحلال والحرام بلحمه ودمه وما اختلف الناس فيه واتفقوا عليه عالما بشوازن الاحكام حافظا بارعا فراجا للكرب من تواضع ورقة قلب وسرعة دمعة وخالسية) (7) . قال عياض : قرأت في التعليق المنسوب الى خصايب عمر الفقيه ذكره فقال كان شيخ الفقهاء وامام اهل زمانه في البلد .

ان الدباغ : كان امام الزمان وواحد الفقهاء في عصره واعلمهم بمذاهب اهل المدينة فاختلغ فيه وما ائتم عليه (8) وقال ابن فرحون (وعنه تفقه اكثر القرويين وكان شيخ الفقهاء وامام اهل الفقه والورع ولم يكن عنده رياء ولا تصنع) (9)

① ترتيب المارك 495/3

② هذا الماركي 2/3

③ الماركي 3/3

④ الماركي 3/3

⑤ الديباج ص 111

⑥ الماركي 3/3

⑦ الماركي 3/3 - 481 - الديباج ص 111 - الماركي 3/3

⑧ الماركي 3/3

⑨ الديباج ص 111

وكان ابو سعيد يقرب من دارى الناس مات شهيدا وشعر عن الكرامات ؟ فقال ما ينكرها الا صاحب
بدعه وضح انقرب الاعيان فيها (1) . حتى قالوا وكان ابو سعيد اذا قال **أجمعت** لامة لم يوجد
خرف لقوله (2)

واختلفوا فى تاريخ وفاته كما اختلفوا فى تاريخ مولده ١١٠ ان المالكي وهو اقرب المؤرخين الى عصره قال
انه توفي يوم الجمعة السابع من صفر سنة 373 هـ (3) وهونفس قول ابن الرقيى وقال غيره بن توفي سنة
371 هـ (4) اما مولده فقير سنة 227^{هـ} وقير سنة 22 هـ (5) وحضر للصدرة عليهما هبوا لقيروان
يتقدم امير افريقية عبد الله بن زبير الصنهاجى المعروف ببليقين وكان الامام فى الصلاة عليه ابن الكوفى
القاضى (6) حيث تم دفنه بجوار القاضى عبد الله بن هاشم ورثي بمراث كثيرة منها قول ابن خاقان النعور 7

فمن للواله الحراذيل	بصوتك انه حسن قبيل
وقل للمسعد يـ	ليكوا وراء مصرعه ونـ
فقد هلك بمهلكه	وفض ليس يبلغه المد يـ

وقال ابن مازن 8

لقد فجع الورى شرقا وغربا	ببحر من بحور العلم ظامى
بما قد كان من علم وديـ	عن الاسلام والدنيا يحامى
راى الدنيا بعين النقيـ	راى مادام ليس بسـ
واپصر كـ ما فيه حظا	فكان التفـ عن جمع الحظا

① المعالم 101 / 3 - المدارك 490 / 3

② المدارك 489 / 3

③ المعالم 104 / 3

④ ترتيب المدارك 491 / 3

⑤ انظر المدارك ياله ولد سنة 297^{هـ} والديبايع سنة 299^{هـ} م. 111 - والادول آخ

⑥ المدارك ج 3 / 491 - المعالم 104 / 3 - الديبايع ص 111

⑦ ترتيب المدارك 491 / 3 - 492

⑧ الديبايع ص 111 - 112

هو ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن حماد القاضي .

سمع من ابيه ابراهيم بن حماد (241 هـ - 323 هـ) (1) ومن ابي جعفر الضحاوي ومن العمري

ابي بكر بن عبد العزيز حدث عنه ابن ابي زيد وغيره (2) .

خلف اخاه علي - ا - مصر من سنة 314 هـ - 316 هـ فعزى ثم ولي قضاءها بعد ذلك ستمرات (3)

واشتهر بالتقوى والحياء . ولم يمنعه منصبه من ان يتردد على حلقه ابي جعفر الضحاوي للاخذ عنه .

قال بعضهم (حدث مجلس ابي جعفر الضحاوي عنده ابو عثمان بن حماد وهو يومئذ قاضي مصر فدخل

اليخرج فسال ابا جعفر عن مسألة فقال لما ابو جعفر : مذهب القاضي ابيه الله كذا وكذا . فقال له

السائل ما جئت الي القاضي انا جئت اليك فقال : يا هذا مذهب القاضي ما قلت لك فقال له السائل

مش ما قال لما ولا . فقال ابو عثمان تفتيم يدك الله . فقال ابو جعفر اذا اذن القاضي ابيه الله

افتيه ثم افتاه بعد ذلك (4) .

ويقال انصت فقيرا حتى قيل انه لما مات كفته ابو بكر المدراي صاحب خراج مصر (5) ويذكر عياض

ان مولده كان سنة 275 هـ وانه توفي بمصر سنة (329 هـ) (6) .

✽ ترجمته ب : ترتيب المدارك 1/ 285-286 تحقيق د. احمد بكير - ط بيروت

① الديباج ص 85

② المدارك 1/ 285 - الديباج ص 137

③ 285/ 1

④ " " "

⑤ " " "

⑥ " " "

هو ابوبكر محمد ابن احمد بن محمد بن الجهم بن جيش ويعرف بابن الزواي المعروف وقد سمي
بالزواي لاني جده كان راقا للمعتضد (1)

سمع من ابن ابراهيم بن حمد ومحمد ابن عبدوس وابن محمد النيسابوري وعبد الله بن احمد بن حنبل
والفريابي كما صحب اسماعيل القاضي وسمع منه وتفحصه من كبار اصحاب ابن بکر .

وروى عنه ابو بكر الازدي، ابو اسحاق الديلمی و اجاز ابن ابی زید . (2)

للمؤلفات كثير منها كتاب الرد على محمد بن الحسن الشيباني وكتاب بيان السنة فمئتين كتابا وكتاب مسائل الاختلاف والحجة لذهي مالك وشرح مختصر ابن عبد الحكم الصغير . (3)

قال فيه ابر فرحون : كان صاحب حديث وسامح وفقه **رحمه الله** (4) وقال الخصب : له مصنفات حسنة مشهورة بالآثار **يحتاج** لذهبه مات ويرد على مخالفه وكتب حديثا كثيرا وكتبه تنبى عن مقدار علمه (5) .
وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وثمان مائة وقبر سنة 32هـ

* مُرجعته ب: الديباج ص 243 . 244

① الديباج ص 243

② تَرْيِبُ الْمَدَارِكِ 493/4

③ الديباج ص 243

“ ” “ (4)

244-243 = 1 (5)

هو ابراهيم بن محمد بن القاسم بن شعبان بن محمد بن ربيعة ابن داود بن سليمان بن ايوب الصغير
 بن عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر . كذا حكى ابو القاسم بن سهرن الحافظ وذكر انه نسب لنفسه كذا يقال
 ابن عمار بن عيسى وعيسى من مذهب ويعرف ايضا بابن القوصي (1) وقد أخذ عنه ابن ابي زيد اجازة (3)
 واليه انتهت رئاسة مشيخة الموالك بمصر في وقته ان كان احفظ فقهاً . المالكية بمصر من التدين والورع
 والتفرد في علم كثيرة كالمسنة والتاريخ والادب الا انه كان يلحن ان لم يكن له بصير بالعربية قال ابن ابي زيد
 والعسكي فيه : هوشج التفرد وحافظ البلد (3) الا ان ابا الحسن القابسي الذي لاشد انه التقى به
 بمصر كان يقول فيه (انه لين الفقه) (4) من تاليفه : كتاب الزاهر الشعاني وهو كتاب مشهور في الفقه
 وكتاب في احكام القرآن وكتاب مختصر ما ليس في المختصر وكتاب مناقب مالك ، وكتاب : شيوخ مالكا وكتاب
 الرواة عمالكا وكتاب جماع النسوان وكتاب مواعظ في النور الاخميني ، وكتاب النوادر ، وكتاب الاشراف وكتاب
 المناسك وكتاب سنن الرضو (5) ويقول ابن فرحون اما كتبه ففيها غرائب من قوس مالك واقوال شاذة عن قوم
 لم يشتهروا بصحبتهم ليست مما رواه ثقات اصحابه واستقر من مذهبه (6) .

وكان شديد البصر لبلني عبيد ويقال انه كان يدعى على نفسه بالموت لما علم بتفكيرهم في الانتقال الى مصر
 حيث كان يقول : اللهم امتني قبل دخولهم مصر (7) .

وكان قد رفض قبر اعضائهم ان رد الصلوات بعشها له المعزكين الله الفاصي قبل دخوله مصر .
 واهرون كتابه وقان لرسوله : لو لاثبت عندي انك سني ما خرجت من هذه الدار ولجعلت من يقتل (8) في حين
 كان يقب اعطيات المستنصر الاندلسي وهي عبارة عن مائة مثقال تعصى لشيخ المالكية بمصر وتضاعف لابن شعبان
 (9) وتوفي ابن شعبان يوم السبت لاربعة عشرة بقية من جمادى الاولى سنة 355 هـ ودفن يوم الاحد وقد جاوز
 ثمانين سنة وعلى عليه ابو علي الصيرفي (10) = .

✽ ترجيعه : بالمدارك 293/3 - 294 - الديباج 247 - 248

① تريب المدارك 293/3

② 433 / 4

③ 233 / 3

④ الديباج ص 248

⑤ تريب المدارك 294/3

⑥ الديباج ص 248

⑦ تريب المدارك 293/3

⑧ 294

⑨ 294

⑩ الديباج ص 248 - 249

هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الابهري التيمي (1) من انفسهم بر عمر بن حفص بن عمر بن مصعب بن الزبير بن كعب بن مناة بن تميم (2) .

سكن بغداد وسها مع من ابي عرويه الحراني والباغندي والاشناني وابن زيدان الكوفي وابن ابي داود والانصاري الصابوني وابي بكر بن جهم الرزاز والخياش وابن زيد المرزوق وغيرهم (3)

واخذ عنه طلبة كثيرون كالبرقاني وابن المؤمن الانباري وابن مخلد وابي بكر الدارقطني والقاضي الباقرني ومن الاندلس كالايملي . وابي محمد الفلعي ، وابي القاسم الزهري . ومن القيروان استجازه ابن ابي زيد فاجازه (4) . وهو اور عالم مالكي اهدى اليه ابن ابي زيد باكورة انتاجه العلمي المعروف . بالرسالة ففج بها كثيرا وامران لا تباغ الا بوزنها ذهبيا كما سنعرفه في مكانه من هذا البحث بحور الله .

لقد مضى ابو بكر الابهري ستين سنة بجامع المنصور ببغداد وهو يفتي الناس ويعلمهم فقد ورد عنه قوله كتبت بخشي البسود والاحكام لاسماعيل واسمعق ابن القاسم واشهب وابن هب وموصا مالك وموصا ابن وهب ومن كتب الحديث والفقه ثلاثة الاف جزء يخرجني ولم يكن قد لي شعاع العلم ولي في هذا الجامع يعني جامع المنصور ببغداد - ستون سنة ادى الناس واقتبهم واعلمهم سنن نبهم صلى الله عليه وسلم : فوات مختصر ابن عبد الحكم خمسمائة مرة والاسدية خمسا وسبعين مرة والموصا خمسا واربعين مرة ومختصر البرني سبعين مرة (5) .

هذا التفريع للعلم جعله مقصد الصواب والعلماء بن كان مرجعا وشيخا يفض الخلافت بين شيوخ المذا اآخر من انتسافه بالكم والعطف على صلبة العلم وشيوخهم اذا كان في ماله حق معلوم للسائل والمحرم . وقد شاهد المذهب المالكي على يده انتشارا عا آفاق حتى قيل . ولم ينجب احد من الاصحاب بعد اسماعيل القاضي ما انجب ابو بكر الابهري كما انه لا تقربين لهما في المذهب بقصر من الاقار الا سحنون بن سعيد في عقبته

✽ ترجمته ي : امدراك 4/ 466 - 473 . طبقات الفقهاء للسريزي ط 167 بيروت 1970 .

الديباج ص 255 - 258 . الثمار ابن الاثر خلد 9/ 42 - ط بيروت 1966 .

① طبقات الفقهاء للسريزي ص 167

② امدراك 4/ 466

③ الديباج ص 255

④ امدراك 4/ 467

⑤ " 4/ 468

بل هو اثر الجمع اصحابا وافضلهم اتباعا وانجحهم طلايا ثم ابو محمد ابن ابي زيد

رضي الله عنه في هذه الطبقة ايضا ①

ولا يبي بكر تأليف عديدة منها شرح المختصرين الكبير والصغير لابن عبد الحكم ككتاب الرد

على العزيزي كتاب الاصل - كتاب اجماع اهل المدينة - مسألة اثبات حكم الغايبة - كتاب

فضل المدينة على مكة - مسألة الجواد والدلائل والطلاق ومن حديثه كتاب التواليا ،

وكتاب الامالي وكان قد شرح المختصر الصغير سنة ٢٩٩ هـ .

وشرح المختصر الكبير سنة ٤٠٩ هـ وفيهما نحو من عشرين مسألة (٢) .

ذكر ابو القاسم الوهراني ؟ ولم يخط أحد من العلم والرياسة فيه ما اعطى الابهي في عصره من الموافقين والمخالفين لقد رايت اصحاب الشافعي واي حنيفة اذا اختلفوا في اقوال .

استمعهم يسألونه فيرجعون الى قوله ^{هو} فيحفظ اقوال الفقهاء حفظا مشبعا (٣) .

يقول ابن فرحون (وانتشر عنه مذهب مالك في البلاد وكان القيم يرى مالك في العراق في

وقت معظمها عند سائر علماء وقته (٤) .

ثم تعرض عليه القضاء فامتنع وبعد موت الابهي وكبار اصحابه لتلاحقهم به وخرج القضاء منهم

الى غيرهم من مذهب الشافعي واي حنيفة ضعف مذهب مالك بالعراق (٥) .

وتوفي ابو بكر ببغداد يوم السبت لسبع خلعت من شهر شوال سنة خمس وسبعين وثلاثمائة (٦) .

مولد قبل تسعين ومائتين قال ابن الاثير ولد ٢٨٧ هـ سنة نيف وثمانون سنة (٧)

① ترتيب المدارك ٤ / ٤٧٥

② الديباج ص ٢٥٥ - المدارك ٤ / ٤٧٥

③ المدارك ٤ / ٤٦٨

④ الديباج ص ٢٥٥ - ٢٦٦

⑤ ، ، ،

⑥ هناك خطا مطبعي بالديباج ص ٢٤٨ جعل تاريخ وفاته سنة ٣٩٥ - وقد نقلته عنه طاهر

حديثه مثل محله دعوة الحق لغيره . والجميع ما ذكرته المدارك والكمال اي سنة ٣٧٥ هـ .

⑦ الكمال جلد ٩ ص ٤٧ ط ، بيروت ١٩٦٦

هو ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد المؤمن المكي السني الاشعري

وهو آخر آل ^{حماد} جهالة بن زيد من ربي عنه العلم منهم .

سمع بالهراق من ابي عبد الله بن مجاهد البصري وغيره (١)

ثم وفد على القيرواني حيث صاحب ابن ابي زيد وده يعلم الاشاعرة من المتكلمين الاجدائي (كتب جالسا عند ابي محمد وعنده ابو القاسم بن عبد الرحمن نسكتم فسانهجة انسان عن الخضر عليه السلام هل يقال انه باق في الدنيا مع هذه القرون ؟ ثم يموت لقيام الساعة ؟ او هل يرد هذا لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ؟ فاجابا معا ؟ ان ذلك ممكن جائز الى النفخ في الصور وان الخلود انما هو اتصال بقاءه بتأخيه بالآخرة وان البقاء الى النفخ ليس يخلو الاتي ان ابليس دهنه الله لا يمهي خالدا وان كان من المنظرين الى يوم الوقت السميع) (٢)

واشهر تلاميذ ابن عبد المؤمن زياد عن ابي محمد نجد ابا الحسين القاسمي وغيره .

يقول عياض ؟ وصاحب ابا محمد بن ابي زيد وغيره من اثنتها القيروان - وناظرهم -

وذاكره واشتوا عليه . واخذوا عنه وله بها اخبار معروفة (٣) -

وقد استفاد ابو محمد ابن ابي زيد وطيره من ائمة القيروان من ابن عبد المؤمن وخاصة ان مجتمعه كانت تتجاهل ^{بني} ائمة ائمة متوجه وكان اقبى هذه التيارات في وقتهم التيار الباطني الشيعي .

ترجمته بـ . ترتيب الادراك 465/4

① الادراك 465/4

② 495/3 - 496

③ 465/3

بحكم موطن القيرواني الجغرافي كان أهل الاندلس همرون بها سواءً أكانوا مشرقين أو مغربيين
 حجاجاً أو صدياً أو تجاراً . ولأثت والحالة هذه ان يلتقى أبو محمد بن أبي زيد بالبحر منهم شيخاً
 كانوا أو صدياً ، من ذلك ما ذكره عياض في ترجمة ابن العطار القرصبي (راجع) اذ التقى بابي
 محمد في القيروان ويحكى انه سأل ابا محمد بن أبي زيد رحمه الله بالقيروان يوماً عن صفة الناس
 بحدة الامام علي رضي الله عنه . فبش فاجابه بالجواب المنصوص في المسألة انه لا يجوز فسأل
 من قال هذا وكيف قال ؟ فاحتج له بذكر المسألة في المدونة وكرها : فقال له انما وقعت مسألة المدونة
 اذا على المامم هناك بحدة الامام في الحرم ولم أسألك عن هذا . وانا نسألك من مسألة اذا كان الامام
 والمامم جميعاً هناك وهذا ما لا يخالف فيه احد ولا ينفعه نقص الشيخ لما أراد من تعنيته واضرب عن
 كرمه في المسألة ان لم يرض هذا ولما اجاب عن المسألة المعروفة (1) وقد تجو من هؤلاء الشيخ من
 كان من أتباعه ألا انه قد ابا محمد بما كان لاندلسين من قصصك .

الاصلي في (ج ٢٠٠ ٣٩٢ / ١٥٥١)

هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي اصله من الجزيرة الخضراء
 وكان جده من مسالمة أهل الذمة ورحل به الى اصيلا حيث نشأ . ويقال له ولد باصيلا (٢) .
 دخل قرصبة سنة ٣٤٢ هـ فآخذ عن شيخها اللؤلؤي وابي ابراهيم . وسمع ابن حزم وابن المشاف
 والقاضي ابن السميع واما بن عيسى بن دينار الاصغر وغيرهم (٣) وارتحل الى المشرق سنة (٣٥٢) هـ
 فلقى شيخ افريقية كالا بيان وابي العرب وعلي بن مسرور وابي زيد . ومصر لقي القاضي ابا الطاهر
 البغدادي واما اسحاق بن شعيب وغيرهما . وحى سنة ٣٥٣ هـ فسبق بمكة ابا زيد المرزوق الذي
 سمع منه البخاري . وبالمدينة لقي القاضي ابا مروان المالكي . وبالعراق لقي الابهري فاخذ عن بعضهما
 ولقى الدارقطني فاخذ عن بعضهما ايضاً (٤) . وقد استمرت رحلته هذه ثلث عشرة سنة عاد بعدها
 الى قرصبة حيث صنع نجه . وما يذكر في رحلته الشرقية صاحبه فيها كل من دارين بن اسماعيل وابي الحسن
 القابسي (٥) .

① المدا رك ٦٥٣ / ٣

② ترجمته في : المدا رك ٦٤٢ / ٣ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥٢ - ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧ - ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢ - ١٤٦٣ - ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧ - ١٤٦٨ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢ - ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥ - ١٤٧٦ - ١٤٧٧ - ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١ - ١٤٨٢ - ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧ - ١٤٨٨ - ١٤٨٩ - ١٤٩٠ - ١٤٩١ - ١٤٩٢ - ١٤٩٣ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ - ١٤٩٦ - ١٤٩٧ - ١٤٩٨ - ١٤٩٩ - ١٥٠٠ - ١٥٠١ - ١٥٠٢ - ١٥٠٣ - ١٥٠٤ - ١٥٠٥ - ١٥٠٦ - ١٥٠٧ - ١٥٠٨ - ١٥٠٩ - ١٥١٠ - ١٥١١ - ١٥١٢ - ١٥١٣ - ١٥١٤ - ١٥١٥ - ١٥١٦ - ١٥١٧ - ١٥١٨ - ١٥١٩ - ١٥٢٠ - ١٥٢١ - ١٥٢٢ - ١٥٢٣ - ١٥٢٤ - ١٥٢٥ - ١٥٢٦ - ١٥٢٧ - ١٥٢٨ - ١٥٢٩ - ١٥٣٠ - ١٥٣١ - ١٥٣٢ - ١٥٣٣ - ١٥٣٤ - ١٥٣٥ - ١٥٣٦ - ١٥٣٧ - ١٥٣٨ - ١٥٣٩ - ١٥٤٠ - ١٥٤١ - ١٥٤٢ - ١٥٤٣ - ١٥٤٤ - ١٥٤٥ - ١٥٤٦ - ١٥٤٧ - ١٥٤٨ - ١٥٤٩ - ١٥٥٠ - ١٥٥١ - ١٥٥٢ - ١٥٥٣ - ١٥٥٤ - ١٥٥٥ - ١٥٥٦ - ١٥٥٧ - ١٥٥٨ - ١٥٥٩ - ١٥٦٠ - ١٥٦١ - ١٥٦٢ - ١٥٦٣ - ١٥٦٤ - ١٥٦٥ - ١٥٦٦ - ١٥٦٧ - ١٥٦٨ - ١٥٦٩ - ١٥٧٠ - ١٥٧١ - ١٥٧٢ - ١٥٧٣ - ١٥٧٤ - ١٥٧٥ - ١٥٧٦ - ١٥٧٧ - ١٥٧٨ - ١٥٧٩ - ١٥٨٠ - ١٥٨١ - ١٥٨٢ - ١٥٨٣ - ١٥٨٤ - ١٥٨٥ - ١٥٨٦ - ١٥٨٧ - ١٥٨٨ - ١٥٨٩ - ١٥٩٠ - ١٥٩١ - ١٥٩٢ - ١٥٩٣ - ١٥٩٤ - ١٥٩٥ - ١٥٩٦ - ١٥٩٧ - ١٥٩٨ - ١٥٩٩ - ١٦٠٠ - ١٦٠١ - ١٦٠٢ - ١٦٠٣ - ١٦٠٤ - ١٦٠٥ - ١٦٠٦ - ١٦٠٧ - ١٦٠٨ - ١٦٠٩ - ١٦١٠ - ١٦١١ - ١٦١٢ - ١٦١٣ - ١٦١٤ - ١٦١٥ - ١٦١٦ - ١٦١٧ - ١٦١٨ - ١٦١٩ - ١٦٢٠ - ١٦٢١ - ١٦٢٢ - ١٦٢٣ - ١٦٢٤ - ١٦٢٥ - ١٦٢٦ - ١٦٢٧ - ١٦٢٨ - ١٦٢٩ - ١٦٣٠ - ١٦٣١ - ١٦٣٢ - ١٦٣٣ - ١٦٣٤ - ١٦٣٥ - ١٦٣٦ - ١٦٣٧ - ١٦٣٨ - ١٦٣٩ - ١٦٤٠ - ١٦٤١ - ١٦٤٢ - ١٦٤٣ - ١٦٤٤ - ١٦٤٥ - ١٦٤٦ - ١٦٤٧ - ١٦٤٨ - ١٦٤٩ - ١٦٥٠ - ١٦٥١ - ١٦٥٢ - ١٦٥٣ - ١٦٥٤ - ١٦٥٥ - ١٦٥٦ - ١٦٥٧ - ١٦٥٨ - ١٦٥٩ - ١٦٦٠ - ١٦٦١ - ١٦٦٢ - ١٦٦٣ - ١٦٦٤ - ١٦٦٥ - ١٦٦٦ - ١٦٦٧ - ١٦٦٨ - ١٦٦٩ - ١٦٧٠ - ١٦٧١ - ١٦٧٢ - ١٦٧٣ - ١٦٧٤ - ١٦٧٥ - ١٦٧٦ - ١٦٧٧ - ١٦٧٨ - ١٦٧٩ - ١٦٨٠ - ١٦٨١ - ١٦٨٢ - ١٦٨٣ - ١٦٨٤ - ١٦٨٥ - ١٦٨٦ - ١٦٨٧ - ١٦٨٨ - ١٦٨٩ - ١٦٩٠ - ١٦٩١ - ١٦٩٢ - ١٦٩٣ - ١٦٩٤ - ١٦٩٥ - ١٦٩٦ - ١٦٩٧ - ١٦٩٨ - ١٦٩٩ - ١٧٠٠ - ١٧٠١ - ١٧٠٢ - ١٧٠٣ - ١٧٠٤ - ١٧٠٥ - ١٧٠٦ - ١٧٠٧ - ١٧٠٨ - ١٧٠٩ - ١٧١٠ - ١٧١١ - ١٧١٢ - ١٧١٣ - ١٧١٤ - ١٧١٥ - ١٧١٦ - ١٧١٧ - ١٧١٨ - ١٧١٩ - ١٧٢٠ - ١٧٢١ - ١٧٢٢ - ١٧٢٣ - ١٧٢٤ - ١٧٢٥ - ١٧٢٦ - ١٧٢٧ - ١٧٢٨ - ١٧٢٩ - ١٧٣٠ - ١٧٣١ - ١٧٣٢ - ١٧٣٣ - ١٧٣٤ - ١٧٣٥ - ١٧٣٦ - ١٧٣٧ - ١٧٣٨ - ١٧٣٩ - ١٧٤٠ - ١٧٤١ - ١٧٤٢ - ١٧٤٣ - ١٧٤٤ - ١٧٤٥ - ١٧٤٦ - ١٧٤٧ - ١٧٤٨ - ١٧٤٩ - ١٧٥٠ - ١٧٥١ - ١٧٥٢ - ١٧٥٣ - ١٧٥٤ - ١٧٥٥ - ١٧٥٦ - ١٧٥٧ - ١٧٥٨ - ١٧٥٩ - ١٧٦٠ - ١٧٦١ - ١٧٦٢ - ١٧٦٣ - ١٧٦٤ - ١٧٦٥ - ١٧٦٦ - ١٧٦٧ - ١٧٦٨ - ١٧٦٩ - ١٧٧٠ - ١٧٧١ - ١٧٧٢ - ١٧٧٣ - ١٧٧٤ - ١٧٧٥ - ١٧٧٦ - ١٧٧٧ - ١٧٧٨ - ١٧٧٩ - ١٧٨٠ - ١٧٨١ - ١٧٨٢ - ١٧٨٣ - ١٧٨٤ - ١٧٨٥ - ١٧٨٦ - ١٧٨٧ - ١٧٨٨ - ١٧٨٩ - ١٧٩٠ - ١٧٩١ - ١٧٩٢ - ١٧٩٣ - ١٧٩٤ - ١٧٩٥ - ١٧٩٦ - ١٧٩٧ - ١٧٩٨ - ١٧٩٩ - ١٨٠٠ - ١٨٠١ - ١٨٠٢ - ١٨٠٣ - ١٨٠٤ - ١٨٠٥ - ١٨٠٦ - ١٨٠٧ - ١٨٠٨ - ١٨٠٩ - ١٨١٠ - ١٨١١ - ١٨١٢ - ١٨١٣ - ١٨١٤ - ١٨١٥ - ١٨١٦ - ١٨١٧ - ١٨١٨ - ١٨١٩ - ١٨٢٠ - ١٨٢١ - ١٨٢٢ - ١٨٢٣ - ١٨٢٤ - ١٨٢٥ - ١٨٢٦ - ١٨٢٧ - ١٨٢٨ - ١٨٢٩ - ١٨٣٠ - ١٨٣١ - ١٨٣٢ - ١٨٣٣ - ١٨٣٤ - ١٨٣٥ - ١٨٣٦ - ١٨٣٧ - ١٨٣٨ - ١٨٣٩ - ١٨٤٠ - ١٨٤١ - ١٨٤٢ - ١٨٤٣ - ١٨٤٤ - ١٨٤٥ - ١٨٤٦ - ١٨٤٧ - ١٨٤٨ - ١٨٤٩ - ١٨٥٠ - ١٨٥١ - ١٨٥٢ - ١٨٥٣ - ١٨٥٤ - ١٨٥٥ - ١٨٥٦ - ١

أخذ عنه ابن أبي زيد فقه أهل الأندلس، (1) وأخذ عنه أيضا أبو عمران الفايسي وغيرهما (2) كابي محمد بن أحمد الملقب بن أبي صفرة (3) .

لقد تمكن بفضل صور بقاءه بالمشرق وبكثرة من التقى بهم من العلماء من الاصرح على صرح الفقهاء ومناهي المتكلمين هناك مما أهله للرد عن المخالفين لمتنّاج العقيدة السنية او المناوئين لدرسة الفقه المالكية وقد دفعه هذا الى تأليف تحليل فصوراً مالك ساء كتاب الدلائل مستعرضاً فيه أقوال مالك مقارناً إياها بأقوال أبي حنيفة والشافعي مرجحاً من رأيه عرضة أقوال امام دار الهجرة عن غيرها (4) . ومع ذلك فقد تأثر بالبيئة العراقية من حيث تعويلها على الرأي فلهذا تراء يفرق التقليد وشبهه بالمغلا في التصوف ومافيه من اعتقادات في كرامات الاولياء وانقلاب الاعيان (5) وهي نفس الموقف الذي وقفه ابن أبي زيد والذي يبين تحدث عنه في مكان من هذا البحث ان شاء الله (6) .

وبالاضافة الى كتاب الدلائل له ايضا نوادر حديث خمسة اجزاء والانتصار برسالة المواعيد المنتجزة ورسالة الرد على من استحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالة الرد على ما شذ فيه الأندلسيون (7) . وتذكر كتب التراجم انه ناظر ابن أبي زيد في مسألة فاحصر مزاجه فقال لما بن أبي زيد : قال خلاف قولك فمن . فقال لو قالها فلان ماصدقته او لكان خصاً او نحو هذا من الكلام مما اسرف فيه وغلا بفرصه حرجه فانتدب له البرادعي وتولاه ووجد للضيق سبيلاً وانكر عليه كن من حضر . ولكن تولى البرادعي ذلك بفرص حرج منه هو ايضا فخصي الاصيلي فكان ذلك سبب مقاصعته مجلس ابن أبي زيد ونجا ان ابن أبي زيد قال للبرادعي لقد حرمتا فوائد الشيخ باسرافت في الرد عليه (8) وكان ابن أبي زيد حسن الضن بالاصيلي من ذلك ماورد : قال ابو الوليد لما دخلت القيروان اتيت ابا محمد بن أبي زيد قال لي ما حاجتك ؟ قلت اخذت منك . فقال لي الم يقدم عليك الاصيلي ؟

① تَرْيَب المَدَارِك 643/3

② 643 - 644

③ جذوة المقتبس ص 258

④ الديباج 139 يهرف

⑤

⑥ الفسح وكرامات الاولياء ص 242 - 243 من هذا النوع

⑦ تَرْيَب المَدَارِك 646/3

⑧ ص 647

قلت : بلى قال لي : تركت والله العلم وراءك . فكيف حاله مع اهل بلده ؟ فاخبرته بظلمهم له قال :
 جهلوا ما اتى به واتيت القابسي فجر لي معه مش ذلك وقال لي مش قوله (1) وصدي عالم القيروان
 فقد اصبح الاصيلي بعد موت ابن زيب عالم الاندلس ورفقيها بدون منازع حتى كان بالاندلس نصير
 ابن ابي القيروان (2) وهما عالمان اخذا من بعضهما .
 قال فيه ابن الفرضي : كان عانما بالكلام والنظر معمرا الى معرفة الحديث (3)
 وقال ابن حبان : كان ابو محمد في حفظ الحديث ومعرفة الرجال والاتقان للنقل والتبصر بالنقد
 والخط لرصو والحدق يراني اهل المدينة والقيام بمذهب مالك والجدد فيه على اصر البغداديين
 فريتا لانضيره في زمانه (4) وقال فيه الحميدي (وكان متقنا للفقہ والحديث الف كتابا كبيرا في الدلائل
 على المسائل فما قصر (5)
 بقي هذا عمله وهذا نهجه ومسلكه الي ان توفاه ربه يوم الخميس لاجد عشر ليلة بقت من ذي الحجة
 سنة اثنيتين وتسعين وثمانمائة (6) .

① تَرْيَيْتُ الْمَدَارِك 645 / 3

② " " " " ص 647

③ " " " " ص 642

④ " " " " ص 643

⑤ حِذْوَةُ الْمُقْتَبَسِ ص 258

⑥ الدَّرِّيَّاع ص 139

لقد عرفنا سابقا المنهج الدراسي الذي كونه الشخصية العلمية لهذا الصالح النفزار الليرواني والمعنا بتراجم يعبر عن نفذرا هذا المنهج من الشيخ العلماء ، وما تميز به شخصية كل واحد منهم على كثرتهم وتنوع اختصاصاتهم من المامهم بعلم آخر على عادة التكوين العلمي للشيخ في ذلك العصر . اذ كانوا يتمتعون بثقافة شاملة .

ولم يبق لنا الا ناحية واحدة وهامة جدا . ولذا اعتقد انها تلتص منا وقفة ولو عابرة . الا وهي علاقة هذا الصالح بهؤلاء الشيخ العلماء داخل حلقه الدرس او خارجة . وذلك لانه على ضوء العريقة تتكسر من معرفه مدركا ان يتص به غذا انما انب من امكانات علمية ومناهج سركية جعلت منه صالحا محبوبا لا ثقلة واخرقسه .

ان ابرز شيخين ارتبط بهما ارتباطا قويا هما ابن اللباد (333هـ) وابرا الفص المصبي (333هـ) اذ كان عليهما معو له في الفقه (1) وهو العلم الذي جعل منه مالكا الاصغر (2) فيما بعد . وقد تعلم من هذين العالمين - زيادة على الفقه - كيف يجب على العالم ان يصبر وان يتامس ويجاهد من أجل انتصار الحق على الباطل والعدن على الظلم . ويظهر هذا التعلق بهما اساسا وبغيرهما تباعا عندما يتخلف عن حضور اللقاءات التي كانت مشيخة القيروان تعقد ها اسبوعيا بمسجد السبت وغيره اذ كان ابن اللباد يخوم الوهم من أجل الوصول الى هذا المسجد (3) . وكما انه لم يتخلف عن حضور هذه اللقاءات ، لم يفارقهما ايضا ولم يتخون عنهما ساعة محنتهما . اذ كان يأتي من غيره الى دار ابن اللباد خفية ساعة وضعه تحت الإقامة الجبر ومنعه من الفتور والتدريس والزيارة ويدخل عليه ويجتمع به على الرغم من الحراسة المشددة وعيون السلطة العبيد به المباشرة حتى كان وغيره يخفون كتبهم تحت ثيابهم وربما ابتلت بالعرس (4) . ولما استشهد شيخه ابر الفص المصبي رثاه بقصيدة ناصقة بمدقا وباكية لوعة وحرقة (5) .

فعليت ابكي يا ابن عيسى ما بكت
فقوة أو فردت تغريردا
بالوعة حرق فتؤادي اذ اني شاع
يخيب وقد قلا د شهيدا

- ① ترتيب المدا رك 493/4
- ② سدرات الذهب 3 / 131 ط . يردت
- ③ معالم الاعماني 3 / 24
- ④ ترتيب المدا رك 3 / 310
- ⑤ ترتيب المدا رك 3 / 322



ومن شيوخه الذين لم اعثر لهم عن ترجمة

- ابو سعيد بن الاعرابي 341 هـ وهو شيخه بالاجازة
 - ابو علي بن ابي هلال
 - ابراهيم بن محمد بن النذر 111 هـ

وليد المناسبة بن كانت تعبيرا صادقا على الرابضة القوية التي كانت تربط بين هذا الصالح وشيخه ان كان ابن ابي زيد يعتبر ابا الفضل الامام القدوة، وتروى لنا المصادر ان ابا الفضل كان شبيها في سلوكه وهيئته بعمرو بن عبد العزيز (101هـ) الخليفة الراشد الخامس، وكان ابن ابي زيد يحافظ محافظة دقيقة على تقليد شيخه في سلوكه وهيئته (1) قال الاجداني واما سلك ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله في هديه وهيئته وسنته صريفة (2) .

والغالب على ضنى ان ابا محمد بن ابي زيد لم يخلد عن الجمعة التي اعلن فيها الفقهاء عن بدأ مسيرتهم الى المهدي يلهي كسني الظلم واجتثاث جذور الفكر الباطني من ارض افريقية العذراء، وما كان له ان يتخلف وفي المسيرة اعز مشيخه كالمسي ربي القنان وابي اللباد وابراسحاق السبائي وغيرهم (3) . ورغم هذا الحضور المادي والمعنوي في مثل هذه اللقاءات الاسبوعية او الاجتماعات الظرفية فان ابا محمد لم يتروى في ان مصادمة مع العبيد والذين من شأنها احداث ارتباك في سير حياته التعليمية وخاصته في هذا الوقت بصدد بناء شخصيته العلمية . ومسلكه يدل عن ذكاء ومعرفة بالحيز الذي يشغله في مجتمعه (4) .

وكان من عبادته ان لا يدخل على شيوخه الا بعد الاستئذان وقد استعد لذلك نفسيا وماديا ان كان يقول لاهمية عند الدخول على ابي اسحاق السبائي [تعالوا نجدد التوبة قبل الدخول اليه خوفا من ان ينصفه للمعلمين] (5) .

وكان السبائي قد عام ابن ابي زيد بنفس معاملته ان كان يقدمه على غيره ويعاشره معاشرة الاحباب (6) . ولم يرحل في العمر ببعمر اتراله في الميدان الفقهي . وكان الابياني التونسي (301) (3) . بهشز لفتكته وصفه بكونه (عاقدر فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها) (8) وما هذا الا بفضل اد من شيوخه من ذلك انه دخل على ابي سعيد ابن ابي هشام وقد حضر مجلسه والقضا لصلبه فمس له ابو سعيد وقال له : (بلغني انت الفت كتمها ^{فوال} نعم اصلحت الله فقال له : اسمع مسألة قال له ابو محمد ان ذكر اصلحت الله فان احببت اخبرتني وان اخصأت علمتنا فسكت ابو سعيد ولم يعاود (9) وكيف لم يسكت الشيخ بعد ان سمع هذه الاجابة الذكية المتأدبة التي تراعي حرمة العلما وتعترف بفضلهم وقد يما تين رحم الله امرئ اعلمني حرفا ووصل معاملة شيوخه وتقديرهم له الى حد ان ارضى لاحدهم وهو ابن ^{الجليل} ^{له} الخي بثت مكتبته (10) وكان يوسف في محلها ان من هواكثرا هلية من تلميذه ابي محمد في الاستفادة منها ووافاده غيره ولم يكن هذا الثلث نليس اذا ما علمنا ان زينة المكتبة كانت سبب فناصير على حد قول القابسي (1)

- 3 معالم الابيان 27/3
- ترتيب المدارك 316/3
- 3
- 4 29 88 318/3 - معالم 32/3 - 33
- 5 معالم الابيان 65/3
- 6 64/3
- 7 ترتيب المدارك 352/3
- 8 معالم الابيان 100/3
- 9 ترتيب المدارك 474/4
- 10 341/3
- 11

ر ر ر ر ر لا يرضى المسار بهائى ذلك ان شيخه ابا الازهر عبد الوارث (371هـ)

اراد عبد الله بن هاشم القاضى استكتاب واستشار فى ذلك ابا محمد فاشار عليه بعدم فعز ذلك لما فيه من
امتهان لكرامة العلماء لان ابا الازهر هو من الفقهاء لذلك جدير بما هو اعلى من وصف القاضى فكيف ^{يمكن} كبير
هذه الوظيفة له ولذلك قال ابن ابي زيد فيه : ما يفرقة افقه من ابي الازهر بن معتب وانما قص ^به قلة دنياه
ورغم موقفه هذا فان شيخه لم يعجبه منه لان فقره كان شديدا وحاجته كانت ملحة فجلس بالقرب من درب السكة
فاذا اخرجت مسأله من ابي زيد كتب تحتها الجواب غير هذا . فضاى ابن ابي زيد وجهه اليه معتذرا له وقال
انما فعلت ذلك لاجل ان اذنت من شيخنا (1) عندئذ عادت الامور الى مجاريها بينهما وفيهم الشيخ
معتد صابيه ولا شئنا ما زاد له حبا وعليه عفا . ولم يكن هذا ^{موقفا} شاكلا بشيخه القيرواني فقد بين كان ايضا من
غيرهم ممن بعدت عنه امصارهم فقد كانت له مراسد مع ابي بكر الابهري (2) ووصلت عطوفته الى بغداد فاشوا
عليه وعرفوا قدره واكبروا علمه وفضله (3) .

لقد برز التأثير العلمى والفكر لهؤلاء شخصية ابي محمد بروزا واضحا ان نجد ان الكثير من آرائه
ومواقفه لم يكتسبها من مطالعته وحلقات الدرس بقدر ما اكتسبها من علاقاته الشخصية بشيخه . فقد ثا ر على
من ائمن فى التصوف من غير اهله وفى غير محله كادعاء البعصر رؤية الله وكتب للرد عليهم كتابا وحاضرا وجادا
تدفعه فى كتاباته ومحاضراته ومجادلاته عقيدة سنية راسخة تقم على تنزيه الخالق سبحانه وتعالى عن مش هذه
الادعاءات ولم يكن فى هذا مبتدعا بل كان طالبا مقتفيا آثار العلماء الصالحين من شيخه مش شيخه ابو ميسرة
نزار (336هـ) الذى يهتوفى وجهه ابليس عند ما يرزله فى شك عمود من نور فى المحراب اثناء صلاته قائلا له
بانه ربه الاعلى . وقد انتبه ابو ميسرة الى هذه الحيلة الشيطانية لقواته ففعل ما فعل اعتادا منه على ان الاله ج
شأنه لا يمكن ان تدركه الابصار وهو يدرك الابصار (4) ولعن مش هذا الموقف ايضا اكتسبه ابو محمد من صحبه
للاصلي (372هـ) الذى كان ينكر ان يقرب الاعيان (5) وقائمة شيخه الذين على شاكلة ابي ميسرة والاصلي ضويلة
تخى بنا على الهدى المرسم لوقتنا باستعراضها . انما يكفى ان نشير الى موقف ابي بكر الباقرنى من مذهب
ابى محمد فى انكار مش هذه الادعاءات الباطلة لما جاءه الوفد القيروانى المعارض لابي محمد . حيث ابان لهم
الباقرنى القضية واتى على ابي محمد ونبيههم الى صلواته ان لم يكن مذهبه انكار سائرهما (6) .

① معالم الاعيان 3 / 38

② ترتيب المدارك 4 / 496

③ معالم الاعيان 3 / 113

④ ترتيب المدارك 3 / 359

⑤ .. 4 / 646

⑥ معالم الاعيان 3 / 112 - 113

ويرد على المعتزلة ويهدد مزاعمهم انصافا من فكر سني اشعري عقلته مجالس العلماء ودعته ينابيع المعارف التي جناها سواه اثناء حجه او عن صروف صجبت لاي عبد المؤمن المتكلم السني الاشعري الذي فض — سكي القيروان لما بلغه من رواج سون العلم فيها ولما علمه من نص فقيها ابن ابي زيد وعصفه على الصواب والعلماء .

وكان كثيرا ما يغضب ساعة مشاهدته سلوكا من صواب ازا، شيخ فيه من بالشيخ او تحاور على حرمتا لدرس وتجاوز لما تفرضه هذا العلاقة التربوية من الانضمة السلوكية المهدية ازا المعلم . ثم ذلك رفضه لما صدر عن تلميذه البرادعي (ب 386) من سلوك ازا الاصلي حيث قال له : (لقد حرمتنا فوائد الشيخ بالبراء الرد عليه) (1) وقد يزداد اعجابنا بهذا السلوك من ابي محمد ازا تلميذه اذا ما علمنا ان التلميذ في رده كان من العناصر لابي محمد الذر كان في جدال علمي مع الاصلي (2) . ورغم ذلك رفض ابي محمد سلوك تلميذه البرادعي معتبرا اياه تجاوزا للياقة التي تفرضها هذه العدة التربوية التي تنظم وتمت الصلات الرابطة بين الخرب والشيخ . بن نجده يقول لاحد التلاميذ الاندلسيين الذي وفد عليه لاختذ العلم عنه : ما حاجت ؟

قلنا لاخذ عنه فقال لي ألم يقدم عليكم الاصلي قلت بلي . قال لي : تركت والله العلم وراى فكيف حاله من اهل بلد ؟ فاخبرته بظلمهم له قال : جهلوا ما انتهى به (3) وهذا النسك الجرد ليس على على ما كان يكنه ابن ابي زيد لكن من اخذ عنه علما من احترام واعترا بالفضل الجليل في البيت المتفوق ايا هذا المسلسل من مسلسل صواب اليوم ازا من يسهر الليالي من اجل اعداد مسألة لهم يمكن عرضها في خمس دقائق . .

ان ابدعنا في ان علم من العلم يتوقف على مدى اقبالنا على مسائل ذلك العلم . وهذا الاقبال يتوقف على تقديري ما نملكه من ميول نحو ذلك العلم . وهذه الميول انما يثيرها لنا الشيوخ الذين كتب عليها ان تاخذ تلك المعارف في حلقاتهم . ومن هنا فابداع ابي محمد في مجموعة من هذه العلم انما يعود اساسا الى عبقرية اولئك الذين درسوا له هذه المعارف . فقد اصبح الفقيه الاون وعالم المائة الرابعة لانه تفقه بابن اللباد الذي يقون عنه احدا من التراجم (وكان لانظير له في علم القرآن قراءته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه من نسخة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب ويصر باسماء الرواة ومعرفة الضعفاء منهم والثقات وضربت اليه اكباد الابن (4) وكان غيره (وكان فقيها جليل القدر عالما باختلاف اهل المدينة واجتماعهم) (5)

① تركيب المدا رك 4 / 647

② " " " "

③ " " " 4 / 45

④ " " " 3 / 22

⑤ المدا رك 3 / 55 -

وقد ذكر ابن أبي زيد هذا البحر لشيخه في العلم عامة وفي الفقه خاصة في القصيدة التي رثا بها
والتي منها (1)

الفقه ~~خلقه~~ والعلم حلتسه والد ين زنته واللّه شاعدا
اب لاغرنا كفن لا كبرنا وفي التوازن ملجانا ومفرغنا
يامر هو العلم مشهود منظره ومن تأدب بالقول وادبنا

ومر هذا الموقف تجده منه ازا^ه شيخه ابي الفضل المسمى (333) شهيد الوادي المالح وقد
تفقه^{وا} وشبه به في مسلكه وهياته وحتى شعرت ما كان يتحلى به ابو الفضل من علم علينا ان نقرأ شهادة احد
تلاميذه حين قال : كان يتكلم في علم مالت كلاما عاليا وبفهم علم الرثائي فهما جيدا ويتناظر في الجدل
وفي مذاهب اعراس النظر على رسم المتكلمين والفقهاء مناضرة حسنة وكان لسانه مبينا وقلمه بليغا من
حصانة العقل وذكاء الفهم وكان في المناظرة والفقه اجزر منه في الكلام (2)
وقد مدح فيه ابو محمد هذه الخصال عند مراثاه حيث قال (3)

يا فاتق الرتب اتحفني بعلمه ووهبنا للمشكلات مفيدا
جمعت كن فضيلة ونقيصة وحيث علما حارفا وتليدا
برعت بين اصوله وفروعه فقهرت ما قد كان منه غيدا

وقد يزداد اعجابنا بهذا الصاحب القيرواني اذا ما علمنا انه ليس في السهول معايشة هذين العالمين
لما اتصفا بممن حدة في النجى وانقباض في الاخرى اذ ورد في خصوص ذلك بالنسبة لابن اللباد (وكان
العالم على خلقه الحى) (4) اما بالنسبة للمسمى فقد قيل فيه وكان ملهم انموذ والانباض والصيانة
(5) وقال غيره (والناس فيه فرقان فرقة ثبرا منه وتشنع حيث تمت خلائقه وفرقة تحبه وتواليه وتذب عنه (6)
(مكرر)

قلت على الرغم مما اتصف به ابن اللباد من شدة في السلوك ازا^ه التلاميذ . فقد نجح ابن ابي زيد
في معاشرتهما وجنا من علمهما ما جعل منه عالم المائتة الرابعة بدون منازع حتى ورد انه قال لما بلغت
وفاة المسمى وددت ان القيروان سبيت ولم يقتل ابو الفضل (8)

وكان قد تأثر ايضا بابي العرب التميمي حيث وجهه الى حفظ السنن لصحيحه والتثبت والضبط
اثناء التحضر والاداء اذ كان ابو العرب (333) حاملا لواء التاريخ في افريقية من تقدمه في علم الاثار و
بالفقه ومعاني الحديث (9)

① ترتيب المدارك ج 3 / 311

② " " " " 313 القول لابن الحارث التميمي

③ راجع اسفوس نسخة مطبوعة عن نسخة باريس 20386 يد ب مكتبة البولونية ص 88

④ ترتيب المدارك 3 / 305

⑤ " " " " 3 / 313

⑥ نسخة علماء افریقا التميمي ج 5 / 175

⑦ انظر معاملة لابي هيمونه دراس القاسمي بترتيب المدارك 4 / 396

⑧ ترتيب المدارك 4 / 314

⑨ معالي السادة 3 / 36

ومشما تآثر في الفقه بآبى اللباد والمسنى وفي السنة بآبى العرب وفي الدراسات القرآنية بآبى اللباد وغيره نجده تآثر في العربية شعرا ونثرا بجملة من الشيوخ من فيهم ربي القصار (334هـ) وأبو الحسن الكاشي . فقد ذكرت المصادر بالنسبة لأول الاثنين انه كان عالما بالقرآن وقراءته وتفسيره ومعانيه حاصلا للحدث عالما بمعانيه وعلله ورجاله ومكره معتبرا بمسائل الفقه كانت له بجامع القيروان حلقة (1) - وكان يؤلف الخشب والرسائل يقول اشعر وكان لدار افريقية في زمانه في الزهد والزواني (2) . ونجده بعد مفتي المسنى خمسة وثلاثين في رجب سنة 333هـ يعود الى القيروان وينتصب للتدريس وتضم حلقة فيمن تضم ابراهيم زيد وابن شبلون وغيرهما من علماء القيروان (3) وبذلك نرى من شجاعة ابراهيم زيد وجهه لشيخه بحيث لم يذمه خزي ربي على السلطنة من حضور مجلسه المراقب من صرف العبيد ين وما ينبغي هذا الحضور من تتبعات قد تكون نتائجها وخيمة العاقبة على مستقبله العلمي وحتى على حياته وقد راينا لنفس هذا السلوت ازا شيوخه الاخرين كآبى اللباد والمسنى وآبى العرب .

⁴ وتآثر ايضا في ميدان اللغة وعلومها وآدابها بشيخه العابد ابي الحسن الكاشي (343هـ) الذي ورد في ترجمته ما يلي (وكان يحسن العربية والنحو واللغة وشعر العرب (4)) كان شاعرا قصر شعره على مناجاة خالقه من مثل قوله (5)

احببت نجواهم ثم بلوتهم فاكثرت بلواهم كي يتضرعوا
واذا دعوت رفعت نحو دعائهم حجابا لعزت دائما لا تلغى

اننا لو اردنا ان نحيد بخصائص هذه العلاقة التي رشت بين هذا الصالح وهؤلاء الشيوخ لاقتضى منا ذلك وضع مؤلف خاص وذلك لما تميزت به هذه العروة من عطاء ولما اتصفت به من نبيل ولما استمت به من معرفة بالحقوق والواجبات ولهذا كان تآثره بهم تآثرا تآوى السلوت والنهي وشعر المجتمع والاراء فيما يخص مسائل العلم ونوازل الفقه وشكرت علم الكرم .

انما يكفي ان نقول ان التزام ابي محمد بما تفرضه عليه واجبات التلميذ نحو المشيخة من ههنا في التحسين لا تعرف الكلل وذلك بارع لا يعرف الكس . فقد مكنته هذه الصفات من ان يتبوا السوياد من

① ترتيب المدارك 3 / 323 - 324

② " " 3 / 324

③ " " 3 / 321

④ " " 3 / 368

⑤ " " 3 / 375

فلم يلبهم فكان درة عقد حلقاتهم فقد موه على غيره لكفاته وجده واخرقه وبذلك مكثوا له في الامر ودفعوا به
الى مركز الصدارة في مجتمعهم مما هيا له سبيل النجاح بعد موتهم وبذلك كان خير خلف لخير سلف
حيث نفع اكسير الحياة في الفكر الاسدي مشرقه ومغربيه على حد السواء مما كان له الاثر الايجابي
والفعال على النهضة الفقهية التي شاهدناها مدرسة الفقه المالكي على يديه حتى غدا بحق عالم المائة
الرابعة بدمناز نعل صيته وانتشرت كتبه وكثر شراحها ومختصروها مما جعل صديها ومريديها يذرون في اقتناؤه
النفس والنفس ولا يستكثرون ثمنها حتى ولو بعل وزمنها ذهابا .

الانسان مدني بطبيعته اجتماعي بفطرته وعلى ضوء حركته الاجتماعية يتحدد دوره وتتضح معالم علاقاته بغيره من حيث كونه مؤثرا ومتأثرا مما يمكن الباحث من معرفة سميزات وخصائص نفسية من يفهمه تحت مجهر البحث العلمي من خلال انشطته الاجتماعية وعلاقاته البشرية وعبد الله ابن ابي زيد هو هذه الشخصية الاجتماعية التي اريد ان ألتقي عليها هذه المتولة حتى نتمكن من معرفته ومدى تأثيره بمن وفيمن حوله من المجموعات البشرية . ومدى قوة الرابطة التي تشده الى من عاشروهم واختلط بهم سواء اثناء دراسته او اثناء تدريسه .

ان تعرفنا على ذلك ليعدنا بمفتاح شخصية ابي محمد عبد الله ابن ابي زيد غير انه يسر علينا الامام بكل الذين التقوا بهم وارتبوا معهم بلمة قد تكون عابرة وقد تبلغ حد التآثر . لذا ارى من الاجدى في تحقيق بنيتنا ان نركز انتباهنا على الخاصة من اصحابه الذين اشتبوا ارتباطهم به وملتزمته لهم واستمرت صحبتهم لبعضهم طوال حياتهم وحياتهم وكنموذج على هذا الصنف من اصحاب ابن ابي زيد وقع اختياري على اربعة من خيرة اصحابه هم على التوالي:

- (١) ابو محمد ابن التبان - (٣٧١هـ) (١) وابو القاسم ابن شبلون (٣٩١هـ)
- (٢) ابو الحسن القابسي (٤٠٣هـ) والمؤدب محرز ابن خلف (٤١٣هـ) (٤) وقبل استمرار حياة هؤلاء الاصحاب يعاينها من الصور عن علاقاتهم بابن ابي زيد ارى من الواجب العلمي ان اعرج ولو بايجاز على نوعية ~~التحقيق~~ الروابط التي كانت تربط بينهم وبينه فاجد ان منها ما يصل الى حد الترابط العائلي كما هو الحال بينه وبين ابي الحسن القابسي والمؤدب محرز ابن خلف انهما ك بعض الروايات تقول بأن ثلاثتهم هم ابناء الخالة على اساس ان ابناءهم قد صاهروا عائلة واحدة لها ثلاث بنات فانجبت كل بنت ولدا من الثلاثة (٥)

هذا بالإضافة الى ما قلناه سابقا من ان ابا الحسن القابسي وابن ابي زيد النفازي القبرواشي هما من منطقة واحدة وقد وفدت اسرتهما على القبروان في وقت ما وليسيبا (٦) .

- ① انظر ترجمته بإعداد ك ١٦٦/٤ - ٥٢٤ - المدام ٣٦ - ٨٨/٣
- ② " " " " ٢٨٨/٤ " " ١٢٣/٣ ١٢٤
- ③ " " " " ٦١٦/٤ - ٦٢١ " " ١٣٧/٣ - ١٤٣
- ④ " " " " ٣١٢/٤ - ٣١٥ مرسد المراجع ص ١٦٣ - ١٦٤

⑤

⑥ انظر هذا البحث ص ٦٢

ولقد تأسس هذا البيت العائلي في تفتين الصلة بين الثالث بالإضافة إلى رغبة العلم والتقوى وقد برز ذلك واضحا في كثرة تردد محرز بن خليف على القيروا وزياراته المتتالية لأبي محمد ولا استبعد أيضا أن أبا محمد كان يبذل المال خاصة أنه كان من تلاميذ أبي يحيى شيخ تونس وفتيها . وهو ما يندرج على أبي الحسن القابسي الذكاد كونه لوفاء ابن أبي زيد أن تأتي على حياته وقد بادله أبو محمد نفر الماشا والخاص إذ كان عليه حادبا ومنه ليليا وسما ولا أدل على ذلك من تجهزه بنت أبي الحسن أثناء زواجه . أما علاقته بالباحثين الآخرين فهي علاقة دراسة ومساكنة إذ أخذ ثلثتهم على نفقته وكان شغفهم من أميل مدينة عقبة ، وكانت ثلثتهم موالد من أها السنة . هذه الخصائص التي سوف تثبت لنا تراجم الصحب الأليار .

(١) أبو محمد ابن القبان : [311 - 371 هـ]

هو أبو محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن القبان (١) كان فقيها عالما ومناظرا كذا أو مجادلا مبدعا ، اشتهر بأراء فقهية وعرف بأقوال عقائدية تجتنب بينه وبين ابن أبي زيد خصائص كثيرة منها وحدة السن اذ كل منهما ولد في العقد الاول من القرن الرابع كما اشتهرا في الشيوخ الذين درسوا عليهم . اذ كان اعتماد كل منهما على ابن اللباد وكانا يزوران الألباني معا من ذلك ما ورد أنه قيل لأبي العباس الألباني الفقيه من أجل من رأيت بالقيروان بعد ابن اللباد وابن العجاني . قال دخل على نفر أجمع أكبر من الاثنين ... يقال له أبو سعيد ابن أبي هشام وأما الثاني من الاثنين فاني رأيت شابا عاقلا كمالا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له عبد الله بن أبي زيد والثالث يقال له عبد الله ابن القبان تكاد كل شجرة في جده تنطق بالحكمة يكون لهما في الفقه به ع) وكما كانا متساويين في طلب العلم خارج القيروان كانا أيضا متلازمين في طلبه داخلها حتى في أيام الصعبة التي مرت بها وعلى شيوخها من ذلك ما ورد أن العبيديين قد جهنوا ابن اللباد بداره ونعموه من التدريس والافتاء فكان أبو محمد ابن أبي زيد وأبو محمد ابن القبان يأتیان اليه خفية وربما جلا الكتب في أوسطهما وحجزتهما حتى تبيتل باعراقهما خوفا من بني عبيدنا لوهم بمكروه (٢)

① امدارک ٥١٦/ ٤ - ٢٣٦٤ - املعالم ٩٤/ ٨٨/ ٣

② املعالم ١٥٥/ ٣

③ ٢٥/ ٣

هذا الارتباط الدائم بين الناجين دفع بنى عبيد الى مراقبتهم ودعوتهم متى رأت في لـ . .
لقاتهم مع غيرهما ما يهدد امنها ووجودها . فكانت تعهد الى استدعائهم محاولة منها في
احتوائهم وغيرهما وكسب الجميع الى صفها . . . لكن محاولاتها بالفشل الذريع .
ولهذا عمدت الى بث الميون هـ حول اماكن تجمع العلماء وخاصة بسجد السبت حيث كانت
مجالسهم الاسبوعية العائرة بابن أبى زيد وابى محمد بن التبان وغيرهما من الطلاب والشيوخ .
من ذلك ماورد من أن (عبد الله المختار صاحب القيروان شدد في طلب اهل العلم ليشر قهس
فطلب الشيخ اباسعيد بن أخى هشام وابا محمد بن التبان وابا القاسم بن شبلون وابا محمد بن
أبى زيد وابا الحسن القابسي رضي الله عنهم فاجتمعوا في مسجد ابن اللجام واتفقوا على القرار
بذل لهم ابن التبان اما امضى اليه واكتبكم مؤونه الاجتماع ويكون كل واحد سمس في داره . ويقال
أنهم ارادوا السر الى عبد الله - المختار - فقال لهم - ابن التبان - انا امضى اليه ابيع روعي
من الله دونكم لانكم أن أتى عليكم وقع على الاسلام وهن) ٢١٥ (١) . وقيل ان هذا الاجتماع
كان يدار ابى محمد بن أبى زيد (٢) . وعلى كل فقد ذهب ابن التبان الى صاحب القيروان
وحادل دعاة الروافض دعا الى صحبه غانا منصورا . ومع هذه الثقة المتبادلة وهذه الوحدة
الفكرية وهذا التلازم السرمدي نجد هـا يختلفان في بعض المسائل . وليس ذلك بغير سب
من عالين يثلان بتكاملهما الوحدة المنهجية الفكرية للمدرسة الفقهية بالقيروان . غير أن
هذا الخلاف يقف عند الفروع والجزئيات أما الجوهر فلا يصل اليه . من ذلك اختلافهما
حول جواز اعدام جواز قول المسلم انامو من عند الله فقد جوز ذلك ابن التبان ومنعه ابن أبى
زيد وقال انما يقال ان كانت سريرتك مثل علانيتك فأنت مؤمن وقد وافقه على قوله اغلب اهل
القيروان . وهذه مسألة قديمة وقع الحديث فيها منذ عهد محمد بن سحنون (٢٥٦) . ومحمد
ابن عبدوس (٣) (٢٦٠) . وقد ذكر عياض هذه القصة آمم يارادها هنا كما أذكر هـا
تعميقا للمعرفة بما كان يدور بين العلماء وثوعية الروابط التي كانت تربط بينهم .
قال الداودي

- ① ترتيب المدارك ٤ / ٢٤١
② معالم الاسمان ٣ / ٣١
③ ٣ / ٣٢

ومن بين سبب من سبب غير هـ يقرر هـ: مؤمن عند الله أو يسكت . فكان يقول : هو مؤمن عند الله وقال بقوله جماعة من علماء القيروان وخالفه أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله وانكر عليه ذلك وقال إنما يقول إن كانت سريرته مشعرية فانت مؤمن عند الله وقال بمش مقالة أكثر علماء القيروان ووقع بين الصائفتين في ذلك تهاجر وتقاص . قال الداود : فكلنا ابن التبان في ذلك وقلت له : كيف نقص على غيبة ؟ فقال : فإن كانت سريرته مشعرية كان كذلك يقال هذا مؤمن في حكم الله تعالى مش قوله تعالى (فإن علمتموهن مؤمنات فترجعن إلى الكفار) فقال لي أبو محمد : ليس هذا أراد فقلت : كذلك قال (1) .

ومن خلافهما أيضا حرم الأم بسر البنات وثبت أن لسه وإن التذ بذلك لا أثر له - مع عدم وجود النية - فإن بذلك جماعة منهم ابن شبلون وابن أبي زيد في أحد له . وقال ابن التبان حرم قلام بهذا المصطلقا وكان يفتي بذلك وهذا غاية البرع (2) .

كما كان الخلاف بين ابن التبان وابن أبي زيد كان أيضا الخلاف في أحكام بعض المسائل بين ابن التبان وغيره من العلماء القيروانيين وهو ما دفعني إلى القول بأنه لابن التبان أقوالا فقهية انفرد بها عن غيره من الأصحاب من ذلك خلافه مع أبي سعيد ابن أخي هشام في الصلاة بالأرض المغصوبة والمرور بها كضريح . فقد جوز ذلك أبو سعيد ومنعه ابن التبان إلا ساعة الضرورة مخافة خرق الوقت بالنسبة للصلاة وانعدام إمكانية المرور إلا بالأرض المغصوبة بالنسبة للمرور

وبالإضافة إلى ما تقدم ذكره من مظاهر الترابط بين صاحبين فإن ميولاتهما العلمية قد دعمت هذه الرابطة وقتها بمرور الأيام إذ كل منهما كان شاعرا عالما بالعربية وفنونها ذابا عن مذهب مالك بقلمه ولسانه وسلوكه حتى ورد في التعريف بابن التبان قول القائل (الفقيه الإمام كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين ضربت لها أكباد الأبي من الأمصار ولعلمه بالذهب عن مذهب أهل الحجاز وميمرو مذهب مالك وكان من أحفظ الناس بالقرآن والتفنى في علومه والكلام على أصول التوحيد مع فصاحة اللسان) (3) وقال غيره (كان من العلماء الراسخين

① رُئيب المدارك 4 / 623

② معالم الأسماء 3 / 89

③ رُئيب المدارك 4 / 174

والفقهاء انبرزت لمكباد الابن من الامصار لعلمه بالذنب على مذهب اهل السنة وكان فصيح
اللسان رقيق القلب غزير الدمعة ولعلم شتى منها علم القرآن والفقه والزكيات والنحو واللغة والنجوم
والصوب والشعر الرقيق ولمن ذلك من شديدا (1)

وهذا ابو الحسن القابسي ثالث الاربعة وفاة يذكر صاحبه ابن التبان بعد موته قائلا (رحمت الله
يا ابا محمد فلقبت كنت تغار على المذهب وتذبح الشريعة) (2) .

واستمرت هذه الاربعة قوية بين ابناي زيد وابن التبان الى ان توفي ابن التبان يوم الاثنين الثاني عشر
من جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وثلاثمائة اما مولده فكان في سنة احدى عشر وثلاثمائة . حيث دفن
بالرمادية من مدينة القيروان . وقد عاش بعده صاحبه ابناي زيد خمسة عشر سنة .
(2) ابو القاسم ابن شبلون :

هو ابو القاسم عبد الخالق بن خلد بن شبلون (3) الفقيه المتبحر في فقه اهل السنة والجماعة من
معرفة جيدة بمناسخ الاحكام والنوازل والوثائق ولذلك كان الاعتماد عليه بالقيروان في الفتوى والتدريس
بعد ابني محمد بن ابني زيد رحمه الله (4) .

بالاضافة الى علمه فانه كان متصفا بالاخلاق الحميدة من العقيدة الراسخة والسلوك الحسن . وكان
كما مر بنا من الشيخ الثابرين على حضور لقاءات العلماء في اماكن اجتماعاتهم بمساجد القيروان وغيرها
كمسجد السبت ومسجد اللجام ودار ابن ابني زيد ودار السبائي وغيرها . وقد مر بنا ايضا انه كان حاضرا
يوم ان بعث عبد الله الملقب صاحب القيروان في طلب العلماء المجتمعين بالمسجد او بدار ابناي زيد
لمجادلتهم وحملهم على التشيع . ويقدر هذا الترتيب بين ابن ابني زيد بقدر ما كانت لماقوا فقهية
قد تنفي في بعض الاحيان ما اقوال اصحابه وقد يختلف احيانا آخر غير ان اتفاقهما واختلافهما
لا يزيد رابطتهما الا قوة ومثانة . وذلك لان الاتفاق والاختلاف هو بسبب سعي كل منهما الى تنقيح
المصلحة العامة . التي هي القاسم المشترك الاكبر في البناء الفكري لمدرسة الموالك بالقيروان .

① معالم الزمان 3/ 89

② ترتيب المدارك 4/ 517 - 518

③ ترجمته بدارك 4/ 28 - معالم الزمان ص 123 - 124

④ ترتيب المدارك 4/ 29

بقا في مسامر ~~التي~~ التمتع بعدم نية التلدد وقد رايتهما بقران بار لا اثر
يترتب عن هذا اللبس مخالفين في ذلك راي صاحبهما ابن التبار القائل بالحرمة ^{ورعا}

ومن اختدقاتهما وموقفهما من نمرالمدونة حيث كان ابن شبلون لا يتأثر بهائلها بين يحملها على
 ظهرها في حين كان ابن زيد يتأولها من ذلك قضية المني على الخفين فقد جاء في المدونة قوله :
 ارانا مالت فوض يده اليمنى على ظاهر اصرار اصابع رجله اليمنى واليسرى تحتها من باص خفة فأمرهما
 الى حذو الكعبين ولم يبين لهم صفة رجله اليسرى : فقال ابن شبلون صفة مسحها كاليمينى ولو كانت مخالفة
 لها لبينها مالم وقال ابو محمد بن صفة مسحها على العكس لانعاسك في التناول وانها لم يبينه مالمست
 لوصحه (١) .

لكن من ذلك فقد كانت هذه الخلافات مقربة لهدى بين الصاحبين ناشرة لعلمهما مشبعة لتبحرهما فيه
مما جعل الخاص والعامة يضعونهما في «صدارة علماء المدرسة الفقهية بالقيروان ولهذا كثر ~~فصلهما~~
مرتببه العلم والباحثين على الفتوى حتى قيل ان ابن شبلون كان يفتي كسليم في مائة نازلة وحادثة (2)
ير (وكان يفتي في اللازمة بخلق واحدة) (3) 558 • وقد اينا مشر ذلك إلى زيد في قصته مشيخه
ابن الازهر عبد العوازم (371 هـ) (4) 559 • من حيث كثرة ما تصدر عنه من فتاوى •

ان جدية ابن شبلر و اخلاقه العالية جعلت العلماء بما فيهم ابن ابي زيد يحبونه ويرتضون به بروابط متينة حتى انهم قدموه في التدريس والفتوى بعد وفاة صاحبه ابن ابي زيد . ولادان على ذلك من حب الشيخ ابن اسحاق السبائي وتعظيمه له حتى قال مرة لو قاسمته في كراما املكه فقال له خادمه ابره سعيد القدر وهن عندك غير مصحف و جلد صوف ؟ فقال له نعصيه نصف دعائي والنصف الآخر لسائر المسلمين (5) وكان ابره محمد شديد العصب على صاحبه ابن شبلر حتى انه بعث له في مرضه بخمسين ديناراً هبة (6)

لقد استمرت هذه الرابطة قوية متينة الى ان انتقل ابو محمد الى الرفيق الاعلى فورث ابن شبلون عمله وعلمه ورجاهه .

- ① معالج الايمان 3 / 124
② " " 3 / 124
③ توبيخ الدارك 4 / 285
④ معالج الاعيان 3 / 73
⑤ " " 3 / 124
⑥ " " 3 / 113

حيث انتهب للتدريس والافتاء بالقيروان مكان ابن ابي زيد . ثم يتوفاه الله كما صاحبه ليلة الاربعاء الثاني عشر من ربيع الاول سنة 391 هـ . وقال عياض (ابن عمار في ربيع الاول سنة تسعين وثمانية (1) وقد روى انه لما احتضر شغل بيصره نحو الباب وقال هذا ملنا الموت : ادخل يا ملنا الموت سالت بالله الا ما رقت بي اثم قضى . وقد رثى كما صاحبه ابن ابي زيد بمرث كثيرة منها (2)

بالي ارى الدنيا تغير حالها	والنور في العقل النواضر يظلم
وارى نفوس الخلق ذابت حسرة	فجرت بها دم يمازج دمه
على بيلد تاترت لفقننا	منعنى له في كل دار ماتم
وانضر الى العلماء حزن سريره	تنظر الى شمر حوتها انجم
ثقت عليه يد العلم جيوها	ويكت بكاء مذلة لا يسم
ذهب المحامس عن شريعة احمد	وساجها بحر العلم المنعم
اودى بحفظ الخلق عود رعاينه	وانظر للاسلام سيف مخدوم
سكر العلم اعيب فهمي ثواكر	ركن المعالي انقصر فهمي تهتم
يغشاه طلاب العلم كاتمها	بغنائمه للحج عاد الموسم
في برودة تقوى ويبس ضلوعه	قد منى بالعبادة مغرم

(3) ابو الحسن القابسي : (323 هـ - 403 هـ)

هو ابراهيم الحسن بن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي (3) الفقيه المدرس المفتي يذهب ابن ناجي الى عهده انتسابه الى قابس حيث هناك قرية المعافرين وبها مسجد يسمى بمسجد علي متبر به من صرف اهل قرية المعافرين (4) وهو عند ارجح ما ذهب اليه عياض من حيث كونه نسبته الى قابس هي نسبة مجازية لاحقية مرجعا ذلك الى تعم والده على صريفاه قابس (5) . وقد تفقه ابو الحسن ابن القابسي على جملة من الشيعة الذين تفقه بهم ابن ابي زيد . وتلمذ عليه جملة من تلاميذ ابن ابي زيد حتى ان الكثيرين من اصحاب التراجع من لم يدركوا ابا محمد اضافوا تلاميذ الى ابراهيم الحسن القابسي وخصرهم به في حين ان الكثير منهم تفقه بابي محمد والاشم بابي الحسن ثانيا كابن القاسم اللبيد والبرادعي وابي علي بن خلدون وغيرهم كثيرين وكان لابن الحسن رحلة الى الشرح بداية من سنة 352 هـ (6) استمرت خمس سنوات الى سنة 357 هـ عاد بعدها الى القيروان لينكب على التدريس والتأليف حيث الف عدة تأليف منها العميد في نحو ستين جزءا ولم يتمه الا 44 جزءا

① ترتيب المدارك 284/4

② معالم الاعلام 125/3

③ ترجمته بترتيب المدارك 616/4 - 621 - معالم الاعلام 134/3 - 143

④ معالم الاعلام 134/3

⑤ ترتيب المدارك 621/4

⑥ ترتيب المدارك 621/4

وقد بوه على أبواب اسمه جامعاً بين الحديث والآثار والفقه وقد أجاز روايته ليعمر تلميذه كابي عمر
 الداني ومنها أيضاً رسالته المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين • وقيل ارتحال إلى المشرق وبعد
 أيضاً كانت له رحلات داخل إفريقية إلى جنباته لزيارة الشيخ أبي اسحاق الجنباني وإلى تونس لزيارة
 الشيخ العباس الأيباني ولاشأنه زار قرية المؤدب محرز بن خلف أما إذا نظرنا إلى العدة الرابعة
 بينه وبين أبي محمد ابن أبي زيد فأننا نجد لها عدة تتجاوز العلاقات العادية إلى نوع من العرفان الخاصة
 وخصوصيتها جاءت حسب اعتقاد من انتماها إلى وس اجتماع واحد عا مثاه صلة دموية وبنية
 جغرافية • بالإضافة إلى أن فاروق السر لم يكن كبيراً إذ أن ثلث عشرة سنة لا تعتبر فاروقاً زمنياً كبيراً •
 بدليل اشتراكهما في التلقي على يد الشيخ تاجي والعمسان والأيباني والسبائي وكما اتسرا
 في التلقي اشتراك الصواب في الأخذ عنهما كالليدي والبرادعي وأبو علي بن خلدون وغيرهم كثير •
 ولاشأن من هذه الخصائص مما يساعدنا على فهم الأسباب الكامنة وراء مثاه هذه الرابطة واستمراريتها
 وقد كان كلاً منهما وفيما لهذه الرابطة عاملاً من ذلك أن أبا محمد قد جهز بنت أبي الحسن بأربعة
 دينار وقار (كنت أعددتها من حين أملاكها لئلا يشغل قلب أبيها من قبلها) (1) أن تفكر أبي محمد
 في أمر جهاز بنت صاحبه أبي الحسن منذ يوم أملاكها يتجاوز في حد ذاته مجال العلاقات العادية
 التي مجال الرابطة القوية المتينة • وفي هذا المجال يروى أيضاً أن الشيخ أبي محمد بن أبي زيد اتاه
 راعي غنمه بشاة فأمر ببيعها إلى الشيخ أبي الحسن فأمر بذيحها فلما ذهبت وسلخت رفق بحرب منها
 إلى قصته فشمها ولم تأكلها فأمر بردها إلى أبي محمد فسأل ابن أبي زيد الراعي فقال لأنها اختلطت
 علي غنم • ولم يأت لها طالب فتعجب أبو محمد وقال أفني غنمي الحرام قصة أبي الحسن القابسي أروى
 من أبي ابن أبي زيد (2) •

هذان الثمان يدلان على مدى عناية كلاً منهما بصاحبه عناية تجاوزت الحدود الجزئية والمعهودة حتر
 أدت بإحدهما إلى التفكير في جهاز بنت الآخر سعياً منه وراء إسعادهما وصيانة قلب أبيها كما أدت
 بالثاني إلى رد الشاة لأحساسه بأمرها غير شرعي حماية لدين صاحبه وحفظاً لماله من أن يدخله
 حرام •

① معالم الأديان 113 / 3

② " " 139 / 3

بين في الله والمآخين تبعاً لتعاليم دينه .

وتشتد لوعة أبي الحسن حين - ماعه خبر وفاة صاحبه حيث سقط على الارض باكياً . قائم (الآن انكشفت عورتى لما كان ينوب عنه في القنور (1)

وبذلك نلمس مدى غم ماكان يربط بينهما من اواصر ومدى صدى ماكان ينس بينهما من روابد .
هذا هو ابو الحسن بن القاسم الفقيه الاعزلى المتكلم صاحب التآليف المجيدة والخ الوفي لماك الصغير حيث يلبي داعى ربه ليلة الاربعاء ودفن ظهر الخميس لثلاث خلون من ربي الآخر سنة 403 هـ بعد وفاة صاحبه بسبع وعشر سنة وكان ميلاده سنة 323 هـ بالقيروان .
(4) محرز بن خلف : (413 هـ)

هو ابو محمّد محرز بن خلف ابن ابي رزيق التونسي المعروف بالعابد (2) والمشهور بين سكان الحاضرة : بسلطان المدينة : يرجع في نسبه الى ذرية ابي بكر الصديق . سمع من شيخ تونس والقيروان وأرسل الابهري بابكر (3) ورور عنه علماء تونس . وغيرها . وكان يعلم القرآن في بادية حياته باريانه ثم انتقل الى المرسى ثم قدم تونس الحاضرة حيث اشترى داراً بازاء باب السقائين . وهو الذي يقال انه صلب من ابن ابي زيد وضع كتاب الرسالة لتعليم ابنا المسلمين . وهو اوس من أسس بتونس قراءة القرآن عقب صدق الصبح . وكان الى جانب فضله وتقواه عالماً حافظاً وكان من اصح الناس كلاماً واحسنهم لفظاً وانه كان مصبوعاً على الاعراب لا ينص الا بالصواب . ولهذه الخصائص مجتمعة احبها من عصره وانتلوه السويدي من قلوبهم ومركز الصدارة في مجتمعهم واستمر نضاله العلمي وجهاده المادي والمعنوي الى ان توفاه ربه سنه ثلاث عشرة واربعمائة وقد جاوز السبعين وقيل انه اغتيل من صرف احد الاشقياء وقبره بمسموما . ودفن بمسجده بمنطق باب سويقه من حاضرة تونس لقد قلنا سابقاً ان هنالك رابطة عائلية تربط بين المؤدب وابن ابي زيد وقد زادت من متانتها اتحاد مشاربهما اذ كل منهما كان مالكيًا سنيًا وكن منهما كان ميسلاً الى العربية وعلومها عاشقا للقرآن متشبثا بالسنة قولاً وعملاً وكن منهما كان معلماً . ولهذه الاسباب مجتمعة كثر تزاورهما وان كانت المصادر قد اشارت الى ذلك بالنسبة لمسيدي .

- (1) معالم الإيعان 3 / 118 .
- (2) ترجمته بترتيب المدارك 4 / 712 - 714 - فهرست اربع ص 173 - 174 .
- (3) ترتيب المدارك 4 / 712

(1) المعلم الشاب :

مما يلفت نظر المباحث وهو يدرس المراحل الحياتية التي مر بها ابن ابي زيد ساعة تحصيله العلمي يخامره الشك من السرعة الزمانية التي اجتاز بها ابن ابي زيد مراحل التحصيل ليُفَجِّعَ : ^{لما رزقها لاداء} ما تعلمه من علم شتى ومعارف متنوعة وبخاصة الفقه الذي يعتبر من ادو العلم وأعظمها بل وصل في مرحلة مبكرة من عمره الى حد ان يطلب منه العلماء تدوين الكتب الدراسية لتعليم ابناء المسلمين ما يستقيم به دينهم وما تصلح به دنياهم ، ويزداد هذا الشك ضغطا على فكر الباحث النصف عند ما تكون باكورة الانتاج العلمي لهذا الشاب الذي لم يتجاوز بعد سن السابعة عشرة كتابا من مستوى كتاب الرسالة * والذي استقبله ^{الطلاب بمنزل ما استقبله} شيخهم من حيث تميزه بميزات قد لا توجد حتى في مؤلفات شيخه فقد أحاط كتاب الرسالة بالجانبين العقائدي والعلمي للشيعة الاسلامية من وضع في المنهج وسلاسة في اللغة وجمال في الاسلوب مع ثروة اثرية يخر بها كل موضوع من مواضعه وكل باب من ابوابه .

انني لم اجد لهذا الابداع من سبب سوى عمق ثقافة مؤلفه ومثانة زاده العلمي مع ذكاء وعبقريه تفتت مبكرة على غير العادة المعروفة وليس هذا التفتق المبكر الا بسبب تلك الايادي الصاهرة والعقول الحكيمة والنفوس الضيئة التي قدر لها ان ترعى هذه الثبة من حين بدورها الى بروزها على السطح ثم ازهارها واثمارها اذ كانت تعصها بمقدار ما تحتاج اليه من ماء وسما . مزيلة من امامها الظليلات المعرقلة لحركة نموها متخيرة لها اجدى الصرق واقسم المسالك ووضح السبل وادق المناهج . . . ولا استبعد ان يكون ابن ابي زيد قد جلس لاداء قبل ان يضع رسالته وقبل ان يدونها بدلين مادتها وكيفية عرضها الا يمكن ان تكون من غير شخص يشر

المهنة التعليمية يعرف كيفية عزم المادة العلمية وما يحتاج اليه الصبيان من معلومات متناسبة تناسباً صريدياً مع عقولهم . وهذا ما سوف نعرفه بالتفصيل عند الحديث عن كتاب الرسالة ضمن مؤلفات ابن أبي زيد ، بحول الله . فالرسالة اذن كتاب معلم عارف بمهنته بدأه بتوجيهه الى من صلب منه وضعه ، وهو توجيه في حقيقته لكن شخص تصدر للتعليم ونذر نفسه لابلح الامانة الى اهلها يقول ابن أبي زيد في مقدمة الرسالة : (اعاننا الله واياك على رعاية ودائعه وحفظ ما اودعنا من شرائعه فانك سألتني ان اكتب لك جملة مختصرة من واجب امور الديانة بما تتحقق به الالمنة وتقتضيه الآراية وتغلبه الجوارح وما يتصل بالواجب من ذلك من السنن من مؤكدها ونوافلها ورفائليها وشي . من الاداب منها وجعل من أصول الفقه وفنونه على مذهب الامام مالك بن انس رحمه الله تعالى وظيفته مما سهى سبيل ما أشكل من ذلك وتفسير الراسخين وبيان المتفكرين لما رغبت فيه من تعلم ذلك للولد ان كما تعلمهم حروف القرآن ليتسبوا الى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته فاجبت الى ذلك لما رجوت له لنفسى ولك من ثواب من علم دين الله اودعا اليه ⁽¹⁾ .

وبالاضافة الى ذلك فاننا واجدون بين مؤلفاته ثلاثة كتب لها صلة بمهنة التعليم ولا تكون مغالين اذا قلنا انه وضعها خصيصاً لتطوير المهنة التعليمية والمنهج التربوي للمدرسة القيروانية وهي على التوالي : رسالة في صلب العلم ⁽²⁾ - رسالة فيما تأخذه عند قراءة القرآن ⁽³⁾ كتاب احكام المعلمين والمتعلمين (4) ، وقد ورد ذكره في مقدمة ابن خلدون متبعاً ذلك بفقرة منه تتحدث عن الضرر الحاصل للتلميذ من وراء استعمال التاديب المادي معه جاء في تلك الفقرة ما يلي : (لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواق شيئاً (5)) وان كان بعض الباحثين يزعمون ان هذا الكتاب هو لصاحبه ابي الحسن القابسي (6) لكن ايراده من صرف ابن خلدون العالم المتبحر في التاريخ ثم ايراده لفقرة منه لدليل تصطنع النفس .

① من الرسالة ص : 2 - 3 . ط دار الفكر

② ترتيب المذكر 494 / 4

③ " " " "

④ مقدمة ابن خلدون ص 1043

⑤ " " " "

⑥ دعوة الحق عدد 3 ص 21 ص 57

الوصحة نسبتها الى ابن ابي زيد اما كتاب ابن الحسن القابسي فهو يختلف عنه حتى في العنوان
اذ عنوانه (الرسالة المفصلة لاحوال المعلمين والمتعلمين) (1) ولما ذا لا يكرر القابسي
قد سار في رسالته هذه على هدى كتاب ابي محمد وخاضعانا عرفنا سابقا وعلى لسانه انه كان كثير
التعويل عليه في الفتوى وما الفتوى بأكثر سهولة من تاليف كتاب تربية .

خلاصة القول في هذا الباب ان ابن ابي زيد الذي لم يتون القضاء قد وجه كل جهوده لنشر
العلم حتى عدا كائنه ولد معلما يمسره وسليته حتى الرغم من انه كان في مركز قاضي الجماعة يستشار
ويفوض اليه ساعة انغلاق التوازن وانعدام الحلول للقضايا المعروضة على القضاء ولا دل على ذلك
من قصته مع شيخه ابن ابي الازهر (2)

ان هذا الاختيار المهني هو الذي جعل كتب ابن ابي زيد تتسم بسمة الوضوح والجدلا
وحسن التبوب ودقة التوثيق مما مكها من سعة الانتشار في دور العلم وبين ايدي العلماء . انما
حظيت به هذه الكتب من عناية الاسباب كتابتها من صرف من كان مربيا بسليته امتلك بعد مران كل
عناصر ملكة التبليغ . وذلك ان الكتاب في واقعه هو معلم يأخذ به يدا ينفذ ليغير امانا السبل
ويوسع قد امانا الاتقان ويقدروا وضوح اسلوبه وجلا الفاظه ودقة بناءه بقدر ما تكون الاستفادة منه عميق
نفعها جزيل اعضاؤها .

(2) منهج ابن ابي زيد :

يقول احد المربين ان التعلم فن اكثر منه امتلاك معلومات وكل فن يحتاج الى منهج اذا ما فائدة
المعلومات والمعارف اذا كان الانسان عاجزا عن تصريفها وغير مؤهل ^{لادائها} ~~لادائها~~ الى غيره بصريقة سهلة وجذابة
تستولي على المشاعر وتستقطب الانتباه فينبعث في نفس الآخذ عنه داف التلقى ويتحرك في مشاعره
حافزا للتكوين فتشخص ملكاته وتتصل من كوامنها لتبنى الفرد القادر على التحمل ثم الاداء ، فيغدو
هذا الفرد متفقا اكثر منه متعلما وهذا اسمي ما بلغته الحضارة الانسانية في ميدان التربية والتعليم .

① معالم الايمان 136/3

② انظر كرميه ابن الازهر ص 88 من كتابه

دلت ان السادة هي كل ما يبقى للانسان من معارف بعد ان يكون قد كسى كل شئ* ولذا

نحن في حاجة الى مثقفين لبناء حضارة القيروان من جديد .

وايو محمد ابن ابي زيد في هذه الناحية يهو عالم مثقف ولذلك ابدع في كل علم تحمله اود رسه

يلو مركز بصماته العلمية بارزة على الفكر الاسلامي عامة والحياقالعلمية بالمغرب والاندلس خاصة .

ان هذه الناحية العلمية والثقافية لابي محمد تعود الى حملة من المميزات ميزته عن غيره

من العلماء سواء من الذين سبقوه واعاصروه ارجاؤاومهم بعده ، ولذلك فانني لما اُصَلقت عليه لقب الفقيه

الاول لم اكن مجانيا للحقيقة ولم اكن بالمغالي المغرق في مغالاته . بل لم اقر الا الحقيقة في اوجز لفظ

وادقه انه تشهد لقولي هذا :غزارة تاليفه وكثرة الراجلين اليه ووفرة الصالبيين للاجازه منه والذي ين

منهم من وصل الى اعلى مراكز الافئدة والتدريس . ونظرة الى تراجم ترميده ثبت لنا صحة ما ذهبت

اليه .

اننا لو نظرنا بعمق في مؤلفاته لوجدنا انه بالاضافة الى جمال اسلوبه فيها وبلاغة لغته وجزالة

الفاظه ذو منهج واضح يمتد من المسألة من اولها ثم لا يتركها الا بعد ان ينتهي منها الى نتيجة

تفتح مصالحها مجتبا في ذلك الاستطرادات والاعتراضات التي جعلت من كتب الفقهاء عبارة عن طلاس

يصعب حلها ويندر الوصون عن صريقها الى حكم يقتضيه الصواب ويشيع عنق الباحث . وسوف نرى

بحوث ثمانين من كتاباته عند دراستنا لاثاره وخاصة الرسالة وكتاب النوادر والزيادات في مكانه

من هذا البحث بحول الله . وعلاوة على هذا المنهج الجذاب الذي برزت عليه تواليفه فقد كان لطيفا

مع صلبته ان كان يزورهم في مساكنهم ويسامرهم في بيته ويراسلهم في امصارهم ويقف الى جانبهم

عند ازوماتهم كما فعل مع المتقراصسى وابن ابي العباس العقلي .

ان جملة هذه المسالك منه تجاه صلبته هي في الواقع تعبير لبنات قوية في صرح هذا المنهج

الترس .

الجداب الذي عرف به ابو محمد دون غير من معلمى عصره .

واذكر اننى فى شبابى درست على شيخ كثير لكن القليل منهم احتفظت ذاكرتى بصورة واضحة عنه واحتفظ له القلب بالاحترام والحب ولم يكن سوى ذلك الشيخ الذى كان يمتلك القدرة على التعليم من ذلك ان احد شيوخ التاريخ بالصف السادس ثانوى كانت حصته تعتبر بالنسبة لمعاشر صلبته شاقة يلقى خلالها طولا من شريد سينائى مشير الى عالم مشاهدته عن حياة الامم والديار فبينما لو تستمر تلك الاحداث الساعات الضويلة ولذلك ما انتهينا الى دور الجرس ابداء فى ساعته بس كان الوحيد الذى ينتبه فيجمع مذكراته وينطلق فى خفة ورشاقة ونخى سريعة عندئذ ينطلق بعضنا خلفه ليسأل عن بعض النقاط ، وما كان هدفه السؤال وانما كان هدفه الاستزادة ، على الرغم من ان مادة التاريخ فى ذلك الوقت كانت من المواد التى لا تخشى السقوط فيها لضعف ضاربها .

وهكذا كان شيخنا ابن ابى زيد وهكذا كان منهجه ما جعل صلبه نشيطا ساعة الاخذ عنه فتعظم حصيلتهم العلمية ، ويمتلكون منهجا سليما مريبا الى النفوس ما يؤهلهم للابداع فى كل مهنة يمتحنونها عقب انتهائهم من تحصيلهم العلمى على يديه . ولهذا كانوا رسل علم ودعاة اصلاح دعوا ابناؤهم وامصارهم وحوافزهم الى شد الرحال الى القيروان للاخذ عن ابى محمد والجلوس فى حلقاته وملازمة ميعاده . فكما كان مالك بن انس فى القرن الثانى بالمدينة رمزا للعلم والصلاح والتقوى كان عبد الله ابن ابى زيد بالقيروان فى القرن الرابع ياهرن غيرهم باخذهم عن مالك الصفيح . وهكذا نصل الى نقطة يتعين علينا الاجابة عنها ، وهى : كيف كان عبد الله بن ابى زيد يبدأ دروسه ؟ وكيف كان ينجزها وكيف كان يعمرها ويختصها ؟ للاجابة عن كل هذه الاسئلة لابد من انعام النظر فى النص الثانى (كان رحمه الله يفتح مجلسه بجواب سؤال السائلين عن غولهم المسائل ودقائقها وربما قال حدثت نفسى ان فى هذا المجلس كذا وكذا سؤالا فايكم صاحب سؤال كذا ؟ فيقول بعض الحاضرين انا فيجيبه) (1)

① معالم اليمان 3 / 116

نرى ان هذا النس يوضح لنا طريقة شيخنا ابي محمد فهو بادى فريد، يبدأ درسه بمسؤال صلبته عما غمزعن افهامهم من مسائل الدرس السابق حيث يقوم بتقريب تلك الغوامض الى اذهانهم ، وهذا يؤدي به الى تعرفه على حقائق تربوية منها تعرفه على مدى ما حصل عليه صلابه من معارف لفتوا ائسنا الدرس السابق ومدى عمق فهمهم لدقائقها ومدى احاضتهم بلصائفها ، وتبشها ايضا ربح مسائل الدرس الجديد بمسائل الدرس القديم وفي ذلك ربح وتقوية لدعائم العلم الذى يدرسه لهم . وخاصة اذا كان هذا العلم هو علم الفقه الذى ترتب مسائله ببعضها ارتباط قواعد البناء بسقفه واركانه بقواعده على الرغم من كثرة ابوابه ووفرة تفرعاته ودقة مسائله وتشابكها .

ان يمثل هذه المنهجية الطلائعية ليصل الطالب بعد اتيانه دراسة على مسائل العلم الى درجة العالم بها المثقف فيها لا الى درجة المتعلم الذى قد تخونه الذاكرة فينهدم البناء في لحظة من لحظات النسيان وقد يعتمد الشيخ ابو محمد فى درس آخر الى وسيلة جديدة لجلب انتباه الطلاب وتنشيط حوافز الاخذ فيهم وتحريك سواكن مداركهم وتسيح ملكاتهم من عقائدها ولتحقيق هذا كله يقوم بالتركيز على ادق المسائل واخفاها ويصوغها فى شكل اسئلة ليقول بعد ذلك للتلميذ فأياكم صاحب هذا السؤال ؟ وايهم يرفضان يكون صاحباً لسؤال وجيه ؟ وعندئذ تتحرك الملكات وتنهز الهمم ويبدأ الدرس من سؤال لينتقل بعد ذلك الى تفرعات واستفسارات واخذ وعطاء كل يريد ان يشارك وكل يريد ان يبدع فى الفهم كما ابدع شيخه فى العطاء لدقة الاداء .

والى ان يكشف ذات يوم عما تركه ابو محمد ابن ابي زيد من اثار فى هذه المهنة فاننا

عندئذ سوف نجد صورة ادى ووضح واكمل على منهجه التعليمى الذى كان سببا فى تجديد الفكر فى مجال الفقه المالكي فى المائة الرابعة • حتى عند ابو محمد اشهر فقيه عرفه القرن الرابع فى رحاب الفقه الاسلامى ولذلك جعله بعض الباحثين فى عصرنا الحديث مجد د المائة الرابعة ولهذا السبب ايضا اعتبرته الفقيه الاول فى المدرسة المالكية القيروانية فى عصره ان بلغ درجة الاجتهاد داخل المذهب وكان له ان يكون مجتهدا مستقلا لو تعلقته همته بوضع مبادئ خاصة به ليجتهد على ضوءها لكنه ابقى مخالفا لما لك امام دار الهجرة حبيب اكنفى ابو محمد باثرا، هذا المذهب وتوضيح اخكامه وجمع شتاتها⁴ والمترجي بين اقوال العلماء فيها بأسلوب سهل متع ومنهج سليم واضح مما اكتسبه حب الكل واحترام الجميع فاطلقوا عليه لقب مالك الصغير وهو اهل لهذا الاصلاق •

ومثلما تعدد شيوخه من تنوع اختصاصاتهم وتمايز صرقتهم ومناهجهم وماخترت امصارهم . كان ايضا تعدد تلاميذه واختلاف امصارهم وتعدد ميولاتهم العلمية كيف لا وفيهم البغدادى والمكى والمصرى والافريقى والصقلى والاندىلسى والسجلماسى . وبلاضافة الى تعدد البلدان فقد تعددت صرقات اخذهم ان منهم من ارتحل الى القيروان وسعى مباشرة ومنهم من استجازه فاجازه . وكانت النتيجة جدا مفرحة بالنسبة له ولهم وثريفة بالنسبة للمدرسة المالكية خاصة والفقه الاسرى عامة ان كان يرى فيهم الامتداد الصبى لجهد وجهاد شيوخه من قبل ويرون فيه القدرة الخيرة والنبي الذى لا يغيظ مأوه ولا ينضب معينه الذى امدهم بالزاد العلمى الذى جعل منهم القضاة والمعلمين والعلماء الذين اثروا باقوالهم واجتهاداتهم هذا الحق الخصب من الثرية الخصبة للشرح الاسلامى عامة وبذلك واصلوا حمس المشعر الحضارى الذى تسلموه من عالم المائة الرابعة وساروا على هديه وتخلقوا باخلاقهم فكيف قاضيا منهم أصبح مضرب المثل فى عدله واستقامته وكم عالما منهم أصبح منبر عذبا من زلاله يرتوى وعلى علمه يعون .

تلت هى نتائج مسيرة الخير التى بدأ مشوارها ابو محمد منذ ان خطا خطوته الاولى الى الكتاب بمدينة عقبة بن نافع وسوف احاول ما وسعنى الجهد ان استعرض كما امكننى الحصون عليه مما يحرر حياة هؤلاء الطلبة مركزا بقدر الامكان على علاقتهم بشيخهم اولا وعلى مدى استفادتهم منه ثانيا من اعضاء البارزين منهم اكثر قدرا ممكنًا من هذا العناية . كما ساعد ايضا الى توزيعهم على مجموعات بحسب امصارهم مرتبيلهم بحسب تواريخ وفاتهم . وذلك لان هذا المنهج سوف يساعدنا على معرفة مدى اشغال شيخنا العلمى عند ما نلقاه فى العيزان وعندئذ نتحقق من مدى انصبان الاوصاف المشعوت بها عليه او عدم انصافها .

هو أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الاسدي ويكنى أياً بابي سعيد سمى من القاسمي أبي زيد والدي
 به تفقه ، وكان من كبار صلاحيه ومن أئمة ائمة هب المؤلفين فيه (٢) وكان البرادعي (٣) حاد الصبح جريئاً
 ولهذا كثرت عداماته من مشيخة القيروان وغيرهم من الواقدين عليها وقد مرت بنا صورة من هذه المصداقات من
 الاعلى الشيخ الاندلسي (٤) • مما دفع هذا الاخير الى مغادرة حلقه المناصرة وشيخه ابو محمد نفسه
 لم يسلم من جرأة تلميذه ايضاً فكان كثيراً ما ينيبه بغيره الى اوهاه شيخه من الاثر • بغير كلامه • حتى قيل ان ابا
 محمداً عاب منلية وكان ذلك ترسيباً في لفظ القيروان له (٥) • وذلك عندما علم اهل القيروان وشيخه بها
 بتعامله المريب مع العبيدين (٦) ولهذا الاسباب كلها لم تكن له رئاسة بالقيروان (٧) فارتحل الى مقلية
 حيث وجد حظوة لدى اميرها • وفيها تفرغ للدرس والتأليف حيث وضع من مؤلفاته (٨) وقد اشتهر بغير
 هذه الكتب شهرة انست للناس في غيرها • على الرغم من التشني الذي قام به علماء القيروان على صاحبها ومن
 الناس من تداول كتبه وكان اشهر هذه الكتب كتاب التهذيب • وهو عبارة عن مختصر للمدونة • فقد رخص
 علماء القيروان واستعماله لشهرة مسائله (٩) • وقد لاقى هذا الكتاب قبولا لدى كل الطلبة من ذلك انه كان
 عليه المعول بالمغرب والاندلس (١٠) • وذكر ان المناظرة في جميع حلقات مقلية وبلدانها انما كانت بكتاب
 البرادعي التهذيب (١١) •

وكتاب التهذيب هذا انما هو عبارة عن اختصار للمدونة على شاكلة مختصر المدونة لابن أبي زيد الا ان
 البرادعي حذف زيادات شيخه (١٢) •

- ١ • ترتيبه يد ترتيب المدارك ٧٥٨/٤ - ٧٥٩ • معالم الاعيان ١٤٦/٣ - ١٥٥ - الديباج ص ١١٢ - ١١٣
- ٢ • ترتيب المدارك ٧٥٨/٤ - انا في للعالم والديباج فاشها يذكران بعدها - الازدي -
- ٣ • المديباج ص ١١٣
- ٤ • المديباج ص ١١٣
- ٥ • المديباج ص ١١٣
- ٦ • المديباج ص ١١٣
- ٧ • المديباج ص ١١٣
- ٨ • المديباج ص ١١٣
- ٩ • المديباج ص ١١٣
- ١٠ • المديباج ص ١١٣
- ١١ • المديباج ص ١١٣
- ١٢ • المديباج ص ١١٣

ويقال ان البرازعي لما تم كتاب التهذيب جاءه بعمر الحلبية لسمعته عليه فلما اكتم التدوير بالقراءة اغلق كتابه
فقال له البرازعي اقرأ فقال قد سمعته على ابن ابي محمد وهرزدت في المختصر اكثر من الصدر (1) .
وله ايضا كتاب الشرح والتعالمات لسان المدونة ادخل فيكونم شيخها المتأخرين على المسائل (2) وله
ايضا كتاب اختيار الواضحة (3) . ويقال ايضا ان له ثلاث مختصرات على المدونة واحدة اوضح من التهذيب
وثانيهما اصغر منه ولم تثبت فيه رواية الشيخ . قال شيخنا ابن عرفة وما ذكر من الاختصار لم اره لغيره بعد البحث
عنه وما ذكره من كونه لم تثبت فيه رواية فانه من لقيت من عدول بلدنا المتيقن بهم قائل مشهور روايته بالسند الصحيح
(4) .

وتوفي ابو القاسم البرازعي بمقبرة (5) الا ان ابن ناجي يذهب الى القرن ^{ثاني} بالقيروان اثنا احدى
زياراته لها حيث دفن بها بمقبرة ابي الحسن القاسمي قبلة قبر الشيخ ابي داود الرهداني حسب ما سمعه من
شيخه البرزلي في احدى زيارته للقيروان (6) . اما تاريخ هذا الوفاة فلم يذكرها احد من المؤرخين والثابت
انها وقعت بعد 386 هـ وهو تاريخ وفاة شيخه ابن ابي زيد رحمه الله .

① الدريجات ص 112

② " "

③ ترتيب المدارك 709/4

④ معالم الانبياء 148/3

⑤ ترتيب المدارك 709/4

⑥ معالم الانبياء 150/3

هو أبو الحسن علي بن عبد الله القصاب المعروف بابن الخفاف من أبي بكر اللباد ومرايين محمد بن أبي زيد وغيرهما من علماء القيروان وكانت له ثقة كبيرة في ابن أبي زيد حتى روى عليه أنه قال (ما قلعت أبدا محمد بن أبي زيد حتى رأيت السبائي يقلده) (1) والتقليد هنا بمعنى الأخذ عنه.

وقد عرفنا سابقا أن أبي زيد هو من تلاميذ أبي إسحاق ولذا أفزبد أن الخفاف كان يحضر دروسه ويجالس المذاكرة التي كانت تعقد بدار السبائي وتحت نظره ويد يريها أبا محمد بن أبي زيد وهو في الغالب يحن منتصرا ما جعل السبائي نفسه يوافقه في الكثير من تخرجهاته للمسائل.

ويذكر صاحب المعالم أن لابن الخفاف (سؤلات سألت عنها أبا محمد بن أبي زيد تدل على تحقيقه في الروح وتحفذه في دينه) (2)

وقال فيه أيضا (كان من أهل العلم والفضل والروح والزهد والعقل الرصين والتهجد بالقرآن وسرد الصيام فتاشا عن مصعبه ومشربه وملبسه مراعى للفضة ولحسه متفقد الخواصره وسرائره ووسواس نفسه عامر بالله بالصدق وعرف الناس فانزول عنهم ثم انبسط في آخر عمره لم يرف في وقته أكبر همة ولا أصدى حالا منه (3) وكان هذا حاله إلى أن توفاه ربه يوم الأربعاء في ربيع الأول سنة 331 هـ وصلى عليه أبو الحسن القاسبي ودفن بباب السلم بالقيروان (4).

ترجم له صاحب المعالم 3 / 125

① الديباج ص 135

② المعالم 3 / 125

③ المعالم 3 / 125

④ المعالم 3 / 125

هو ابو علي حسن ابن خلدون البلوي القيرواني سمع من ابي الحسن القاسبي (1) ومن ابي زيد . وليس من المستبعد ان يكون احد الاثنين اللذين بعثهما ابن ابي زيد الى العراق لايصال كتاب المختصر الى ابي بكر الابهري وابن مجاهد النائي فقد وردت في المدارك نقرة توضح ذلك :

(وان كتابين ممن عنى بهم توجهها من مكة للقاء الشيخ - يعني ابن مجاهد ولقاء الابهري - وهما محمد بن خلدون واسماعيل بن عذرة وبعث معهما المختصر صحيحا مقابلا) (2)
اما اختلاف الاسم بين المترجم له وحامل الرسالة قد يمكن ارجاعه الى سهو النساخ او المؤلف نفسه . ومما يجعلني اميل الى هذا ان الفارق الزمني بين موت ابن ابي زيد وابي علي بن خلدون هو فارق بسيط وذلك ان ابا علي بن خلدون قد توفي يوم الخميس الاثني عشرة ليلة خلت من شوال سنة 407 هـ (3) اثنا واقعة مجزرة الشيعة بالقيروان وكان عندئذ شيخ مشيخة اهل السنة بها . معنى ذلك انه توفي بعد ابن ابي زيد بواحد وعشرين سنة . فتلمذته ثابتة على ابن ابي زيد وان سكنت عنها كتب التراجم ، واميل الى ان اغلب من اخذ عن ابي الحسن القاسبي هو قد اخذ عن ابن ابي زيد وان لم يذكر ابن ابي زيد لوفاته قبل القاسبي . فاضيف الكثير من الطلبة الى القاسبي في حين قد اخذ ايضا عن ابن ابي زيد قبل موته وعلى كل فابي علي بن خلدون كان من مشيخة القيروان المعول على علمهم والموثوق في صلاحهم . وكانت قد دبرت مكيدة قتلهم خوفا من اهل السنة عندما ثارت العامة فاراد المعز بن باديس بقتل اهل السنة بالقيروان وقد بر مكيدة ومؤامرة لقتل شيخ اهل السنة مما افقدهم عن هراقلية (4)

وتذكر المصادر الكثير عن كرم ابي علي ونبل اخلاقه ولده ونسله مما جعله جديرا بالامامة بعيد وفاة شيخه القاسبي (403 هـ) (5) قال عيار فيه (من فقهاء افراتيا وصلاحها هي اصحاب ابي الحسن القاسبي ان نشأ بافراتية جليل القدر في فقهاها مذاقا وكانت العامة تتبعه وكان شديدا على اهل البدع والروافد مغربا بهم يثبده منه اهمل

(1) معالم الايمان 151 / 3

(2) ترتيب المدارك 473 / 4

(3) * * * * * 625 / 4 - 623

(4) معالم الايمان 151 / 3

(5) المدارك 524 / 4

①

السنة الى ملجأ وزير فضجر لذلك شاعر الرافضة المعروف بالجاهل جرد في قسعة لموعى

عين من التغمير منوعه
من حسن ظهري حسر وجهه
ومهجتي بالنار ملذوعه
كانما ذكر هور عنده
صرفه بالمس منوعه
ذكر ابن خلدون لدن الشيعة

ويقول صاحب المعالم : كان ركن من اركان هذه السنة من فقه كثير وصدق ومعروف وهمة عالية واحسان الى العلماء والمعارف واخباره في ذلك كثيرة (١) .

والإهتمام عظم العامة في عام القيروان برجلين وقار انهما اللذان قتده فقتلها ودفع ابرو على بالليل (٣) وفي ذلك يقول ابي اسحاق الحصري الانبياء ابا علي (٤) .

دفعوا صبحهم بلي وجهاؤا
ورثاه ابن القرائ : **ص**يقوله (٥)

مهن بدم الاسلام مهجته
من بين احشاه دين الله تتزعزع
كما رثاه غير هؤلاء من شعراء القيروان .

① ترتيب المدارك 626/4

② معالم الاميان 3 / 151

③ ترتيب المدارك 626/4

④ " " "

⑤ " " "

هو أبو بكر عتيق بن خلد التجيبي (١) الواعظ المؤثر (٢) تفقه بأبي محمد بن أبي زيد وابن محمد بن التبان وابن سعيد بن أخى هشام وميسرة بن مسلم وابن العباس بن تميم وابن الحسن القابسي (٣) ثم ارتحل إلى المشرق حيث أخذ عن العلماء هناك (٤) سمع منه ابنه عبد الملك التجيبي (٥) وغيره له تراجم كثيرة منها : كتاب الاختصار • وكتاب الصبغات (٦) توفي يوم الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة • ودفن بباب سلم بالقيروان (٧)

١٠. ترجم له صاحب المعالم ١٥٨/٣ - ١٥٩

① أسعاه عياض بابي بكر عتيق السوسني فيرواني من أبي القابسي رضي الله تعالى عنه لدارك ٦١٥/٤

② معالم الأعيان ١٥٨/٣

③ " " ١٥٨/٣ - ١٥٩

④ " " ١٥٩/٣

⑤ " " " "

⑥ يقال : كتاب الأمتحان في مناقب فقهاء القيروان : المعالم ١٥٨/٣

⑦ المعالم ١٥٩/٣

⑤ ابرعبد الله الخوا- [42 هـ]

هو ابرعبد الله محمد بن عباس الانتصار المعروف بالخوا سمع من ابي زيد و ابي الحسن القاسمي (1) و ابي سعيد بن اخي هشام ومن اصحاب هؤلاء (2) كما أجازوه سهل بن السودان (3) وتخرج على يديه جماعتهم عبد الجليل الربيعي و ابن المرباط المزي و ابن سهل القروي (4) وسمع منه ايضا عبد الله بن محمد المالكي و عمر بن ابي محمد بن ابي زيد (5) • توفي سنة ثمان وعشرين واربعمائة (6) وراثا ما بن رشيد بقصيد قصها (7)

قد خلف الدهر فينا غير محمود	هذا محمد المحمود اجمع
واي ركن من الاساسهم	فان حظ من المعروف منقص
دينا وعلما ولا غير مجحود	اودى ابن عباس الثاني ووارثه

١٠ ترجمته ب: المدارك 710/4 - 711 - معالم الايمان 169/3

① معالم الايمان 169/3

② ترتيب المدارك 710/4

③ " " "

④ " " "

⑤ المعالم 169/3

⑥ ترتيب المدارك 711/4

⑦ 711. 710/4 " "

هو ابو زكريا يحيى بن علي بن زكريا التنوخي المعروف بالشفاعي نسبة الى قرية شفاعة (١) ولد
نشأ بتوزر ثم ارتحل الى القيروان (٢)

تفقد بآبى ابي زيد الذركاني بكر له تقديرا كبيرا وسمع ايضا من ابي الحسن القاسمي . وغيرهما (٢)
ثم ارتحل الى المشرق حيث اذن فريضة الحن وسمع الحديث من مشاهير علماء الرواية بالمشرق .

ثم عاد الى توزر حيث تصدر للتدريس والفتوى . وحدث ان وقع خلاف بينه وبين اهل توزر ففرق الى الشيخ

ابن ابي زيد بالقيروان فما كان منه الا ان بعث برسالة الى اهل توزر جاء فيها (ولقد كان لكم فيما بينكم من

النصيحة صاحبنا ابو زكريا يحيى بن علي حفظه الله كفاية بالغة فلا ينبغي لكم ان تتخذوا من ابي زكريا بدلا

ولا تبغوا عنه حولا فلقد جمع الله لكم فيها الخير والفهم ماوسعكم ووسع فيكم اعانكم الله من فتنة خفيتمكم (٤)

قال فيه ابن شهاب (وكان اماما في العلم مقدما ورئيسا في الدين معظما) (٥)

ولما توفي شيخه ابن ابي زيد رثاه بقتيد قراءة يقول فيها (٦)

خشب الم فعم السهم والجبر - وحادث جربنسى الحادث الجليل

ناخ نعى ابن ابي زيد فقلت له - اشمنا كسفت ام بدنا انفسا

توفي سنة ٤٢٥ هـ ودفن بمدينة توزر .

١٢٠ - ترجمته ر : علم السمع لا ينسب له مخطوط - في المثلث يا جانفي ١٩٤٥ ص ٥ - مقال للرحوم العلامة الكعادل

① شقرا لمن حصن قديم بالقرية من كفنه حميد وذكره ابن شهاب

② عليه المثلث يا عدد جانفي ١٩٤٥ ص ٥

③ " " " "

④ " " " "

⑤ " " " "

⑥ معالم البيان ١١٨ / ٣

هو ابو بكر احمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الخولاني الفقيه الحافظ وشيخ افريقية والمغرب في وقته
مصحبه ابن عمران القاسي (1) .

سمع من ابى محمد بن ابى زيد وابى الحسن القاسي ، ومن الربيعي والبادلي والحاتمي ومصر من ابى بكر
النعار ولاندلس من ابى الاشج وأحمد بن قاسم وابن عمر الباقي (2) . وكان اعتماده على ابى الحسن القاسي
خاصة (3) وقد اجازه شيخوخل المصريين اجازة تامة عامة (4) .

وه تفقه علما كثيرين كابى حنبل العار - والمستور - وابن بنت خلدون ، وابن اسحاق التونسي ، وابن
محرز (5) وغيرهم وقد ذكر له طلبة كثيرين اشتهر منهم بالخصوص قرايقا ثمان وعشرين طالبا يعرفون على علمهم ويعتمد
على فتاوهم ويوثق بصلاحهم (6) وكان قد برع في العلم منذ صغر سنه لفصته وذكائه واجتهاده في التحصيل حتى
قير ان ابى الحسن القاسي اباح له الفتوى في حياته وهي اجازة لم يفرزها غيره من قبله او من بعده . حتى قار فيه
ذات يوم (اذا ذكر العابدون فابو بكر بن عبد الرحمن اولهم واذا ذكر المجتهدون فابو بكر اولهم واذا ذكر
المفتقرون فابو بكر اولهم) (7) .

وقد ساعده على ابلوغ هذا المستوى العلمي الرفيع اجتهاد متواصل وحافظة قوية وذاكرة لا يدركها الخلل
ولا النسيان من ذلك ماورد . ان اصحابه (تعجبوا من حفظه وذكره في آخر عمره فقال بعضهم نراه يواظب على الدرس
للميعاد او يتكلم على قديم حفظه فاتفقوا على اختباره - فلما كان من الغد اخذوا غير الكتاب الذين كانوا يتذكرون
فيه . وكانت مذاكرتهم ان اذا في كتاب محمد بن المواز فلما اخذوا الكتاب قال الشيخ لهم ليس كتابنا هذا فجمعوا
له واروا الوهم وانه اذا حضر فالمذاكرة فيه اولا . ففصل الشيخ المرادهم واخذ الكتاب ونظر فيه ثم صواء فالتقاء عليهم
من حفظه وقال : علمت ما اردتم لوعدم هذا الكتاب (امليته من حفظي) (3) وما يذكر انه كان يدرس المدونة وكانت
مواعيد تدريسه لها ايام الاثنين والاربعاء والجمعة (5) .

وكانت علاقته بالسلسلة العبيدية مش غير من علماهل السنة - جدا متوترة حتى ان المعز العلوي كان يبعث
له بالعيون للايقان به ولما تبه ابو بكر الى ذلك بعث له احد عيونه قائلا له (تبي العلما هذا التبي وتستقصي
عليهم والله لئن لم تتركني لا عرضت على المعز وجن) (10) فلم يحرض له بعد ذلك .

تمت ترجمته يد : المدارك 700/4 - 702 . الديباج ص 39 . معالم الايمان 163/3 - 169

① المدارك 700/4

② " 701/4 - 701

③ معالم 165/3

④ " "

⑤ ترتيب المدارك 701/4

⑥ معالم الايمان 165/3

⑦ " 166/3

⑧ المدارك 701/4

⑨ " 702/4

⑩ معالم الايمان ص 468

كان بشير بن ابي عمران الفاسي (363هـ - 430هـ) تباعد في النهي وقد حاولت السلطة الايقاع بينهما بضرب الصد السنن الا ان قوة ايمانها ضعفت هذه السلطة وافشلت امرها البيت بليل (1) .

وكان ابو بكر عابدا مبتلا حتى قيل انه كان يقضى رمضان بالمتبرك كن سنة موابعا لا ينال اللين
 بن قير انه كان يصوم الدهر الا الايام التي يحرم فيها الصوم (2) .

كان عياد : وكان ابو بكر فقيها حافظا دينا كان تفقه بابي محمد وابي الحسن ومن منهما ومن
 غيرهما من شيخ افريقية (3) وغيرهما .

وقال الديباغ : (كان احد الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدردين اجمع اهل عصره على انه لم
 يكر في وقته احفظ منه) (4) .

واستمر ابو بكر في عمله العلمي وفي عبادته الصادقة الى ان لبى داعي ربه يوم الاثنين لثلاث بقين
 من شوال سنة 432هـ (5) على ما ذكره الشيركازي وقيل 435هـ على ما ذكره غيره (6) وصلى عليه
 ابنه بالريحانية ودفن بباب تونس الى جانب والده عبد الرحمان (7) .

-
- ① مَرْئِب المدا رك 701 / 4
 - ② معالم الاسما ن 166 / 3
 - ③ مَرْئِب المدا رك 701 / 4
 - ④ معالم الاسما ن 166 / 3
 - ⑤ الدباغ ص 39 - المدا رك 701 / 4
 - ⑥ مَرْئِب المدا رك 701 / 4
 - ⑦ معالم الاسما ن ج 3 ص 109

هو ابو الحسين بن ابي العباس عبد الله بن عبد الرحمن الاجذابي المعروف بالمؤرخ (1) .

وكان ابيه ابو العباس (384هـ) من العلماء البارزين بالتاريخ (2) .

سمع من ابيه زيد وابي الحسن القاسمي ومن ابيه عتبة وابي حيران وتميم بن ابي العرب . ثم

ارتحل الى المشرق فسمع من ابن ابي يعلى الحمادي وابي عراك وغيرهم (3)

واخذ عنه ابو محمد عبد الحز وابي سعد بن وابي سبعين (4) وابي بكر المالكي (5)

والف مناقب ربي القطار والمسي والسبائي وابي نظرون (6)

قال فيه صاحب المعالم (كان واحد زمانه علما وفضلا وكان ثقة شيطا) (7)

٥ قيل توفي يوم الجمعة لعشر بقين من صفر اثني عشر وثلاثين واربعمائة ودفن بباب سلم قرب البهلول بن راشد

(ب)

(9) ابو الحسن الاجذابي :

اخو السابق حدث عن نعيم بن ابي العرب وابي القاسم بن حيران واخذ عنه ابن سعد (٦) وامي

الى انه من ابي الحسين اخيه هما المعروفان بابني الاجذابي اللذين اخذا عن ابن ابي زيد (10) وذلك

لاشتراكهما في الشيخ كما جاء في ترجمتهما . ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته .

(10) ابو محمد الاجذابي :

اخو السابقين وهو اصغر منهما سنا اذ اخذ عن اخيه ابن الحسين (432هـ) (11) وذكر انه

كان مشهورا بالعلم والتقدم في الفهم وكثرة الرواية بافريقية والمشرق (12) . لم يعرف له تاريخ وفاة .

٦٢٢ - ٦٢١ / ٣ - ٦٢٢ - المعالم ١٦٥ / ٣ . اما احواله فترجمتهما بالمدارك ٦٢٢ / ٣

① معالم الايمان ١٦٥ / ٣

② " " ١٥٦ / ٣

③ المدارك ٦٢٢ - ٦٢١ / ٤

④ " " ٦٢٢ / ٤

⑤ معالم الايمان ١٦٥ / ٣

⑥ ترتيب المدارك ٦٢٢ / ٤

⑦ معالم الايمان ١٦٥ / ٣

⑧ " " ١٦٥ / ٣

⑨ ترتيب المدارك ٦٢٢ / ٤

⑩ " " ٤٩٣ / ٤

⑪ " " ٦٢٢ - ٦٢١ / ٤

⑫ " " ٦٢٢ / ٤

هو ابو محمد مكي بن ابي صالب محمد بن مختار القيسي (1) ويقان حموض بن محمد بن مختار القيسي اللغوي النحوي (2) .

ابن القيروان اندلسي المذهب ولذلك اعتبره عياض من الاندلسيين حيث ترجم له معهم (3) ، واعتبره الدباغ قيروانيا فترجم له في المعالم (4)

سمع من ابي زيد وابن الحسن القابسي والقراء اللغوي (5) . ثم ارتحل الى الشرق سنة 355 لصلوح الشمس وعمره ثلثة عشر سنة (6) حيث استقر بمصر واختلف فيها الى العارفين بالحساب علم القرآن والاداب وبعد ان انتهى دراسته هذه بمكة حج فلقى الادفون وابن غلبون المصري حيث اخذ عنهم علم القراءات الى سنة 378 هـ رحل الى القيروان و377 ثم عاد الى مصر سنة 381 ثم حج مرجديد وبقي بمكة الى سنة 390 هـ حيث لقي كثيرا من العلماء كالسقسي وابن عمران الهريري والبزري وغير هؤلاء . ثم مر بمصر وعاد منها الى القيروان سنة 392 هـ ثم ارتحل الى الاندلس فوصلها في رجب سنة 393 (7) . حيث دخل قرصبا يسام المضطرب ابي عامر فتنبه لمقدمه ابن ذكوان القاضي فقدمه واجلسه في المسجد الجامع بقرصبة فاشتهر امره ورحل اليه الناس ثم ولي الخصة والصلاة مدة الى ان اقصاه عنهما الخوف ايام الفتنة (8) .

واخذ عنه علماء كثيرون . كابي عبد الله بن عتاب وابن فلان الباجي . وحاتم الطرابلسي وابي محمد بن سهل المقرئ وبعد هم ابو اصبح بن سهل وآخر من حدث عنه بالاجازة ابو محمد بن عتاب شيخ عياض (9) . له تاليف كثيرة اغلبها حول القرآن وعلومه حتى روى صاحب الفغية عن بعض اشرافه ان مبل تواليفه خمسة وثمانين تاليفا (10)

ومن اشهر تاليفه واشرفها . كتاب الهداية في التفسير ، وكتاب الكشف في وجوه القراءات واختصار الحجة للفارسي وكتاب اعراب القرآن ، وكتاب الايضال في ناسخه ومنسوخه وهو كتاب حسن (11) . يقول ابن خلكان ان كتاب الهداية الى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وانواع علومه سب من جزأ (12) ان جملتها اورد له ابن خلكان هو سبعة وثلاثون كتابا (13)

كان فيه ابن فرحون (كان فقيها مقرئا ادبيا وله رواية وبلغ عليه علم القرآن وكان من الراشخين فيه (14) ومن ذلك كان نحو بالغويا (15) . فقيها . وتوفي صدر محرم سنة سبع وثلثين واربعمائة وقد اناى على الثمانين (16)

ترجمته بترتيب المدارك 738- 737/4 - معالم الاعيان 171/3- 172- الديباج 346 - وفيات الاعيان 274/5- 276 ط ، بيروت 1977

(14) الديباج ص 346

(15) ترتيب المدارك 738/4

(16) عياض اثنى في تاريخ وفاته اذ جعله (مذكرا)

وحدثنا عن الرواية في يوم السبت عند

الخير لليلتين خلتا من محرم سنة 437

انظر الرواية 274/5

(17) الديباج 346 - معالم الاعيان 171/3- 172- الديباج 346 - وفيات الاعيان 274/5- 276

(18) الديباج ص 346

(19) الديباج ص 346

(20) الديباج ص 346

(21) الديباج ص 346

(22) الديباج ص 346

(23) الديباج ص 346

هو ابر سعید خلف بن محمد الخولانی الحافظ الخياط.

سمع من ابي محمد بن ابي زيد ومن زكريا بن يحيى بن عبد السلام (1)

كان يشتغل خياصا راس مالته مقدس وحلقة وكان يتوقع عن عمله هذا بمجرد حصوله على درعيتين لقوته ليتفرغ بعد ذلك للدراسة . وروى انه انصرف ذات يوم من مجلس شيخه ابي محمد بن ابي زيد وعليه اصار بالية فسال عن الصواب فبين له : والله ما يلبيك هذه الا لتجمع بها في الميعاد . واما ما يقص به فخر يساور درهمين . فبعث لعاير محمد بصرة فيها خمسون ديناراً ذهباً فابى ان يقبلها على شدة فقره وحاجته (2) وقال انما قوتى كل يوم حزوناً (3) آخذ بها خبزاً تصب عليه الوالدة مرت بقى او ماتيسر وتتهنياً . قال فيه صاحب المعالم : جمع العلم والزهد والنزاهة وكتم الفاقة وكان كافياً . ونصر العدم اشهاره بعلم من العلم فان المصادر لم تذكر تاريخ وفاته .

١٠٠٠ - ترجمته بالمعالم 3 / 156

① معالم الاسماء 3 / 156

② " " " " " "

③ يقول المحقق : مفهومه ان مصارفة الدرهم في ذلك العصر ست عشرة عرويه وكذلك كان ايرال عندنا العهد قريب - المجلد 156 - المعالم الجزء الثالث

هو أبو القاسم عبد الرحمن للحضرمي المعروف بالبليدي ينسب إلى قرية لبدة (2) وهي أحد قرى الساحل.

تفقه بالقيروان على أبي محمد عبد الله بن أبي زيد، وأخذ فيها عن أبي الحسن القاسبي وكان عليه معوله (3) كما سمع من علماء الرهايات وصالحيها كآبي اسحاق الجبنياني وأبي الحسن اللواتي وآبي اسحاق والساحلي والصرشى (4).

وتخرج على يديه علماء كثيرون من القيروان والمهدية والاندلس كآبي عبد الله بن سعدون، وقد بعث به شيخه القاسبي إلى المهدية لتعليم ابنائها فكان له عناء تلميذ كثيرين منها ومن غيرها (5) وقد صار عمره إلى أربعين سنة مشيخة القيروان (6).

وللبليدي تأليف كثير فمنها : كتاب في الفقه كبير ازيد من مائتي جزء كبار (7) في مسائل المدونة مصنفًا إليها نوادر ابن أبي زيد وموصلاً ملك (3) وله أيضاً زيادات الامهات وكتاب نوادر الهيايات كما له كتاب في مناقب آبي اسحاق الجبنياني وله كتاب الملخص وهو عبارة عن مختصر للمدونة (8) وبالإضافة إلى عمله فقد كان شاعراً من ذلك قوله (10)

انت العلي وانت الخالق البارئ

انت العلم بما في الخلق مقدرة

وتوفي بالقيروان سنة أربعين وأربعمائة وذلك لليلتين بقيتا من شوال سنة ثمانون سنة (11) وصلى عليه ابنه أبو بكر وحضر جنازته صاحب إفريقية وجميع رجاله ودفن بداره ورثه بمراث كثيرة (12)

١٠ - ترجمته ب : المدارك 708-707/4 - المعالم 175/3 - الإنباج 452 - الثريا عدد ديسمبر 1945 - ص 26

① يذهب الإنباج إلى أنه أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي - المعالم 175/3 ونسب المدارك يقول الحضرمي : 707/4 ويرجع ما هو لقب الحضرمي اعتماداً على شجرة النور الزكية

② قرية من قرى الساحل المسمى مدينا ولا يعرف لها الآن - المعالم 175/3 - تعليل

③ المعالم 175/3

④ نسب المدارك 707/4

⑤ " " 707/4

⑥ معالم الإنباج 175/3

⑦ المدارك 707/4

⑧ معالم الإنباج 175/3

⑨ المدارك 707/4

⑩ الإنباج ص 452

⑪ المدارك 708/4

⑫ معالم الإنباج 175/3

(1) ابوالحسن المنمر (349 هـ - 432 هـ)

هو ابراهيم بن علي بن محمد المنمر الطرابلسي الفراء يذهب عيـض الى القول بأنه العروء بالهمز من اصل طرابلس (1)

تلقه بـ رابلس على يـثرون ثم ارتحل الى العسـق فسمي بعـسـر من محمد بن عبيد الوائـه وابي القاسم الجوهري ومكة من ابن رزين (2)

ثم عاد الى بلده وارتحل منها الى القيروان بـحـبة ابن الخطاب حيث سمع بالقيروان من ابي محمد بن ابي زيد وابي الحسن القابسي وغيرهما (3) وشهد قصتها معه (4)

ويذكر التيجاني ان ابن المنمر سـر الذي اعاد الاصل السنة اعتبارهم بـرابلس خـال

واقعه المـنـارـقة سنة 407 هـ حيث نكل بالشيعة واعاد الاذان السنـي الى سالف عهدـه واحيا

سنة تيام رمضان وقد كلفه ابا مسلم مؤمن بن فـرج بذلك حيث اقامها بالبنـايـ الاكبر لاول مرة كما

اعاد سنة صلاة النـحـي بعد ان معتبها الشيعة وفي شهر ربيع الاول سنة 430 هـ اطارده

المستنصر من خزرون من دـرابلس وادراما لـه وانه لم يدع احد اكبـرا من افراد اسـرته فاستقر ابن

المنمر بفخانيمة (احدى قرى مقاطعة وسـاتـه) حيث توفي بعد سنتين .

(1) ترتيب المدارك 713/4

(2)

(3) رحلة التيجاني ص 265 - 267 و 1 105

(4) 250 - 251

القاضي الخشاب

هو ابو عبد الله الخشاب سمع وابن المنعم من ابي محمد عبد الله بن ابي زيد وغيره
بالتيروان .

جاء في رحلة التيجاني قوله (- رحلت مع ابن الحسن ابن المنعم من طرابلس لزيارة
الشيخ ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى وسأله العلم عنه فبينما نحن عنده فيما اذا
تحدث ابو الحسن فقال اراد الشيخ ابو عثمان الحساني مرة الحج فاتفق مع جماعة من اخوانه
اهل الدين والفضل وكنت معهم فخرجنا على الوحدة وقطعنا صدرا من الطريق واقمنا ثلاثة ايام
ندعهم فاتي الشيخ ابو عثمان الى ربوة فمسح وجهها بيده وجعل يأخذ من ترابها ويجعله في انا
كان معه ثم ثراه بشيء من الماء وقرأ عليه وسمى وقال لنا سمو الله وكلوا قال فجعلنا نأكل ونطعم
طعم السويق قال : فاطرق الشيخ ابو محمد بن ابي زيد ثم رفع رأسه وقال هذا داخل في
الامكان لاسيما وقد ذكرتم انكم اقمتم ثلاثة ايام لم تطعموا وقرأ قوله تعالى (امن يجيب المضطر
اذا دعاه) (1)

(1) رحلة التيجاني ص 250 - 251 المطبعة الرسمية 1959

ابو مروان الكورى * * (... 1016/407)

هو ابو مروان عبد الملك الكورى (1) ارتحل الى القيروان حيث تفقه بابي محمد عبدالله بن ابي زيد وعنه اخذ عثمان بن مالك وغيره من القاسيين يقول عياض فيه (من فقهاء فاس ومعظمها بعدوة الاندلس فيها) (2) توفي سنة سب واربعمائة .

ابن العجوز السبتي * * * (: : : 413 هـ / 1022 م)

هو ابو عبد الرحمان بن عبد الرحيم بن احمد الكتامي المعروف بابن العجوز السبتي (3) وينسب الى قبيلة كتامة ويعود الى اكبر اخذها واشرفها هو فخذ اجان وكانت له ولابيه فيهم وفي المغرب رئاسة وقد رحل الى القيروان مع عبدالله بن غالب سنة 380 هـ حيث تفقه بابن ابي زيد وبقي عنده خمس سنوات اخذ عنه كتاب المختصر وكتاب النوادر والزيادات وهو اول من نشرهما بآرمن المغرب (4) كما سمع من درار القاسي وابي محمد الاصيلي (392 هـ) وغيرهم . وسمع منه جماعة من اهل سبتة وفاس وقلعة بني حماد منهم ابن المأموني وابن خلف الله وابن يتيوب الكتامي هؤلاء كلهم من سبتة وابن ابي سوار من قلعة بني حماد وكان له اخوة لم يبلغوا درجته في العلم وهما عبد الحديد وعبد الملك وكان له ابنا نجباء مثل عبد العزيز وعبد الرحمان اللذان جازا الرئاسة بعده واما ابنه عبد الكريم فقد طالب العلم وكان اكثر حياته متيمنا في كتامة وقد طال عمره ومات مقتولا . وتوفي ابو عبد الرحمان ابن العجوز سنة ثلاثة عشر واربعمائة (5)

* لقد قسم IDRIS.H.R. المنارة الى قسمين اهل سبتة - اهل فاس

* * ترجم له المدارك ج 2 ص 4 و 630

* * * " " " الديباج ص 153

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 4 و 630

(2)

(3) الديباج ص 153

(4)

(5)

هو ابو محمد عبدالله بن غالب بن تمام بن محمد الهذاني اصله من تكور وسكن سبتة
ويذكر اصحاب التراجم ان اياه غالب بن تمام كان له علم بالحساب والفرائض والفقه والروايات وله
في ذلك تأليف (1)

ابتداً ابو محمد تعليمه بسبتة من ارض المغرب ثم ارتحل الى الاندلس حيث اخذ عن الزبيدي
(376 هـ) والاصيلي (392 هـ) ثم ارتحل الى القيروان من ابن العجوز سنة 330 هـ حيث
سمع من ابن ابي زيد مؤلفاته ثم انتقل الى مصر فاخذ فيها عن ابن المبرد والموثق واخذ
عنه جماعة منهم ابي عبد الله التاجي واسماعيل بن حمزة وابو محمد المسيبي والقاضي ابن
جماع وشاوره ابن زريق في حياته ثم آليه عارت الشرور الى ان مات وحدث ان رفع رجل من
اهل سبتة مسألة الى القيروان ف قيل له بالقيروان : اليس ابن غالب حيا قال : نعم فقيل له
ما ينبغي لبلدك فيه مثله ان يرفع منه سؤال (2)

وبالاضافة الى ما ذكره في العلوم الشرعية كان شاعرا مجيدا قال فيه ابن فرحون (وكان متفننا
في علوم جملة قائما بمذهب المالكية نظارا حافظا بليغا اديبا شاعرا مجيدا) (3)
وبقي هذه حاله الى ان توفاه ربه في شهر صفر سنة اربع وثلاثين واربعمائة ..

خلف بن ناصر :

ابن امدكنوا السجلماسى

* ترجمته ب : الديبان ص 139

(1) الديبان ص 139

..... (2)

..... (3)

ابوبكر الصقلي

هو ابوبكر بن العباس (1) الصقلي تفرغ بآبى زيد و آبى الحسن الثابسي ،
 واخذ عنه آبن يونس النخعي (451 هـ) والمنطاري وعنه ايضا^{المد} اهل صقلية وغيرها (2)
 وذكر ابوبكر الصقلي في نسخة ابا محمد بن آبى زيد يوما في مجلسه فقال كان اعتاني ايام
 طلي عليه بالقيروان جارية وان ولدني هذا منها و اشار الى ولده (3)
 قال عيار فيه (فقيه صقلية فاضل راد في القرآن والفرائض وتفقه عليه في المدونه وكان اماما
 في علم الفرائض) (4) .
 ابو الحسن بن الحناصري

هو ابو الحسن احمد بن عبد الرحمان الخلعي المعروف بآبن الحناصري القاضي
 الصقلي سمع من آبن آبى زيد القيرواني و آبى الحسن بن بكرون و آبن يزيد القروي (5)
 سمع منه عتيق المنطاري و آبن عبد الجبار الربيعي الغرضي و ابوبكر بن يونس الصقلي
 (451 هـ) وقد سلمه مؤلفات آبن آبى زيد وخاصة النوادر والزيادات (7)
 يقول فيه عيار : من اهل الفقه والفضل والدين والرواية واخذ عنه الناس وتفقهوا به (8)

-
- * ترجمته ب : تركيب المدارك م 2 ح 4 ص 716 شجرة النور ص 98 ت 236
 (1) اما الددفاع فيقول : ابوبكر بن آبى العباس الصقلي : المعالم ج 3 ص 113
 (2) ترتيب المدارك م 2 ح 4 ص 716
 (3) المعالم ج 3 ص 113
 (4) ترتيب المدارك م 2 ح 4 ص 716
 ** ترجمته : بترتيب المدارك م 2 ح 4 ص 715 شجرة النور ص 93
 (5) ترتيب المدارك م 2 ح 4 ص 715
 (6)
 (7) DEUX Juristes Kaizermanis P 153
 (3) ترتيب المدارك م 2 ح 4 ص 715

الطلبية الاندلسية

(1) ابو عبد الله ابن رادع (313 هـ - 374 هـ)

هو ابو عبد الله محمد بن رادع (1) بن محمد الضرير القرطبي له رحلة سمع فيها من القاضي المرواني بالمدينة ومن الخزاز بمكة وعن العجيمي بالبصرة (2) وابي بكر الازهري ببغداد واخذ عنه كتبه ثم عاد الى الاندلس حيث كان بصره (3) فقرأ عليه بعض كتب الازهري وابن ابي زيد (4) ومن الذين أخذ عنه ابن القزوي (403) حيث يقول (وكتب عنه (5) وتوفي ابن رادع سنة ثلاث وسبعين (6) وكيل اربع وسبعين وثلاثمائة (7) وهو ابن ستين سنة.

ترجمته ب: تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 2 ص 39 - 38 المدارك ج 2 ص 4 ح 4 ص 661

(1) ابن القزوي يسميه ابن وازع تاريخ العلماء والرواه للعلم ج 2 ص 38 - 39 المدارك ج 4 ص 661 يسمي ابن رادع

(2) ترتيب المدارك ج 2 ص 4 ح 4 ص 661

(3) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 2 ص 39

(4) ترتيب المدارك ج 2 ص 4 ح 4 ص 661

(5) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 2 ص 39

(6) ترتيب المدارك ج 2 ص 4 ح 4 ص 661

(7) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 2 ص 39

(2) ابو القاسم الخولاني : (.... 374 هـ)

- هو أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف الخولاني القرطبي المعروف بالمكثب (1)
 سمع من أسلم بن زيد عبد العزيز وأحمد بن خالد وابن أبي عمير وفي مكة من ابن الأعلوي وبالمدينة
 من المرواني وبالسكندرية من ابن أبي مطر وابنه ويعصر من العلاف (2)
 وفي القيروان من ابن اللطيف ومن ابن أبي زيد القيرواني (3)
 أخذ عنه ابن القزفي وغيره بقول ابن القزفي (وكان معلما وكان عسرا في الاسماع ممتنعا الا من
 يسيره نكر الخلق حرج الصدر وكانت عنده فوائد وكان يصبر على الاختلاف اليه وسمعت منه وكان
 ضعيف الكتاب الا انه كان شيخا صالحا) (4)
 توفي يوم الجمعة للنصف في شهر ربيع الاول سنة اربع وسبعين وثلاث مائة ودفن يوم السبت
 ضحكى بقرية أم سلمة وصلى عليه محمد بن يتي (5)

* ترجمته ب: تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 1 ص 162 - 163 ترجمة عدد 415

(1) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ط القاهرة

1373 - 1954 ج 1 ص 162

(2) ص 162

(3)

(4) 163 - 162

(5) 163

- (3) صالح بن عمر (.... 397 هـ)

هو أبو مروان صالح بن عمر بن محمد القرواني (1)

سمع من ابن مفرج ثم ارتحل إلى المشرق مع ابن عابد 331 هـ فحج ولقي بالقيروان ابن أبي زيد
كان أبو مروان محتفيا بالعلم وروايته وكان حسن الخط جيد التقييد توفي في مسلخ ربيع
الأول سنة 337 هـ

(1) الدلة المجلد الأول ص 231 ترجمة عدد 537

(4) ابوالمطرف ابن وثيق (341 هـ - 390 هـ / 999 م)

هو ابوالمطرف بن محمد بن يحيى بن صاعد بن وثيق قرطبي ثقة بها بابن الاحمر

وابن عيسى وابن الجزار وغيرهم (1)

ثم ارتحل الى القيروان فسمع من ابي محمد بن ابي زيد والقاسبي وغيرهما (2) ولما عاد الى

قرطبة قدم الى النوري ايام القاضي ابن زرب ثم ولي قضاء شذونه ثم استعفى (3) قال ابن

حيان كان من اهل العلم والفقه والديانة (4) قال ابن مثنى كان فقيها فاضلا دينيا فهما

حافظا كثيرا للاحلاق حسن المحبة ذا أدب بارع وجاء بأدخ كثير الصلاة والصدقة والبكاء

والخشية (5) كتب اليه بعض اخوانه (6)

ايا عالما فاق الانام بعلمه واروى عليهم بالسنة والغضائل

فديتك هل يجرى الطلاق لذاهل فرد فانت اليوم قطب المسائل

فاجابه رحمه الله

اذا كان ذا فهم وطلق زوجته فقد لزم التظليق ياخبر سائل

فان كان معتموها ولاعتل عنده يقينا فلا طلاق لذاهل

توفى سنة تسعين وثلاثمائة وهو كهل ابن تسع واربعين سنة (7)

* ترتيب المدارك ج 2 ص 559 - 559

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 559

(2)

(3)

(4)

(5)

(6)

(7)

هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله المعروف بابن العطار القرطبي (1) .
كان عارفا بعلم كثيرة ، مهتدما على غيره من الفقهاء ، بعظم معرفته لعلم اللغة فلذلك كان يزرى
باصحابه من الفقهاء ، ويعجب بها عنده ، وما هيح عليه احقادهم ، عجبه بعلمه وشكاسة في خلقه مما
دفعهم الى ان يتحالفوا عليه فحملوا قاضي الجماعة ابن زرب (331 هـ) الى اسقاطه من مجلس
شواهم ، فاصابه من ذلك مكروه عظيم ، ولما تبين لابن ابي عامر تعالي الفقهاء عليه وخاصة بعد
موت ابن زرب فحلف ابن العطار ابن ابي عامر فانتقم له وأمر القاضي ابن برطال فاعاده الى
حاله من مجلس الشورى واستقل من نكته فلزم القضاء (2) ، وبالاضافة الى تبحره في العلم الشرعية
فقد كان شاعرا مجيدا .

كتبه ابو بكر الزبيدي (3) (379 هـ)

يا عليما لكل علم علان ناضرا
هل تجوز الصلاة خلف اصام
فاجابة بن العطار

لا تجوز الصلاة خلف امام
وتجوز الصلاة في الطب مالم
تسأل الله ان يوفق للحق
الكن بالقرآن جدم عبي
يتصل منه ذاك خلف الخصم
يفعل ومنطق مرض

ومن نوادره حياوته اليه جارية شاطرة ناشرعت زوجها فقالت : يا ثغية الحب ان اسقط كيف فقال :
السم من الالم وفي التعليل شفاة الغليل (4)
وكان المنصور امير الاندلس يلتقي وابن العطار كل يوم ثلاثة للمذاكرة فحضر ابن العطار في احد
ايام الثلاثة فوجد الامير مشغولا فكتب اليه (5)

يا من حكو ، يهديه لنا السلف
كل ثلاثة يوم زور
يدعوك الله في القضاة
قال ابن حبان كان هذا الرجل متفنا في علم الاسلام وثابتا في الفقه لا تظير له حادقا بالشروط
واملي فيها كتابا عليه اهل زماننا وكان يفضل فقهاء وقته بمعرفته بالقوى واللسان فكان لا يزال يزرى
باصحابه المفتين ويعجب بما عنده الى ان تصالوا عليه بالعداوة وحملوا قاضيه ابن زرب على اسقاطه
وقد استفسده بعد ان كان مقدما في اصحابه وهو الذي رفاه الى الشورى اول ولايته فجرى له
مع الفقهاء اخبار كثيرة (6) ويقال انه ارتحل الى المشروسة 383 هـ والتقى بابن ابي زيد
وحارره . وتوفي ابن العطار عقب ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (8)

ترجمته ب : المدارك ج 2 ص 450 - 655 الديباج 269 مخلوف عند 254
الصلة II ص 459 - 460 1043

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 450

(2) الديباج ص 269

(3) ترتيب المدارك ج 2 ص 455

(4) 655

(5) 655

(6) 650

(7) ال : II ص 459 - 460

(8) الديباج 269 الترتيب ج 4

ص 656

(6) ابرجعفر بن ميمون (..... 400 هـ)

هو ابرجعفر احمد بن محمد الاموي المعروف بابن ميمون من اهل طليطلة (1)

وهو صاحب ابي اسحاق بن الشنطير ونظيره في الجمع والاكتثار والمأزمة معا والماع جميعا فتنة
بطلانه بانه رحل الى المشرق سنة 380 هـ مع صاحبه ابن اسحاق وسمع بالقيروان من ابن ابي
زيد ومن ابن العقلي وغيرهما .

قيل فيه كان ملهل العلم والفهم ورواية الحديث حافظا للرأى مالك واصحابه وكان قد جمع
كتبا كثيرة في كل فن كلها يخطه .
توفي يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان سنة 400 هـ .

(7) ابوسعبيد السبتي (.... 400 هـ)

هو ابو سعيد خلف بن علي بن ناصر البلوي السبتي (2)

ارتحل الى المشرق حيث لقي بالقيروان ابا محمد بن ابي زيد الفقيه وغيره سمع منه الظلمني وابو
عبد الله الخولاني .
توفي سنة 400 هـ في فتنة البرابرة وكان قد عزم على الفرار منها الى مكة .

(1) الصلة المجلد الاول ص 25 - 23 ترجمة عدد 37

(2) الصلة المجلد الاول ص 174 - 175 ترجمة عدد 404

(٣) ابن عبد الله التاجر: (ت حوالي 400 / 1009)

هو احمد بن فتح بن عبد الله التاجر اندلسي رحل الي القيروان فسمي من ابي محمد
عبد الله بن ابي زيد، وسمع بمصر من علماء كثيرين كالكتاني وابن عتبة الرازي وابن حيوية
النيسابوري وابن هاهان وابي الفضل صالح بن عبد الحميد بن معروف الصواف وابن سليمان البزاز
 وغير هؤلاء (١)
ثم رجع الى الاندلس فروى عنه جماعة من اهلها كالنقمة ابي عمر بن عبد البر
توفي قريبا من سنة اربع مائة (٢)

ترجمة ب : جذوة المقتبر ص 141

(١) جذوة المقتبر 141

(٢))

(٣) أبو عبد الله ابن عمرو (..... 400 هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن العاص من أهل قرطبة روى عن ابن منبر ثم رحل
وحج ودخل الحراق وروى عن الألبيري سنة 369 هـ وأبي الحسن الدارقطني وغيرهما
أما بالقيروان فقد تفقه بأبي زيد
كان ابن عمرو موسرا وقد تولى خدمة أعيان قرطبة روى عنه ابن عابد وابن عبد البر
قال ابن حبان توفي سنة أربع مائة .

(1) الصلاة 463 د

(10) ابوالمظفر ابن قتيير (343 هـ - 402)

هو ابوالمظفر عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن قتيير من مشاهير علماء قرطبة وقضاتها (1) وقاتبه ابن ابي زيد من القيروان (2)
سمع ابن الاحمر وابا عيسى وتقيتهما ، اخذ عنه حاتم الخزابلسي (3)
وقد علب عليه الحديث انه كان يلقيه من حفظه ومن تد رسيه الحديث كان قد ولي المظالم والاحكام لابن ابي عامر العنبري كما ولي القضاء للمظفر عندما حصر ابن ذكوان (4)
قال ابو محمد ابن حزم (وكان قد ولي القضاء والمظالم بقرطبة وكان واحد زمانه في جميع الحديث وروايته ولم يكن به جهد المستعصر) مع منه ولا يعرف بما يجزم ولم يكن بالاندلس من يعلي الحديث من حفظه على رسم اهل الشرع يسواه احد من ائمة السنن (5)
قال ابن الحذاء (كان من ابنا الدنيا فلما ولي القضاء ترك زى الوزارة ولزم زيا اخضر زى الفقهاء وكان عدلا شديدا في احكامه عالها بالحديث والتقييد (6)
ذكر انه لما ولي القضاء دخل عليه ابن العطار مهنثا وكان ابن ذكوان عدوه : فقال الحمد لله الذي سلمهما كسر واليسهما سراقه وصرفهما عن اهل الكفر والجبل وجه لهما في اهل العلم والفضل ونحو هذا من الكلام فلم يمر الامدة حتى سئل ابن العطار فقال : عدو عاقل خير من صديق احمق (7) ولما رضي المظفر على ابن ذكوان () صرف ابن قتيير عن قضاء البجاية .
وتوفي سنة اثنين واربع مائة ومولده سنة ثمان مائة واثمائة .

ترجمته ب : ترتيب المدارك ج 2 ص 4 من 571 - 572 المنة عدد 1632 ص 298 - 300
مختلف عدد 259 ص 102

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 4 من 571

(2) المنة المجلد الاول ص 300 ترجمة عدد 592

(3)

(4)

(5)

(6) 571 - 572

(7) 572

(3) 671 تعليق للدكتور بكير انظر المنة ص 293 -

411 ابن علي بن الخولاني (330 - 403)

هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن علي بن الخولاني من أهل قرطبة (1) روى عن علماء كثيرين منهم مسلمة بن القاسم وابن هلال العطار وابن عون الله ثم ارتحل إلى الشرق سنة 371 هـ فسمع من ابن أبي زيد وابن دحون بالقيروان وكتب بخطه أكثر من ألف ورقة عاد بعندها إلى الأندلس في ذر الحجة سنة 372 هـ . حدث عنه ابنه أبو عبد الله محمد بن عبد الله إلى أن توفي في صفر شوال سنة 403 هـ أما مولده فأن في سنة 330 هـ .

(12) أبو مطرف الصدفي (327 - 403)

هو أبو مطرف عبد الرحمن بن عثمان الصدفي من أهل طليطلة روى عن أهل بلده كـ مسلمة ابن القاسم زاهي العبّاس بن تميم . ثم ارتحل إلى المشرق سنة 381 هـ ولقي العلماء هناك وأخذ عنهم ، وبالقيروان لقي ابن أبي زيد وابن دحون . كان أبو مطرف حافظاً ثباتاً له تـأليف منها عشرة النساء ، وكتاب المناسك ، وكتاب الامارات مولده سنة 327 هـ ووفاته في ذر القعدة سنة 403 هـ .

(1) الدلة المجلد الاول ص 251 ترجمة عدد 572

(2) الدلة المجلد الاول ص 301 ترجمة عدد 633

هو أبو الوليد القاضي (١) عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (٢) المعروف

بأبن الفرضي (٣)

سمع ببلده من علماء كثيرين كإبي زكريا يحيى بن مالك بن عابد ومن ابن مفرى القاضي ومن ابن الخراز وابن إبي الديلم وغيرهم (٤)

وتفقه بأفريقية على إبي محمد بن إبي زيد وإبي الحسن القاضي (٥)

وأخذ بمصر عن ابن اسماعيل المهندس وابن ضرار ومكة على ابن المذخيل الصيدلاني المعلى وابن الرجل وغيرهم سمع منه ابنه أبو بكر مصعب وأبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم (٦) له آثار

كثيرة منها تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس (٧) وكتاب كبير في المؤلفات والمختل (٨)

وبالإضافة إلى التدريس فقد ولي قضاء بلنسية (٩) وهو إلى جانب التدريس والقضاء كان شاعرا

مجيدا وأديبا ففحصنا من ذلك قصيدته التي بعث بها إلى أهل من بلاد الغربة أبان دراسته (١٠)

مضت لي شهر من مذ غُتْم ثلاثة وما خلقتني أبقي إذا غُتْم شهرًا

وما لي حياء بعدكم استلذها ولو كان هذا لم أكن في الهوى حرا

ولم يسألني طول التناهي هواكم بل زادني وجدا وجدا قد دلى ذكرى

وقد روى كتاب تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس عن مؤلفه تلميذه أبو عمر بن عبد البر (١١)

وبالإضافة إلى ذلك فقد درس ابن الفرضي لأبيه رسالة ابن إبي زيد : قال ابن عبد البر

وأخبرنا عن ابن إبي زيد كرسالته وعن إبي الحسن القاضي بكتاب العنية لذوى الفطن عن

فوائل الفتن (١٢) . يقول فيه الحميدى : (كان حافظا متقنا عالما ذا حظ من الأدب وأمر)

(١٣) قال فيه ابن فرحون (كان فقيها عالما بجميع فنون العلم) (١٤) وقال ابن مروان بن حيان

(رجع قتل يوم فتح قرطبة الفقيه العالم الأديب الفصيح ابن الفرضي قتله البربر في داره وواروه

من غير غسل ولا كفن ولا صلاة ولم ير مثله في سعة الرواية بقرطبة كان حافظا للحديث متقنا لعلومه

أديبا بارعا ولي قضاء بلنسية وكان حسن البلاغة والخط توفى سنة ثلاث وأربعمائة عن اثنين

وخمسين سنة (١٥) يقول الحميدى في وفاته : ومات مقتولا في الفتنة أيام دخول البرابرة

قرطبة سنة أربعمائة (١٦) ويقول في موضع آخر من الترجمة (وتوفى في حدود الأربعمائة

مقتولا مظلوما في هذه الفتنة) (١٧) ويقال إن استشهاديه في هذه الفتنة هي استجابة لدعوه

دعاه وهو متعلق بأمنار الكعبة (٨)

* ترجمته ب : جذوة المقتبر ص ٢٥٤-٢٥٦ مقدمة المحقق لكتاب تاريخ العلماء والرواه للعلم

بالاندلس - الأول ص ٤-٦ الديباج ص ١٤٣ الصلح ص ٢٤٦-٢٥٠ ترجمة ٥٧١

(١) جذوة المقتبر ص ٢٥٤ (١٠) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ص ١٥١

(٢) مقدمة تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس (١١)

(٣) الديباج ص ١٤٣ (١٢) جذوة المقتبر ص ٢٥٥-٢٥٦

(١٣) جذوة المقتبر ص ٢٥٤ (١٤) الديباج ص ١٤٣

(١٥) (١٦) جذوة المقتبر ص ٢٥٥

(١٧) (١٨) حقه عن العطار الحسين في سلسلة تراث

(١) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (٢) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (٣) جذوة المقتبر ص ٢٥٥

(٤) الديباج ص ١٤٣ (٥) (٦) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (٧) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (٨) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (٩) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (١٠) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (١١) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (١٢) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (١٣) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (١٤) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (١٥) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (١٦) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (١٧) جذوة المقتبر ص ٢٥٥ (١٨) جذوة المقتبر ص ٢٥٥

أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد القراء المعروف بابن الجالطي (1)
 سمع بالاندلس الفرهسي وابن الأحمر وطبقته بقرطبة ثم ارتحل الى الشرق مصاحبا في رحلته
 ابن الحذاء (2) وكان ذلك في سنة 370 هـ (3) حيث اخذ مثل غيره عن ابن أبي زيد
 ومد شيخه ابن أبي زيد بكتاب رد الزبير عن ابن هجرة المارق (4) ثم عاد الى الاندلس
 حيث ولى بقرطبة الحام بالشرطة والصلاة والخزينة بالزهراء مدينة السلطان وقد قدم الى
 السريز أيام العظفوة قال ابن الحصار كان ممن عني بالعلم وشهر بالفهم وكان نثارا معدودا
 في الحذاق (5)

سمع منه أبو عمر بن عبد البر وابن الحصار وغيرهما (6)
 قال ابن حبان كان محمود الطريقة في حكمه رفيق المنزلة في علمه قتله البرابرة يوم دخولهم
 قرطبة في شوال سنة ثلاث وأربعمائة حيث بقي مأجورا شائعا أيام ان اضطاح الناس
 فرزوز وفعل به ما يفعل بالشهداء (7) وكان مولده سنة 336 هـ
 قال فيه صاحب الحلة : وكان حافظا للغة واكرا للاخبار والشواهد بصيرا بالعقود والنوائق
 وكان حليما ادبيا ظريفا ولى السريز سنة 395 هـ وتغلغل الصلاة بالمسجد الجامع بالزهراء (8)

* ترجم له المدارج ج 4 ص 633 الملة II ص 465 ترجمة 1060

(1) ترتيب المدارج م 2 ج 4 ص 633 الملة II ص 465 ت 1060

(2)

(3) الملة II ص 465

(4)

(5) ترتيب المدارج م 2 ج 4 ص 633

(6) 634

(7)

(8) الملة II ص 466

(15) أبو بكر الحنتمسي (345 هـ - 404 هـ)

هو أبو بكر وسيم بن أحمد الأموي المعروف بالحنتمسي من أهل قرطبة (1)
تفقه ببغده على الأنطاكي ثم ارتحل فسمع بالقيروان من ابن أبي زيد وتوفي سنة 404 هـ بقرطبة
مريده سنة 345 هـ حدث عنه ابن عبد البر والخولاني وغيرهما .

(1) الصلة المجلد الثاني من 610 ترجمة عدد 1415

ابوبكر يحيى بن عبد الرحمان بن واند اللخمي البجلي القرطبي قاضي القضاة

سمع بقراءة من ابي عيسى وغيره من علماء قرطبة ثم ارتحل الى العاصم ولقي بالقيروان ابا محمد بن ابي زيد وصاحبه في رحلته للحج فناظره واعجب ابو محمد لحفظه ومعرفته (1) وبعد عودته الى الاندلس ولي القضاة والخطبة عندما صرف ابن ذكوان عن القضاة في الفتنة البربرية حيث لقب ابن واند بقاضي القضاة (2) وكان ابن واند من اشد علماء قرطبة على البرابرة وخليفتهم المستعدين لقتلهم ولما تغلب المستعدين سليمان على قرطبة وخلص اميرها هشام المؤيد طالب ابن واند فاستخفى وجد في طلبه الى ان عثر عليه مستخفيا عند امرأة فاخذ مكنوز الراس مهابا ومناذير البرابرة ينادى عليه (هذا قاضي القضاة مسبب الفتنة وقائد الضلالة .. وكان ابن واند يجيبه : كذبت بنينا الحجر بل والله ولي المؤمنين وهدى الطواغيت فانتم والله شركائنا والله اعلم بما تدعون) (3) وكان سليمان بن الحكم ان يفتي به للإندلس فقبها الاندلس ونسأكها فحكم عليه بالسجن (4) ومات بسجنه في منتصف ذي الحجة سنة اربع واربعماية (5)

وكان ابن واند شاعرا جيدا من ذلك انه ادى الزبيدي في طبخ وردا كبيرا وكتب معه اليه (6)

اهديت شبيها منقرا في العالمين ومخبرا

فتقبلن بدر الذي يرجو رضا : وذا مرا

فاجابه الزبيدي

قد اتانا منذ ما جئنا من اخلاق فوحا

عن الورد الذي اهدى الى الارواح روحا

فانا دهرى عليه اعتنى بالشكر مدحا

لم تزل في الحلم يا يحيى على الانواح دوحا

قال فيه ابن حبان : كان احد من حاز كمال القضاة بالاندلس علما ودينا ورعاية ودينا وجامعا لخال الفيل تقلد الشورى بعهد العامرية فكان مبرزا في اعلمها وتقلد الصاغة بالزهراء مدة الى ان استعفاها (7)

* ترجمته ب : ترتيب المدارك ج 4 ر 663-671 الهة 457 II ص 627

(1) الفتنة II ص 627 ترجمة 1457

(2) ترتيب المدارك ج 4 ر 663

(3)

(4)

(5)

(6)

(7)

هو أبو بكر محمد بن موهب التجيبي الحنبل المروزي بالبصرة (1) وهو والد الحاكم

أبي ناسر عبد الواحد بن محمد وعمد أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (2)

تفقه بالاندلس على ابن ثابت وابن قطن وابن هلال وأبي محمد الباجي (3) ثم ارتحل إلى القيروان

فصحب أبا محمد عبد الله بن أبي زيد واختص به وحمل عنه تواليفه وغير ذلك (4) كما سمع من أبي

الحسن القابس (5) كما أخذ عن غيرهما من القيروانيين. ثم عاد إلى الأندلس في أيام ^{الأموية} العامرية

(6) حيث تخرى عليه علماء القيروان منهم أبو بكر بن الخراف وإسماعيل بن حمزة السبتي الذي سلمه

الحنبل إلى أبيه كتبه وكتب شيخه أبي محمد بن أبي زيد (7) وكان القاضي ابن ذكوان يقدمه على

نقابه وقته وعلى نفسه ويرغب دعاه وكان الأصيلي يعرفه بحتره يشئ عليه (7 مكرر) وقد غلب على

اختصاصه علم الكلام والجدل دفاعاً على مذهب أهل السنة وكان من الذين ينكرون العلوي في الاعتقاد

في كرامات الأولياء مثل شيخه أبي محمد بن أبي زيد (8) ولعله كان حاضراً لما حدث فيها من جدل

بين أبي زيد وغيره من بني القيروان وكان يقول بصحة نبوة مريسياستحالة بقاء الخضر عليه السلام

أهل الأندلس وهي أراء شيخه ابن أبي زيد (9) إلا أن هذه الأراء الجديدة لم تجد موطئاً في نفس

فقهائها الأندلس فحرقوا العوام عليه ولم يكن إلى جانبه من العلماء سوى الأصيلي وابن ذكوان يقول عياناً

وكان الأصيلي وابن ذكوان في طائفة من محاربي العلماء في حزب القيروان وجماعة الفقهاء والمحدثين

في الحزب الآخر (10) وقد أدى هذا الانقسام إلى وقوع فتنة بين المذاهبين وخاتمة عند موت ابن

عون الله تداركها ابن أبي عامر تسيير جماعة من المذاهب عن الأندلس إلى الدولة فيهم أبو بكر

القيرواني ورافقه من مزاريه (11) وما يذكر أن أبا عمر العتيبي (12) كان في الطائفة المخالفة

للقيروانيين مثل ما كان معارفاً في هذا الموضع لابن أبي زيد الذي هو أحد شيوخه (13) فحين القيرواني

إلى الدولة ودرر بسبعة كتب ابن أبي زيد ثم رجع إلى الأندلس خفية حيث توجه إليه الأصيلي لدى أبي

أبي عامر الذي غفا عنه ولم يزد قربة ممسكاً لسانه بيقه دولتهم (14) قال ابن حسان: كان شديد البر

والمزهد متنبهاً للسلطان استمر يوماً تيناً فلما عده عليه بائعه أقبل بشي عليه أن يشرب في نامرة

السلطان ففكر التين عنده ودفأ إليه شمه وقال لبائعه: امسك به إلى أن أقضي حاجة فان ابتألت عليا

قتلتك بد رضى لسبيله (15) وله في القائد تواليف كثيرة متيدة كما له شيء على رسالة شيخه

ابن أبي زيد القيرواني (16) وتوفي سنة ست وأربع مائة للهجرة (17)

* ترجمته بن: ابن القتيبي الحميدي (224 هـ) مر 32 ت 14 ترتيب المدارك 2 4 674-676

الديلم 271 اله 3 71 1 ترجمة عدد 1072

(1) ترتيب المدارك 2 4 674

(2) ترجمة العدد 22

(3) ترتيب المدارك 2 4 675

(4) الديلم 271

(14) ترتيب المدارك 2 4 676

(15) ترتيب المدارك 2 4 676

(16) الديلم 231

(17) الديلم 231

(3) ترتيب المدارك 2 4 675

(3) الديلم 231

(10) الديلم 231

(13) ابن برد الانصاري (327 هـ - 406 هـ)

هو أبو القاسم سلمه بن سعيد بن سلعة ابن برد الانصاري من اهل استجة (1)
ارتحل الى الشرق واقام هناك 23 سنة لقي اثناها العلماء كابن شعبان والدارقطني ولقي
بالقيروان ابن مسرور الدباج وابن ابي زيد .
قال فيه الخولاني كان حافظا للحديث يعلي هني صدره يشبه المتقدمين من المحدثين
حدث عنه ابن عبد البر وابن شاذان
مولده سنة 327 هـ وفاته سنة 406 هـ

(1) الملة المجلد الاول ص 219 - 220 ترجمة 512

(19) ابن عائد (..... 403 هـ)

هو أحمد بن يحيى بن مالك بن عائد من أهل طرطوسة (1)
ارتحل إلى المشرق صحبة ابن التبرقي حين أخذ عن ابن أبي زيد
توفي سنة 403 هـ.

(1) التكملة 17 - 19 ترجمة عدد 34

(20) ابو القاسم المقرئ (..... بعد 403 هـ)

هو أبو القاسم خلف المقرئ مولى جده فراقتى من ساكنى طليبة ((1) له رسالة الى
المشرق وسمع فيها من علماء كثيرين منهم ابي محمد بن ابي زيد ولازمه ستين سنة عديدة، ودامت
رحلة الى المشرق 17 سنة طاف فيها كل الحواضر العلمية بالمشرق
وذكر ابر بكر المحمدي انه اخذ عنه سنة 403 هـ .

شوابو عمر احمد بن محمد السعدي اندلسي البيلي (1) ارتحل الى المشرق قبل الاربعاء (2) حيث لقي ابا محمد بن ابي زيد بالقيروان ولازم ابا بكر البهرى ببغداد وسمع من غيرهما كالحمداني واليهودي وابن الخياط والتمار والباقراني (3) ربي سنة 381 هـ (4) التقى به الحميدي بالقاهرة والراجح ان له رحلتين الى المشرق (5) ثم استقر بالمعبدية ورتب على يديه تلاميذ كثيرون منهم خاتم الداعي الطرابلسي وابو محمد بن الوليد وابو القاسم بن محرز (6) يقول مياي (ونزل المعبدية وطلبه داراً للفتيا وكان فقيها صالحاً) (7) وهذا الاستقرار بالمعبدية انما كان بعد عودته ثانية من المشرق .

اما في عودته الاولى من المشرق فيذكر انه اجتمع بابي محمد بن ابي زيد حيث روى لشيخه **مفتاه** **د** في حلقات الكلام ببغداد يقول الحميدي (سمعت ابا عبد الله بن النبي بن عبد الله الولي الانصاري يقول : سمعت ابا محمد عبد الله بن ابي زيد يسأل ابا عمر احمد بن محمد بن سعد المالكى عند وصوله الى القيروان من ديار المشرق وكان ابرعمر دخل ببغداد في حياة ابي بكر محمد بن عبد الله بن صالح البهرى فقال له يوماً هل حضرت مجالس اهل الكلام ؟ فقال بل حضرتهم مرتين ثم تركت مجالسهم ؛ ولم اعد اليها فقال له ابر محمد ولم ؟ فقال : اما اول مجلس حضرته فرأيت جليسا قد جمع الفرق كلها المسلمين من اهل السنة والبدعة والكفار من المبتوس والذهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر اجناس الشفر لكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه ويجادل عنه فاذا جاء رئيس من اى فرقة كان قامت الجماعة اليه قياما على اقدامهم حتى يجادل فيجلسون بجلوسه فاذا غلبا به ^{الجلس} له وراوا انه

* ترجم له : جذوة المقتبس ج 2 ص 109 - 110 ترتيب المدارك ج 6224 الهادي ادرس ص 159 - 160 الصلة I ص 39 ترجمة 67 تحقيق السيد عزت العطار ط 1374 - 1955

(1) ترتيب المدارك ج 4 ص 622

(2) جذوة المقتبس ج 2 ص 109

(3) ترتيب المدارك ج 4 ص 622

(4) الهادي ادرس ص 159

(5) جذوة المقتبس ج 2 ص 110

(6) ترتيب المدارك ج 4 ص 622

..... I7

لم يبق لهم احد ينتأرونه قال قائل من الكفار قد اجتمعتم المناظرة ولا يحق علينا المسلمون بكتائبهم ولا يقول نبيهم فاننا لا نعصى بذلك ولا نقر به وانفسا نتناظر بحجج العقل وما يتحتمه النظر والقياس فيقولون نعم لك ذلك قال ابو عمر فلما سمعت ذلك لم اعد الى ذلك المجلس ثم قيل لي ثم جئنا آخرى الكلام فذهبت اليه فوجدتهم مثل سيرة اصحابهم سواء فقطعت مجالس اهل الكلام فلم اعد اليها فقال ابو محمد بن ابي زيد رضي المسلمون بهذا من الفعل والقول قال ابو عمر هذا الذي شاهدته منهم فجعل ابو محمد يتعجب من ذلك وقال : ذهب العلماء وذهبت حرمة الاسلام وحقونه وكيف يبيع المسلمون المناظرة بين المسلمين وبين الكفار ؟ وهذا لا يجوز ان يفعل لاهل البدع الذين هم مسلمون ويقولون بالاسلام ومحمد عليه السلام وانما يدعي من كان على بدعة من منتحلي الاسلام الى الرجوع الى السنة والجماعة فان رجح قبل منه وان ابي حنيفة علقه اما الكفار فانما يدعون الى الاسلام فان قبلوا كف عنهم وان ابوا وبذلوا الجزية فسي موضح يجوز قبولها كف عنهم وقيل منهم واما ان يناظروا على ان لا يحق عليهم بكتائبنا ولا بنبينا فهذا لا يجوز " فان لله وانما اليه واجعون " .

وفي أبو عمر بن سعد بن بعد الاربعمائة بعدة فحدثنا عنه أبو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان العمري وقد رأيت انا سماعه في بعض الكتب المصرية من ابي محمد عبد الرحمان بن عمر بن النحاس المصري سنة تسع واربعمائة بخط ابي محمد النعناعي فدل على انه عاد الى مصر بعد تلك الرحلة القديمة ايام الفتن الثلاثة بالمغرب (1) .

وفي أبو عمر بن سعد بن بعد الاربعمائة بعدة فحدثنا عنه أبو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان العمري وقد رأيت انا سماعه في بعض الكتب المصرية من ابي محمد عبد الرحمان بن عمر بن النحاس المصري سنة تسع واربعمائة بخط ابي محمد النعناعي فدل على انه عاد الى مصر بعد تلك الرحلة القديمة ايام الفتن الثلاثة بالمغرب (1) .

لم أجده من هذا النص المأخوذ من كتاب جذوة المقتبس علمنا تتلمذ لـ السيد علي ابن ابي زيد (1) كما لمسنا مدني تألم لـ محمد علي مايتي في مجال الكلام من مروق على الدين ومن تحد لتعليمه (2) ولئن اثار عيار الى استقرار ابن سدر بالمهدية كمدير وفتيه فان صاحب الصلة يورد مايلي : حدث عنه الصاحبان وابو عمر الطلمنكي وابو محمد بن الوليد وابو عبد الله ابن عابد وقال لقيته بمهر سنة 331 هـ من مرق السراق وكتب الي باجازه ما رواه في المهدية سنة 410 هـ " واما ابو التاسم ساتم بن معمد فقال لقيته بالمهدية وكان قد استودعها وكان امرها يدور عليه في الفترة حياته وفارقتة حيا توفى بعدد بالمهدية " قال الطيني اراني ابو بكر احمد بن محمد القرشي الزاهد قبر ابن سدر بعبرة المنستير (3)

(1) جذوة المقتبس ج 2 ص 109

(2) 110

(3) الصلة المجلد الاول ص 39 ترجمة عدد 67

- 412 -

(22) الحسين العتقي (..... 412 هـ)

هو الحسين بن اسماعيل بن الفضل العتقي من اهل مرسية (1)

لقد رحل الى النمر لقي فيها ابن ابي زيد وابيره

وان عالمنا باخبار والاعراب والاخبار توفي سنة 412 هـ

(1) المسلة المجلد الاول ص 140 ترجمة عدد 323

هو ابو مظرف عبد الرحمن بن مروان (1) بن عبد الرحمن الانصاري ثقة بالاندلس بالاصيل
 وابن الكوفي وغيرهما وسمع الحديث بها من ابن ابي عيسى والقلعي وابن عون الله وغيرهم حج سنة
 367 هـ وسمع بمصر من المطرزي وابي الحسن بن شعبان وابن المؤمل وابي محمد القاسمي وأجاز ابن
 ربيع كما اتفق بالقيروان بابن ابي زيد واخذ عنه سماعا وأجاز له جملة تواليه وكان يقول : انه
 دخل مسجد عمرو بن العاص بالنسفاط وفيه من مجالس المالكية في اللغة والحديث فحو عشرين حلقة
 (3) ثم عاد الى الاندلس فاجهر نفسه بغير انظار في الامامة والتعليم على حد التحري وتسمي في
 ايام الخمسة والجمعيات الى الاسماع والتغفة (4) حقيق سمع منه ابن عتاب وابن عبد البر وابن
 الهيثمي وعبد الرحمن القلعي والدارقطني وغيرهم (5) من آثاره كتاب الشريعة على مذهب مالك
 بن انس قال الحميدي اخبرنا به ابو شاذان احمد بن محمد بن القيسي (6) وله اقتدار كتاب ابن سلام
 في تفسير القرآن (7) وكتاب اختصار وتأثير ابن الهندي (8)
 وقال ابن عتاب فيه كان خيرا فاجاز تقدمه القاضي ابن بشر الى الضرر فلم يلتفت الى ذلك واستحضر
 المشاهدة فابى قال فيه ابن حبان : النقيض المقررة الراية الحافطة الزاهد المخبى البرج المتكشف
 الفاسل العالم احد من شاعده فيه خلال الصلاح بقرينة رخصت به المنفعة ظاهرة باهانه وسلا
 سبيل السلف المتقدمين من هذه الامة في الزهد الدنيا بالبدن عن الامراء والتعاقة باليسر والحق
 على التعليم والرضى من الله والتذكير لبلائه وكان ممن امتحن بالبربرة في الفتنة ايام ظلمهم على
 قرابة محنة اودت بحاله وقرحت خاطره فراه طيذ خيال خفيف يغشاه ولا يؤذيه ما اضطره الى
 مؤامرة نفسه في الامامة والتعليم على حد التحري وتسمي في ايام الخمسة والجمعيات الى الاسماع
 والتغفة (9) ويقول عيار : وكان له حظ من علم العربية يشغل به (10)
 مرارعة احمد بن ابراهيم وثلاثمائة وثوى في رجب سنة ثلاث عشرة رابعة (11)

* ترجمته به : جذوة المعتبرين 273 - 279 وترتيب المدارك 2 م 4 726 - 723 الديبان 152

الاملة I ترجمة 694 م 309 - 311

(1) بن مروان بالجذوة 273 وبالديبان 152 والترتيب يسمين بن مروان م 726

(2) ترتيب المدارك 2 م 4 726 - 727 الاملة I م 310

(3) 727

(4) 727

(5) ترتيب المدارك 2 م 4 م 723

(6) جذوة المعتبرين م 279

(7) ترتيب المدارك 2 م 4 م 723

(8) الديبان م 152

(9) ترتيب المدارك 2 م 4 م 727 - 729

(10) 729

(11) الديبان م 152

(24) ابو محمد ابي بنو التميمي (330 هـ - 415 هـ)

ابو محمد عبدالله بن محمد بن ربيع بن بنو التميمي من اهل قرطبة (1)

سمع من فقهاء بلده ثم ارتحل الى المشرق سنة 331 هـ مع ابن عابد فسمع من الاجلاء في

بلدانه وبالقيروان من ابن ابي زيد

حدث عنه ابن عتاب وابن حزم والطبري وغيرهم

ولد في نصف شعبان سنة 330 هـ وتوفي يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى

سنة 415 هـ

(1) النسخة المجلد الاول من 253 - 255 ترجمة عدد 530

هو ابو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي هكذا سكبهم والحذاء بالذال المعجمة وحكى ابن عقيظ انهم يابون ذلك ويقولون هو بدال مهمل من حد الابل وان جددهم الذي ينسبون اليه هو حاد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ولكن لما سكن اولنا في ريف الحذائين بقرطبة تصحذ الناس نسبنا لقب الحرفيين ينسبون الى بني امية وكان جددهم داود اميرا يوم مروج راهط فان عددا في موالي بني امية وهو الداخلى الى الاندلس من الشام وكان بنوه ذوي راحة في اعمال السلطان بالاندلس من التقديم على مهم الاعمال والتصرف في الامور الجبلية (1) تلك هي عائلة ابن الحذاء التميمي (2) عائلة عريقة في مجدها واصيله في ارضها ولاشك ان هذا المجد وهذه الاحالة سيكون لهما تأثير على تفكير هذا العاقل .

وقد بدأ يطلب العلم على الفاطمي ابن زريق (391 هـ) وكان عمره اربعة عشر سنة وكذا اجل الى فيه من شيخ الاندلس كابن بردال وابن سليم وابن ابي الديلم والزيدي وابن عابد وغيرهم ثم ارتحل 372 هـ فلقى بالقيروان نعتته ابن ابي زيد واخذ عنه كتبه واجازها له (3) ولقي بمصر جمعا منهم الجوهري والذهلي الكبير وابن المهندس والادفوني ثم حج فسمع من ابي اسحاق الدينوري حتى قيل ان عدد شيوخه بلغ الستين ثم عاد الى الاندلس حيث لاقى الاصيلي (392 هـ) (4) واخذ عنه علماء كثيرون منهم : الزابلي وابن الحصار القيرواني (466 هـ) (5) وقد رآه امير الاندلس خاتمة الزائرين والشورى والقضاة في اماكن متعددة من ارض الاندلس كاسبيلية ورجاية وقنصا تأييده ايام فتنة البربر ثم استوطن سرقسطة الى ان توفي (6) له تأليف كثيرة منها : كتاب الاستيفاء لساني السنن والاحكام وهو موسوعة لاحاديث الموطأ في ثمانين جزءا وكتاب التعريف برجال الموطأ اربعة اسفار (7)

* ترجمته ب : ترتيب المدارك ج 2 ص 473-734 الديباج ص 272-273 جدوة العقبين ص 399 ت 946 الصلة II ص 473-480 ت 1103

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 473

(2) الديباج ص 272

(3) الصلة II ت 1103

(4) ترتيب المدارك ج 2 ص 473-734

(5) 734

(6) 734 الديباج 272-273

(7) 734

وكتاب البشرى في عبارة الرؤيا وهو شريح لكتاب الكرمانى خمسة عشر جزءا (1)

وكتاب الانبياء على اسماء الله تعالى وكتاب خطب الخبايا في سترين (2)

قال فيه ابن عفيف: (كان ابرو عبد الله هذا فقيها عالما حافيا متفينا في الادب - افعلا للرائ

مميزا للحديث ورجاله بصيبر بالوثائق مرسلات بليغا وكان خطيبا مجيدا ومعبرا من ابصر الناس

بذلك له فيها نزاد مشجورة محسنا حسن الشارقة للناشر ثم قال وغلب عليه الحديث فبفر في

علوم اهل زمانه وكان ابن زرب قد استخضه من صغره وهو ابن اربعة عشر عاما وتلقه عنده فلقى

غيره من شيوخ الاندلس رحمهم الله (3) قال عيار: مولده سنة سبع واربعين وثلاثمائة في

المحرم وتوفى سنة عشرة وقال ابنه ست عشرة وأربعمئة وهو ابن سبعين سنة (4)

وقال فيه الخولاني ابرعبدالله (كان من اهل العناية بالعلم متقدما في الفهم والنبل وكان من

النقاد يشبه المتقدمين في حذقهم وسيرهم ١٠٠ (5)

- (1) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 734

- (2) الدیباں ج ص 273

- (3) ترتيب المدارك م 2 ح 4 س 733

- 744 (4)

- (5)

(26) ابن مرقاط الخافقي، (345 هـ - 413 هـ)

هو ابو عبد الله مروان بن سليمان بن مرقاط الخافقي من اهل اشبيلية (1)
'تفتحه بشيوخ بلده كاييه وابي محمد الباجي : ودخل افرقية تاجرا فادرك ابن ابي زيد
وخلاله ورز عنهم .

توفي في شهر ربيعان سنة 413 هـ وكان مولده سنة 345 هـ
كان من اهل الفضل من صدق في الرواية

(1) النحلة المجلد الثاني ص 531 ترجمة عدد 1347

(27) ابوبكر الرحوى (ت ب 420... هـ)

ابوبكر خلد بن احمد بن خالد الرحوى الفقيه المالطى اخذ عن ابي محمد بن
ابى زيد القيروان وحدث عنه بكتبه (1)
وسمى منه ابو الوليد الباجى رابو التاسم الخرابلسى وابو محمد الشارنى واهوجعفر بن مغيث
كما تفقه عنه عامة اهل طليطلة (2)
وحكى عنه تلميذه ابن مغيث انه كان يبرز بالراز (3) توفي بعد سنة عشرين واربعمائة (4)

(28) ابو محمد ابن الرحوى

هو ابو محمد بن الرحوى احد عظماء طليطلة له رحلة تفقه فيها على ابي محمد بن
ابى زيد القيروانى وروى عنه كتبه (5) سمى منه ابو الوليد الباجى واعمر بن المغيث (6)
يمكن ان يكون ولدا للسابق .

* ترجمته بترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 761 الديباج ص 113 الدانة يسميه الرهونى الصلة I
ص 164 - 165 و 373

(1) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 760 الصلة I و 373

(2) الديباج ص 113

(3) 760

(4) تعليق للدكتور يكسربها لصوحة ص 735 من المدارك ج 4 نقله عن الصلة

* ترجمته بالترتيب م 2 ج 4 ص 733

(5) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 733

(6)

ابو الحزم خلف بن عيسى بن سعيد الخير المعروف بابن أبي درهم القاهي من
 أهل وثقة وقاضيه (1) محدث له رحلة (2) بدأها سنة 370 هـ التي فيها ابن أبي زيد
 وغيره⁽³⁾ ساء بالاندلس من أبي عيسى بن أبي عيسى بن يحيى وابن عبد العزيز (4) وابن
 الأبار وابن بطار (5) وعمر من أبي محمد الحسن بن ربيع وثاقته (6)
 أخذ عنه ابن خنوق الكاتب (7) وابن الحذاء وابنه أبي (3)
 قال ابن الحذاء كان فاضل تلاءم اليه وفاقه (3) وقال الباهي فيه وفي ابنه ابن
 الحزم لأبائيهما (10) توفي في رمضان سنة 421 هـ وكان مولده سنة 336 هـ (11)

* ترجمته : جذوة المقتبر ص 207 - 203 ترتيب المدارك ص 2 ح 4 ص 690 الملة I ص 163 -

164 ترجمة 376

(1) ترتيب المدارك ص 2 ح 4 ص 690

(2) جذوة المقتبر ص 207

(3) الملة I ص 164

(4) جذوة المقتبر 207

(5) ترتيب المدارك ص 2 ح 4 ص 690

(6) جذوة المقتبر 203

(7)

(3) ترتيب المدارك ص 2 ح 4 ص 690

(9)

(10)

(11) الملة I ص 164 ت 376

هو أبو الحكم منذر بن منذر الكتاني من أهل مدينة الفرس (1)

تفقه بأهل بلده كابن مصلح وابن موسى والعمري وغيرهم ثم رحل إلى الرقة فلقى بالقيروان
ابن أبي زيد وأبي الحسن القاسمي وأخذ عنهما .

كان رجلاً صالحاً قديماً عالم بكثير الكتب رويها لها موثقاً فيها .

توفي سنة ثلاث ومئتين وأربع مائة وكان مولده أربعين وثلاث مائة .

هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الصدفي وهو ولد المترجم له تحت عدد (١٧)
 سمع من أبيه من نذر الشيخ ثم ارتحل إلى الشرق سنة ٣٩١ هـ والتقى بـ...
 دحمون وابن أبي زيد الذي سمعه تأليفه وأجاز له سائر ما كان ثبتاً ورعاً وكان الخالب عليه
 التقيد والرواية وقراءة الآثار والعمل بها . وكان قد التزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 له في ذلك كتاب الأمر والنهي ، توفي سنة ٤٢٤ هـ .

(32) ابو عمر ابن الحجال (363 هـ - 423 هـ)

هو ابو عمر احمد بن سعيد بن علي الانتاري القناتري (1)

سمع اولاً بقرطبة ثم ارتحل الى الشرق فلقى ابا محمد ابن ابي زيد والداود و اكثر من
الرواية عنهما وكان كثير الانقباض توفي باشبيلية سنة ثمان وعشرين ربيعاً مائة ومولده
في حدود 363 هـ .

(1) الصلة المجلد الاول ص 47 ترجمة عدد 33

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المقرئ الظلمكي (1) ابن أبي عيسى - واسمه لب - ابن يحيى بن محمد بن قزلمان الحنابلة من طلمنكة بفخر الاندلس الشرقي (2) وطمنكة بفتح الهمزة واللام والميم وسكن النون وفتح الكافوها سانة (3) سمع بالاندلس ابن منقح القاضي وابن عون المهاجرين ناصر المصنعي وابن زرب والاندلسي والزبيدي وغيرهم ثم ارتحل الى المشرق فسمع بالقيروان من ابن أبي زيد وطبقته (4) وبمصر والحجاز من ابن غلبون والاندلسي وابن أبي غالب وابن سحر وابن المهدي وابن عروة وغيرهم (5) روى عنه أبو محمد بن حزم وأبو عمر بن عبد البر (6) وحاتم الداريلسي وابن عتاب وابن مرابط وابن فريش والموفسي وابن الجوزي (7) سكن قرطبة ودرس بها ثم سكن المدينة ثم مرسية ثم سرقسطة ثم رجع الى بلده طلمنكة فبقي بها الى ان مات (8) وقد غلبت عليه علوم القرآن والحديث (9) وكان من الذين انكروا على ابن أبي زيد موقفه المتمثل في رفضه الخلوي الاعتقاد في كرامات الاولياء اذ ورد قوله عقب انتباه هذه القضية (كانت تلك من ابي محمد نادرة لها اسباب ارجحها التناظر الذي يقع بين العلماء) (10) وقد وقف نفع الموقف المعارض من القبري عندما قال مثل قول شيخه ابن أبي زيد في كرامات الاولياء بحيث كان الظلمكي في هذا النقطة والمحدثين الذي شنعوا على القبري موقفه المعلن والرافض الاغراق في الاعتقاد في كرامات الاولياء في حين كان الاصيلي وابن ذكوان القاضي مع القبري كما سبق ان عرفنا ذلك (11) وما دنا في مجال الحقائق فقد الف ردنا على ابن مسرة المائز (12) مقتفيا اثر شيخه ابن أبي زيد (13) والزبيدي من قبله (379) وقال (14) ان أبا جلال الظلمكي هو الذي امد شيخه أبا ^{سافحه} أبا أبي زيد بكتاب الزبيدي في هذا الموضع (15) ولا يستبعد ان يكون رد الظلمكي هو اجترار الشيخ ابن أبي زيد القيرواني (16) ومن تأليفه كتاب الدليل الى معرفة الجليل نحو مائة جزء وكتابه في تفسير القرآن نحو هذا وكتاب البيان في اعراب القرآن وكتاب فضائل مالك ورجال الموطأ وكتاب الوصول الى معرفة الاصول (7)

ترجمته به جذوة المقتبس من 114 ترتيب م 2 ح 4 749-750 لذيبيان ص 39 الصلة ل 49 ص 50
ترجمة عدد 92

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| (1) جذوة المقتبس من 114 | (10) ترتيب المدارك م 2 ح 4 495 |
| (2) ترتيب المدارك م 2 ح 4 749 | (11) ترجمة القبري بهذا البحث |
| (3) لذيبيان ص 39 | (12) ترتيب المدارك م 2 ح 4 |
| (4) جذوة المقتبس من 114 | (14) |
| (5) ترتيب المدارك م 2 ح 4 749-750 | (15) البادري ادريس P. 145 |
| (6) جذوة المقتبس من 114 | (16) P. 159 |
| (7) ترتيب المدارك م 2 ح 4 750 | (17) ترتيب المدارك م 2 ح 4 750 |
| (8) لذيبيان ص 39 | |
| (9) ترتيب المدارك م 2 ح 4 750 | |

قال فيه ابن الحصار الخولاني (تأني من الفضلاء المالحين على هذو سنة قديم الطالب للعلم
 مقدما في الفهم مجوداً للقرآن حسن اللفظ فضائله جمعة اكثر من ان تحصى (1)
 قال ابن التختا (وكان فاضلاً شديداً في كتاب الله تعالى مسبقاً على اهل البدع سكن
 قرطبة راقراً بها ثم سكن المدينة ثم البصرة ثم سرقسطة ثم عاد الى بلده طلمنكة مرابطاً فتوفى بها
 صدر محرم سنة تسع وعشرين وفيل في الحجة سنة ثمان وقد قارب التسعين رصحه ذهبه مولد
 سنة اربعين رثاءه (2)

(1) ترتيب المدارج، م 2 ج 4 ص 750

(2) ترتيب المدارج، م 2 ج 4 ص 750

(34) ابوبكر السبتي (349 هـ - 429 هـ)

هو ابوبكر احمد بن محمد بن سعيد القيسي يعرف بالسبتي (1) سكن سبتة واصله من اشبيلية .

رحل الى سبتة سنة 370 هـ وحج بعد سنة 370 هـ ابن الحذاء حيث التقى بابن ابي زيد بالقيروان واخذ عنه . كان من اهل الزهد والانتقاء والحناية بالعلم ثم عاد الى اشبيلية ثم ارتحل منها من جديد الى سبتة حيث توفي بها سنة 429 هـ وله ثمانون سنة .

(35) ابو سعيد ابن الجعفرى (..... 429 هـ)

هو ابو سعيد خلف مولى جعفر الغنى المقرئ المعروف بابن الجعفرى (2) سكن قرطبة ومها اخذ عن ابن عون الله وغيره ثم رحل الى المشرق فسمع بمكة عن ابي القاسم السقطي وغيره بمصر من الادنى والجوهري والقيروان عن ابن ابي زيد وغيره . قال الخولاني كان من اهل العلم بالقرآن توفي في طرطوشة اثر الفتنة في ربيع الاخره سنة 429 هـ وقيل غير ذلك .

(1) الملة المجلد الاول ص 50 ترجمة عدد 93

(2) الملة المجلد الاول ص 164 ت 337

هو أبو الوليد يونس بن عبدالله بن مغيث القرطبي المعروف بابن الصغار (1)
 سمع في بلده من علماء كثيرين كابن الأحمر وابن أبي بدر وابن زرب والزبيدي وروى عنه علماء
 أجلة كثيرون أمثال أبي الوليد الباجي وابن عتاب والحقيقي والحارثي وأبي مخنف الشعبي
 وروى قضاء الجماعة أيام المعتمد وفي تلك الأثناء رآه ابن أبي زبد (2) وقد بقي بخطه
 هذه تسع سنوات ونصفا له تأليف كثيرة "كتاب الموعب في تفسير الموطأ" رجم مسائل ابن زرب (3)
 قال فيه ابن حبان كان يونس من أكبر أصحاب ابن زرب المتقدمين في بساط العلم وسعة الرواية
 وجودة الخصال بطلاقة الشعر آخر الخطباء المعدودين وأسند من بقي في المحدثين وأوسعهم
 جمعا وأعلمهم سندا وكان خاتمه قضاء بني أمية في الممتدة (4)
 وأسند له ابن حبان (5)

أدائهم أيام بقصد وبلغه والزم نفس الصبر عند الشدائد
 وأعلم أنه في مكايده البلاء بعين الذي يربوه كل مكاييد
 وتوفي فجئى رجب سنة تسع وعشرين وأربعمائة (6) وقد نُبئ عن تسعين سنة مولده سنة ثمان وثلاثين
 وثلاثمائة (7) .

* ترجمته بالمدارك ج 2 ص 739 - 741 الصلة II 1512 ج 4 ص 644 - 647 مخرنوب I 307

ج 113 - 114

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 739

(2) الصلة II ت 1512

(3) " " " " " " " " 741

(4) " " " " " " " " 739 - 740

(5) " " " " " " " " 740

(6) " " " " " " " " 741

(7) الصلة II ج 4 ص 644 ت 1512

(37) احمد ابن الصلبي (360 هـ... بعد 429 هـ)

هو احمد بن محمد القرشي الاموي الزاهد يعرف بابن الصقلي سكن القيروان
كان منقلاً للعمل الى الحج اخذ عن شيخ كثيرين منهم ابن ابي زيد (1)
ولد سنة 360 هـ وبقي حياً الى ما بعد 429 هـ..

(1) الملة المجلد الاول ن 93 ترجمة عدد 137

(432 هـ)

الرياحاني (33)

هو عبد الله بن سعيد بن أبي عوف العاملي الراحي قدم طليطلة واستوطنها (1)

سكن من ابن زمنين ثم حج وسمي من أبو يزيد .
كان فاضلاً دينا توفي سنة 432 هـ .

(1) الصلح من 260 - 261 ت عدد 591

(39) أبو محمد بن عمار (..... 432 هـ / 1040 م)

هو أبو محمد حماد بن عمار الزاهد قرطبي من العلماء الزهاد جمع إلى العلم
الادب والفقه ما تفرغ للعبادة حتى بعد الفتنة إلى طليطلة وقد طلب إلى قضاة قرطبة
فرفضوا والتقى بأبي زيد وأخذ عنه (1) حدث عنه الطرابلسي وغيره.
قال فيه عياض كان منقطعا القرين في فضله جمع إلى العلم الادب والفقه والبلاغة (2)
توفي بطليطلة سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة وسنة أزيد من مائة سنة وهو متمتع بجوارحه
وبوفاته ختم إجماع الأندلس من طبقة (3)

* ترجمته بالمدارك ج 2 ص 4 من 730 الصلاة I ص 153 - 154 ترجمة 351

(1) الصلاة I - ص 154

(2) ترتيب المدارك ج 2 ص 4 من 730

(3)

(1)
هو القاسم احمد بن سعيد بن دنبل الاموي من اصحاب ابن الشقاق وابن دحون
وصديقا لهما (2)

تفقه باهل بلده كابن زريق (381) وابن عون والقلعي وابن الخراز وابن مفرج ويقال انه
التقى بابن ابي زيد بالقيروان فسلمه عدم من مؤلفاته وخاصة مختصر المدونة (4)
اخذ عنه الكثيرون منهم ابو عبد الله الخولاني وابنه احمد (5)
من مؤلفاته مختصر في وثائق ابن المهدي (6) قال عيار فيه (كان ثقة حليما معلما) (7)
وقال الخولاني (كان من اهل العلم والفهم والعدالة) (3)
مولده عام 347 واربعين وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين واربعمائة (9) من صدر رجب (10)

* ترجمته ب : ترتيب المدارج م 2 ج 4 ص 737 المجلد 101 ص 53 - 54

(1) في المجلد 101 ص 53 - 54 المجلد 101 ص 53 - 54

(2) ترتيب المدارج م 2 ج 4 ص 737

(3)

(4) المجلد 1 ص 53 - 54 ترجمة 101

(5) ترتيب المدارج م 2 ج 4 ص 737

(6)

(7)

(8)

(9)

(10) المجلد 1 ص 54 ترجمة عدد 101

(42) ابوعامر ابن سيد الخولاني (..... 440 هـ)

هو ابو عامر سيد بن ابان بن سيد الخولاني من اهل اشبيلية (1)
سمع من ابي محمد بن الباجي وابن الخراز والقيرواني ابن ابي زيد وغيره .
قيل فيه كان شيخا فاضلا متقدما في الفهم والحفظ .
توفي سنة 440 ^{هـ} بعد ان كان بصره وهو ابن 37 سنة انتهى .

(1) الصلة المجلد الاول من 223 ترجمة عدد 513

(43) أبو القاسم الوراق (354 هـ - 440 هـ)

هو أبو القاسم خلف بن مروان التميمي الوراق الدقاق القرطبي (1)
سكن أشبيلية فآخذ عن علماء بلده كابن زرب وابن عمن الله وابن مثنى والزبيدي والاصيلي
عن مع ابن النعمان وشارك في السماع غير أنه انفرد بتبيين القرآن لقياس بالقيروان ابن
أبي زيد .
توفي في حدود سنة 440 هـ وله من العمر 36 سنة .

(1) الدقة المجلد الأول ص 167 ترجمة عدد 337

(44) ابوالقاسم اللخمي (...تريبا من 440هـ / 1043م)

هو ابوالقاسم ابي بن راشد بن اصبح اللخمي من اهل اشبيلية رحل الى القيروان حيث تلقه بابن ابي زيد واخذ عنه : الرسالة ومختصر المدونة وكذلك (1) سمع من ابي الحسن القاسمي ومن غيره ثم ارتحل الى الحجاز حيث التقى به الحميدي وسمع هو وغيره منه الرسالة والمختصر (2) يقول الحميدي وهو اول من سمعت منه سنة خمس وعشرين او نحوها (3) مات هناك تريبا من الاربعين واربعمائة (4)

* ترجمته ب : جذوة المقتبس ص 173 - 174 ت عدد 324 الصلة ترجمة 255 ص 109 - 0

(1) جذوة المقتبس ص 173 - 174

(2) 174

(3)

(4)

هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عون الله من أهل قرطبة (1)

رحل إلى المشرق سنة 373^{هـ} ولقي بهدرايل غابرييل والقيروان أبا محمد بن أبي زيد ثم عاد

إلى الأندلس كل ما خلا ناسكاً - درقا ورعاً .

توفي يوم السبت لعشرية ثين في جمادى الأولى سنة 411^{هـ}.

هو أبو القاسم سلمة بن أمية بن وديع التجيبي الإمام أصله من سنتره في الغرب

سكن اشبيلية (1)

دخل إلى العسقر سنة 333^{هـ} ولقي ابن أبي زيد وابن غيلان والأزهري وأمرته الرزم عند
انصرافه من الأندلس وبقي في الأسر سنوات عديدة ثم عاد إلى اشبيلية حيث توفي فسي
سنة 442 هـ ولد سنة 365 هـ

(47) ابو القاسم الخزرجي . (.... 446 هـ)

هو ابو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد الخزرجي العتري من اهل

تربة (1)

رحل الى المشرق سنة 380 هـ وبقي هناك عشرين سنة ^{هو} وبالقيرازان اخذ عن ابن ابي زيد
والقاسمي وروى عن خلفه العابد والذيلي ثم عاد الى الاندلس سنة 400 هـ فقرأ القرآن
الترآن بقراءة الى ان توفي في محرم لست بقيت منه سنة 446 هـ

(1) السلسلة I من 312 - 322 ترجمة عدد 710

هو ابو العاصي حكم بن محمد بن حكم الخدامي يعرف بابن قزائن من اهل قرطبة (1)
روى عن اهل بلده كالبغدادي وخلفه ابن القاسم الحافظ ثم ارتحل الى المشرق سنة 331 هـ ولقي
بمكة السقلي وبعثه ابن التتار وغيرهما وبالقيراط ابن ابي زيد واخذ عنه واجازه كما لقي
ايضا به ابن دحيم وروى عنه جماعة منهم الغبني والحساني كان التتار في رجاله مالحا
وكان من المتأخرين من اهل البدع .
توفي صدر ربيع الاول سنة 447 هـ عن سن عالية .

(1) انظر المجلد الاول ص 147 - 143 ترجمة عدد 337

هو أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري (2) أندلسي أصله من قرمونه (3) سمع بالاندلس الحافظ ابن ثابت وأبي جعفر ابن عون وابن السماء (4) ورجل قيل 330 فتفق به ابن أبي زيد وأخذ عنه كتبه (5) ولذلك سمع من القاضي والأجداد أبي ثم انتقل إلى مصر فسمع عن علماءها ثم حج وسمع هناك من كثير من العلماء (6) ثم ذهب إلى بيت المقدس التي تقول بعض الروايات أنه مات هناك (7) ويقول بعضها الآخر أنه عاد إلى الأندلس ونشر كتب ابن أبي زيد (3) وأما عيار فسكت عن هذا ويأتي بالتفصيل : وكذا بالقدس من نحو الأربعين ناقلاً ذلك عن أبي الوليد الباجي (8) قال فيه : أبو عبد الله الرازي (أبو محمد بن الوليد الأنصاري الفقيه على مذهب مالك من سادات المذاهب وفاضليهم سكن مصر وأخذ عنه بها الناس) (10) قال أبو الوليد الباجي فيه (شيخ صالح ثقة مصحح لكتبه كثير الرواية) (11)

* ترجمته به : جذوة المقتبس ص 266 ترجمة 562 ترتيب المدارك ص 4 من 700

(1)

(2) جذوة المقتبس ص 266

(3) ترتيب المدارك ص 2 من 700

(4)

(5) جذوة المقتبس ص 266

(6) ترتيب المدارك ص 2 من 700

(7) جذوة المقتبس ص 266

(3)

(9) ترتيب المدارك ص 2 من 700

(10)

(11)

هو القاسم بن محمد بن هشام الرعيني المعروف بابن المأموني السبتي من مشاهير

أهلها (1)

تفقه ببلده بميد الرحيم بن العجوز وابن الشيخ وابن يربوع وغيرهم ثم ارتحل إلى الأندلس

فسمي من ابن الديار وأبي محمد الباجي (2)

ثم ارتحل إلى الشرق : فلقى ابن أبي زيد بالقيروان (3) ومعه رسم من ابن منير وأبي محمد

عبد الغني المافق وابن أبي يزيد . ثم عاد فمكث أشبيلية وحدث عنه جملة من الشيخ كابن

صاحب الأحبار للقاغي وابن محمد غانم المالقي الأديب وابنه حجاج (4)

له كتاب في المناسك رواه عنه ابنه وتوفي سنة 443 هـ وقد سبق على السبعين (5)

..

* ترجمته بترتيب المدارك ج 2 ص 4 ح 734 الصلة عدد 1016 II ص 446

(1) ترتيب المدارك ج 4 ص 784

(2) ترتيب المدارك ج 4 ص 784

(3) الصلة II ص 446 ت 1016

(4) ترتيب المدارك ج 4 ص 784

(5) الصلة II ص 446 ت 1016

هو ابوشاكر عبد الواحد بن محمد بن موهب بن محمد التجيبي اخذ عن ابيه محمد بن موهب القبري الذي كان احد تلامذة ابن ابي زيد (1) وعن ابي محمد الاصيلي وابي حفص بن نابل وغيرهما واجازته ابو محمد بن ابي زيد وابوالحسن القابسي (2) نشأ ابوشاكر بقرطبة حيث فلما وتعلم ان كان من اهل العلم بالحديث والفقه والعربية والكلام والنظر والجدل على مذهب اهل السنة والحدق يصوغ التوقيض والخطابة (3)

ثم تولى القضاء بشاطبة والصلاه والحكم ببلنسية (4) وقد لقيه السعيدى دنا واورده ابياتا سماعا من ابي محمد علي بن احمد (5)

ومنعم وسانن يحنى لحظة
صار الحداد يوما عليه فنبأته
قتل المحب وتارة ينجيه
يشكر الم به لكى اشكيه

واخرج للامام عيار ابيات من رثائه لقرطبة (6)

يا ليت شعري والايام يجمعنا
فم ضبة الارض اعني ارض قرطبة
ونأخذ البين مغلوبا فتضعه
كالمسك قد ملا الدنيا تضرعه
استودع الله اهلها فانهم

وقد تخلى على يده علماء كثيرون منهم ابن الحقة القاذي ابوالوليد الباجي وشيخ عيار ابوعلي الباجي النيسابى وابن سهل وغيرهم (7) قال ابوعلي الغساني الحافظ (كان من اهل النبل والذكاء سرا متواضعا) (3)

توفى في رجب سنة ست وخمسين واربعمائة وسنة نحو الثمانين سنة شاذبة وحمل الى بلنسية فدفن بها مولده في ذى القعدة سنة سبع وسبعين وثلاثمائة رحمه الله (9)

* ترجمته ب : جذوة المقتير ص 290 - 291 ت عدد 655 ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 813 - 919

(1)

(2) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 913

(3)

(4)

(5) جذوة المقتير ص 291

(6) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 313

(7) 319

(8) 319

تمهيد :

لم يهتد على ابن ابي زيد بالقيروان من العلماء المشاركة غير ابن عبد المؤمن الذي كان أحد تلاميذ ابن مجاهد الاشعري وقد قلنا ان ابن عبد المؤمن قد ابلغ ابا محمد نظريات علم الكلام وقضاياها في المجتمع الشرقي ومراقب الاشاعة منها ورايهم فيها وردودهم عن مخالفهم وذلك كان ابن عبد المؤمن المتكلم السنن الاشعري بمثابة الشيخ في هذا الميدان لابي محمد وغيره من القيروانيين ومثابة التلميذ له في غير هذا المجال من مجالات المعرفة . اما بقية المالكية ممن كانت لهم علاقة علمية بابن زيد فقد تتلمذوا عليه او تفقهوا به بعضهم عن طريق المراسلة والاجازة . وكان من هؤلاء من تبادل معه الاجازة في رواية كتبها عن بعضها كما هو حاله مع ابي بكر الازهري . ولهذا كانا شيخين وتلميذين لبعضهما . ومنهم من اجاز ابن ابي زيد فقط فكان حاله مع حال الشيخ مع تلميذه وينصب هذا على ابن مجاهد البصري البغدادي ومن البغداديين من تولى شرح بعض كتب ابن ابي زيد وعمل على نشرها وهذا كالفقيه عبد الوهاب وحاله بين ابن ابي زيد مع حال الشيخ مع صالبيه ايضا . ومنهم من درس كتبه عن طريق تلميذه بالاجازة فاعجب بعلم ابن ابي زيد واشق عليه وعلى فضله وهذا كالباقلي وحال ابن ابي زيد مع حاله الشيخ مع تلميذه ابن ابي زيد . والشيخ عليه السلام فقهه من تلميذه ما يشاء .

وحتى تكون لدينا صورة واضحة المعالم على مظاهر التبادل العلمي والفتاح لفكر بين الفرعين القيرواني والبغداديين للمدرسة المالكية ارتأيت من تمام الفائدة استعراض تراجم هؤلاء العلماء والتركيز خاصة على مظاهر هذا التبادل العلمي . لمعرفة مدى تأثير الآراء الفقهية المالكية القيروانية في المشرق عامة وفي الفرع البغدادي للمدرسة المالكية خاصة ، والعكس ايضا مقصودا من هذا البحث .

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري (١) وقد مر ذكر ترجمته عند حديثي عن شيخ أبي زيد من هذا البحث (2) على أساس أن مالك الصغير قد استجاز أبي بكر الأبهري وغيره فجازوه . وقد اشرت ايضا الى ملاقاة كتاب الرسالة لابن أبي زيد من عناينة فائقة من صرف أبي بكر الأبهري وقلت اننا سنترن على مزيد التفاسير ترسنا هر هذه العناية عند الحديث عن كتاب الرسالة فيما يستقبل من هذا البحث بحول الله (3) .

- وبالنظر الى هذه العناية الفائقة من صرف شيخ مشيخة الموالك ببغداد بكتاب الرسالة كثر الاقبال عليها وعلى غيرها من كتب ابن أبي زيد من صرف العلماء والصلاب المشاركة مما ساعد على انتشارها ^{واسعها} وعلو صفتها وارتفاع مركزه العلمي ، فتمتت ملكته بالبغداديين وخاصة بشيخهم أبي بكر الأبهري مما جعل البريد لا ينقطع مدده بينه وبين شيخ فقهاء القيروانيين مما يجعلني اميل الى تصديق ما ورد من أن الأبهري قد صلب في إحدى هذه الرسائل المتبادلة من ابن أبي زيد اجازته في رواية وتدريس كتبه . وخاصة مختصر المدونة . ومعلوم يد بالملحظة ان ابا بكر الأبهري كانت له عناية تميقة بامهات كتب المالكية وليس ذلك بغريب منه على أساس كونه احد اقصاب المدرسة المالكية من صيغة الامام سحنون في وقته وابي محمد بن أبي زيد في وقته حتى ورد انه (لم ينبغي ان من الاذخار بعد اسمائيل القاضي ما اذبح أبو بكر الأبهري كما انه لا قرين لهما في المذهب بقصر من الاقتصار الا سحنون بن سعيد في صفتة بل هو اكثر منه اهراجا وافضلهم اتباعا وانجحهم صلابا ثم ابو محمد بن أبي زيد رضي الله عنه في هذه الصبقة ايضا) (4) .

ولهذا كان أبو بكر كثير المظالعة لهذه الامهات والتي كانت من بينها المدونة والتي يقال انه قرأها خمسة وسبعين مرة (5) . ان هذا التعلق بالمدونة جعله يقبل بنفس الحماس على مختصرها وخاصة ان من حمّره هو عالم مالكي قيرواني جليل قد درس المدونة عن شيخ تلمذوا عن تلاميذ سحنون ذاته ولذا فاختصاره لها سوف يكون ادنى اختصار خطه عالم تضاف الى هذه الخاصية العلاقة المتينة التي كانت بين أبي بكر وابي محمد الأهر الذي جعلها تتجاوز شكليات الصداقة الى بعد روي وعلمي متين ووثيق .

① صفات الفقهاء للشيرازي ص 167 - ط، بيروت 1970 . فصول ابن عباس

② هذا البحث ص 102

③ هذا البحث ص 322 . 345

④ ترتيب المدارك 4 / 470

⑤ " " 4 / 468

وقد اورد ح - ج عبد الوهاب اغلب نصوص القباين ابي زيد القيرواني الى ابي بكر الابهري حيث قال وكتب الى ابي بكر الابهري قاضي بغداد يجيزه في رواية تأليفه :

" انال الله القاضي افضل مثال انا له الصالحين من عباده ونعمه ببدايته وعنه برعايته واعانه على مرتباته وزواره عن مساجده والهمه ما يرضاه من شكر نعمته والحمل لذاته وساعته الخوالي - ايده الله القاضي - اذ كتبت اليك اتابي صالحة ونعم الله لذات مترادفة ونحن من مودته ومولاته بموضع نثره وتحافظ عليه لما بلغنا من صحة هدايته وجميل اسواله وماثره انار الله بصيرته واصل له علانيته وسريته عرفني اكرمك الله (فلان) ، ما رغبت فيه من كتاب احسن من اللذة الذي عملناه وجميل موقعه منك بارك الله فيما وهبك وقسم له من صحة الحبيب وجميل الخلق والقلوب - ايديك الله لتواصل عن عرفان الحق والتواصل عليه وفيه جمع الله قلوبنا على التقدير وبارك لنا ولك فيها يسرنا اليه من ذلك وحقق علينا اكرمك الله لذلك ولغيره لما اجزى الله لسلفك الصالح من اقامة هذا المذهب واحيائه بالمحاماة على استعلائه رحمة الله عليهم اجبرت ذلك لكل من رغب القاضي في اجازة ذلك له نفعنا الله ونفع بك والسلام على القاضي ورحمة الله وعلى من يختص به ومن في عنايتك (1) وقد ورد ايضا في المدارك : ان ابن ابي زيد قد بحث تلميذه محمد بن خلدون واسماعيل بن عذرة من مكة الى بغداد ومعهما كتاب المختصر صحيحا مقابلا وامرهما بتسليمه الى ابي بكر الابهري وابن مجاهد الدائي مجيزا روايته لهما ولعن رغب في ذلك من غيرهما ولا شك ان هذا وقد بعيد تلقيه رسالة من ابن مجاهد سنة 363 هـ بعد ان تم له تبخير الكتاب (2) وبذلك ترى ان ابا بكر الابهري كما كان شيخا بالمراسلة لابن ابي زيد كان له تلميذا بالحراسلقايشا

(1) مجمل تاريخ الادب التونسي ح ج عبد الوهاب ج 126 - 107 ط - المنار 1953

(2) ترتيب المدارك 4/ 478

هو ابو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلم الاشعرى المعروف بابن مجاهد الطائي . من اهل البصرة وسكن بغداد (1) سمع من ابي الحسن الاشعري (270 . 330) وعلمه اختس وعلمه اعتماده . حتى عد من اصحابه المقربين واخذ عن سهل التستري وسمع صحيح البخاري من ابي زيد العروزي . واستجاز الشيخ ابا محمد بن ابي زيد في كتاب النوادر والزيادات وكتاب المختصر (2) فاجازه كما سيأتي . وتخرن على يده علماء كثيرون منهم ابو بكر الباقلائي وابو بكر بن الخطيب البغدادي وابو بكر بن عذرة وابو القاسم عبد المؤمن المكي المتكلم وغيرهم (3) . وتذكر كتب التراجم انه بعث الى ابي محمد بن ابي زيد سنة 368 برسالة يطلب فيها منه اجازته في رواية كتابيه المختصر والنوادر والزيادات ، واقوم هنا بنقل فقرات من هذه الرسالة حسب ورودها بالمدارك . يقول عياص ورايئ له في ذلك رسالة يقول فيها (وقد وقع الينا من تصنيفه ايداه الله - قطع من المختصر وجدناه قد احسن في نظمه والطف في جميع معانيه وكشف ما كانت النفوس تنوق اليه وكفى مؤنثه الرحلة وطلب المصنفات بالكلام السهل والمعاني البينة التي تدل على حسن العناية وكثرة المعرفة والحرص على منافع الراغبين في العلم والمتعفين به فاحسن الياهم - الشيخ جزاءً واجزى ثواباً) . ثم ذكر له بعد ان بلغه تصنيف النوادر ثم قال (وما يتصل بنا من فض الشيخ ايداه الله قد نشئنا الى تعريف ما بنا من حاجه الى هذين الكتابين . وتطبع وتطبع هن قبلى من الصالين لها والشيخ ايداه الله يتفضل في ذلك بما هو أهله ويمن علي بذلك فاني اليه وجماعتهم قبلى من اخوانه . والرفيقين في مذهب الامام رضوان الله عليه يتطلعون اليه فان راى الشيخ ايداه الله ان يتفضل بانفاذها بعد عرضها بحضرة واجازتها لى ولغيرى من اصحابنا من آثر ذلك واحبه) (4) . ثم سألوا الدعاء له وأخرج كتابه سنة وفتح لهما وسنن [

ترجمته به المدارك 476/4 - 478 . الربيع ص 258

① الربيع ص 253

② المدارك 476/4 - 477 -

③ Histoire de l'ecclé Malikiite. D BEKIR Tunis 1962 P 112 478 ,, ,, ④

477 ,, ,, ⑤

ثم يورد عياض اجابة ابن ابي زيد بقوله : وجاوبه ابو محمد بجواب احسن منه :
 (وعندنا من اخبار الشيخ النخبة ما تعم مسرته من نصرته في هذا المذهب وذبحته ومحاماته
 عليه حماه الله عز وجل مكروهه من صحته " ثم يقول عياض : وشكر فيه ابتداء مخاصبته وسروره بذلك
 ومودته له واجازة كتبه له ولعن رغب من ذلك وانه وجه اليه بعض النوادر ان لم يبيضا وان الوقت
 لم يتسع لكتب نسخة من المختصر ولان النوادر وان شابين ممن عني بهم توجهها من مكة للقاء الشيخ
 يعني ابن مجاهد ولقاء الابهرى وهما محمد بن خلدون واسماعيل بن عذرة وبعث معهما المختصر
 صحيحا مقابلا ووعده ان يوجه اليه ما رغبه من الكتابين وسأله الدعاء له كما سأله رحمهم الله) (1) •

وافها ورد في هذا النص ليقدم دليل على ما كان يتمتع به ابن ابي زيد من شهرة وما كانت تحظى
 به كتبه من عناية واقبال وفي هذا كله يكمن تاثير المدرسة المالكية بالقيروان في غيرها من المدارس
 الفقهية وان كانت مالكية او غير مالكية ان ما كان عليه الشيخ المالك ببغداد من علو جاهه وهيبته في قلوب
 اذالم يكن في كثير الى هذه الكتب الجامعة ذات العرض الدقيق والاسلوب السهل المقتنع ، وكان لابي
 محمد في هذا كله الدور الضالعي المشر •

ولابن مجاهد الصائى تواليف كثيرة منها كتاب في اصول الفقهية على المذهب المالكي
 والرسالة المشهورة في الاعتقادات على مذعب اهل السنة التي كتب بها الى اهل باب الابواب²
 وكتاب نهاية المتبصر ومعوذة المستنصر وتواليف اخرى يقول عياض فيه (وكان ابن مجاهد هذا مالكي
 المذهب ، اماما فيه مقدما غلب عليه علم الكلام والاصول) (3) وكان كثيرا ما ينشد (4)

ايها الملقدي ليطلب علمي كل علم عبد لعلم الكسبي
 تطلب الفقه كي تصح حكما ثم اغفلت منزل الاحكام

قال فيه ابن فرحون (وكان حسن الدين جمين الطريقة) (5)

① تركب المراك 477/4 - 478

② 477-474/4 " "

③ 474/4 " "

④ الريساج ص 258

⑤ " " ~

هو أبو بكر محمد بن الصيب بن محمد القاضي المعروف بالباقلاني تفتحه بآب من مجاهد الصائى
وابى بكر الأبهري (1) وغيرهما من الأئمة العلماء كالتصميمى وابن ماشا (2)

وتخرج على يده كثير من علماء القرن الخامس كالفاضى عبد الوهاب المالكي من البغداديين

وكأبى عمر بن سعد وابى عمران الفاسى من القيروانيين (3) قال فيه أبو عمران الفاسى : (سيف

أهل السنة فى زمانه وإمام متكلمي أهل الحق فى وقتنا) وقد ذكرته ضمن ترميد ابن أبى زيد لآبيه

وإن لم يجلس إليه ولم يصلب منه اجازة لكنه اصلع على كتبه ودرسها على يدي ابن مجاهد الضائسى

المجاز فيها من صرف ابن أبى زيد وبحكم معرفة الباقرنى بعلم ابن أبى زيد وفضله • فقد اثنى

عليه عند ما حكمه أهل القيروان فى الخلاف الذى جد بينهم وبين ابن أبى زيد حول قضية كرامات الاولياء

ونفى ابن أبى زيد لقول بعض المتصوفة من امكانية رؤية الله فى الدنيا بما اثارهم عليه فشنعوا عليه

موقفه هذا وانطلقوا الى بغداد لتحكم الباقلاني لانه كان من المتبحرين فى علم الكلام وقد كتب

كتابا فى هذا الموضوع اثر هذه الحادثة ذكر فيه ابا محمد واشى عليه واعتذر فيما نسب اليه

من انكار الكرامات) ان لم يكن مذمبا انكار سائرهما وانما كان يبلغه عن ابن الصقلى اشياء الله

اعلم بها وصحتها كانها عنده من جنس المحالات فكان يتكر ذلك (5)

ولابى بكر الباقلاني تواليف كثيرة فى الكلام واصول الفقه واعجاز القرآن تصلب أسماؤها فى ترجمته

هكتب التراجم (6)

توفى أبو بكر الباقلاني نبيم السبت لتسع بقين من ذى القعدة سنة ثلاث واربعمائة (7) •

١- ترجمته : ترتيب المدارك 585/4 - 602 . الديباج 267 - 268

① ترتيب المدارك 586/4

٢- الديباج ص 268

③ ترتيب المدارك 586/4 - 587

④ 586/4

⑤ معالم الاسيان 112/3 - 113

⑥ ترتيب المدارك 601/4 - 602

⑦ الديباج ص 268

هو أبو محمد عبد الوهاب القاضي بن نصر البغدادي المالكي (1)

سمع من الأبهري أبي بكر ومن كبار أصحابه كآبن القصار وآبن الجلاب ، كان اعتماداً في الفقه والكلام على أبي بكر الباقلاني (403 هـ) قال القاضي عبد الوهاب لما سئل عن شيوخه (قال

صحبنا الأبهري وتفقهت مع أبي الحسن بن القصار وآبي القاسم بن الجلاب والذي فتح أفواهنا وجعلنا^{نكلمهم} أبو بكر بن الخطيب) (2) كما أخذ عن غير هؤلاء قال عياد من قال أنه لم يسمع

من الأبهري أبي بكر فإن قوله غير صحيح بل حدث عنه وأجازته (3)

وبه تفقه علماء كثيرون منهم ابن عمرو وآبو الفضل مسلم الدمشقي ، وآبن هارون الفقيه ، وآبو بكر الخطيب ومن الأندلس جماعة منهم القاضي آبن الشماخ الغافقي ومهدي بن يوسف صاحبه وغير

هؤلاء (4) كما تولى القضاء بالعراق وكذلك بالدينور وبأذربا وبكاسايا وغيرهما كما ولي قضاء المالكية بعد رفي آخر حياته (5) أما تأليفه فكثيرة منها كتابة التلقين وكتاب أوائل الأدلة في مسائل الخلاف والأفادة في أصول الفقه وكتاب التلخيص في أصول الفقه أيضاً والإشراف على مسائل الخلاف وكتاب الفرق في مسائل الفقه (6)

كانت له عناية خاصة بـؤلفات المدرسة القيروانية حيث له شرح المدونة وآبن مختصر بن أبي زيد صنع فيه تحونه وله شرح رسالة آبن أبي زيد (7)

وهو أول شارح لها بل مدحها بنصر جيد سنورده في مكانه من هذا البحث (8) ويقال أن آبن أبي زيد لما بلغته أخبار حالة القاضي عبد الوهاب المالكية السيئة بعث له بالف دينار عينا حتى قيل أنه لما وصلت له الأموال قال هذا رجل رحبت علي منافاته فخرى الرسالة (9) والذي أميل إليه أن شرحه للمختصر جاء بعد طرحه للرسالة إذ يمكن أن يكون بعد موت مؤلفه وذلك أن المختصر قد وصل إلى بغداد مذبوحاً مقابلاً بعد سنة 368 وتقبل سنة 375 وهي سنة وفاة أبي بكر الأبهري فيكون عمر القاضي عبد الوهاب حينئذ تسعة عشر سنة وهي سن يستحيل فيها شرح كتاب المختصر.

(1) الديبيل ص 159 أما فيما فيذكر سلسلة نسبه على النحو التالي (عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك أبو محمد الفقيه المالكي) المدارك 651/4

(2) الديبيل ص 159

(3) المدارك 692/4

(4) 603/4

(5) الديبيل ص 159

(6) الديبيل ص 159 - 160

(7) ترتيب المدارك 652/4 ~~في تاريخ~~ Histoire de l'école Malikite jusqu'à la fin de moyen âge
(8) 652/4
Ahmed Bekir - Tunis 1962 - p 182

واعتمد ان رحله للمحتسرين هو الذي دعا ابني ابن ابي زيد الى توجيه هدية مالية الى القاضي الذي رفضها ثم : رحلها اليه دعوة لزيارة القيروان . فاعتذر عن ذلك في حين انه كان عازما على الذهاب الى المغرب لما خرج من بغداد يقول عياض : وخادبه ابنا الشيخ ابي محمد بن ابي زيد وقد اتفقت بينهما وصلة بسبب امرجه لتواليذ ابيهما ووصلاه بحال لم يردده واستدعيه للدخول الى المغرب فكتب اليهم .

انا ذاك المديق لكن قلبي عند قرب الديار ليس بقلبي
ما انتفعنا بقرىكم ثم لا لوم عليكم وانما الذنب ذنوبي
انا في حطة واسأل ربي نعم خلاصى من شرها ثم حسبي

وكان خادما قتها القيروان في الوصول اليها فرغ في ذلك ابرعمران وكسره عنه ابو بكر بن عبد الرحمن وخاضه اياها معاهد الموفق صاحب دانية في الوصول الى الاندلس فيما ذكره (1) والقاضي عبد الوهاب بالاضافة الى تبخره في الكلام والاصول والفقه فقد كان شاعرا مجيدا ابان شعره عن الالام التي يقاسيها المثقفون والعلماء في مجتمع مهوده العامة والجهلة ممن دخلت ثقافتهم وهزلت معارفهم مما جعله وغيره في حاجة الى كسرة رفيف يابسة في حين ينعم من هوى في الحضيض بالذ الاطعمة واجمل الالبسة ويوافر الاموال . قال 'لمولعيه عند خروجه من بغداد :

والله لو وجدت في بلدكم كيجلتين من ذرة ما خرجت منها ... ثم انشد (2)
ولا تطلبين الى المعجوب اولادا ولا السراب لتسقى منه ورادا
ومن يروم من الاندال مكرمة كمس يؤتد في الاتبان اولادا
وانشد ايضا ابان هذا الخرج (3)

سلام علمي بغداد في كل موضع وحولها من السلام المضاعف
لعمرك ما فارقتها غير ملائمة وانى بشطى جانبها لعارف
ولكنها ضاقت على برحبيها ولم تكن الارواق فيها تساعف
فكانت كخل كنت اهوى دونه واخلاقه تشأى به وتجانف
ويقول ايضا موضحا اسباب ارتحاله (4)
بغداد دار لاهل المال واسعة وللمعاليك دار الفتنك والضيق
اصبحت فيها مضاعفا بين اظهريهم كاننى مصحف فى بيت زنديق

(1) المدارك 4/ 694

(2) " " " " 4/ 693

(3) الديباج مر 153

(4) المدارك 4/ 694

لقد تعرفنا في بداية هذا الفصل على ابي محمد عبدالله بن ابي زيد القيرواني (310-386هـ) كمعلم استطاع بفضل علمه واخلاقه وامكانياته التربوية ان يحقق نجاحا باهرا في ميدان التربية والتعليم حتى عدت المدرسة القيروانية على يديه طليعة مدارس امصار العالم الاسلامي حيث طبقت شهرتها كامل الاتفاق مما جعل طلاب العلم يتوافدون عليها من الاندلس غربا الى بغداد شرقا، ومن تعددت منهم به صحته احوالت دون التحاقه بها قلة ماله، عمد الى مراسلة مالك الصغير شيخها طالبا اجازته في رواية وتدريس تأليفه ولا ادل على ذلك من طلب ابن مجاهد الاسعري من ابن ابي زيد اجازته في تدرسه المختصر والنوادر والزيادات **بهره** مانع **ه** غيره من البغداديين والاندلسيين .

وكان ابن ابي زيد حريصا على نشر افكاره واراءه شيوخه القيروانيين ان لم نجده يرد طالبا ابتغي منه علما وطلب معرفة سواه حضرته اولم يحضر بذاته ولا ادل على ذلك من قوله في رده على رسالة ابن مجاهد فقد ذكر عياض ان ابا محمد بن ابي زيد قد (اجازه كتبه ولمن يرفب في ذلك) (1) وهو بالاضافة الى هذه الاستجابة كان حريصا على السرعة بلوغ مؤلفاته الى من طلبها من ذلك انه وجه الى ابن مجاهد في اول الامر بعض ابواب من كتابه النوادر والزيادات ان لم يتمكن من تبويبها ومقابلتها لان الوقت لم يسعه لهذا التبويب وهذه المقابلة ... ثم لما تمكن من ذلك وجه كتابه مع طالبين من طلابه حيث ابلغا ما كلفا بتبليغه بالى **الابهرى** ابن مجاهد بنظم النظم على ما يطلبه ذلك من نفقة السفر ولا ظن ان المبعوثين قد اثقتا على البعثة من مالهما (2) شيئا بل ان حرص ابي محمد على نشر الانتاج الفقهي للمدرسة القيروانية هو الذي دفعه الى ان يبعث بباكورة انتاجه المتمثلة في كتاب الرسالة الى ابي بكر **الابهرى** ببغداد والى ابن زرب بالاندلس وهما قاضيا الجماعة كل في بلده .. بقدر ما من بما لاقته الرسالة من عناية من طرف البغداديين بقدر ما تألم منها لاقته من طرف الاندلسيين واستعرف تفصيل ذلك في محله من هذا البحث (3)

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 473

(2)

(3) هذا لا يخفى ص 323-324

ولم يكن علاقه بضلابة تنف عند حدود اجازتهم او تنتهي^٧ اخذهم عنه بل كانت علاقة سرمدية ابدية يرسلهم ويرسلونهم^٨ لهم ويستفتونه، واعتقد ان احد تلاميذه السجلمايين قد بلغه حالة توبه وظيفتهم في تلاوة القرآن فما كان من ابن ابي زيد الا ان كتب رسالته المعروفة بـ (رسالة الى اهل سجلماسة في تلاوة القرآن) (١) وكان يتدخل بالحسنى بين طلابه الشيوخ واهل امصارهم اذا ما حدث ما يعرقل سير انشطتهم التعليمية والقضائية ولا ادل على ذلك من رسالته الى اهل توزر عندما اختلفوا مع قاضيهم وشيخهم الشقراضى فقد ورد في رسالته اليهم (ولقد كان لكم فيما بين لكم من النصيحة صاحبنا ابو زكريا يحيى بن علي حفظه الله كفاية بالغة فلا ينبغي لكم ان تدخذوا من ابي زكريا بلالا ولا تبغوا عنه حولا فقد جعل فيه من الخير والفهم ما يسعكم واسع منكم اعانكم الله من فتنة خفيت عنكم) (٢) وابو محمد عندما يكتب الى اهل الامصار في مثل هذه القضايا انما يكتب كمرتب يعرف ما بذرت يداه من علم في الصدور وما زرعه من قيم خيرية في النفوس وما نقشته من معارف عميقة في العقول وما طبعته من انمطة سلوكية مستمدة من الهدى القرآني والسماثل النبوية وما كان عليه السلف الصالح من شيوخ وعلماء وكان الى ذلك شديد المتابعة لآخبار طلابه القضاة ان كانوا يستفتونه فيما يعترضهم من قضايا شائكة وحوادث قضائية معضلة وكتب التراجم مكتظة بمثل هذه المراسلات من ذلك مراسلته لابن الصفار القاضي الاندلسي واجازته لغيره من الطلاب الاندلسيين (٣) فاذا كان هذا حاله من بعدت عنه امصارهم فمن باب اولى واحرى ان يكون اكثر حرصا على متابعة احوال طلابه وصيه من جمعته واما هم مدينة عقبة وهذا ما **يحمي** عليه قول صاحبه ابي الحسن القايسى يوم ان بلغه وفاة ابن ابي زيد حيث قال : (الان انكسنت عورتى لما كان ينوب عليه في الفتوى **يحمي** عليه حتى كاد ان يغمى) (٤) وما قال القايسى ذلك الا بسبب هذه العناية العلمية التي كان ابن ابي زيد يوليها لمن صاحبه او تتلمذ عليه.

(١) ترتيب المدارك م ٢ ح ٤ ص ٤٩٤

(٢) الشرا عدد صفر الخير ١٣٦٤ جانفي ١٩٤٥ ص ٥

(٣) الصلة ت ١٣٩٧ ص ٦٢٢ ترتيب المدارك م ٢ ح ٤ ص ٧٦٣

(٤) معلم الايمان ج ٣ ص ١١٨

وبذلك ترى ان جهد ابن يزيد العلمي الترموي لم يقف عند حدود الدرس بل تجاوزه الى ميدان الحياة العامة ان لم يكن الطالب عنده رقما ينتهي التعامل معه بنهاية الميعاد كما هو الحال في معاهدنا اليوم بل رأينا من خلال ما اوردناه وما سوف نوردّه ان شيخ المائة الرابعة كان يتابع طلابه خارج الميعاد وحتى بعد انقضاء اعوام تحصيلهم وعودتهم الى امصارهم، مما جعلهم ينقلبون بالنسبة الى **الاب** و**الجد** واصحابه ولذا كان الاخذ عنه ميلا والفتنة به امنية مدبة الصالح في هذا طلاب القرن الرابع من اجل تحقيقها جميعا دائما.

لذا ما استعاضوا اجابتنا عليه جملة من نصوص ارخت لعلاقات شيخنا ابن ابي زيد بتلاميذ وخارج الفصل الدراسي وما كان لهذه العلاقات من تأثير في نشرار ابن ابي زيد خاصة واقتوال المدرسة القيروانية عامة. لقد اجمعت كتب التراجم على ان الله قد من على ابي محمد عبد الله بن ابي زيد بهيعة في العلم وحدة في الذكاء وبسطة في الرزق مع بركة في سني العمر وقد كان شيخنا معترفا بهذه النعم ان لم يكنزها ولم يستثمرها **لخاصة** نفسه بل جعلها عونا لكل محتاج شيخا كان او طالبا او صاحبا او غابرسبيل حتى نجب تلاميذه وكثر اصحابه (1) من ذلك ما ثبت من استقباله للطلبة الفقراء الذين يفدون عليه للاخذ عنه والفتنة به حيث كان يوفر لهم كل ما من شأنه مساعدتهم على التحصيل والابداع فيه والتفرغ له وقد تتجاوز حد توفير الاقامة والاكل والادوات المادية الى حد التزويج وذلك عندما لاحظنا الشيخ على طلبته ميلا الى النساء من ذلك ما اوردّه احد كتاب التراجم من (ان بعض طلبته من الاندلس وصل الى الفقيه ابي محمد للقرآن عليه فاكرمه وانزله واجرى عليه ما يحتاج اليه من نفقة وسبله امام مسجده فبينما هو ذات يوم خارج من داره الى الصلاة وكانت داره التي انزله فيها جاورة للمسجد في قبالة حمام ابي محمد انظر الى امرأة خارجة من الحمام وقد كشفت عن وجهها لما نالها من حر الحمام ولم تلبس ان احدا ينظر اليها **فانما** رته سترت وجهها وانصرفت لعيدت بصره واخذت من نفسه ما أخذ ذا

(1) شذرات الذهب ج 3 ص 131 ط بيروت

عظيما فتبعها الى ان دخلت دار النقيه ابي محمد بن ابي زيد والفقيه ابو محمد ينظر اليه في تلك الحالة فلما رآه ينظر اليه سقط في يده وداخله من الحياء والخجل ما لا يزيد عليه ورجع الى داره حزينا كئيبا فلما تأخر عن الصلاة اتاه المؤذن يؤذنه بما وأعلمه ان الشيخ ابا محمد بعث اليه فأتى فسلم بالناس ثم اخذ النقيه معه في المذاكرة والمواصلة الى ان صلى العشاء الاخرة فقال له ابو محمد انصرف الى دارك حتى اصل اليك فلم يشك انه يقول له في ذلك نظن سؤا وما داليه حزنه وكآبته ولما وصل اليه داره لم يجلس الا ابو محمد في اثره فقال له : يا بني انما جئتك محتذرا من تقصيري في حقك اذ لم اقم بجميعة ما تحتاج اليه وذلك اني لم اتفقد انك تحتاج الى النساء فانك شاب وما انا شيخ احتاج الي الزيادة في ذلك فكيف انت؟ وما الصبية الله رأيتها خارجة من الحمام فاني ربيتها صغيرة لنفسى وسم لك وما اخرتها لهذا الوقت الا انهم في الدار من ذلك الحين يصلحون من شأنها فلم يبرح حتى وصلت الصبية بجميعة ما تحتاج اليه من ثياب وعلل وفرش وتركها في منزله وانصرف (1)

وقد اعجبني تعليق ابن ناجي عن هذه الحادثة لانه تعليل لما يحتاج اليه من ثياب ينطبق علم عصرنا يقول ابن ناجي (واعجبا هكذا كان خواص العلماء في اخلاصهم وانصافهم واعانتهم ولو وقع الميراث من هذا التلميذ مع شيعة لما نظر له في وجه ولا صلح وراة ابدا ولا يقدمه في خطه شرعية ولا تقبل له توبة ابدا) (2) وهناك حادثة اقرب من هذه تنقلها ابن ناجي عن شيخه البرزلي تدل وقائعها علم فائق العناية التي كان يلقبها الطالب من قبل ابن ابي زيد قال (ان ابدا الشيخ ابي محمد دخلت حماما في اول الليل فاطالت الاقامة هي معتقدة ان اول الليل لم يزل فلما خرجت لم تجد احدا يمشي فخافت ان هي مشيت الى دار ابائها قد يقيم بها بل يؤذيها

(1) معالم الايمان ج 3 ص 114

(2) *****

فصيرت باب علوفخري منه رجل فقال لها ما تريدين ؟... فقالت كنت في الحمام واعتقادي ان اول الليل لم يزل وخفت ان مشيت الى دارى يضرنى من يديني فاحببت ان ابيت عنديكم حتى يطلع النهار فقال افعلين . فوجدت رجلا من طلبة العلم ركتبه بين يديه فاخذ ينظرها وليس معه في الموضع احد فخانته ففما كان يدا منة وسرعة الشيطان .. لعنة الله تعالى .. وقال له هذا طفلة جميلة انصرتى جاءت لك مكانك ، فقال لا افعل فان النار عليت رطود ذلك منه فمارسته الرسوسة فاخذ يعط نفسه بالنار فام تنته فاخذ اهبه فرسعة على ذبالة الصباح وقال لك ان دار النجاة اعظم فهل لك الصبر عليها ٩٠٠ رجل ينقل اصابعه الدشرة على الذبالة والنار والار وهي تنظر وما زال كذلك الى ان طلع النجر فقال لها : سئني الله واياك وان الفير قد ابح نامس الى دارك . فمشت فوجدت امها خلف الباب ربي تلتهم عليها فالت لها يا ابنة لعنة باطمة ؟ قالت : سلمه واعلمنها كيف جرر لها .

واعلمت والدتها والدها ابا محمد فجدل الشيخ ينظرني طلبته لعله يعرف الرجل فما جاءك الدولة اليه اخذ الكتاب ليقرأ فيه بيديه مغظما تان في كفه فعلم انه هو فلما قرغ الميناد واخذ الناس في الخروج واراد الرجل الخروج كغيره اشار اليه الشيخ بالجلوس فسأله عن كونه لم يخرج يديه ؟ فكلمه بكلام علم انه صاحبة فرند انها ابنته وزوجه اياها (١)

ان واقع الحادثين المأبوتين لتدلان دلالة واضحة على ما تصف به هذا الشيخ الجليل من صفات اخلاقية حميدة ورؤى تربوية واضحة حقيقة اصلته ان يكون شيخ المائة الرابعة بلا منازع ومعلمها بلا مزاحم فانظر الى كيف كان سلوكه مع الطالب الاول وكيف قال له (يا بني انما جئتك محتذرا من تقصيري في حقك ان لم اتم بجدتي ما محتل اليه وذلك اني لم اتقذ انك تحتاج الي النساء فانك شاب وما انا شيخ احتج الى الزيادة من ذلك فكيف انت ...) (1) ان كلاما مثل هذا الكلام امر فكيف بالزلة الهرية وتسميتي رابطة المحبة بين الشيخ والطالب حين يصح هذا الشيخ اني انظر طلبة قدرة على تديبها بسار ولا تهرها يمنع مما يرغب في الاخذ عنه والاستفادة من علمه والمتخلق باخلاقه والتدريس بسلوكه وتصرفاته .. وهذا الشيخ القريب السليم هذا ابن ابي زيد وسمائه حديث المجلس في مشارق الارض الاسلامية ومغاربها .

ان يمثل هذه التصرفات لابي محمد اراه طلابه جعلت هؤلاء الطائفيين شجون بالبكاء في مجالسهم باسماءهم اذا ورد ذكر اسم شيخهم في تلك المجالس وما اكثر ورود اسم من ذلك ان ابا بكر بن ابي العباس الصقلي ذكر اسم شيخه ابي محمد في مجلس فتاويه فانخرط في البكاء ولما سئل عن ذلك قال : (كان اعطاني يوم طلبي عليه بالتميزان تجارية وان رايت هذا انها وشار الى ولده) (2)

وهذا ابو سعيد الخولاني يحضر دروس شيخه ابن ابي زيد في اطار بالية وهي احدى ما عنده فيألم الشيخ من ذلك انه اذا لم يجد له يفتحين مثالا ذهباء وممر ثمن السار الذي فعله مع القاضي ابن نصر البغدادي الذي بعث له بالك دينار ذهبيا (3) مما جعل هذا الطالب ينشأ في شرح كتب ابن ابي زيد ويعمل على نشر افكاره واقوال المدرسه النيرانية بالمشرق الاسلامي (4) بل ان احسان الذي كان دفعه الى التفكير في الانتقال الى التبت وهذا هو عزيمته التي لم يزل

(1) معالم الايمان ج 3 ص 114

(2) * * * * * 113

(3) * * * * *

(4) ترتيب المدارك ج 2 ص 692

فادر بغداد ولولا وفاة الشيخ المفاتيح لكان القاضي عبد الرزاق من جملة التلاميذ الذين
تدرّسوا به إمام مالك الأخير (1)

إن الدارس لحياة تلميذ الشيخ ابن أبي زيد على كثرتهم واحة الـ سندهم ليلزم دور تأثيرهم
به تأثيراً عيقاً جعلهم يعرضون لنقد ما تعرض له بسبب موافقته من بعض القضايا التي ضاعت
مجتمع التي الرابع كفضيحة نكار العلوي الاعتقاد في كرامات الأولياء فهذا التبريز المعروف
بالحسام (406هـ) يعمد إلى تشريك ابن أبي زيد بالاندلس إلى توارثه في مآلات
البدع التي تعارض المبادئ القطرية للشريعة المحمدية مما يعرضه إلى النفي والابعاد (2)
وهذا ابن وافر (404هـ) يضيق الخناق على أهل البدع من البربرية مثل تنسيق شيخه
على أهل البدع من الزناض (4) وهناك مئات من غير هؤلاء كانوا صورة طين الأصل من
شيخهم ابن أبي زيد من حيث تأثيرهم فيهم وتأثيرهم بتلاميذهم الحياتية كيف لا يكونون كذلك
وقد كانوا في جعلهم قضاة وأهل فتنيا ومدرسين علماء (5)

إن تأثير ابن أبي زيد في تلاميذ وعلماء عصره هو الذي دفع اليافقي تلميذ تلميذه إلى الشنا
عليه أمام الوالد القيرواني الذي جاء يستفتيه بحكمه في قضية أفكار الشافعي الاعتقاد في كرامات
الأولياء (6) لم يكتسب أبرز مد هذه المسحة النابية بسبب جاء أو سلطان بل مردها إلى علم
غزير وطريقة تربوية مثلى راخلاق عالية جعلته شيخاً خيفاً سمحاً حتى مع المشاكسين من طلبته
يتغاضيه عن زلاتهم بارتفاعه عن صيغانيات بدعهم حتى وإن آلمته في حين ضرورها عن بعضهم
من ذلك ما حدث له مع طالبه البرانعي الذي كان يعد سقنات شيخه أبي محمد ويستمرزها بكلامه
وقد مرنا أن البرانعي لما ألف التهذيب عرضه على شيخه أبي محمد وطلب منه أن يأذن له في

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 694

(2) انظر ترجمة القبرن بهذا البحث

(3) * * * * * ابن القرضي * * * * * ص 169

(4) * * * * * ابن وافر * * * * * ص 172

(5) ترتيب المدارك ج 2 ص 470

(6) معجم الأيمان ج 3 ص 112 - 113

(7) ترتيب المدارك ج 2 ص 702

نشره . فاطلع عليه الشيخ وامره بحرقه او محوه فنذئذ سكنت هذا الطالب ثم عاوده ثانية مردفا
ذلك بابيات شعرية جاء فيها

خذ العلوم ولا تحبها نية بنا قلبها واقصد بذلك وجه الخالق الباري
اصل الترواية بالهشيار مشتمرة اجن النار واخل العود للنار

فتأثر ابراهيم محمد من هذا الاستعداد فتركه ولم يعرض لكتابه (1)

ان مثل هذا السلوك وغيره هو الذي دلف بالطلاب الى مزيد التعلق بشيخهم تعلق الايشاء بالاباء
حتى نجد ان البراءة في المناكر لما يسمى بـ **تأنيده** ما تشدد من سحر جنازته وانما تألم
بعوته بل بقاءه كل من عرفه ورثاه كل من اخذ عليه **هزنا** ممن **يُحسِن** الشعر حتى وصل عدد التلاميذ
التي رثي بها الى مايؤلف ديوانا لو جمعت ولذلك قال الداياع ورثي بعراش كثيرة تركتها لشرط
الاختصار (2)

اننا لو القينا نظرة فاحصة على تراجم تلاميذه والذين ذكرنا منهم عددا قليلا جدا لوجدنا ان
هو لا الطلاب قد هيا لهم مستواهم العلمي ان يتبوؤوا المراكز الحساسة في امصارهم كالامامة
والقضاة والافتاء والتدريس حتى كان جل قضاة الاندلس والمغرب هم من طلبة ابن ابي زيد كابن
اله فار واللخمي والحصار وابن قاضي وخلف بن عيسى وابن الجوزي وغيرهم ومثل ما يقال بالنسبة
لاندلس والمغرب يقال بالنسبة للقيروان وحقلية وطرابلس وبغداد .

وبذلك تكون قد اجبتنا ولو باقتضاب على ما طرحناه من اسئلة في سائر هذا الفصل ولقد كانت
في مشايخنا بالجامع الاعظم من كان يشابه في العلم والثقافة والسلوك ما رايناه لابن ابي زيد ولقد كان
لهم معنا مواقف ستبد مكانها في التاريخ يوما ما وما ذلك كله الا بسبب اتصال السند القرون
للمدنية الفقهية بالقيروان والتي ورث تاريخها الجامع الاعظم بقرون حاضرة افرجته الفقهية .

(1) مجالس النعمان 3 من 150

(2) ***** 113

1- مالك النخير داخل أسرته

على الرغم من ندوة التدريس المؤرخة لحياة الشيخ داخل أسرته من حيث كيفية تعامله مع أفرادها وكيفية انصرافه على تربيتهم الا انني بالتركيز على هذه الناحية فقد امكن لي ان اظفر ببعض نصوص كفيلة باعتبار فكرة عن هذا التعامل وهذه التربية .
من ذلك ما أورده الدباغ من (ان مؤدب أواد الشيخ أبي محمد ضرب واحدا منهم بسوط فاخذ السوط فجاء على عينه فصالت ، فبادر ورد المين لمؤنسها برضا بيطرة الى السماء ودعا بدعاء خفي وازال يده فرد الله بقدرته العين كما كانت ، وكان الشيخ ابو محمد ينظر من طائر وهو جالس في علوه شارقي على المكتبة فوقع بصره على جميع ذلك فبادر الى دواة وقلم وورق واتي الى المؤدب فاخذ المؤدب يستذرف فقال ابراهيم : كل ذلك رأيته ولكن امل على الداء والذي دعوت به لئلا تنساه لادعونه لنفسه فقال : ياشيخ لما رأيته محييتي مخافت دعوت اللدت الى قتلت اللهم ببركة والده رد عينه كما كانت) (1)

هذا النص يقطع النظر عن ثبوت كل جزئياته او عدم ثبوتها فان الباحث يستطيع ان يستنتج منه شدة عناية هذا الولد بالتكوين العلمي لاطفاله وتظاهر هذه العناية في ناحيتين اولاهما جلبه لمعلم خاص لتحفيظهم القرآن وتعليمهم اصول الكتابة وتلقينهم المبادئ الاولى للمعلم اعدادهم للجلوس في حلقات الشيخ والعلماء بدور التعليم في جامعة الاقالبة .
ثانيتهما مراقبة الشيء لعملية التكوين العلمي هذه بنفسه من طرفي بيته وسوا المعلم الكفء الذي شدت لحياته السرحان من نافذة انحاء العالم الاسلامي .
وقد اشترت هذه العناية واتت اكملها مرتين ان كان اباؤه من العلماء الاجلاء وكان احدهم قاضي قضاة القيرزان (2) كما سيأتي ذلك في موضعه من هذا البحث بحول الله .

(1) من المجلد 3 ص 116

(2) ترتيب المجلد 2 ص 717

وعنايته هذه نراها تتجاوز أبناؤه من حلبه إلى أن تشمل طلبته الخرباء الذين قدسوه للتعليم
 والمكرمين ولذلك فليس من العريب منه أن يكون عنايته بتعليم أبنائه عناية فائقة لأنه يعرف ولا شك
 أن تعليم الأبناء يرتبهم من الزاوية الدينية التي سيسأل عنها الآباء أمام الله .
 وقد رزق الشيخ ذكرورا وأبناؤه لأن هناك نسوجا كثيرة تحدثت عن ليعته عندما اعتيد أبناءه
 الثلاث كل على انفراد وفي أوقات متعددة بغير مناجي . فقد والدنا لدة الترو وفي هذا تبرز
 في شخصية ابن أبي زيد ما لفت الأنظار بطل عظمها فيهم حتى أن عدائنا في كل مرة يعاقبنا بسبب
 دهر أسدي بناته في التربية المؤسسية بحوزة من عائلته يأتي آباءه من رانرا أبويهم ليدروا لدا ابنه
 الدافعي بمجرد دخوله مما يبرز عاطفة هذا الأب الجليل الذي تغلبت على الأصول التي يجب
 أن ياتى بها صاحبه الذي بهاءه من مسيرة ثلاثة أيام فقد ورد أن المؤدب مبرز بن خالد التونسي
 رحمه الله قد قد إلى زيارة أبي محمد لما دخل داره أتوه بأبنة الفقيه أبي محمد ليدعولها وكانت
 قد اقترنت قدما لها فقامت على قدميها وضمت من ساعتيها (1)
 أما ابنته الثانية فقد أصابها سوء في إحدى عينيها وأما أباها في البراءة بين أخذها للبيب
 وبين حملها إلى أحد شيوخه الأتلياء . فقد ورد على لسانه (كان السبائي مستجاب الدعاء) وذلك
 أنه كانت لي بنت أصابها في عينيها شيء فكرهت المشي بها إلى ابن أختي الطبيب فقال لي أتركها
 وأنا أرقبها من هنا فما زال يترقبها وهو في داره وهي في دارها حتى ذهب ما كان في بصرها) .
 أما ثالثة بناته فقد أصابها جوبها كانت فيه حالتها فقال (وكانت عندنا غلطة استقرى زوجها بعد
 بها امرأة إليه - السبائي - فراقا ما فرجت صحبة (3)
 هذه القصص اللاحقة الثلاثة تعلق الخوار عن انطباق تصرفها على وقائعها أو نعم أباها
 إنما تدبر في حقيقتها وأبناؤها ما يغفل في بؤادها من ماضية جياسة وسلا عريضة
 تجاء فلذات كبدته الثلاثة وخاصة **هذه** الثلاث والتي ترون لنا المبدأ الذي تأشير على مستقبل حياتين
 كريات بديت ولذلك بادر بالتغيير في الطبيب المعالجتين وإعادة الصحة إلى أباها .

- (1) معيل لم الأيمانج 3 ر 116
- (2) ورقا ث الثمتم الدول ص 305 . [اعتبر من العيين ومرا الإطباء الادريديين في العصر العباسي
 الطبيب النحاس (اعتبر من العيين) ولا تعلم من اسمه أكثر مما ذكرنا وقد غفل المؤرخون عن التعريف به كأنه
 بالذوران بالصناعة الطبية وحاشا لطبيب العيون وهو النحاس - في مدة المظفر لدين الله العباسي واشتهر بالمهارة
 في معالجه الرمد المراض وسبقه على يدوه كثير من الأطباء به مثل الشريف الجرجاني وابن داود وسبقه
 عبد الله بن أبي ربيعة سبانه استقر المصير مع المظفر لدين الله قرأنا البيهقي في تاريخه في كتابه
 ولم ذكر جميل وحسن معالجه « ذكرى في شهر ربيع الفصح سنة 335 » ديسمبر 499 في تاريخ الخليفة العزيز
 بالله ابن الحضر - ح 2 عبد الوهاب - بربر -

(3) مسلم الرعيان 67/3

وقد يعترض معترض على هذا ما نصوب من حيث محبتها فنقول ان العبرة ليست في صحة النذر او عدم صحته وانما يكفي الباحث ما يبين فيما من عاطفة جياشة لهذا الاب بالامانة الى انارتها الى وسائل العلاج واخله بالتيروان في زمن ابن ابي زيد التيمرواني وبلاضافة الى هذه العاطفة الابوية فقد كانت له ثقة في بناته وفي تصرفاتهم وكيف لا وهو العربي الكثر الذي يبدركل يوم في نفور الناشئة القيم الخير والاخلاق الحميدة ولا دل على ذلك من تصديقه لما روت ابنته التي خرجت من الحمام بعد ان اقترت طرفي القيرمان واسواتها فالتجأت الى احذر اليوت واما من ان يحجبها ونحو لا تقدر في الشيخ في مقالها صدقا وفي حديثها حقاً وفي روايتها صحة ذلك عندما التقى بمن آوآها من طلبته وقد رأى ان احسن مزاولة لمذهبن الشافيين من عفتها رهبرها امام اشرف ان الشافيين دو عقد قرانها لينيلها تحت شريعة الله (1)

ان هذه الثقة بين الشيخ وابنائها هي ثقة مبنية على اسم تربية عميقة وقوية دعمتها عاطفة ابرية صادقة وجياشة دالة الاثنا بشحنات ايجابية قوت من عزيمهم على مواصلة الطريق الذي بدأه والدهم محافظة منهم على اسمه ووفاء منهم لشلال المبادئ التي رباهم عليها ولا دل على ذلك من عمل ابنه القاضي عبد الوهاب بعد وفاة والدهم (2) وهما استراه في مكانه من هذا البحث . ان من خلال متابعتي لتاريخ هذه الاسرة وافرادها تبين لي ان لابي محمد ابن ابي زيد ولدين هما ابر بكر احمد وابراهيم عمر (3) اما محمد الذي ^{يكنى} به فاني لم اشترله طر اشرف من الممكن ان يكون يكنه الا انه ترفى صغيراً فلم يبين من ذكره سوى اشتها ر عبد الله بن ابي زيد بكنيته به فقول ابر محمد عبد الله بن ابي زيد لمزيد تسليط الانوار على هذه الاسرة الكريمة اوثايت من الفائدة الترجمة اولاد ابي محمد ابي بكر احمد وابو غر مر (4) حتى تشمل الصورة اقر شريد راجعها للشيخ داخل أسرته .

(1) معالم الايمان 3 ص 115

(2) ترتيب المدارك 2 ص 4 مر

(3) ترتيب المدارك 2 ص 4 مر 717

(4) ترتيبهما بالترتيب 2 ص 4 مر 717 ومعالم الايمان 3 ص 137 = 130

ابوبكر احمد بن ابي محمد عبدالله بن ابي زيد عبد الرحمان النفزاوي واخيرواني ادره
والده صافرا ورث عنه كتبه اخذ عن شيعي بلده التبروان وكان اعتداده على شيخه ابي القاسم البرازعي
حيث روى عنه كتاب التهذيب ران بينه وبين شيخه هذا ود حادق ولذلك كان البرازعي يرفع من
تدريه ويوالي الشافعية عليه (1)

وكان أبو بكر ظموا تفرج كبير من السلام والخلاص لا قوة لما قاله يعلض في مداركه من انه (لم يكن فيما
لنا في محمود السيرة... ولم يكن بالنائل العارفة) (2) وذلك لبعده القيروان عن سبته هذا من
ناحية ومن آخر ان عيانا نفسه لم يبن مشيقنا من هذا الحرف الذي اذ الفقه على ابي بكر احمد حيث
قال : لم يكن فيما لنا وما بلغه قد يكون ادعاء لبيتنا لخم عاتلة ابن ابي زيد وما اشركم وخافة
في زمان ابي بكر احمد ان انتقم من القيروان الى فريز من قذية تولى ذلك فريز من احمد بن ابي
محمد بليل زيد وفريز من ابن عبد الله بن هاشم (3) وكان ان وقت اختيار الخبز بن باديس التريز
على ابي بكر احمد حيث ولاءه من القضا سنة 435 هـ (4) يكن في يوم ابي بكر احمد ثم يهدد لهم
توارا لا بعد ان تولوا الى تنحيته عن القضاء بدسائر دسرها وشبابه نصيرها ولما تشارت هذه
الدسائر وهذه الاحبابيل رأوا العز ان الاحسن اعفاء ابي بزر بن ابي محمد من هذه الخطوة فقال
له : قد رأينا ان عزلك اروح لنا في دينك دنياك فاجزنا ان لا يخرجك وكان ذلك في رمضان سنة
436 هـ (5) وقد كان لابن شرف القيرواني دور مهم في تولية ابي بكر احمد القضاء (6) وكذلك
فعل غيره من الشيوخ النبلة فلو كان أبو بكر احمد كما زعم بلاغ عيان لما وجد من النخبة القيروانية
التشجيع والدعم وكان أبو بكر احمد اشير التمثل به في البيت (7)

والجزعي لخراف قريم
والاسد والذن وسواسي
لم تنذر لنا الليالى
فقل نار لنا تنوب
وتوفى ربه الله بعد 160 هـ ودفن بالدار التي دفن بها والده (3)

- [illegible]

ابو حفص عمر : بن ابي محمد بن ابي زيد النفزاوي القيرواني . مع من ابي عبد الله محمد بن العباس الانصاري وتوفي سنة 460 هـ (1) وكان له ولدان هما ابراهيم بن عبد الرحمن كان عالما له عناية خاصة بالحديث حافظا له مستنفا باسلفه ابا عنان واهل بيته بالانصاريين .
 الثاني فهو ابراهيم بن ابي عبد الله بن عمر بن ابي محمد بن ابي زيد النفزاوي كان عالما صالحا تولى امامة جماعة غلبة بالقيروان وروى عنه جماعة من اهل بيته من اهل القرويين سنة 463 هـ (2)
 ومثل ما وقف ابن شرف من قضية تولية ابي بكر احمد القضاء فجدد ما جد ابن رشيق القيرواني بخاصيهما الاثنين معا قائلا (3)

يا مومنين اهل علمي علمي التفتيح	وسمعي السديق والفاروق
ما زال رأيي ما سرائر ابيكم	يبرز على السند يد والترين
لكن امتي اليكما دوني اجوز	فدعوتكم امن باكون فريسة
من اي وجه تدارن مخاصمي	من بعد ما وابت عليه فتوق
وانا امسك بيدا غير مداني	في كل ناحية وفي طريق
ان كان استغاثا غني فانه	فيما نذالي لم يكن بضيعة
لا ترغبا في براهين حومله	تطلب به يرتبسن بحقيرة
واذا اغنى لم ير من نالقه	لم تلتنه يرغى من احد لسوق

-
- (1) معالم الايمان ج 3 ص 190
 - (2) معالم الايمان ج 3 ص 202
 - (3) ترتيب المدارك ج 4 ص 717

تلك هي بعض الصور من داخل أسرة مابردة لا يانحدرها من سلالة الملوك والهنالك يا بالاسم
الذين بنى مؤسسها في صدور الرجال والنقل المذسوف به واستجرب به لانها التزم بها بشئ
في وديانها ومازعه في ضميرها من قيم خيرة ثم ان تؤمن بالحكمة وتعقد الصدق وتعمل من
اجل الناس ولا تدل على ذلك من وراء الابنين لاصدقاء احوال حتى انهما وجها دعوة للناس
عبد الوهاب لزيارة القيروان .

ان تأثير ابي محمد على افراد أسرته واسعة مالمع اير ابيتنا عليه هذا على اهل القيروان
ينظرون الى هذه العائلة فانهم الى واليه هنا حتى رأينا ان تولية ابي بكر احمد بن ابي محمد
التشاك فويلت بنى شديد من الما قول اصة معدان ذلك ما وصف به ابي بكر احمد من اوصاف
تلك تكون نفعنا وماذا التي وصفا بها والده من قبل فقد قيل فيه (وكان فيها فاضلا ولاه العزير بن
بادير تمام التبران وكان عدلا في الاحكام كثير السياسة مهيما للناس) (1)
نرحم الله ابا محمد وجاهه ايرا على حسن تربيته وسداد نظره .

ان البدار من لحياء قاضي محمد عبدالله بن ابي زيد القيرواني يلاحظ بوضوح رجلا مدني ماتتصفا بالحياة الاجتماعية لمذا الرجل من حركية وشااطء من ذلك انه لم يتخلد عن اى نشاط يع داخل هذا المجتمع ، ولادل على ذلك من حضوره المستمر لجالس مسجد السبت الاسبوعية حيث كانت تعقد اللغات بين الشيخ الكبار من اجل القيروان فيقدا رسون اثناء ها التقايسا اله امية ريبخون فيها اواناعهم السياسية المتردية نتيجة للدايعة الفكرية والسياسية بين مجتمعاتهم والسلطة الشيعية المتحكمة فيه ولذلك كان حضور هذه المجالس مائشير خرق ومضاب العبيدين ولذلك قال ابن ناصبي (وقد تقدم ان مسجد السبت الذي يسمى عندنا بمسجد العربي لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به ينشد فيه شعر بني معدان في الزهد ويقرأ فيه ايات من كتاب الله تعالى وحكايات - وهذ الذي يسمى عندنا اليوم الرقاق - فان من المشيخة يهيجون حضوره ويحضره من يحضره مع من الصالحين والزهاد واهل الخير من يوم السبت الي يوم السبت الا ثلاثة يحيى بن عمر في زمانه فكان لا يحضره الا ثلثا في عدم حضوره لكونه يرى ذلك بدعة . والى هذا اشار القائل - لابن اللباد يعز على يحيى بن عمر لرواه ، وفان شيخه المعنى وانت تتكلف هذا (1) وكذلك القابسي وابو عمران في هذا زمانهما وكان هذا المسجد يحضره الجمع الغفير من العلماء والدايين كان حضورهم يغيظ بنسي عبيد لانهم يخافون من اجتماعهم ان يتفوقوا عليهم) (2)

ولاشك عندى ان مسجدا يذهب اليه شيخه ابن اللباد على الرغم من العيون المبسوثة حوله ولا يندسه من حضور مجالسه مظهر ولا رجل رلاطين ان يتخلد طالبه ابن ابي زيد عن حضور مجالس يشاره فيها من عليه مراه في مادة الفتا غيرنا (3) كيف لا يحضر مجالسه العامة وهو الذي رايناه ايام من السلطة والاتصال بابن اللباد كيف كان يجازف بنفسه يذهب اليه وقد اشيا دقاتره تحت ثيابه حتى تجال بالحرق (4)

(1) انظر القصة كاملة في ترجمة ابن اللباد بهذا البحث ص 23-27

(2) معالم الايمان ج 3 ص 24-25

(3) ترتيب المدارج ج 2 ص 4 من 123

(4) معالم الايمان ج 3 ص 25

ومن مسجده السيد كانت هناك مساجد اخرى قيل انها بلغت التسع (1) وفي كل مسجد من هذه المساجد كانت الحلقات منه قدة اثنا المليل واطراف النهار وما ينتهي ميعاد حتى يبدأ ميعاد ثان محافظة من المشيخة على بقاء الصيغة السنية لمجتبى كادت القوي المعادية من الرزاق ان تبلغه وتشيعه بدليل رد علماء القيروان على ابي محمد فربن نصير الداودي الاسدي (2) (402 هـ) لما اذكر على محاضرين من علماء القيروان مكانهم في مملكة بني عبيد وتاؤهم بين اظهرهم رانه قد كتب اليهم مرة بذلك فاجابوه اسكت لاشيخ لك اي لان درسه كان وحده ولم يتفه في اكثر علمه عند امام مشهور وانا رجل الى ما وصل باذراكه ويشيرون انه لو كان له شيخ يفقه حقيقة الفقه لعلم ان بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبت لهم على الاسلام وبقية صالحة للايمان وانهم لو خزن العلماء عن افريقية لتشرق من بقي فيها من العامة الالف وال ٧٧٠ فارجعوا واخير الشرين والله اعلم . (3)

(1) من الم الايدان ج 1 ص 27-33

(2) ابرجعتربن نصر الداودي الاسدي من مالكية المغرب اصله من مسيلة وقيل من بسكرة درس بطرابلس حيث اعد كتابة شن الخطأ بها ثم انتقل الى تلمسان حيث توفي سنة (402) له تأليف كثيرة منها الراعي في الفقه والنصيحة في شن البخاري من تلاميذته * ابو عبد الله البوني وابو بكر احمد بن ابي زيد دفن بتلمسان عند باب العقبة * انظر ترتيب المدارك ج 2 ص 4-623 (3) ترتيب المدارك ج 2 ص 4-623

وما دنا بعدد الحديث عن هذه القضية التي كانت الشغل الشاغل لعلماء القيروان وأئمتها فلا بد من الإشارة إلى ما أوردته مياض في ترجمة أبي محمد بن الكزاني (1) من فقهاء القيروان : فقد سئل عن من أكرهه بنوعيه على الدخول في دعوتهم أو يقتل ؟ قال نعتار القتل ولا يعذر أحد بهذا الأمر كان أول دخولهم البلد فيسأل ان يعرف أمرهم ، وأما بعد فقد وجب الفرار فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لأبحر وإنما إقام من هنا من العلماء والمعبدين على العبادة لهم إلا يخلو بالمسلمين عدوهم فيفتنهم عن دينهم وعلى هذا كان حبيب بن محمد بن زنتاراه التتالان زهير القاسم المسمى مروان بن نصرون والجبيثاني والسيثاني وه يتوكلون ويقترون وقال أبو يوسف بن عبد الله الرعيني في كتابه : اجتمع علماء القيروان أبو محمد زهير الحسن القاسمي وأبو القاسم بن شبلون وأبو علي ابن خلدون وأبو بكر الطنبي وأبو بكر ابن مازة ابن حال بني عبيد - حال المرتدين والزنادقة بما اظهروهم خلاف الشريعة فلا يورثون بالاجتماع وحال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل فيقتلون الزنادقة قالوا ولا يعذر أحد على هذا الشأن أصحابهم يفتنون المسلمين قال أبو القاسم الدهقان ونم يخلاف الكفار لأن كفرهم خاطئة سيحر بهم خاطئة للسحر ولما حمل أهل ضاربس إلى بني عبيد أضروا ان يدخلوا في دينهم عند الإكراه ثم ردوا في الطريق سالمين فقال ابن أبي زيد رضي الله عنه : هم كفار لا اعتادهم ذلك (1) وقد أوردنا سابقا نشر المتحدث عن الاجتماع الذي وقع بمجلس اللجام بمحاضرة من كبار علماء القيروان من صنفهم ابن أبي زيد نفسه عندما بحث في طلبهم المختار صاحب القيروان من قبل المعبد بين ليسرقهم ويحل على التشيع ثم كيف انابوا عنهم أيا أحمد بن التبان حيث ناظر الدعاة وانتصر عليهم وقد أشرنا إلى ان هناك رواية أخرى تقول بأن هذا الاجتماع كان بدار أبي محمد بن أبي زيد ولا استبعد وقوع الاجتماعين في وقتين متلاحقين وذلك ان الحديثين إنما بلغنا ملخصه طلب

(1) ترتيب المدارك ج 1 ص 712 - 720

والسك عندى والحالة كما وسفت من تصور ابي محمد بن ابي زيد ذلك الاجتماع المزعوم الذى انعقد بالمسجد الجاهلي بالقيروان وذلك يوم الاثنين لثلاث عشرة بآيت من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (1) راما سبب هذا الاجتماع فهو كما يرى عياض (لان اهل السنة بالنزول ايام بني عبيد في حالة شديدة من الالهضام والتستر كانهم ذمة تجرى عليهم وفي كثرة الايام محن شديدة ولما اظهر بنو عبيد اموم ونصوا حسينا الامى السباب لعنة الله عليه في الارراق لاسب باسراع لغتها يوصل منها الى سب النبي صلى الله عليه وسلم في الفاظ حنظها كقوله لعنة الله تعالى العنوا الغار وماوى والكما وما حوى وغير ذلك وعلقت رؤوس الاكابر والحر على ابواب الحوانيسات عليها قراطين معلقة مكتوب فيها اسماء الصحابة اشد الذم على اهل السنة فن تكلم ان نحر كقولنا مثل به وذلك في ايام الثالث من يعني عبيد وهو اسماعيل الملقب بالمنصور لعنة الله سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة (2) وفي هذا الطرف الصعب يدخل ابو زيد الخزاز الى القيروان يوم

310 00 22 22 22 1 1 22 22 7 7 20 20 20 20 (2

عبار (والناس يمتنون قائما عليهم فتحرك الناس لقيامه واستجابوا له وقت البلاد ودخل القبروان وفر
اسماعيل الى مدينة المهدي ففر الناس مع ابي يزيد الى حربة وخرج بهم فقبا القبروان ولاحاؤهم
ورأوا ان الحربي معه قُتُحِمِينَ كَثْرَهُمْ (1) هُوَ مِنْ اَهْلِ الثِقَلِ (1) وَان هَذِهِ عِلْمُ الْقَبْرَوَانِ حِوَالَتُهَا
مِنَ الْعَبِيدِينَ قَبْلَ كُنْ شَيْءٌ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَخَلَّصُ مِنْ اَبِي يَزِيدَ الْخَارِجِيِّ وَقَدْ ارَادَ ابُو بَكْرٍ الْمَالِكِي
اسْمُ الْعِلْمَاءِ الْقَبْرَوَانِيْنَ الَّذِيْنَ خَرَجُوا مِنْ جَيْشِ اَبِي يَزِيدَ ضِدَّ الْعَبِيدِيْنَ اَهْلُ الْمَسِيِّ وَبَيْعُ الْقَطْلِ
وَابِي الْعَرَبِ بَزْغِيمَ وَالسَّبَائِرِ وَاَبِي فَضْلٍ الزَّاهِدِ وَالْعَسَالِ وَالشَّقِيقِي فِي حِمَاةِ الْمَدِينِيْنَ وَبَنِ الْعَشَاءِ
الْحَنْفِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ اِلَّا ابُو مَيْسَرَةَ لَكُونَهُ ضَرِيرًا (2) وَصَادَفَ اَنْ كَانَ ابُو الْفَضْلِ الْمَسِيُّ مَرِيضًا
فَبَعَثُوا لَهُ لِيَسْتَطْلِعُوا رَأْيَهُ لَكِنَّهُ تَحَامَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَخَضَرَاجَتَاعَهُمُ الْغَوَايِرَ وَقَالَ لَهُمْ (قَدْ تَعْلَمُونَ اَنَّهُ
يَشُقُّ عَلَيَّ مِنَ الرُّضُوْ وَالْوَالِدَةِ اَكْثَرُ مَا ذَكَرْتُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عِلَّتِي هَذِهِ الظَّاهِرَةُ وَلَكِنِّي لَمَّا بَلَغَنِي مِنْ
رَدِّ النَّاسِ الْاَمْرَ الَّذِي زَالَهُ الْعُذْرُ وَاَنْ عَزَمْتُ رَجُلًا وَاَحَدًا فَلَا ظَنَّ عَلَيْكُمْ لَمَّا وَجِبَ عَلَيَّ مِنْ جِهَادِهِمْ) (3)
وَبَعْدَ هَذَا الْفَتْحِ سَارَ النَّاسُ إِلَى الْخُرُوجِ وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لثَلَاثَ عَشْرَةِ بَقِيَتْ بِرِجَادِي الْاَوَّلَ سَنَةِ
ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ وَمِنَ الْخُدَّ اجْتَمَعُوا بِالْحَصْبَى وَقَدْ تَقَادَرُوا اسْلِحَتُهُمْ فِي اَعْدَادِ مَهْلُوْلَةٍ غُلَّتْ بِهِمْ
الْقَضَاءُ مِنْ كَثْرَتِهِمْ (4) ثُمَّ اجْتَمَعُوا يَوْمَ الْارْبَعَاءِ فَاَنْطَلَقَ قَادَتُهُمْ كَرِيْبُ بْنُ اَخِي هِشَامُ وَاَبِي الْعَرَبِ
وغيرهم شاقين القبروان منادين بالجهاد تالين القرآن مصليين على النبي صلى الله عليه وسلم مستندين
هم القبروانيين للذود عن الاسلام وحمايته من ابا طليل وترهات الرافض ولما كان يوم الجمعة (ركبوا
بالسلاح الثام والبندود والطبول واتوا حتف ركزوا بنودهم فبالقجامع وكانت سبعة بنود بند احمر
لاممسي فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله لاحكم الا لله ودوخير الحاكيمين وبندان الحفزان
لربيع في احداهما بسم الله الرحمن الرحيم والاله الا الله محمد رسول الله وفي احداهما نذر من الله
وفتح قريب على يد الشيخ ابي يزيد اللهم انصر وليك على من سب نبيك واصحاب نبيك . وبند اصفر
لابي العرب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقاتلوا ائمة الكفر (5) ووجد اخر لا بي نصر الزاهد فيه
لا اله الا الله قاتلوهم يعد بهم الله بايديكم وبند ابير للسجاني فيه بسم الله الرحمن الرحيم محمد
رسول الله وابو بكر الصديق وعمر الفاروق وبند ابير للعشاة وبنو اكبرهم فيه مكتوب لا اله الا الله

- (1) ترتيب المدارك ج 2 - ص 319
- (2)
- (3)
- (4) 319 ... 320
- (5) سورة التوبة الآية 12

الا تنصروه فقد نصره الله وحضرته صلاة الجمعة فخطب خطيبهم احمد بن ابي الوليد خطبة بليغة رح
 الناس على الجهاد رتب بني عبيد ولعنهم واغرى بهم وتلا : لا يستوى القاعدون هي المؤمنين ..
 الاية (2) واعلم الناس بالخرج من غدهم يوم السبت فخن الناس من ابي يزيد لجهادهم سرتوا
 الظن بهم وحضروهم في مدينة المهدي فاما رأي ابو يزيد ذلك ولم يشك في قلبه اظهر ما اكتم من
 الخارج فقال لاصحابه اذا لقيتم القوم فانكشفوا عن اعماهم القبول حتى يتمكن اعداؤهم منهم (3)
 وعندئذ انكسر جيش الفقهاء نزل الكثيرون منهم الشهادة حتى قيل ان عدد من استشهد منهم
 يومئذ بلغ خمسة وثلاثين (4) وقيل خمسة وثلاثين فيما روي عن ابي الحسن القاسمي (5) وذكر ايضا
 نقلا عن شيوخه الذين ركبهم قوله (ان الذين ماتوا في دار البحر بالمهدي في حين دخل عبيد
 الله الى الان اربعة الاف رجل في العذاب ما بين عابد والمزحل صالح ولذلك يقول سهل النوري
 واهل دار البحر في اغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات ⑥)
 ثم يقول عياض (وفي رجب من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة فان الناس اقبلوا بيزيد بالخيبر فان كان لربيع
 حلة يجتمع اليه فيها للفقه من علماء المالكية اموال ازهر بن مقطب ومحمد بن احمد السيوري وابن
 اخي هشام وعمر بن محمد العمال وكهد الله بن عامر بن عبد الله الحداد وابو الليث مولى بن الليث
 وابو محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى ويد الله الاجداني (7) وهؤلاء هم بعض من نجا من
 الموت في واقعة الرادى المالح سنة 333 بالثرب من المهدي واعتقد انه هناك واقعة اخرى في
 السنة المارلية كان من ابرز الشهداء فيها ربيع القطان ويقال ان بين الموقعة التي استشهد فيها
 الميسري والتي استشهد فيها ربيع القطان ستة اشهر (8)
 يقول عياض : وكان ربيع رحمه الله من مقد الخوارج لغزو الروافض حتى ذلك كما قدمناه في
 اخبار الميسري فقتل شهيدا رحمه الله في رادى المالح في حصار المهدي سنة ثمان وثلاثمائة
 (9) ولا استبعد ايضا انه شارك من جديد مع ابي يزيد في هجمة جديدة على المهدي واما اكثر
 ما احدثها في سنتي 333 ر 334 هـ .

(1) سورة التوبة الاية 20

(2) النساء الاية 94

(3) ترتيب المدارك ج 2 ص 319 - 321

(4)

(5) معاد الايمان ج 3 ص 34

(6)

(7) ترتيب المدارك ج 2 ص 321

(8) 331

(9) 330

وقد جرت استنباط ربيع قريظة أحبه أحمد فرساه بمرات كثيرة منها قسيمة طريفة جاء فيها (1)

وزيت ربيعاً كان للناس كهيم

ربيعاً ترى فيه القلوب رواعيا

وزيت أبى ربيعاً وترتبي

وأبى ربيعاً وترتبي

رشتك مفرحاً وأبى مصيبة

يا ربيعاً ترى ربيعاً ترى لك راقيا

وهكذا يستشهد ربيع القطان (238-334) دفاعاً عن عفاير من بمن قيم ومثل عليا جاء القرآن

اليها دامياً وعلى ما اعتقد أن أبا محمد بن أبي زيد لم يكن بمنياً عن مثل هذه التعليقات الاجتماعية

والصراعات الطائفية والتحركات السياسية وخاصة أنه كان مرتبطاً بعلاقات متينة بزعماء هذه الانتفاة

إذا كانوا من أحباب الشيعين لديد وأفضلهم عنده كالبلاء والدموي اللذين كان عليهما اعتماد في

الفقه وبيع القطان ربيع اسحاق السبائي وأبي الحزب وغيرهم كثيرون بل أنه قد راسل تعلمه على من

نجا منهم من الموقعة الأولى كالبقاء ربيع سعيد بن ابن أخي هشام الذي يقال أنه لم يخرج الجين

فيه نتيجة من حذر الحرب (2) ولكنه لم يخف من دراسة الدرس فقد روى أنه (كل يجمع هو وافر

الزمريين مستب وأبو محمد بن أبي زيد وابن شيلون وابن التبان والقابسي وجماعة ذكرناهم وذكرهم

المشقة في جامع القوران عندما ظهر أمراً بدميزيد على بني عبيد) (3)

أذن نراء يواصل تعلمه على هؤلاء الثاغرين على الرغم من الضعيفين المبتونة حول أماكن العبادة

والعلم بل لم يستطع أن يخفي لوثته وحرمة على من استشهد من شيوخه وخاصة العمسي أن رثاء

بقية يدق داء مؤثرة منها قوله :

فعليك ايك يا ابن عيسى ما بكت (4)

بالوعة طرقت فزادني أن اثني ناع

تقرية أو غدت تغديدا

ينعيك وقد وقعت شبيدا

ولاشك أن مثل هذا الضمير قد واصل إصداره إلى السلطة التي كانت تافهة عن

ولاكن طلبتهم ومع ذلك فلم يخترقوا واحد يثبت تورطه في هذه المصادمات من قريب أو من بعيد

رمزاً من ذلك من ابن أبي زيد أن كان يرى بعيني غثله ونكره الثابت أن عدم تكانة الطرفين

سيؤد حتماً إلى انفجار الطرف الأضعف يقول أحد الباحثين المعاصرين (وتجدر الملاحظة أن

الانحياز

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 331

(2) معالم الإيمان ج 3 ص 37

(3) ترتيب المدارك ج 4 ص 33

(4) رياض النوايس ص 88 لتراراية في نسخة باريس من كتاب المكتبة الوطنية تور

ابن ابي زيد السالم من العمر انذاك خداما وعبريين. انتم انتم يشارل في هذه المغامرة اذ فضل **الاجل**
لانه كان يعرف ان الـ مليه كانت تملكه في البايه (1) ان الذي يمكن ان يترجم بوجوده كنوع من
مشاركته في هذه الانتفاضات هي المشاركة الفكرية ان لم يتخلف قطع عن اي اجتماع عند في هذا الموضوع
الذي كان يعتبر الشغل الساعل للمجمع القيرواني في القرن الرابع والي سنة 407هـ عند حدوث مجزرة
الشيعه بالقيروان وبقية حواضر افريقية ولم يقطع اتصالاته بمن **الشيخ علي** الاقامة الاجبارية من الشيخ
كما رثى من استشهد منهم وليس ذلك كله بعيب مادام هناك من الشيخ من الكف بمثل هذه المشاركة
الفكرية ولم يتجاوز ذلك الي التطبيق خوفا من الحزب وجهلا بفنونها او لتقسيدني يحول دون مشاركته
العادية فيها فذلك ان كل انسان ومايسر له وابو محمد علي هذا الاساس فلم يكن بالاختصاص الديال
بالفكرة التي استعمال العنف بل كان مسالما يقدم العتق على السيوف لان علي ذلك مما ورد في
ترياقه الي يائي (واستأذن عليه يوما صاحب المحرر فهرب كل من كان معه ومنهم ابو محمد ابن ابي زيد
ولم يبق معه غير القابسي فقال الشيخ من هذا ؟ قال انا فلان . قال ادخل يا شيطان ما يريد الشيطان
اخو الشيطان فلم يكلمه يوسف الا بالشيطان فلما خرج رجوع من هرب فقال لهم ما هذا حق الصيحة
تهربون وتتركونني ؟ **ولامهم علي فلعلمهم (2)** وبالاصافة الي هذه الحقبة الفطرية فيه هناك عامل السلف
الذي كان يدفعه الي الاستزادة من العلم والتبحر فيه استعدادا للمستقبل وهو ما فعله غيره من اترابيه اذ
لم يجد مشاركة هامة من الطلبة في مثل هذه الحوادث التي بدأت من سنة 331هـ الي سنة 335هـ
وكان ابو محمد كلما تقدمت به السن ازداد التصاقا بجمعه وعناية بقضاياهم ومشاركته افراحه واتراحه
يحتفل على ضعفه برحمته لصغيره واحترامه لكبيره وعطفه على فقير عبادته ويصبر الصلاة على بيته
فكان يتألم لكل فرد نزلت به مصيبة ويقفح لكل فرد مسرة او حل به خير من ذلك ما اخرجته المصادر
عن ابي الحسن القابسي في قوله (دخلت على ابي عبدالله الحسائي وابنه ابو حفص في الترميم وهو جالس
وفي يده جزء من القرآن وفي اجسام ابو سعيد بن اخيه هشام وابن الثبان وابن ابي زيد والشيخ

(1) Cairo manuscript 129 p 129

(2) معالم الايمان 3-73

على حاله يقرأ جريمته **الخطأ** طاق في داره ثم يحول وجهه اليمين فيترك كيف رأيتم ابا حنيفة؟ فيقول
 الجماعة بخير انشاء الله ان مات فرحموا وسكنوا فحول الشيخ وجهه وقال قلت ابو حنيفة
 قلنا نعم اذ لك الله جبرم ما بك فثنى الجزء ولم يطبقه وحول وجهه اليه وهو جالس فقال رحمت
 الله يا بني فلقد كنت صواما (1)

ولم يخرج ابو محمد وجهه الا بعد ان غسلوا ابن شيخه وخبروه لاستقبال خالقه له . اذ
 ما كان لابن ابي زيد الاجتماعي بغلته ان لا يسارك شيخه الغسل ثم دماه الجمل فقداه
 ابنه ابي الخدين ان مثل هذا العمل ليس بمجال التواضع والاعتراف بالعمل التي تعتبر من ادم
 درجات سخا ابي محمد عبد الله بن ابي زيد في سلوكه الاجتماعي اذ لم تكن مشاركته هذه
 بمشوقة على الشيخ وجهها البلد بل كانت عامة من ذلك ما ورد في ترجمة ابن قنبر الذي كان
 فقيها صالحا فقيرا فلما توفي لم يجدوا ما يكتفونه به فكفنه ابو محمد ومن المصادقات الغريبة ان
 يموت ابو محمد بعد موت هذا الفقيه بثلاثة ايام (2) وبذلك ترحل أعماله الاجتماعية بعمل طيب
 مثل هذا العمل الذي فيها خير الدنيا ونعيم الآخرة كيف لا يكون هذا من ابي محمد (وقد
 اعناه الله بتسليطة في البدن وسعة في العلم والمال) (3) فعرف بذلك كيف يشكره وكيف
 يحمده على نعمه وقصته مع طالبه وتزويجه والانفاق عليهما لهي اكبر دليل واقواه على هذه
 الروح الاجتماعية المتمسكة بفهم الاثر الوارد ارحم من في الارض يرحمك من في السماء .
 ولن اقال اذا ما قلت ان ابا محمد قد طبق في سلوكه الاجتماعي بصدق معنى الآية
 الكريمة (وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (4) فهو لم يتأخر عن بعث الف دينار عينا
 له القاصي عبد الوهاب المالكي لما بلغته شدة احتياجه كما اعان ابن عبد الله المنهجي حين
 وفوده علم القيوان بمائة وخمسين ديناراً هما ليستبين بيما في مدينة شرفهم عن اهلها واد
 ايضا لم يتوان عن تجهيز بنت صاحبه ابي الحسن القايسي لعلمه بحالة ابيها المادية وهو يمد

(1) معالم الايمان ج 3 ص 51-52

(2) ***** 108-109

(3) حاشية العدوي على الرسالة ص 6

(4) الآية 9 من سورة الأعراف

صديقه ابن شيلون في مرضه بخمسين ديناراً ذهباً لينفقها على أهله وعلى علاج هذه الأفعال
 وغيرها مما يمثل قمة التضامن الاجتماعي يجمعها ابن ناجي بكلمة بليغة في قوله (وله صنائهم
 مشكورة) (1) وقال أيضاً (فكان رحمه الله من الأجواد وأهل الأيثار والصدقة كثير البذل
 للفقراء والغرباء وطلبة العلم كان ينفق عليهم ويكسوهم ويزودهم) (2)
 هذا الكرم والجود وهذا الأيثار جعل النفوس تحن إلى لقاءه وجعل القلوب تفرح
 بالاجتماع به وجعل العقول تنفتح وتنشط للأخذ عنه مما جعل بيته كما قلنا كعبة القاصدين
 إذ لا يرد وارد علم الثيوان بدون أن يؤدي زيارته إلى أبي محمد ويجتمع به فيجد عنده
 علماً وعوناً وقبولاً حسناً وبذلك ارتفع صيته وامت شهرته كل أرجاء العالم الإسلامي وقد ورث
 عنه هذا المسلك أولاده من بعده فكانوا خير خلف لخير سلف.

(1) معالم الإيمان ج 3 ص 113

(2) 113

ليس من السهل ان يعطي ابن ابي زيد لقب : مالك الصغير : ويكون في الان نفسه رجلا مغمورا متكسبا على نفسه لاثرياء علاقات برجال عصره من اهل الفكر والسياسة ولذا فمن الثابت ان ابا محمد كانت له علاقات بمن عاصره من العلماء والادباء واهل السياسة ولادل على ذلك من المواقف التي وقفها كثير من الادباء والعلماء واهل السياسة من اولاده من بعده وخاصة في قضية تولية ابي بكر احمد ابن ابي زيد القضاة (1)

ولم نحفظ لنا التاريخ مؤلفاته ومؤلفات تلاميذه . واصحابه لكننا الان نملك صورة اشمل وادق على نوعية هذه العلاقات التي ربطت ابا محمد بغيره من اهل عصره من العلماء والفكرين واهل السياسة انما يكفينا دليلا على ان هذه العلاقات كانت جدا عتيقة وجدا متينة هو ما اظهر على ابي محمد من القاب تشير الى علمه وفضله كمالك الصغير و"عالم الغرب" و"الذاب عن المذهب" الخ ...

ولتحدد هذه العلاقات وحصرها نجدها تتنوع الى نوعين :

(1) علاقات عامة مع سكان الامصار الاسلامية بواسطة علمائها

(2) علاقات خاصة وشخصية مع علماء وغيرهم من وجهاء المجتمع الاسلامي

اما النوع الاول في العلاقات العامة فتتمثله الاسئلة التي كانت ترد عليه من الامصار الاسلامية تستوضحه رأى الدين حسب المذهب المالكي في القضايا والنوازل التي حدثت في تلك المجتمعات ذلك ان علماء الامصار وخاصة اذا كانوا من اهل مذهبه وبالاخص تلاميذه كانوا يحكمونه في القضايا التي يحدث في امصارهم اذا ما اشتد الخلاف حولها وكثر الجدل فيها وفي هذا القبيل رسالت الى اهل سجلماسة في تلاوة القرآن (2) وهي رسالة لو شغفر بها ذات يوم لاطلعتنا على سبب تأليفها ولامتدنا بخصائص الحياة الفكرية والاجتماعية التي كانت عليها عاصمة بني اليعصب السنية

(1) انظر ص 31 من هذا البحث

(2) ترتيب الذمار : م 2 ج 4 ص 434

الصراوية أو قل ثاني مدينة بعد القيروان من حيث نشاطها التجاري كمركز تعجبه القوافل القادمة من جنوب مصر أو الأثرية أو الداخليتها من الشمال وأحداث البحر المتوسط والشرق **صهر** بالقيروان (1)

ومن قبيل هذه العلاقات العامة بأهل الأمصار رسالته إلى أهل توزر لما اختلفوا وقاسمهم المقاتلي وقد مر ذكر نص هذه الرسالة في مكانه من هذا البحث (2)

أما النوع الثاني من هذه العلاقات الخاصة هي في الواقع علاقات شخصية كانت تربطه بأشخاص باعينهم وقد تكون في بعض الحالات علاقات سخنة قائمة على الاختلاف في المناهية والمواقف من قضايا معينة وأحسن مثال لهذه النوعية من العلاقات الشخصية السخنة علاقته بابي بكر الصقلي عندما انكر عليهما بن أبي زيد غلوه في نصيقتا انقلاب الأعيان ودعائه إمكانية مشاهدة الخالق من طرف المخلوق بالعيان وهذا ما استراه مفصلاً بحول الله في مكانه من هذا البحث (3) ومن هذا القبيل أيضاً اختلافه مع علي بن إسماعيل البغدادي المعتزلي الذي كتب رسالته إلى أهل القيروان يدعوهم فيها إلى الاعتزال والقول بمبادئ أهل كثر عليهم تمسكهم بالبدعة الأشعرية ...

وقد رد عليهما أبو محمد في برسالته المعروفة (الرد على الندرية ومنه قصة رسالة البغدادي المعتزلي) (4) ظهر فيها علمه وقدرته في الرد على المنحرفين وأهل الملل والنحل من أمثال المعتزلة.

كما هناك نوع آخر من العلاقات الخاصة للشخصية لكنها كانت طيبة ووثيقة قامت على وحدة النظرة الفكرية للحياة ونسباً بها كالعلاقات التي قامت بينهما وبين أبي بكر الأبهري (375هـ) وأبي مجاهد الثاني وأبي عبد المؤمن والقاضي أبي بكر الباقلائي والقاضي عبد الوهاب المالكي وغيرهم من العلماء الذين أشرنا إلى علاقتهم به أثناء استعراضنا لتراجمهم والذي تجدر ملاحظته أن علاقاته كغيبه مالكي قيرواني بفتحها المالكية ببغداد كانت علاقات جداً طيبة جداً حميمة وكان التراسل بينهما وبينهم

(1) انظر كتاب الاقتصاد السياسي في القرنين 3-4هـ (محمد الحبيب الجناحي ط 1)

(2) انظر ص 146 من هذا البحث

(3) انظر ص 263 وما بعده من هذا البحث

(4) ترتيب المدارك ص 2 ح 496 يقول الدكتور أحمد بكير في هذه الرسالة إن علي بن أحمد بن إسماعيل المعتزلي البغدادي كتب إلى ابن أبي زيد القيرواني يدعو إلى اتباعه وأورد ابن أبي زيد على طلبه هذا يرد يعتبر خلاصة العقيدة الأشعرية بالمعرب والذي دار مقدمة الكتاب الرسالة مقدمة كتاب المدارك المجلد الأول ص 15

لا يتفاجئ من ذلك، كما كتبوا كتبهم وشعروا أنهم ربيوا نصلاً زاهياً لهم، صنيحهم بخير ما ذكره الأباة له وسوف
نرى نماذج من تلك المراسلات العجيرة فيما يستقبل من البعث بعد أن رأينا نماذج منها نثرية أثناء
ترجمتنا لابن مجاهد الدغلي تلميذه بالاجازة .

لقد تألم ابن أبي يزيد من معامل القاضي الاندلسي ابن زرب (381 هـ) لكتابته للرسالة ولم يجد غير
صديقه أبي بكر الأبهري فشكا له صنيح ابن زرب وكتب له هذه الابيات (1)

تأبى قلوب قلوب قوم	ومالها عندها ذنوب
وتصطفى انفس نفوسا	ومالها عندها نصيب
ماذا الا لعضمرات	اضمرها الشاهد الرقيب
نكتب له ابو بكر ما يلي (2)	

اعجب ما في الامر عندي	اظهار ما تدعى القلوب
تأبى نفوس نفوس قوم	ومالهم عندهم ذنوب
وتصطفى انفس نفوسا	ومالها عندهم من عيوب
ماذا الا لعضمرات	يعلمها الشاهد الرقيب

وسوف نرى المزيد من التفصيل على هذا ما لا يخفى عندما نتحدث عن الرسالة في مكانه من هذا البحث (3)
ان علاقة أبي محمد بابي بكر الأبهري بالاندلس كانت علاقة متينة وقد برزت خاصة فيما لقيه كتابه الرسالة
على يدى الأبهري وفي حلقة من عناية حتى قيل ان ابا بكر قد طلب من أبي محمد اجازته في تدريس
كتابه المختصر والنوادر والزيادات يمثل ما يقال في علاقته بابي بكر يقال في علاقته بابن مجاهد الدغلي
الذي بحث لابي محمد برسالة تفيها حباً واحتراماً لعلمه وفضله حيث طلب منه فيها اجازته في تدريس
كتابه المذكورين وقد مر بنا ذلك لما قلنا آنفاً، وهو نفس الامر نجدد يقع بين أبي بكر الباقلائي وأبي
محمد وخاصة لما حكم أبو بكر في الخلاف الذي جد بين أبي زيد جماعة من علماء القيروان فقد حكم
أبو بكر فيما حكموه فيعثنياً على أبي محمد ومظهر العلم ومعتزفاً بفضله .

(1) المدارك ج 4 ص 496

(2) معالم الايمان ج 3 ص 112

(3) انظر ذلك في بحثي 382 و 383 في هذا البحث

اما الشخصية الرابعة من البغداديين التي ارتبطت بعلاقة حميمة مع ابي محمد فهو القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي ، والذي يعتبر اول من شرح الرسالة كما رجع شرحا آخر للكتاب ابي محمد المعروف بمختصر المدونة بلغ فيه الى النصف وما قاله في الرسالة من شعر يدل على ثقته في علم صاحبة القبرواني واحترامه له وهو ما سوف نتعرف عليه في ما نحن هذا البحث (1)

ومن مظاهر مكانة هذا العلاقة ان القاضي عبد الوهاب كان قد اعترف الشخص الى القبروان عند خروجه من بغداد الا انه لم يفعل وقد جدد ابن ابي محمد دعوته الا انه اعتذر عن ذلك بابيات شعرياً أوردناها عندما ترجمنا له .

وكان من طبعه ابي محمد اجتناب السياسة واهلها منذ ان كان شابا ابن ثورات شيوخه الفقهاء ولذلك قل ان نجد له علاقة مع احد من اهلها على الرغم من انه كان يعتبر من رجها المجتمع ومع ذلك فقد ارتبط بعلاقة ما ومن المحتمل ان تكون علاقة طيبة بمحمد بن الطاهر القائد وهو ابن عم الحاكم الفاطمي اسماعيل المنصور انه وعظه برسالة ذكرت في قائمة مؤلفاته (2) ولولم تكن هناك علاقات متينة بين هذا العالم ومحمد ابن الداعر القائد لما وعظه ابو محمد وخاصة انه من عائلة حاكمة تعتقد مذهبا يخالف تماما المذهب السني لابي محمد عبدالله بن ابي زيد .

ومن خلال الفاء نظرة ناحية على تأليفه نجد ان اغلبها عبارة عن رسائل **فرائد** مواضيع معينة فلا استبعد والحال تلك ان هذه الرسائل لم تكن الا اجابات عن اسئلة وردت عليه من الامصار والا صدقا او هي بيان موقف من قضايا جدت باماكن معينة ارتبط ابو محمد مع اهلها ارتباطا عاما او خاصا وعلى كل فعلى الرغم من النصوص القليلة في هذا الموضوع بالذات الا ان شيخنا كان متفهما

(1) انظر ص 334 بهذا البحث

(2) ترتيبا لمدارك م 2 ج 4 ص 494

له قدرة على ربط العلامات الجيدة مع أفراد مجتمعه بأريقية والمغرب والاندلس والمشرق الاسلامي ولهذا كثرت رسائله الى عذما النجاء وتعددت اتصالاته بهذه الامصار فكثرت بها لذلك عدد تلاميذه وعظمت اعداد الواندين عليه او الوفود التي بعثها شخصيا لايصال رسالة او كتاب الى عالم جليل باقصى المشرق او باقصى المغرب مما نشط حركة الارتحال اليه بالقيروان للاخذ عنه والاتقاء به حتى انني اميل الى ان تراجع القاضي عبد الوهاب عن عزمه لزيارة القيروان انما وقع حين بلغته وفاة ابن ابي زيد ولو بقي حيا لما تخلف ابن نصر البغدادي على تنفيذ ما اعتزم عليه .

ان هذه الحركية نشحة التي بشها ابن ابي زيد في العالم الاسلامي **عامة** والمغرب منه خاصة لتعود في حقيقتها الى ما اتصفت به شخصية هذا الرجل من قدرة على ربط العلاقات ومن سلوك متزن ابعاد صاحب على الدخول في **المهاضرات** وخاصة السياسية منها ولذا سلم من كل الإحباطات التي كانت السلطة العبيدية تنصبها له ولغيره من الشباب القادر على الفوز بثقة الناس والحصول على احترامهم على الرغم من ان ابا محمد لم يكن مجهولا له لديها ولم تكن مقدرة العلمية والامكانيات الشخصية بغلبة عنها ولا عن غيرها من شيوخ وزملائه وابناء مجتمعه عامة دليل قول ابي العباس الابياتي فيه (واما الثاني من الاثنين فاني رأيت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرحجها يقال له عبد الله بن ابي زيد) (1)

وبذلك ترى ان اتساع افقه العقلي وعمق مستواه العلمي هما **وَرَأَى** هذا النجاح وحسن القبول الذي يلقاه من مجتمعه خاصة ومن المجتمع الاسلامي ككل نامة ولا استبعد ان يكون لحجه دور مهم في انتشار اسمه كعالم القيروان بدون منازع ذلك ان الموسم كان يعتبر ملتقى منويا يتدارس فيه علماء العالم الاسلامي القضايا العلمية وكل ما يمت بصلة لمجتمعهم وكان ايضا مناسبة للاخذ والعطاء والاطلاع والاطلاع من ذلك ان ابا محمد قد اطلع على مقولات المذهب الاشعري اثناء حجه وعمقها عندما صاحبه بالقيروان ابن **أبي** عبد المؤمن بعد ذلك ليتمكن من الرد العميق على رساله البغدادي المعتزلي رد أعجب كل من تراء من ابناء عصره ومن الذين جاؤا من بعده وتمكنوا من قواه ته .

ولا يسعني في خاتمة هذا الموضوع إلا أن أشير إلى نتائج هذا تحريكه والمكاسب التي انبثرت عنها للمذهب المالكي خاصة وللفكر الاسلامي عامة إذ وجود ذكر ابن أبي زيد في كل مكان وعلى كل لسان وفي كل حلقة علم اعطى دفعا جديدا ومتجددا للمذهب المالكي مما جعل الانتظار تتجه غربا إلى القيروان كعاصمة فكرية للممالك تظاهري بغداد الحنفية الحنبلية والقاهرة الشافعية لقد أصبحت دور العلم بالقيروان في النصف الثاني من القرن الرابع مكتظة بالطلاب مزدانة الحلقات بالشيخ العظام العلماء مترنمة بالشعر ومزهوة بالنثر الذي فاق في ابداعه وجماله ما كان معروفا في كتب المشاركة وهي إلى ذلك نخوة بدار حكمتها ومجامع الاداب الراقية فيها وبفطاحلة الطب والحساب والعلم . ولم يكن ابن أبي زيد بغريب عن معالم هذه النهضة التي كان عليها مجتمعها وكانت عليها مدينته بل كان له في هذه النهضة قسط وكان له فيها دور مهم . ولهذا قال فيه عياض (وكان ابا محمد امام المالكية في وقته وقد وثقهم وجامع مذهب مالك وشارح اقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية وكتبه تشهد له بذلك نصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقوله ذابا عن مذهب مالك قائما بالحجة عليه بصيرا بالرد على اهل الاهواء يقول الشعر ويجيده ويجمع إلى ذلك صلاحا تاما وورعا وغنى وحاز الدين وايدنيا واليه كانت الرحلة من الاقطار ونجيب اصحابه وكثر الاخذون عنه وهو الذي اخذ المذهب ونظم كسر وذهب عنه وملأت البلاد تواليه عارفين كثير من الناس اكثرها فلم يبلغوا داه مع فضل السبق وصعوبة المبدأ أعني لا كابر (١) .

ان الحديث عن مناقب شيخنا ابي محمد بن ابي زيد قد يكون من نوع الحديث العادى وخاصة بعد ان استعبرنا علاقاته بشيوخه واصحابه وتلاميذه ورجال عصره وبعد ان عشنا معه في بيته وسك افراد أسرته وتنقلنا بصحبته في ارجاء القيروان وارقدنا مع طائفة العلماء ثم ارتحلنا معه الى الامصار التابعة لها ككنس وسوسة والمنستير وحضرنا **ولادته** الاحداث العادية اليومية وعشنا معه القارى منها وغير اليومية التي اهتز لها مجتمعه اهتزازا فيه قهقارة وفيه غليان اخشى .

لكن يبقى مع ذلك وحسب نظري تخصيص باب للحديث عن مناقبه وحضر شمائله بقدر الامكان حديثا لا بد منه لانه سوف يكون خلاصة الخلاصة لهذا النشاط العلمى والاجتماعى الذى امتد علم امتداد حياة شيخنا التم حبا الله صاحبها على حد قول العدوى (وصله الله بثلاثة اشياء رحمة البدن والسعة في العلم والمال) (1)

ان هذه الصفات الثلاث هم المثلث الذى يمكن ان تلج برأسه الى نفسية ابي محمد حيث يمكن لنا ان نسر بعد ذلك ما يمكن ان نلاحظه من شمائل عطرة وصفات جميلة والتي ساءده التزامه بها التزاما قفريا على البروز علم الرغم من اكتظاظ المناقل العلمية بالقيروان بالعلماء من اصحابه واترابه بل وكان البعض منهم من شيوخه الذين شاركوا في بناء شخصيته العلمية . ان نظرة فاحصة متأنية في شمائل هذا الشيخ القيروانى من شأنها ان تسهل على الباحث فهم آثار ابن ابي زيد وما زخرت به هذه المؤلفات مناراً قد يكون الكثير منها سابقا لسنه ولا ادل علم ذلك من موقفه من الاثر والالتفات في الاعتقاد في كراماته بالاولياء ان وقوف ابي محمد في وجه مثل هذه الادعاءات الباطلة ليجز بوضوح ما يتحلى به شيخنا من شجاعة معنوية مكنته من التعبير عن رايه على الرغم من الحالة التي احاط بها نفسه بعض ادعاء الصلاح مما جعله يعيش حالة على مجتمع لا يعترف دينه بغير الله ربا وبغير العمل الصالح الجاد طريقا الى الكسب الحلال كما تبرز هذه الشجاعة في مواظبته المستمرة على حضور الاجتماعات الطارئة والاسبغة بمساجد القيروان وخاصة بمسجد السبت منها الذى كان مراقبا من طرف السلطة العبيدية ولقد مرت اثنا دعوة صاحب القيروان للمجتمعين طمعا في تشريقهم ولهذا كثيرا ما ينتقل الصاحب الى دار ابي محمد اجتنابا للعيون المبسوثة ان رجلا يفتح داره لمثل هذه اللقاءات الممنوعة له عندى من الشجعان

(1) حاشية العدوى علم شرح الرسالة ص 6 ط بيروت دار الفكر

الذين يعمل عليهم عندما ترتعد الفرائض وتخفق القلوب خوفاً وترتعد الاطراف فرقا وتضفر الوجوه
ربما وإذا اردنا ان نعرف الحالة التي كانت عليها القيروان في هذا الوقت الذي يلتقي فيه ابو محمد
وصحبه بالمساجد وبداره وبدار غيره من الشيوخ امثال السبائي علينا ان نتمعن النظر في النص التالي
لتعرف مدى شجاعته وبراعة جأشه يقول عياض: (كان اهل السنة بالقيروان ايام بنى عبيد في حالة
شديدة من الاعتصام والتستتر كانهم ذمة تجرى عليهم في كثرة الايام محن شديدة ولما اظهر بنو
عبيد امرهم ونصبوا حسينا الاعمى السباب لعنه الله تعالى في الاسواق للسب باسجاع لفتحها يحصل
منها الى سب النبي صلى الله عليه وسلم في الفاظ حفظها كقوله لعنه الله العنوا العلم وما وعى والكسا
وما حوى وغير ذلك وعلقت رؤس الاتباش والحمر على ابواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة مكتوب فيها
اسماء الصحابة اشتد الامر على اهل السنة فمن تكلم او تحرك قتل ومثل به وذلك في ايام الثالث
من بنى عبيد وهو اسماعيل الملقب بالمنصور لعنه الله تعالى سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة) (1)
غير ان شجاعة ابي محمد هي شجاعة العاقل الذي يزن الامور بميزان الفكر ويتقاسم بمقياس
العقل وهذا ما اشرت اليه سابقا عندما تحدثت عن سبب عدم مشاركته في ثورة الفضاة مشاركة محسوسة
لان ابن ابي زيد كان ينظر بعقله الى الذي اوصله الى ان هذه الانتفاضة القائمة على العاطفة دون
التنظيم المادي المحسوب سوف تكون نتيجتها لامحالة خسران المجتمع السني بالقيروان لنخبة مختارة
من علمائه الاجلاء وهذا ما وقع ان حصدت سيوف العبيد بين المدعمة بخيانة ابي يزيد رؤسا ابكت
اصحابها دعاة التنميم وكل المناظر التي شاهدتها القيروان مما جعل العبيد يتيقنون ان
القيروان ليست لهم بمقام فغادروها الى المهدية ليجعلوا بينهم وبين مدينة عقبة الدمية حورا بالورا
في ارتقاءه وانفقوا الاموال البائلة على تنويعه... لقد حقق السيد لله بيدين ما يجز منه الفكر والنظر
وتلك مشيئة الله وسنته ولن تجد لهما تديلا ما ان اقول ابن ابي زيد برودة من تشيع وراثته شهداء
وادي المالح وحضره المستمر لقا ان النخبة المنكرة ودخله على شيوخه واحذره عنهم على الرغم من

(1) ترتيب المدارك م 2، 3 ص 318

تججير لذلك كل هذه المواقف والتصرفات تتم عن شجاعة نظرية مارسها «احب» ابداً في العلماء ويعقل المفكرين على الرغم من حالة «الوارث» المعلقة مصداق ذلك ماورد في ترجمة ابي اسحاق السبائي (قال بعمر اصحابه كنت ليلة عند الشيخ - السبائي - فجعل يحدثني وتلذذت بحديثه حتى انقطم مشي الناس من الازقة وضرب البوق [بوق الحراسة المؤذن بمنع الجولان] فكرهت ان انازع عليه حديثه وكان البوق اذا ضرب ومشي احد بعد ضربه ضربوا عنقه لانه لا يمشي - حينئذ الامن ليسرق او يخرج لضرب من الفساد فكان المعد قد ثقف البلد ثقفا شديداً بالحس والحرس والرصد الشديد فلما فرغ الشيخ وسلمت عليه لاخرج قالت امرأته الي اين تخرج ؟ فقلت الي الدار قالت البوق قد ضرب منذ ساعة فقال لي الشيخ اتعد تببت عندنا الليلة فقلت له اصلحك الله تتخير تلك الوالدة وتظن اني قد اصبحت أو ذهبت بداهية فقال الشيخ اصبر يا اخي يا ابا سعيد فسيوقفني بين يدي واقبل يشير عن شمالي وعن يميني فسمعتة آخرا وهو يقول (وضرب لنا مثلاً ونسي خلفه قال من يجي العظام وهي رميم قل يحبها الى اخر السورة) فاذا به قرأ على وعوذني بييس ثم اخذ في الدعاء فدعا بدعاء عظيم ثم قال لي مر يا اخي يا ابا سعيد حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك قال فخرجت من داره فمررت برحبة ابي داود فاذا رابطة وعساسة وكلاب فما كلمني احد منهم ولا نبج علي كلب فتما ديت في طريق فمررت بالسماط على دار ابي اسود الداعي فوجدت عندها رابطة وعساسة وكلات فما كلمني احد منهم ولا نبج علي كلب فتما ديت الي ناحية سوق ابن هشام وعنده رصد وكلات فما كلمني احد منهم فلما وصلت الي بشر ام عياض وجدت ايضا عنده رابطة مثل ذلك فتما ديت حتى انتهيت الي الدرب فداخلني الهمة والفزع وقلت هم صلوا واغلقوا الابواب فمن يفتح لي فمززت الباب فانفتح لي فاصبت امي واقفة خلف الباب فلما رأته قالت خلف ؟ قلت خلف ؟ فدخلت وحمدت الله علي العلامة (1)

لقد هدنت من وراء أيراد هذا النص، علم، طوله، كغيره من النسخ، حالف العرب التي كان أهل القيروان يعيشونها والنفس صريح في إشارته إلى حالة الظواير، ومنع الجولان ولهذا قلنا أن موافق أبي محمد في مثل هذا الوصف هي عين الشجاعة ومثال الجرأة المحسوبة خطواتها المئنة موافقها وبالإضافة إلى شجاعته طيب معشره ونبل أخلاقه إذ كان يجتنب كل تصرف قد يترتب عنه تسير صفو العلاقات مع من يعرفهم أولا يعرفهم ولهذا كان أصحابه لا يظيقون التخلف عن زيارته والالتقاء به ولا يدل على ذلك من زيارات المؤدب محرز بن خلف المتكررة والتي كان يستقبله فيها وعائلته بفرح لا يماله فرح ولا تخرج من رؤية ما يبع فيها من كرامات وما يحدث فيها من نوادر عندما يلتقي أصحابا بطلابه وأصحابه ورد في ذلك (فلما أصبح أبو محمد لمجلسه فآخبر أصحابه بما نزل من المطر فقالوا ما نزل عندنا منها شيء) ولم يكن المطر إلا بعقد دار الشيخ أبي محمد ولم ينزل بالدار الملاصقة منها شيء (1) أن هذه الحادثة تكشف لنا صفة أخرى من صفات أبي محمد ألا وهي صفة الاعتراف بفضل أصحابه وعلمهم وتقواهم مما جعل هؤلاء الأسياد يكونون بدموع حرة صادقة يوم وفاته ولا يدل على ذلك من الأعماء الذي أصيب به القابسي منذ بلوغ خبر الوفاة إليه أن هذا الاعتراف بالفضل هو نوع من أنواع الوفاء للصحة وكثيرا ما كان يوردا أصحابه في كتابه النوادر والزيادات مفتتحا بقوله، وقال بعض أصحابنا البغداديين (2) وقال أصحابنا الاندلسيين (3) فهو ثبت بهذا الأيراد مصادره وفي هذا الإثبات اعتراف بفضل من نقل عنهم ومثل ما اعترف به من فضل أصحابه اعترف أيضا بفضل شيوخه عليه إذ كان لا يدخل على شيوخه إلا بعد الاستئذان مع التزامه بما تفرضه واجبات التلمذة نحو المشيخة من مظاهر التقدير والاحترام إذ لم يجد في المصادر التي أمكن لي الاطلاع عليها حادثة واحدة تجرأ فيها أبو محمد على أي شيخ من شيوخه وحتى حادثته مع شيخه أبي الأزهر عبد الوارث إنما كانت يدافع المحافظة على كرامة شيخه حيث قال له (إنما فعلت ذلك أجلا لك إذ أنت من شيوخنا) ولهذا أيضا أنسب تلميذه البراذعي عندما هاجم إمامه بعنف الأصلي على الرغم من آق البراذعي إنما رد على الأصلي دفاعا على أبي محمد وعرض أن يشكره قال له (لقد حرمتنا فوائد الشيخ بإسرافك في الرد عليك) (4)

(1) معالم الايمان ج 3 ص 116 - 117

(2) السواد والزيادات الحليّة الأولى الورقة 52/ب.

(3) " " " الورع 66/ب

(4) ترتيب المدا، كـ 2 ح 4 ص 647

ومثل ما كان يحترم شيخه ويحترم بفلسفهم كان يحترم طلابه ويسعى للرفع من مستواهم العلمي مجنبا
اياهم العقد النفسية الناتجة من الحرمان لنفوسهم ويعددهم عن اعمارهم ولا لأدل على ذلك من
قوله لاحد طلبته من الاندلسيين في حادثة خادمتها (يا بني) انما جئتكم معذرا من تقصيري في حقك
اذ لم اقم بجمع ما تحتاج اليه وذلك اني لم اتفقد انك تحتاج الى النساء فانك شاب وها انا شيخ
احتاج الى الزيادة من ذلك فكيف انت) (1) لاشك ان مثل هذا الحديث هو حديث العربي
القدير الذي صفت نفسه وظهرت من الزين والظاهر الفارغ هدفه من مسلكه هذا ان يكون نتاجه
ظاهرا سالما من العقد لان ذلك يعتبر الشرط الاساسي في بناء شخصية متكاملة قادرة على حمل
المشعل الحضاري للأجيال اللاحقة ويتقدم ما يحق تلاميذه من نجاح يتقدم ما يشد فرجه ويعظم
سروره فيقف لجانبهم فيما يعترضهم من مشكلات ويرأسهم ليرزحهم من مجتمعاتهم وبالدولة تفر
المسلك وعين المشاعر والعواطف وبذلك كانوا أوفياء لما يدر في نفوسهم من قيم خيرة مثلما كان هو
وفيا لشيخه وما زرعوه في نفوسه من مثل ومبادئ قيمة. ان هذا الرأى للمعارف والاحداث والشيخ
هي من الصفات البارزة للعيان في حياة ابن ابي زيد وقد جوزي بنفسه صنيعه ولا دل على ذلك
من المرائي الكثيرة التي رثي بها من قبل كل من يحسن الشعر ممن التقى به او عرفه او جلس اليه
مبعاده حتى قلنا في غير هذا المكان ان هذه القصة قد رجعت لشكك ديان الرأى وسجلا لرابطة
قامت على الحب والاخلاص للعلم واهله وللمجتمع وقضاياهم ان من ينعم النظر في هذه القصائد
ليجدها صحيفة تاريخية سجلت عليها شمائل مناقب ابي محمد باقلام مدادها من حب تنبيه
كلماتها صدقا وتزنا وانبا لحننا قد سياتي لي يخفت ابقاعه وان تصمت ترانيمه ولن يتوقف الزمن علم
انسان مزاياه... فهو في هذه القوائد كريم جواد لم يبخل بماله على من قصده في طلب وقد دعت
الحاجة الماسة الى ذلك.

بل قد لا يتقرب ان يأتي اليه فهو الذي تصله الاتيان وتطرق مجالسه الاخبار فيتحرك في الاتجاه
الذي يجب ان يتحرك فيه فالبيгдаدي القاضي وابن شليون البغقيه وابن القايسى الزاهد كل هؤلاء
قد مسهم كرمه بدون ان يطلبوا منه جودا ولا كراما انما طلبوا منه علما ومعرفة فجاء بالاثنيين وكان
سخيا في الاثنيين.

(1) معالم الايمان ج 3 ص 114

وبالإضافة إلى هذا الجود الفطري وهذا الكرم السليق كان دوماً حاضراً في الإفراح والأتراح
 في الاجتماعات السخنة وفي اللقاءات العلمية التي تجتمع بين العلماء ولم يمنعه من هذا الحضور
 رقيب عتيقاً وناقلاً أخيراً وخبيثاً وذلك لشعوره بأنه جزء لا يتجزأ من هذا الكيان كهادية وروح وقيم
 ومثل ولم يكن يقصر حضوره على مجالس العلماء وجنازات الفضلاء وإفراح الوجهاً من ذوي اليسر
 بل كان كل الناس عنده سواء بسواء ولا يدل على ذلك من حضوره جنازة ابن عمه الفقيه الفقير وتوليته
 تكفينه من كماله عندما عز وجود كثر لهذا الفقير وكان صنيعه هذا من خواتم أعماله الفاضلة إذ توفي
 بعد هذه الحادثة بثلاثة أيام فقط.

هذه نبذة من مناقب ابن أبي زيد سلكت فيه جانب الإعجاز على أساس ورود كثير من شأئله في
 أماكن عديدة ومتعددة من هذا البحث وإنما تحدثت عنها بما هو بارز منها وعلى حاله احتمال بالنسبة
 من قريب دون البعيد .

إنما مناقب شيخ عمته شهرته الأفاق فندنا علماً به عرف القرن الرابع في تاريخ الفكر الإسلامي والحضارة
 العربية الإسلامية .

وإن تضرعت هذه المناقب على الصنف المادي من سلوكه فأنني خصصت جزءاً لها المعنوي كمبحث خاص
 أبرزت فيه صفاته كمجدد وهي لاشك تتم وتكمل الجانب المادي الذي تناولته بالبحث هنا. إننا سوف
 نجتمع بين طرفي هذه المناقب عندما نضع شيخنا في الميزان حتى نعرف نقله العلمي وعمق تجديده
 الفكري في رحاب المجتمع الأكبر لامة الإسلام والذي بدأنا طرفاً من تماط تحتها من قبل الطروحات
 الهوجاء للمقامرين لكن رغم هذه الدلائل المدبرة بليل فقد أمكن لهذا المجتمع أن يثبت وأن يصارع
 المحن والأهوال مستمداً صموده هذا من صمود العلماء بما كانوا يبيتونه فيه من قيم قد استمدوها
 من معين لا ينضب عطاء ولا يتغير ماؤه هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان أبو محمد
 هو أحد هؤلاء المصلحين المجددين الذي ذب على أهل السنة ودافع عن شعائر الإسلام يوم أن
 عز الذاب وندد المدانم وبالله التوفيق. أولاً وآخره .

1 (ثقافة الشيخ المجدد

ان الدارس لما هو موجود من تأليف ابن أبي زيد مخطوطا كان او مطبوعا، وهاتناقله عنه تلاميذه وما اورده عنه كتب التاريخ والتراجم والطبقات من مواقف وارا^ء في بعض القضايا التي عاشها مجتمعه ليدل دالة واضحة وبقيّة على ان ابن أبي زيد لم يكن من الفقهاء العاديين الذين يكتبون بالنقل عن سبقهم ويفتون به بدون اعمال فكر وشحن نظرو عقل بل كان ابن أبي زيد من العلماء الذين لا يقبلون الاحكام على عواهدنا والا^{مور} على ظواهرها وانما كانت طريقته تقوم على الالتزام بمنهج مالك في استخراج احكام الجزئيات من الكلّيات والفروع من الاصول سالكا في هذا الاستخراج منهجا يقوم على الاعتماد على ماصح من النص الشرعي من قرآن وسنة وقياس واجماع مرجحا لبعض الاحكام عن بعض تبعها للمصالح ما كان منها موسلا وما سدت به الذرائع مع اعتباره للاعراف وما جرت عليه عادة القوم بالمصر ولهذا فابن أبي زيد يمكن اعتباره من المجتهدين داخل المذهب المالكي ^{وكذلك} في ذلك ^{مثل}ابي يوسف القاضي داخل المذهب الحنفي (2) والبيهقي (231 هـ) داخل المذهب الشافعي (3) وابن هاشم^١ الاثرم داخل المذهب الحنبلي (4) وقد ساعده على هذه الحركة الحرة حفظ جيد للقرآن ومعرفة دقيقة بعلمه واستكناه للسنّة وسعة اطلاع على نصوصه ولا ادل على ذلك من ابراءه لاكثر من اربعة آلاف حديث في كتابه الرسالة (5) واضعاف اضعاف هذا العدد في كتابه النوادر والزهادات يضاف الى هذا كله تبحره في العربية وعلمها وممارسة مادية لمنظومها ومنثورها حتى غلب الاسلوب الادبي على كتبه الفقهية ورسائله العلمية في شتى مجالات المعرفة مصداق ذلك قول احدهم فيه (لو كان رحمه الله متفلا في علوم كثيره منها علوم القراءات وتفسير القرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ومعرفة رجاله واسانيدهم وغريبه والفقهاء البارعة وآثار العلماء وكتب الرقائق والاداب) (6)

(1) محاضرات الدكتور عبد الحميد طيغري في الدول العربية دراسة مؤرخ المخطوطات ١٩١٠ الخراسان ص 66
(2) ابو يوسف القاضي وكتابته الخراج ص 70-71 مخطوط

(3) تاريخ التشريع الاسلامي للخضري ص 189

(4) 191

(5) 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

(6) L'AVIE LITTÉRAIRE en AFRIQUE sous le ZIRIDÈS P 29

(7) معالم الايمان ج 3 ص 113

ولقد ساعده على امتلاك هذه الثقافة الغنيمة ذكاء فطري وعزيمة لا تتقاعس عن الاخذ وهمة لا تكل من م.
البحث بالاضافة الى جهود الشيوخ النوايغ في شتى العلوم وقطاحل في مختلف المعارف امثال ابن
اللاهوت والمصبي وبيع القطان وابي العروب وابي سعيد بن اخي هشام وغيرهم ممن ذكرت في مكانه
في هذا البحث . ان كل هذه المميزات وكل هذه المؤلفات قد تجمعت واتحدت وتعاونت في بناء
شخصية ابي محمد العلمية ما جعلته بحق عالم المائقة الرابعة ومجددا وقد لاحظ الحجوى ذلك
في كتابه حيث قال (يعتبر - ابن ابي زيد - من الطبقة العالية من المؤلفين وعندي الله احق من يصدق
عليه حديث لا يبعث الله لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها) (1)
ان هذا الرأي هو المكنة الذي اشرت اليه سابقا من ان ابن ابي زيد ليس بمجدد المذهب المالكي
فحسب بل كان مجددا للفكر الديني والمنهج الفقهي في عامة العالم الاسلامي باجمعه وكيف يعترض
على هذا وقد كان شيخنا سخيا في علمه نشطا في حركته الاصلاحية نزيها في انتاجه حتى قال احد
الباحثين بعد ان اورد اسما واحدا واربعة كتب من كتب ابن ابي زيد قال (ان مصادرها - المدارك -
والمغال والمدهاج لا تدعي انها اعطت قائمة كاملة في مؤلفات مترجمنا وتشير من ناحية ثانية الى انه
عددا كبيرا آخر لا يقل اهمية عن المذكور) (2)
وبذلك يثبت لنا مال هذا المجدد من دور فعال في اثر الفكر الاسلامي في القرن الرابع وتوجيهه
الوجهة التي اعطته دعما على الصمود وخاصة بعد ان بدأت علامات الانحلال السياسي تدب في
هياكل الدولة العباسية ببروز الدويلات وتعدد الامارات وتنوع الالقاب واختلاف المشارب والاهواء وتكرار
الطموحات والاغراض وبذلك بدأ العد التنازلي لقوة الدولة العباسية السنية تتراجع امام القوى المتدفقة
من المشرق الاعرجي ومن المغرب العبيدي .
ان بروز الفقه المالكي في ثوب جديد قشيب هو في الواقع اعلان عن حدوث شحنات حضارية جديدة

(1) الفكر الاصامي ج 3 ص 120

P149 . r FuxJwupstosKauouamais P1492

النا سوف نخرج عن المقصود بذاته لو استعرضنا جزئيات حركته التجديدية بما فيها من نضال مضى في هذا الميدان وقد اشرت فيما سبق الى ان رسائله التي كتبها انما هي في حقيقتها اجابة منه كتابية عن حوادث جدت او اسئلة طرحت عليه من طرف الافراد او من قبل اهل الامصار على السنة علمائها .

ان حديثنا عن الحركة التجديدية التي قادها ابو محمد في القرن الرابع يقتضي منا البحث المتأنى والعرض المسهب لقرمات الروافض وتمحلات المعتزلة وتنطقهم وغلو بعض دعاة التصوف فيما يعارض العقل والدين الفطرى السليم .

ان عرضنا لمثل هذه القضايا الثلاث كمادج لما حدث في المجتمع القيرواني في القرن الرابع لكفيل باعطائنا صورة صادقة من هذه الحركة التجديدية لابن ابي زيد والتي كان قوامها عقيدة فطرية سمحة بهودها قرآن كريم لا يلهى كبه باطل من بين يديه ولا من خلفه وسله شريفه طاهرة نقية من الاكاذيب وطهرت من الارجاف وثبتت اسانيدها وصححت منوتها .

ان دراستنا لهذه النماذج ستمكننا بحول الله من تكوين فكرة حقيقية على هذا المنزع التجديدى لمجدد المائة الرابعة متوخيا في ذلك عرض النصوص مناقشا لما جاء فيها تاركا لها المجال بقدر المستطاع على ان نرسم لنا بنفسها هذه الصورة التي تبعث عليها وخاصة ان ثقافة صاحبنا المجدد هي ثقافة شاملة وعميقة تعاون الشيوخ وتآلفهم على ايجادها وتعجب ابو محمد في السعي وراء تحصيلها مثقلا من اجل ذلك التحصيل بين القيروان والرباطات بالساحل ومرباق وتونس وبلاد المشرق اثنا حجه والتقاءه بعلماء العالم الاسلامي ممن حضر منهم الموسم المبارك .

(2) المشروع وأهل الكلام

تتجلى في هذا الميدان عبقرية أبي محمد ابن أبي زيد جلاء لا تشوبه غيوم ولا تحكر فضائه
 أصحاب نقصان المعرفة في ميدان علم الكلام الذي يمثل بحق التراث الفلسفي العقلاني للفكر
 الاسلامي وخاصة بعد ان طعم بالمنطق الصوري وبالنتاج الفكري للحضارة الانسانية في ميدان
 البحث الفكري ومجال النظر العقلي، وكان اول صدام لابي محمد في هذا المجال مع البغدادي
 المعتزلي (1) الذي بعث برسالة الى علماء القيروان الذي يدعوهم فيها الى طرح المذهب
 الاشعري السني والاخذ بالاعتزال كمنهاج لهم في مجال العقائد وقد احدثت هذه الرسالة
 ضجة واستنكارا في الوسط السني بالقيروان وكان ابو محمد هو الاول الذي جرد قلمه للرد على ما جاء
 في هذه الرسالة يقول عياض (وكتب الى فقهاء القيروان رسالة معروفة يدعوهم فيها الى الاعتزال والقول
 بالقدر والمخلوق وغير ذلك من مذهبهم ويقول لهم : طريقة متكلمي اهل السنة ومذهب الاشعري
 مهددة فجاوبوه - فقهاء القيروان - وردوا عليه وجاوبه ابو محمد ابن أبي زيد رحمه الله عن كتابه
 برسالة معروفة ظهر فيها علمه وقوته في الكلام بالرد على اهل الاهواء ونفي عن مالك واصحابه جميع
 ما نسب اليه وجعل يحتج على نقض قوله في القدر من كلام مالك البديع في رسالته في القدر الى ابن وهب
 رحمه الله (2) ان حديث عياض عن رد ابن أبي زيد له كاف في نظري على كل تعليق اذ جاءت رسالته
 المسماة ب (الرد على القدريّة ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي) (3) مثالا في موضوعها وسيفا قاطعا
 في مجالها وانموذجا في الاحاطة بالمقولات الكلامية في العقيدة التي الاعتزالية والاشعرية كيف لا تكون هذه
 خصائصها وهذه مميزاتا وصاحبها كان شيخا عالميا في هذا المجال الحيوي من الفكر الاسلامي وخاصة

-
- (1) علي بن احمد بن اسماعيل البغدادي سكن مصر وكان ينتحل مذهب مالك بن انس ويقول بالاعتزال
 وكان داعية في ذلك وكتب الى اهل القيروان رسالة معروفة وهذا الرجل غير معروف في المالكية ولا
 معدود فيهم وإنما سمي بمذهب مالك لينفق بدعته عند العامة ترتيب المدارك م 2 ح 4 ص 486
 (2) ترتيب المدارك م 2 ح 4 ص 486 هذا الرد يقول فيه الدكتور بكير مومياكل الان الباب الاول من
 الرسالة ترتيب المدارك ح 1 ص 15
 (3) المدارك م 2 ح 4 ص 494

بعد ان حج وسمع تلك المقولات من افواه شيوخها وحضر لقاءاتهم واقتنع عن عقيدة بان الحق مع
 الاشارة السنيين فاقبل على دراسة المذهب وما قام عليه من ركائز وما حفل به من الحجج التي يشد
 من ازرها كتاب الله وثبتت أقناعتها سنة نبوية ولا استبعد - اطلاع ابي محمد على كتاب مقالات
 الاسلاميين " لابي الحسن الاشعري وخاصة ان من تلاميذه من كان في الان نفسه تلميذا لابي
 الحسن الاشعري نفسه (1) ومنهم ايضا من تتلمذ على هذا التلميذ ثم ارتحل الى القبروان وصاحب
 فيها ابا محمد وجال في اصحابه من علماء اهل السنة وابلغه ما اخذ من علم في هذا المجال . (2)
 فرد ابي محمد على المعتزلي البغدادي هورد العالم الخبير والمثقف الذي جرد قلمه للدفاع
 عن العقيدة السنية سواء في مجالها العقائدي او في ميدانها العملي .
 لقد اجمع كل الذين اطلعوا على رد ابي محمد بن ابي زهد على المعتزلي البغدادي على
 ما بهز في هذا الرد من معرفة عميقة بعلم الكلام ودراية جيدة بمقولاته واطلاعا واسعا على قضايا
 المطروحة وموقف كل الفرق الكلامية منها وبخاصة فرق قائل السنة والجماعة والتي تعتبر المصدر الذي
 استشهد منه ابو محمد رده والله يرجع كل مادته الحاجة الى ذلك ~~وهو~~ ومقولاته استطاع ان
 يفرغ فرضيات اهل الاعتزال ~~من~~ محتواها .
 ان معنى التجديد هنا انما هو في الرجوع الى منابع الاصلية للفكر الاسلامي من قرآن وسنة
 وماروي من آثار على السلف الصالح واي حركة او نهضة لا تعتمد ذلك لا تعتبر تجديدا بل هي تخريب
 للفكر وتحد لاصوله فاذا قبل في العصر الاول الاستفادة من النتاج الحضاري للحضارات السابقة
 من اجل تركيز اسس النهضة الاسلامية فلا ينبغي ابدا التشبث بذلك المأخوذ على اساس انه هو
 مقدس لا يمكن المساس به لانه من باب ليس في الامكان ابداع مما كان واذا كان لهذا الفكر الانساني
 دوره في وقت ما فانه لم يعد كذلك بعد اربعة قرون من قيام الحضارة الإسلامية الانسانية .

(1) ابن مجاهد الطائي الاشعري انظر ترجمته ص ٢١٧

(2) ابن عبد المؤمن انظر ترجمته ص ١٥٦

ذلك لأنه في خلال هذه القرون الأربعة أمكن لهذه الحضارة أن تستقل بمسيراتها وأن تنفرد بخصائصها بحيث أصبحت هي نفسها مصدرا من مستمد وغاية يعول ولهذا لم يعد هناك عذر لبقائه بعرض المناهج الفكرية المتميزة والتي تعتبر دخيلة على الفكر الإسلامي من أمثال المنطق الصوري وغيره مما احتيج له في العصر الأول .

إن هذا الحركتا التي بدأها أبو الحسن الأشعري وأصلها من بعده علماء كثيرين كابن مجاهد الدائلي وأبي محمد بن أبي زيد وأبي بكر الباقلاني وغيرهم كثيرون ثم يواصل مسيرتها طلابهم في القرن الحاضر إلى أن تستوى على سوقها في نهاية القرن الخامس وبداية السادس على يد أبي حامد الغزالي الذي دعا بحرارة وتصميم إلى تجديد التفكير الديني بتجديد مناهجه وذلك عندما وضع كتابه "أحياء علوم الدين" .

ومن ضمن المجال رده على ابن مسرة (1) المارقي في رسالة بعنوان (الرد على ابن مسرة المارقي) (2) يقول الحميد في ترجمة ابن مسرة وله طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض الإشارات الصوفية وتوالي في الحاشية نسيب إليه بذلك مقالات تعود بالله منها (3) وقد رد عليه الزبيدي (379 هـ) وحسب ما ذهب إليه الباحث الهادي روجي أدريس فان كتابه (هتاك ستور الملحددين) للزبيدي قد وصل إلى أبي محمد من طريق طالبين أندلسيين تتلمذا أولا للزبيدي ثم تفقها بأبي محمد وهما الجالطي (403) والظلمني (429 هـ) (4) لقد تكونت لأبي محمد بن أبي زيد فكرة عن مزاعم ابن مسرة فحبر ردا تحت عنوان (الرد عن ابن مسرة المارقي) واعتقد أن مزاعم ابن مسرة لا تختلف في عمومها على مزاعم جماعة أبي بكر الصقلي التي أنبرى أبو محمد للرد عليها وهو ما سنفصل فيما لقل فيما يستقبل من هذا البحث رد أبي محمد على ابن مسرة عجب تلميذه الظلمني ودفعه إلى كتابه رد. يقول فيه الهادي أدريس لا يعد وأن يكون تحويرا لما كتبه ابن أبي زيد (5) **ويادامنا في المجال العنائد** فان أبا محمد لم يكتف بما جزمه من ردود على المعتزلي البغدادي وعلى ابن مسرة بل له تأليف أخرى ركزها حول مقاومة الألحاد والمروق مثل ذلك "رسالة في أصول التوحيد" وكتاب المعرفة واليقين وكتاب الثقة بالله والتوكل عليه (6) وبذلك ترى أن هذا المجدد لم يقصر نشاطه العلمي على جانب الأحكام الفقهية بل تعداه إلى

(1) ابن مسرة : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة كان على طريقة الزهد والعبادة يشق فيها وانتن جماعة من أجلها وله طريقة في البلاغة وتحقيق غوامض الإشارات الصوفية وتوالي في المعاني نسبت إليه ذلك مقالات تعود بالله منها والله أعلم مات سنة 319 هـ (جذوة المقتبس ص 63)

(2) معالم الإيمان ج 3 ص 111

(3) جذوة المقتبس ص 63

DEUADUSTESKAIROUAYAT P1484

P1484 (5)

(6) ترتيب المدارك ج 2 ص 494

الفكر الاسلامي وذلك عن طريق تجديد وسائل العمل الفكرى ومناهج البحث العلمى لدى اهل السنة عامة بقطع النظر عن مذاهبهم الفقهية ما شكل في مضمونه اتحاد سني فكرى ومادى ضد الفكر الرافضى ومن معه ومن رآه من المتسربين من الدين من الحاقدين على الاسلام واهله . ولا ادل على ذلك مما وقع في حلقات الجدل في الثلث الاول من القرن الرابع بين اهل السنة ودعاة الروافض من ذلك ماورد في ترجمة ربيع القطان على لسانه (وكيف لا افعل وقد سمعت الكفر باذني ؟ فمن ذلك اني حضرت اشهادا وكان فيه جميع كثير، اهل سنة ومشاركة وكان بالقرب منى ابو قضاة الداعي فاتى رجل مشرقى من اهل المشرق فقام اليه رجل مشرقى وقال له ها هنا يا سيدى الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ابا قضاة الداعي يشير بيده اليه - فما انكر احد شيئا من ذلك فكيف يدبغى ان اترك القيام عليهم) (1) وكتب التراجم مكتظة بمثل هذا المروق الدينى والكفر الصريح مما حرك علماء اهل السنة للرد عليهم باللسان وبالقلم وبالسيف ومناظرات جبهله بن حمود ، وابن سفيان بن الحداد ، وابن التبان لشاهده . علما أقول مما عمق بين الطائفتين الخلاف حتى غدا حقا وكان الروافض اشد حقا واكثر تصميما على اجتثاث الاسلام واهله من افريقية المغرب بدليل مجزرة الفقهاء بالوادى المالح حيث وقعوا بين فكيكي الكماشة بين صفوة الخوارج ورافضة الشيعة ثم توج ذلك كله بهجمة بني هلال المسيرة من طرف الروافض بمصر والتي جاءت على الاخضر والها بمس حيث خربت عاصمة اهل السنة بالمغرب وذهب الكثير من التراث العلمى الذى خطته انامل العلماء المجاهدين الاوائل دفاعا عن الاسلام كما جاء من رب لطيف رحيم .

ان تخريب الكيان الاجتماعى والفكرى والعقائدى للمجتمع السني بالقبروان هو الهدف الذى عملت من اجل تحقيقه صفوة الخوارج ورافضة الشيعة انفسه الذى ركز عليه ابو محمد مقاومته وشحن من اجل تحقيق النجاح لهذه المقاومة فكره يهرى قلمه واعد ذواته وحبره ومسداده

العقائدي مدافعا على مذهب أهل السنة والجماعة باعتباره مذهباً يرتكز على أرضية فكرية متبعها الإسلام وموردها الذي لا ينضب كتاب الله وسنة رسوله وما أجمع عليه السلف الصالح من صحابة وتابعين .

3) الشيخ ... وكرامات الأولياء

ههنا

الإسلام كدين جاء آمراً بالعمل بنوعيه المادي والروحي جاعلاً كلا منهما لآخر ومتكاملاً معه بل إن بناء الإنسان الكامل المتزن المتطوّر المطمئن النفس متوقف على وجود هذا التكامّل وتوفر هذا التكامّل في المنزعين المادي والروحي للإنسان .

إن التربية الإسلامية تهدف إلى بناء الإنسان الخالي من المركبات والعقد النفسية والسليم من الأمراض والعاهات الجسدية . ولهذا كانت العبادة في الإسلام هي دعوة للعمل الصالح الذي يقيم الحياة على أسس سليمة من العدالة والأخاء جامعة في دعوتها هذه بين المادة والروحي مازجة بين الدنيا والآخرة مصداق ذلك الحكمة المعروفة المتداولة : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

إن هذه الحكمة المعروفة المتداولة حددت بإيجاز المسبب السليم الذي أقيم على أساسه البناء التربوي لشخصية المسلم مما يجعل منه فرداً قادراً على البناء الحضاري وما يقتضيه هذا البناء من إبداع في شتى العلوم والمعارف وما يوجبه من بروز وسبق في شتى مجالات الحياة الإنسانية وقد سار الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وتابعوهم البررة حسب هذا المنهج السليم فكانوا يعملون وكانوا يجاهدون ويتعبدون مازجين غير فاصلين بين العبادة بفهمها الروحي وبين العبادة بفهمها المادي وذلك أن كل عمل هو عبادة وكل مسلك هو عبادة وكل تصرف هو تقوى وقوة من الله . وبفضل هذا المنهج التربوي الشامل حققوا العزة التي هي أهم شعار للمجتمع الإسلامي حيث قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولا عزة إلا بالعمل الجاد الذي يلتزم فيه الساعد بالقلب والمادة بالروح والكسب بالإيمان . ولم يذكر لنا التاريخ أن أحداً من الرعيل الأول فر من الحياة إلى كهوف الجبال أو إلى الغيافي القفر متفرغاً في هروبه هذا للعبادة بل كانت العبادة الحقيقية هي العبادة التي تحددها كلمة الله أكبر حياً على الصلاة حياً على الفلاح . فالله أكبر هي الشعار الذي رددته الجماهير المؤمنة حيث بعث في نفوسها الجد والعزم فدكت بعزمها الأكيد الأسوار العالية على الطغاة ونسجرت بيدها

الصادق المصمم الخيرات وتسمتها بالقسط بين المؤمنين الذين هم في نظرها كاستان المشط وما قصة الخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أكبر دليل على أن العبادة الحقيقية هي العبادة التي تخير واقع الانسان من أسوأ الى حسن ومن الحسن الى الأحسن وتزرع في نفسه الشعور بالعزة والاحسان بالكرامة فلا سجود إلا لله ولا ركوع لغيره .

ان للمؤمنين الاسوة الحسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يعمل بيديه حتى يتصنّب منه العرق ويؤدي ما فوض عليه كغيره من المسلمين ويقبل على الحياة بمقدار يدون افراط ولا تقتير لأن خبير الأمور أوسطها كما قال هو ذاته عليه صلوات الله وسلامه . ذلك أن الخيرات هي نعم من الله ونعم الله لا ترد ولا يعزف عنها لأن في هذا الرد والعزوف رفضا لنعم ما خلقت الألائسان . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المجال معجزة في سلوكه مثالا في أخلاقه داعيا الى التيسير ورفضا للتعسير لأن دين الله يسر وسار صحابته على هديه وسنوا على مثاله مع استحرى في السلوك والممارسة لأنهم ليسوا مثله صلى الله عليه وسلم لفارق عصمته وعدم عصمتهم ولكنهم لم يتركوا المدني التي مصروها وموافقتها التي شيدوها الى المناور والجبال بل رفضوا حتى التفرغ للعبادة الروحية في المساجد حتى قيل أن عمر أخرج جماعة انكبت على العبادة الروحية في المسجد النبوي وتركوا العبادة العملية وما تقتضيه من طلب للرؤى الحلال بكّد الجبين وقال لهم قولته المشهورة (أما علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) .

هكذا كان المجتمع الاسلامي الأول فطريا في عبادته فطريا في سلوكه ذا قلب منعم بلا إيمان حتى كان الفرد منهم بيد يحمل المصحف بالأخرى يحمل المعول ويعزف الأور فتخرج خيراتها ليتوفر بهذه الخيرات أمن مجتمعيها الخدائي وبالتالي تتحقق عزة المجتمع وتقدمه . ثم بمرور الزمن واتساع حركات الفتوحات واختلاط المسلمين الأوائل بغيرهم من الأمم الأخرى واطلاعهم على الثقافات القديمة وطرق العيب ومناهج العبادة ثم دخول هذه الأمم الى حضيرة الاسلام حاملة معها عاداتها وتقاليدها وآرائها . ثم لما تقادم العهد عن عصر الرسالة بدأ تبرز في سماء المجتمع الاسلامي أنملة سلوكية جديدة نظرا لحالة الرخاء التي كان عليها المجتمع الاسلامي مما جعل

الداخلين الجدد الى الاسلام يعودون الى ممارسة عاداتهم وتقاليدهم الحياتية التي كانوا عليها اجدادهم قبل انتشار الاسلام في اقصاهم واعتناقيهم له . مما تترتب عنه انحراف من الاهداف التي رسمتها القرية الاسلامية لبناء المجتمع الاسلامي . عندئذ برزت شهجة اجتماعية رفضت حياة البذخ وما تترتب عنه من ظلم اجتماعي ومن انحراف تربوي ولم يكن امام هذه الشريعة سوى مجال المقاومة السلبية حيث فُرت الى الكهوف والغياشي ولبست الصوف واكتفت من الحياة بما يقوم بالأود ، ويحافظ على الرمز ، وليس هؤلاء في منزعتهم هذا بعبدين بل كانوا في ذلك من المقلدين وخاصة أن الكثيرين من هؤلاء كان اجدادهم من الذين أسلموا إبان الفترحات الأولى ولا شك من بقاء بعض من رؤسب الماضي في نفوسهم احدثت لهم من مجتمعهم القديم الذي كان يعتقد أن التقوى والصالح هما في رفرة الحياة الدنيا والتفرغ للعبادة الروحية دون غيرها ثم تطور هذا الخزع حتى أصبح للصالح شعار وهو لبس الصوف ومعايشة وحوش الصحراء ورفض كل ما يمت للدنيا بصلة . وما زاد الطين بلة كما يقولون ولج هذا الميدان من طرف من لا يحمل من الصالح والتقوى الألباسه الصوفي بحيث وصل الحد الى عدم استطاعة الانسان التفرق بين التبعيد الحقيقي والتعبد المزيف . وبين العائق وثائق العقل وبين الصادق والمدعي حتى أصبح أمر هذه النحلة مهددا للفكر الديني وبالتالي الحضارة الانسانية لأنه لا يمكن أن تقوم حضارة على الروح دون المادة أو العكس بل ان الحضارة هي مزيج من المادة والروح حسب تعاليم الاسلام خاصة وحسب المنطق الحضاري عامة .

وقد تفاقم هذا الأمر في عصر شيخنا ابن أبي زيد القيرواني حتى ادعى بعض المتشوّفة رؤيا الذات الحليّة وأضافوا الى أنفسهم خوارق ومعجزات لا تجد مثلها حتى للرسل والأنبياء صلاوات الله عليهم وسلامه . وكان هذا الادعاء الباطل وهذا الخلو الذي يرفضه الاسلام قبل العقل هو ما أنكره عليهم أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد أما ما دون ذلك من كرامات الأولياء الصالحين مما لا يصل الي هذه الادعاءات فان أبا محمد لم ينكرها لاتفاق علماء الأمة على أن دعاء الصالحين مستجاب لصفاً أنفسهم وصدق عبادتهم وعق ايمانهم وكان من هؤلاء الأولياء من يعرف حده

وكان من هؤلاء العلماء الاولياء من يعرف حده ومقامه وزنته فلا يتناول الى ما فوقها واذا ما حدث له ما يتجاوز حده اعتبر من اغراءات ابليس فكان اول المكذبين لهذه الاغراءات من ذلك ما ورد في ترجمته **ابو ميسرة احمد بن نزار شيخ ابن ابي زيد معايلي** (كان ابو ميسرة رجلا صالحا عالما مشهورا بالفقه ثقة حسن الاتباع لا يخالف في فتواه ابن القاسم مجانباً لاهل الاهواء كثير الصلاة والذكر وكان يختم كل ليلة ختمة في مسجده وروى انه كان ذاك ليلة يتعبد ويبكي وقد اتى على صلاته واذا بنور عظيم قد خرج له من حائط البيت كانصحراب ثم قال له تملأ من وجهي يا ابا ميسرة فانك املك الاعلى فبصق في وجهه وقال اذهب يا ملعون فعليك لعنة الله فطوى ذلك النور من ساعته كسراب بقيه واذا به ابليس اراد ان يفتنه فنجاه الله منه (1) فانظر الى هذا الولي اصالح الصادق في عبادته والمعارف بمقامه والذي على الرغم من المفاجأة لابها ابليس لم يفقد توازنه الروحي ولم يغره بالله الغرور ولانه يعلم حق العظماء ان الله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار.

ان مثل هذه الواقعة لا بد ان تكون قد بلغت ابن ابي زيد وخاصة انه كان طالباً في حلقة هذا الشيخ الولي ولما كثر الحديث عن كرامات الاولياء وانقلاب الاعيان فيها خاصة وبدأت بعض اشرايح الاجتماعية السا دجة في المجتمع القبرواني تصدق هذه الادعاءات وتبعها لتصديقها هذا كثر عدد المدعين لهذه الترهات مما يهدد الحياة الاجتماعية والفكرية للمجتمع القبرواني الناهض جرد ابو محمد قلعه كما عهدناه للرد عن بعض هؤلاء ممن الفوا في هذا الميدان تأليف كثيرة ولم يكن هذا الشخص سوى **ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي** (2) الذي وضع صاحب المعالم بامام الحقيقة والشيخ الطريقة رضي الله عنه (3) وله كما هو موجود في ترجمته مؤلفات عديدة في التصوف غالي فيها الفحالة شديدة في قضية انقلاب الاعيان وهو ما ينكره عليه ابن ابي زيد 4

(1) معالم الايمان ج 3 ص 41

(2) **ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي** سمع بالتقيروان من ابي الحسن على بن محمد بن مسرور الدباغ ومن حسن بن نصر وابي العرب واليحيى والسبائي وابن عباد و ابن سعدون صاحب ابي عقاب ثم ارتحل الى المشرق فاخذ عن البلخي وابي الحسن الهاشمي وابن فندار القاضي ومكة على الاخرى سنة 350 هـ . وجمع الحديث واصل الفقه والتصوف والصالح والزهادة من تاليفه انوار الصقلي التي فيه بانواع المعارف واسرار التصوف بما اوتي فيه من غيره وله كتاب صفة الاولياء ومراتب احوال الاصفياء ولطيف كتاب كرامات الاولياء والمطيعين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان الا انه مات قبل ابن ابي زيد اما عياض فيسميه **عبد الرحمن** (ترتيب المدارك ج 2 ص 4 ص 495) ترجمته بمعالم الايمان ج 3 ص 144 - 149

(3) معالم الايمان ج 3 ص 144

(4) 145

وهو ما انار زويزة وملت اصدافها الى بغداد شرقا . وحسب النتائج التي بانت لي من خلال استقراي لعديد النصوص ان ابا محمد بن ابي زيد عندما كتب كتابيه حول هذا القضية وهما على التوالي : كتاب الاستظهار في الرد على البكرية (1) . وكتاب كشف التليب (2) . لم يكن هدفه أفكار كرامات الأولياء عامة بل كان هدفه انكار المغالاة التي ادت ببعضهم الى القول برؤية الله جهرا وادعاء بعضهم قدرته على تغيير الأشياء من صفه الى صفه . الا ان القوم كانوا من الذكاء وسعة الحيلة ما جعلهم في النص الأقوى . وذلك بترويضهم أن ابا محمد ينكر كرامات الأولياء العادية الثابتة سرعا والمقبولة عقلا ولهذا تحزب لهم بعد الفقهاء حتى من تلاميذ ابن ابي زيد أنفسهم وهو الظلمني . في حين أن الثابت تاريخيا أن ابا محمد ما أنكر من هذه القضية سوى ما يتعارض مع الدين الاسلامي والعقل السليم . اذ كيف ينكر ابو محمد كرامات الأولياء في حين أنه كان يلتجئ الى دعائهم في كثير من الحالات التي تعترضه أو تعترض بعض أفراد أسرته . كقضية رقي ابنته من طرف شيخه السبائي مرة ومن طرف قريبه محرز بن خلف أخرى (3) . وقضية نزول المطر على بيته استجابة لدعوة المؤدب محرز والتي رواها هو الى أصحابه في ميعاده الصباحي معهم (4) . لكن كما قلت أن بعض مشعوزي المتصوفة كان على درجة كبيرة من الذكاء عندما افصح أن ابا محمد ينكر كرامات الأولياء حتى يمكن له الحسب الضيق وتم له ما أراد عندما شنع بعض الفقهاء على ابي محمد موقفه ذلك بدون أن يتحققوا منه . فقد ذكر الإمام عياض أن ابا محمد (لما ألت كتابه على الذكرى (5) . ونشر كتابه .

الرحيم الصقلي (6) بتأنيعه الكشف وكتاب الاستظهار ورد كثيرا مما تقلده من خارق العادات على ما قدره في كتابه شنع المتصوفة وكثير من أصحاب الحديث عليه ذلك وأشاعوا أنه نفى الكرامات وهو رضي الله عنه لم يفعل بل من طالع كتابه عرف مقصده فرد عليه جماعة من أهل الكدلس ومن أهل المشرق وألفوا عليه توافيف معروفة ككتاب أبي الحسن بن جهم الهمداني وكتاب أبي بكر النياقلاني وأبي عبد الله ابن شو الليل وأبي عمر الظلمني في آخرين وكان أرشدهم في ذلك وأعرضهم بمقداره أمام وقته أبو بكر النياقلاني فانه بين مقصوده . قال الظلمني كانت تلك من ابي محمد نادرة لها أسباب

(1) ترتيب امدادك 2 ج 4 ص 4 ر 4 يقول عياض الرد على البكرية وهو تغليف والأصح البكرية لسه

(6) معالم الايمان : يسميه مبداء
عوض مبداء

الى ابي بكر النستلي (2) //

(3) انظر فصل الشيخ في اسرته من البحث ص 228-229

أوجبها التنازل الذي يقع بين العلماء ص عندنا رجوعه عنها ولم يزل في طاهر أمره لا محذور
السؤال من ابن الأمير إلا أن حمل الكرامات فيما بلغنا عن طبقات عندهم على مجالس لكل
أموال الناس ودرسوها بامرينة . وقد روي منها رأيت كثيرا (1) فالتقاضي عيانا بفتح
النار من الشرايع لأعداد هذه التقية فانه يعمل الى أن الزينة قد آثارها بذلك المتعشون
من النولية وتصوف من أمثال ابن الأمير وغيره في حين أن الواقع الفكري لكي محمد الذي أساسه
التقوى والصالح لا يفرغ البتة كرامات الأولياء في الحدود المقبولة شرعا ونقلا ونقلا . وهذا
الموقف هي عيان نجد عكسه في معالم الايمان انه ورد قوله (وكان أبو محمد بن أبي زيد كثيرا
ما ينكر كرامات الأولياء . لمعنى قلب الأعيان وذلك قصور منه رحمه الله عن ادراك ما وهب الله
أولياءه من الكرامات . وما أفاض على قلوبهم من الأنوار والبركات ... فلذلك كان يشير الشيخ أبو
القاسم في كتبه الى تصور الفقهاء المذنبين ينكرون القدرة وما وهب الحق لأوليائه (بل كذبوا بما
لم يحيصوا بعلمه) (2) ويعلق ابن ناجي على قول الدواع بما يلي : (قلت سبب انكار الكرامات
وانكار ذلك عند أكثر المريدين في عصره من ادعائهم رؤية الله سبحانه في اليقظة قال ابن
بزينة : (3) وألف كتابا يقتضي افكار الكرامات وافكار الرؤية وسمعت الشيخ يحكون ان علماء
زمانا أنكروا ذلك عليه وأرسلوا الجواب من القيروان الى بغداد فوصلوا اليها على الصحراء بعد
اربعين يوما فاجتمعوا بالقاضي أبي بكر بن الطيب ودفعوا له السؤال فاجابهم بجواز ذلك
والف كتابا في ذكر جواز الكرامات وفيه فضل الشيخ أبي محمد بن أبي زيد ومعرفة بعلم الفقه

(1) تركيب المدارج ج 2 ص 495

(2) معالم الايمان ج 3 ص 145 - 146

المعروف

(3) ابن بزينة ؟ هو عبد العزيز بن ابراهيم القرشي التونسي التميمي بابي بوزينة (606 - 673 هـ)

فقيه متصوف اخذ عن السوسي والمريجيني والبراء له كتب شيرة منهاج المعارف الى روح العوارف
الحلل السند سيق ج 3 ف 3 ص 661 - 662 -

ذكر هذا في تفسير قوله عز وجل (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (1) ورد ايضا في توسع آخر من المعالم قوله (وذكر ان القاضي ابا بكر بن الطيب الباقلائي ذكر ابا محمد في بعض تواليقه واعتذر عنه فيما نسب اليه من افكار الكرامات ولم يكن مذهبه افكار ماثرها وانما كان يبلغه عن ابن الصقلي اشياء الم اعلم بها ووضحها كانها عنده من جنس المحالات فكان يذكر ذلك وكيف وهو يحكي كثيرا من الكرامات عن ابي اسحاق السبائي ومنها ما جرى له معه في قصة ابنته حيث مرضت عيناها فرقاها ابو اسحاق من داره وهي في دارها فبرئت من حينها) (2) ... قال : ولا يبي محمد جر في اثبات كرامات الاولياء) (3)

ونحن عندما نتعم النظر في النص الاول للدباغ وفي هذا النص نجد هناك تناقضا في موقفه من هذه القضية ان كان في نصه الاول مع من قال بان ابا محمد في انكر الكرامات عامة والادهي من ذلك ان نجد الدباغ يقول بامكانية انقلاب الاعيان ونكران ابي محمد لها يعتبر في نظره تصورا منه عن ادراك ما وهب الله لاوليائه من قدرات وما افتر على قلوبهم من الانوار ... ثم نجده في هذا النص الاخير يبري للساحة ابي محمد من هذه ولذلك تناقضه هذا يجعلنا نتبع رأي من تلحق مناقشة هذه القضية فيبقى امامنا تعليق ابن ناجي الذي جاء دقيقا صريحا مثل ما كان عليه الحال بالنسبة لرأي عياض : فابن ناجي يقرر ان ابا محمد لم ينكر كرامات الاولياء وانما انكر رؤية الله في اليقظة وما شابها من انقلاب الاعيان وهذه الادعاءات كانت شائعة في اوساط دعاة التصوف ومريديه في عصره ومن هنا يكون ابو محمد على حق وضواب عندما هاجم ابكرية وامثالهم لخرجهم عن الشرع والعقل وهو ما يجب عليه ان يفعله كمجدد مناط بعهدته حمايقا لعقيدة السمحة من الترهات والاباطيل وذلك عن طريق

(1) معالم الايمان ج 3 ص 145 - 146

(2) 112-113

(3) 113

حماية أهلها من الشذحات الفكرية التي تعارض المفهوم القطري للشرعية وهذا ما نلحظه في موقفه من الحوادث الخارقة للعاد التي قد يبلغها له تلاميذه في حلقة الدرس من ذلك لما ذكره له ابن المتمر الطرابلسي (من أنه قصد الحج في جماعة منهم أبو عثمان الحساني فبثوا ثلاثاً أيام بلا أكل فاقترب أبو عثمان من مرتفع صغير من الأرض ووضع عليه يده ثم أخذ منه قطعة من التراب ووضعها في وطء كان معه ثم ملأه بقليل من الماء وتلا بعض الآيات وقال بسم الله ثم أترهم قائلاً : اذكروا اسم الله ثم كلوا ففعلوا) (1) ويذكر ابن النمران الشيباني أبو محمد بن أبي زيد لما سمع الحكاية فأطأ رأسه برهة ثم رفعه وقال قد يكون ذلك خاصة وقد يتيم ثلاثة أيام بلا أكل وتلا بعض الآيات القرآنية ومكتة أنه من المنطقي أن يكون هذا هو موقف عالم المائة الرابعة من مثل هذه الحكايات التي انتشرت في عصره منها ما يرفضه رفضاً قاطعاً كادعاء بعضهم رؤية الله ومنها ما يحيله إلى علم الله بدون أن يعلق عليه وهو ما فعله لما أخبره به ابن النمران أما إذا طلب منه أن يكون هو ذاته مصدراً لتكليم الكرامات فإنه يجيب إلى الطلب بما هو معروف في الشريعة بأن لا ضار ولا نافع إلا الله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى من ذلك ما رواه تلميذه اللبيدي من قوله (اجتمع عيسى بن ثابت العابد بالشيخ أبي محمد فجري بينهما بكاء عظيم وذكر فلما أراد فراقه قال له عيسى أريد أن تكتب اسمي في البساط الذي تحتك فأذ رأيت دعوت لي فبكي أبو محمد وقال : قال الله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فهبني دعوتك فأبى عمل صالح يرفعه) (2)

(1) انظر راجعاً للتيجاني ط ١٩٥٤ ص ٢٥٤ ٢٥٥

(2) ترتيب المدارك ج 2 ص 496

فأى حاجة صادقة لهذا العالم الفقيه المصلح إذ لم يدعهم أن لدعائه دخلا في تحقيق ما يتبعناه
طالبه بل أن ما يتمنى لا يدرك إلا بالعمل الصالح حسب ما جاء في الآية الكريمة وأين هذه
الاجابة من ادعاء المدعين بامتلاكهم مفاتيح الدنيا والآخرة إذا أردنا أن نعرف الفارق
انما يجب أن نفرق بين العلماء الجدد والذين يقولون فيهم ربهم (انما يخشى الله
من عباده العلماء) (1) وبين المشعوذين الذين جعلوا من تزهدهم وسيلة لابتزاز أموال
الناس وامتصاص خيراتهم بآراء غير شرعية يرفضها الدين الحنيف ويكذبها العقل السليم
وتزديدها الاخلاق الحميدة.

يعلق احد الباحثين على هذا القضية بقوله (وقد شهّر ابن أبي زيد بشدة هذه الترهات
وعارض النظريات القائلة بأن الاولياء يرون الله في حالات الصحو بينما يبرز الصقلي أن الفقهاء
لا يمتثلون لهم هذه الاسرار وقد اثار عقلا نيقا بن ابي زيد ردود فعل في القيروان وخارجها)
(2) حتى وصل الامر كما رأينا الى الاحتكام وكانت نتيجة الاحتكام مخيبة لآمال من اختلق
القضية من امثالها لان الحكم قد فهمه اللحية وعور ان يشن على ابي زيد موقفه اثني على علمه
وابان فضله رافضا في الان نفسه ما يحاول ما ارضوه الصاق به في اثون العجالات لانه كم ضاع
من حق في حمى الاختلافات وفي لهيب العجالات وكما الصقت بالافراد من مواقف وكما البست
لهم من اراء في حين انها ليست لهم بحوا فتدلى لمهم بارا وانما اضيفت اليهم وحملت عليهم
في حين انهم لم يقولوا بها دقيقة ولم يعتقدوا صحتها ثانية وهذا ما يتخلل على قضية
الحال ذلك ان كل النصوص التي امكن لي الاطلاع عليها واستقرأتها تثبت ان ابا محمد كان ميالا
لاستعمال عقله وتجهّد فكره من اجل تجديد الفكر الديني والمنهج التربوي في مجتمعه الاسلامي
اثر ما برز له في افقهم علامات تشير الى هجمة شرسة للفكر الغيبي الداعي الى التواكل
والقائم على الشعوذة وعبادة الاصنام البشرية من دون الله تعالى وهذا كل مرجع الى استياء
السراة على مقاليد الامم للمجتمع السنّي

(1) الآية 28 من سورة فاطر

DEUXIEME PARTIE KURUCIYANIS PL46(2)

سواء في القيروان أو غيرها وبهذا الاستيهاء فرضوا على هذا المجتمع نوعاً من التفكير الغيبي الذي يرفضه الإسلام الفطري الذي لا يقدر بثراً ولا يعبد أحداً غير الله مصداق ذلك قول أبي بكر الصديق يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطباً الجموع الملتاعة : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) .

أين هذا إمام ما أصبح عليه الأمر في النصف الأول من القرن الرابع من تأليه من هو أرذل من الشيطان في أفعاله ؟ وماذا نقول في قصيدة جاء فيها على لسان شاعر العبيديين ابن هاني (362 هـ) (2)

ما شئت إلا ما شئت الأقدار	فأحكم فانت الواحد القهار
كانما أنت الرسول محمد	وكانما أنصارك الأنصار

ويضاف إلى هذا التأليه أباطيل أخرى لا أرى فائدة من ذكرها .

إن تحقيق مثل هذه الأهداف السخيفة للحاكمين الحاقدين على الإسلام وأهله يقتضي تغيير المنهاج الفكري للمجتمع السني من منهاج يقوم على العمل الجاد والمعرفة اليقينية الناتجة عن أعمال العقل وشحف الفكر إلى منهاج يقوم على الإيمان بالكرامات والمعجزات على أيدي البسطاء مما يؤدي إلى هيمنة الفكر الغيبي والتألي هيمنة الحاكم الضال المضل أذن لا استبعاد من وجود أصابع العبيديين وراء هذه القضية بعد أن منيت كل مساعيهم بالفشل لتشجيع علماء السنة بالقيروان واكتسابهم إلى صفهم .

إننا لو واصلنا سرد مثل هذه الضلالات الرافضية لاحتجنا إلى المجلدات الضخمة وفي هذا تجاوز للهدف المرسوم لبحثنا وقد مرما ازداد نشر العبيديين لمثل هذه الضلالات في الأوساط العامة

(1) الآية 144 سورة آل عمران

(2) الكامل لابن الأثير 8 / 622

بواسطة الترفيب تارة وبالترهيب الأخرى بقدر ما ازدادت مقاومة المجتمع القيرواني السني لهم وذلك بالكشف عن أباطيلهم وأضاليتهم وكان أبو محمد عبد الله بن أبي زيد فارسي الميدان في هذا المجال يقام الكفر وأهله وينفض المارقين ومروقيهم وأصحاب الأهواء وأدعاهم مصدره في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ومن هنا كان رفضه لأدعاهم المتصوفة رفضاً توجبه العقيدة الفطرية ولا يستبعد أن يكون المراد من دخل في هذا الانقسام في المجتمع السني لأن كل انقسام يؤدي حتماً إلى تغلغل الفكر الشيعي الرافضي الغيبي .

ولما اهتم النقاش وطال وفهم بوجهات أبو محمد قصد السلاطة وانتبه إلى احبولة المشعوزين ألف كتاباً ثالثاً : تحت عنوان (اثبات كرامات الأولياء) (1) حيث جعل للآقاويل وللأكاذيب حداً كشف به اللعنة الخبيثة وعزى به الاحابيل المنسوجة بلبيل . حيث اثبت فيه للاولياء الكرامات في الجدل المقبول نقلاً وتقليداً يقول احد الباحثين في عصرنا هذا حول هذه النهضة " جرّ في اثبات الأولياء " وهو كتاب انتهى به ابن أبي زيد الجدل الذي اثاره كتاباه السابقان في هذا الموضوع (2) ثم يقول (وعندما يذكر لنا ابن قريون أن ابن أبي زيد كان مستحداً أن يتراجع ويرجع إلى الحقيقة فإنه يشير بذلك إلى هذا التقلب ولكن ليس من المؤكد أن ابن أبي زيد قد تراجع في آرائه كلية . من المحتمل أن يكون هذا الكتاب محتوياً على " تفسير " للكرامات التي تحدث عنها الظلمني ولكل ابن أبي زيد قد حاول التمييز بين الغث والسمين دون أن ينكر أي جزء من آرائه السابقة تماماً ومن هنا تبين أن المسألة تتعلق بحسب بتوضيح لآراء ابن أبي زيد حول المسألة وهي آراء بيدها لم تتغير كثيراً رغم ما اثارته موضة جدال من طرف معارضيها (3)

(1) معالم الايمان ج 3 ص 113

(2) DEUX JOURNÉES Kourouanaises P149

(3) " " " " P149

ان يهلك العصور الموحدة لقضية لا يرى العبيديين من المشاركة في نسج خيوطها في الخفاء بنصر مدى ما بذله عالم المغرب من جهد وما تعرض له من منايقات وتشنيع تشبيها لمساء من اجل حماية مجتمعه من افة التفكير الغيبي، التفكير القائم على الضلالات والاباحيل التي كانت السلعة العبيدية تعذيبها وتقيم لها طقوسا ما انزل الله بها من سلطان حتى يسهل عليها ابتلاع الحجمع السنني واحتواؤه عقاذا وفكريا وسياسيا ولكن بقدر احابلهما بقدر تضميم اهل السنة على الافلات من اكمين وقد اتخذت ههنا ومنهم لها اشكالا متعددة فكرية ومادية وثالث النتيجة خذلانا لهذا ما لقوى الغيبية ان غادرت القيروان الى مسر لما تحققت ان وجودها في القيروان اصبح وجودا غير مبد لها وبخرجهما عادت امرية الى سنيتها شعيرة وممارسة وقد عبرت عن رفضها للضلالات التي احتواها التفكير الغيبي عندما اجتثت بقايا المعتقلين للفكر الغيبي الراضي من جذورهم وبذلك ظهرت القيروان وسلمت من ابا طيلهم وذلك سنة 407 هـ .

واري انه من الفائد قاي راد نص من المدارك يؤرخ نهائيا لفكر الراضي الغيبي لشعر مدى تضميم اهل السنة وعزمهم على التمسك بالفكر الاسلامي الفطري الاصيل : ولما قيلت الراضة سنة سبع واربعائة وكان ابتداء ذلك يوم الجمعة منتصف محرم مفتحتها وهو يوم كان وصول المعز بن باديس الى القيروان فيه بعد موت ابيه واستفتاح ولايته فقتلت العامة الراضة ابوج قتل بالقيروان وحرقوهم وانتهبوا اموالهم وهدموا دورهم وقتلوا نساءهم وصبيانهم وجرروهم بالارجل وكانت مريحة من الله سلطانا عليهم وقال ان عامل القيروان خنزر بن رشيد كان يشي كأنه يسكن الناس وهو يشير على العامة وأفتق الامر فلم يقدر السلطان على ضبطه وولى عاملا آخر فتهذر عليه ثنده وخرج الامر من القيروان الى المهديّة وسائر بلادهم فقتلوا حيث وجدوا واحرقوا بالنار فلم يترك احد منهم بعدن افرقية واعمالها الا من اختفى ولجأت الراضة الى مساجد البادية فقتلوا فيها ابرج قتل وهدموا دار الامارة بالمنصورة وتعدت العامة ذلك الى جماعة من اهل السنة من غيرهم فلقد حكى ان العامة جاءت تتعلّق برجل منهنهم اتهموه برأيهم فمروا



به على شيخ من العامة فسألهم عن تعلقهم به فقالوا تسير به الى الفقيه ابي علي بن خلدون
فناخذ فيه بما يأمرنا به فقال لهم المسيح العاصي لم لا تقتلوه الان فان كان راضيا اصبتم وان كان
غنيا عجلتم بروحنا الى الجنة من الان ؟ وكما قال وحكي ان ربي اخبرني واحدا منهم ليقتله فقبل
له ما تصنع ؟ فقال هذا زنديق يعص على ابن الخطاب على عمر بن ابي طالب او كما قال بلفظ
العاصي فانقم الله منهم على ايدي عامق المسلمين وقتلوهم كل مقتل فرعب المعز منهم واراد كسر
شوكتهم ~~فوقتل~~ زعيم السنة وشيخ هذه الدعوة (1)

تلك هي النهاية المفجعة لفرغبي حكم افريقية حكما مباشرا طيلة 65 سنة اى من سنة
297 هـ الى سنة 362 هـ عندما انتقل المعز لدين الفاضل الى مصر حيث انتهى اخاه طاهر المعزى .
وبذلك تخلصت افريقية من الرافضى نعاذات الابتسامة الى صومعة جامع عقبة وعاد الصوت
القدسى المجلل من فوق مئذنتها الى فطرته وصلاح نبراته وانطلقت الحياة فيها من جديد في
مسيرة سنوية مباركة طاهرة الاسلام صافية صفا الحفيد القرآنية صادقة صدق الهدى النبوى
الشرىف .

(3) الفقيه المنصبي ... في مواجهة البدع الشيعية

لقد طفق العبيديون بعد ذلك ان يكونوا ائمة سنة 297 هـ الى التخلخل في الحياة الاجتماعية للبيئة القبروانية السنية بكل الاساليب وفي شتى الميادين العقائدية والعملية على حد سواء . وإذا كنا قد رأينا بعض اعمالهم في النطاق العقائدي فانه لا ينقصها الا التعرف على بعض صنيعهم في المجال العملي المتمثل في الاحكام الفقهية المنظمة لسير الحياة الدينية والمقتضية لتعاطل واداء العبادات العمليتين صلاة وصوم واعتكاف الخ ...

لقد حاول الرواس عبدلة المجتمع السني القبرواني في مجال اقامة شعائره الدينية وذلك باحلال الشعائر الرافضية محل الشعائر ~~السننية~~ لكن علماء السنة بالقبروان لم يتفهموا مستوفي الايدي وملجمي اللسان امام هذا الصنيع حيث تصدوا بهتف وشجاعة فاقت حد التصور وكان اول ضحايا هذا التعبد الجاهل ~~الفقيه~~ ^{ابن البرزقون} وابا بكر ابن هذيل بسبب افكارهما البدع التي طفق العبيديون في نشرها وترويجها وحمل الناس عليها بالترغيب تارة وبالاكراه اخرى من ذلك ما اوردناه صاحب المعالم من قوله (وسعى القاضي محمد بن عمر المرودي - بابن المرزوق وبالفقيه ابي بكر بن هذيل ابى العباس الشيعي فامر حسن بن ابي خنيز عامل القبروان ان يقتلهم معا فضرب رقابهما وطبقا بهما مسحوقين على رؤسهما قد ربطا اليه سند بانل نجرهما من باب تونس الى باب ابي الربيع فعلقا هناك) (1) وكان من اوائل ضحايا العبيديين اذا استشهد سنة 297 هـ علمه الراجح (2) وقد تكفل الله بالانتقام لهما ان لم تمر ايامنا حتى نل كل من ابى العباس واخيه ابي عبد الله الشيعي في شهر جمادى سنة 298 هـ (3)

(1) معالم الايمان ج II ص 262

(2) انظر تعليق المحقق معالم الايمان ج 2 ص 263

(3) التامل ج 8 ص 50 - 53

لقد ألقوا أبو العباس المصم، يديه في القيروان ثم ما ترويه أخباره بعد الله لقاءً ذهابه الم
سجلاً سنة لقاء أسرمعبد الله المهدي وابنه فعات أبو العباس في القيروان فساداً حيث أطلق يد
قاضيه المروزي المشيم فعذب بعض العلماء وقتل بعضهم الآخر لالتمس إلا لعقيدتهم السنة
كان بطريقه تسمى طواياهم رابى القاسم الطوزى ناصي صفية كما قتل أبي البراءة وراسل هذيل
(1) ولم يكتف أبو العباس بهذا التدمير وإنما القتل بل خطا إلى ما هم وهو المقصود بالذات
من هذا الإرتاب وذلك عندما أمر بزيادة (جبل) على جبر العمل في الأذان) ومنع الناس من
العمل في رمضان بالمساجد (وأخذ الأموال الأعيان والحصون وأخذ الأسلحة التي في الرياضات
وأمر الغنم أن لا يكتبوا وثيقة ولا يفتوا الأمن سوق أو كفر وأمر أن تزال عن الحصون أسماء الدين
بنوها وأمروا بها من السلاطين ويكتب اسم المهدي) (2)

لقد تم هذا كله قبيل سنة 290 هـ وهي السنة التي قتل فيها الشيعيان أبو عبد الله وأبو
العباس وعندما ينظر الباحث المنصف إلى مثل هذه التغييرات وسرعة حدوثها لم يتبين أن هدف
الروافض لم يكن استعمار الأرض فقط بل يتجاوز إلى عبء التفكير واجتثاث التراث السني من
جذوره وطمس كل معلم ثبتت سنية هذه البلاد وبذلك ترى أن خطر الروافض تجاوز الاستيلاء على
الأرض إلى استرقاق العقول وطمس التراث وهو عمل يعتبر في حد ذاته أقوى حجج وأوضح برهان على
الروح العدائية التي كان الحبيبيون يحكون بواسطتها البلاد ويستبدون بها العباد وخاصة
أن هذه الروح العدائية استهدفت في أول ما استهدفت النمط السني للحياة الدينية والاجتماعية
لأفريقية السنية لكن علماء السنة بحواضر إفريقية وخاصة بالقيروان لم يرضخوا لسياسة الأمر الواقع بل
قاوموا بعنف تشييعهم وعبد لهم مجتمعهم واجابتهم عن رسالة أبي جعفرين نصر الداودي الأسدي
(3) الداعية إياهم لمغادرة القيروان لأقوى حجة على نضالهم المستميت ودافعهم الصادق من
أجل لقاء أخريقتهم سنية كما كانت منذ فتحها في العصر الأول ومن مظاهر هذه المقاومة مقاطعتهم

(1) معالم الإيمان ج II ص 291

(2) 291 - 292

(3) ترتيب المذارك ج 2 ص 623

الجماعية المساجد ولما يندره العبيدون من مراسيم وتنظيمات ومجادلتهم والانتصار على دعايتهم
 في كل طرف وفي كل مكان وإبطالهم بالحجة الدامغة لما يزعمونه من أقاويل ما أنزل الله بها من سلطان
 وإن أشدهم عليهم في هذه المناظرات جيلة بن حمود (1) وابن سعيد بن الحداد (2) وما يروى
 عن جيلة بن حمود (أنه لما بلغه أن عبيد الله العمدي لما دخل إفريقية ونزل رقادة ترك جيلة
 سكنى الرباط ونزل القيروان فكلّم في ذلك فقال كما نحرس عدواً بيننا وبينه يجر - مشيراً إلى مربيته
 بالمنستير - ولأن حل هذا العدو وسياحتنا وهو أشد علينا من ذلك فكان إذا أصبح يمشي الصبح
 خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة معه سيفه وترسه وسهامه وحلّس مائة من الرقادة إلى غروب
 الشمس ثم يرجع إلى داره ويقول : اننوس عورات المسلمين منهم فإن رأيت شيئاً منهم حركت المسلمين
 عليهم) (3) أن هذه العناية المبنية على مقاطعة هؤلاء نجدوها تستمر كاختيار وطني وديني
 لكل شيخ القيروان إذ مرت بنا مراتف مثالة لها لابن اللباد وأبي الفضل العمسي وأبي العرب
 التميمي وربيح القطان وأبي اسحاق السبائي بالخصوص (4)
 وكان جيلة بن حمود يذكر الخروج من القيروان متى ولو كان الداعي هو المراقبة لحماية المسلمين
 من الاعتداء الخارجي (أنه كما قال (جيلة هؤلاء أفضل من جهاد الشوك) (5)
 وإذا كان جيلة عاجزاً عن إيقاف الزحف الرافضي بالسلاح إلا أنه لم يكن عاجزاً عن مقاطعتهم ومقاطعة
 المساجد عندما غيروا معالمها وبدلوا سنة الأذان والالتامة فيها ويذكر أنه لما دخل عبيد الله
 العمدي القيروان وخطب أول خطبة له من على منبر مسجدها الجامع في أول جمعة له بالقيروان
 جيلة جالس عند المنبر فلما سمع كنزهم قام قائماً وكشف عن رأسه حتى رآه الناس وخرج يمشي إلى
 آخر الجامع وهو يقول : قطعوها قطعهم الله فما حضرها أحد من أهل العلم بعد ذلك (6)

(1) جيلة بن حمود (212 - 299) أحد تلامذة كُتّيب كان مربيها عالماً فاضلاً انظر ترجمته معالم

الايمان ج ١١ ص 270 - 280

(2) أبو عثمان سعيد بن محمد الخسائي المعروف بابن الحداد سمي بذلك لعدة ذنوبه سمع من
 كُتّيب وغيره كان عالماً عارفاً ذا مقدرة بغيره لم يبق عيب انوار ترجمته في معالم الايمان ج 1 ص

295 - 314

(3) ترتيب المدارك ج 2 ص 251 - 252

(4) انظر ترجمته ص 90 بهذا البحث

(5) معالم الايمان ج 11 ص 273

(6) ترتيب المدارك ج 2 ص 252

ولم تكن هذه المقاطعة يستوثقه على علماء باعينهم بل كانت عامة من ذلك ما قرأه في ترجمة أبي الحسن الدباغ (1) (353هـ) والذي نصه (كان رحمه الله تعالى إذا كان يوم الجمعة تظهر ولبراحسن ثيابه وتردى (2) وتطيب وراح إلى الجامع فإذا انتهى إلى باب الجامع رفع عينيه إلى السماء وقال اللهم اشهد ورجع إلى بيته) (3) وبالمقارنة بين وفاة جيلة الدباغ نجد أن الفارق الزمني يصل إلى أكثر من ستين سنة مما يثبت لنا أن المقاطعة لا تنبثق من «السلطة» الروافضية بل كانت من أهم ميّزاتها على الاستمرارية الأبدية وهذا هو السر في فشل الروافض ونجاح أهل السنة. ويشهد غضب جيلة لما بلغه أن بعض أهل القيروان قد خن لعلاقة ^{أبي} لا بعدد الله الشيعي عند دخوله القيروان أثناء أسره فقال -جيلة اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليه وأنتم لذلك فما شديدنا فلما انتهوا إلى وادي أبي كريب (4) جردوا وأخذت ثيابهم فلما عرفوا جيلة بذلك قال ماغنى عنهم إلا رجل واحد فيه خير لادنيا له والرجل هو حماس بن مروان القاضي (5) (6) بل وصلت مقاطعة علماء أهل السنة للروافض إلى حد عدم الصلاة على الاموات المشاركة كما حدث بين جيلة وابن زيد بن ريس ابن الليث وابن هشام وغيرهم كثيرين ويذكر صاحب الدال ما حدث بين جيلة وابن زيد بن نقال (ونصر جيلة جنازة رجل سني وحضر ابن زيد بن نقال جنازة رجل عراقي

(١) أبو الحسن الدباغ : (271 - 359هـ) هو أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور عمى الدباغ سمع عن جيله رفيعه وبدأ في التدريس سنة 353هـ سنة 356هـ سمع عنه طلبه القيروان أبي الحسن القاسمي الذي كان عليه اعتياده وكانت له صحبة بالدجائي (مالم الايمان ج ١١ ص 75 - 78)

(2) تردى بمعنى ارتدى

(3) معالم الايمان ج ١١ ص 77

(4) واد بجوف القيروان على طريق تونس اسمي بذلك لموت القاضي أبي كريب فيه عندما خن لعائلة الصنوبر سنة 139هـ انظر معالم الايمان ج ١١ ص 225

(5) حماس بن مروان القاضي : (222 - 304هـ) اخذ عن سمكون وابيلة بن محمود ومحمد ابن ميدوس وثقه على نسبة لقيروان تولى القضاء سنة 290هـ واستغنى منذ سنة 294هـ كان عالما زاهدا انظر ترجمته بمعالم الايمان ج 1١ ص 320 - 330

(6) معالم الايمان ج ١١ ص 273

المسجونين) (1) ولم تقف هذه القضية عند هذا الحد بل ابلغها القاضي الصديقي الى ابي الاغلب بخبره بما فعل جبلة فاجابه (مد يدك الى من شئت واحذر جبلة) (2) فما اشبه الجيل الثاني بالجيل الاول وما اشبه السبائي بجبلة من حيث الصمود على الحق على الرغم من الظلم والارهاب ومن مظاهر هذا التماثل في المواقف طرد السبائي لرسول الامير الشيعي ووصفه بالشيطان (3) وهو نفس الموقف الذي وقفه قبل ذلك جبلة عندما جاء مبعوث الامير وكان اسمه - حينئذ - حيث قال له : يقرئ لك الامير تكرير الاقامة وسلم اثنتين ولا تقف في الصباح فقال له جبلة (لربما لن سلكك جدك سحنون وانت سحنون الامير لا تعلمنا امر ديننا وجاءه يقبل ذلك عن المروزي وقراءة باسم الله الرحمن الرحيم وزيادة هي على خبير العمل في الاذان فقال له جبلة : مرقبج الله من ارسلك وفتحك فاخبر الرسول المروزي فسبه وقال له انا ما ارسلناك الى جبلة تأتي الى اولياء الله تعرض لي دعائهم) (4) ولم يكن جبلة يخشى سلطة العبيد بين ولا يهاب امراءهم ولا يخاف مواليهم حتى قيل ان صاحب المحروس تجسس عليه يوما فقبض عليه جبلة وادخله المسجد وضربه بالجريد حتى تاب ان لا يعود اليه) (5) وبقيت هذه مواقفه الى ان اختاره الله الى جواره سنة 299 هـ .

وعلى الرغم من وفاة جبلة بن حمود فان موقف الرضا للثقلات الشيعية لم يتبدل ولم يتزعزع عن مكانه فقد انملة ان لم يزد تصميما وثباتا بل انتقل الامر من المقاومة السلبية الى المقاومة الانجائية امام العموم وذلك عندما تحرك شيوخ اهل السنة بمناظرة الدعاة امام الجماهير وكان من أشهر شيوخ اهل السنة الذي عرى الفكر الرافضي وابكت السنة دعاته هو ابو عثمان سعيد بن الحداد (302) هذا الشيوخ السني

-
- (1) معالم الايمان ج II ص 277
 - (2) ترتيب العذارك م 2 ج 3 ص 252
 - (3) انظر معالم الايمان م 2 ج 3 ص 252
 - (4) ترتيب العذارك م 2 ج 3 ص 252
 - (5) معالم الايمان ج II ص 278

الذي اعطاه الله بسطة في العلم وسلاسة في التعبير وبلاغة في الاداء وقوة في الحجة مع الحفاظ الجيد للقرآن والمعرفة العميقة بعلومه والاطلاع الواسع على السنة والاحاطة بصحيحها وحسنها وضعيفها يعتبر بحق درة فقد شيوخ القيروان في الجدل والمناظرة ولا استعبد ان يكون شيخنا ابن ابي زيد قد تأثر بمنهجه في الدفاع على اهل السنة والذب عن مذهبهم وخاصة اذا ما علمنا انه تلمذ على ولده ولهذا قال أحد الباحثين ان ابن ابي زيد يعتبر الطالب الروحي للشيخ ابي عثمان بن الحداد (1)

ان المناظرات التي جمعت بين ابن الحداد ودعاة الروافض وشيوخهم لتعتبر في نظري بداية للرد العلمي والمقاومة الايجابية لعلماء اهل السنة لهذه الاباطيل والافلالات اذ كانوا كما رايناهم سابقا يكتفون بمقاطعة كل ما يصدر عن السلطة من مراسيم بدون ان يعلنوا في الناس ذلك اعلانا عاما وعلنيا وابتعد ان اهل السنة لما اُفتبهاوا الى سلبات هذه المقاطعة على نفوس العامة خرجوا عنها وتركوا ثوبها الى منهج يقوم على مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل في كل مجالات الفكر والشرح ان مطالعة نص احدى هذه المناظرات لتضع اصابعنا على طلائع المنهج الفكري الذي بدا يصرى في اوصال الفكر السني عامة والفقه المالكي خاصة وذلك في بداية القرن الرابع للهجرة ليقف بعد ذلك على سوقه قويا بادلته متينا بتخريجاته على يد فقهاء القرن الرابع عامة وابن ابي زيد فقه المائة الرابعة خاصة وللتدليل على صحة ما ذهبت اليه اورد نصا موجزا كالمودج لهذه المناظرات (ارسل هدا الله بن عمر المروزي في طلب العلماء مذهبهم ومراقبتهم فقال اني امرت ان اناظركم في قيام رمضان فان وجبت لكم حجة رجعنا اليكم وان وجبت لنا رجعتم اليها فقال ابو عثمان : فقلت له ما تحتاج الى مناظرة فقال لي : لا بد منها فقلت له : شألك وما تريد فقال : استم تعلمون وتروون

(1) P. 128 Kauramamais وقرئتم DEUX

(2) انظر كتابه المرحوم ح ح عبد الفتاح في هذا الميدان للدراسات النسخ الاول تر ١٩٢ - ٢٦٦ . فصل بيت الحكمة السوسي -

ان النبي صلى الله عليه وسلم تسليها لم يقم الا ليلة ثم قطع وان عمر بن الخطاب هو الذي استن القهام وجاء في الحديث تروونه تروونه ان كل محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فقلت له هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عز وجل ويذم من تركها فقال : واين نجد في كتاب الله عز وجل ؟ قلت في قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فلنحن نثابروا على هذه البدعة التي هي رهبانية لئلا يذمنا الله عز وجل بما ذمهم فقال : من صلى القهام ضربت عنقه فقلت له قد قلت لك هذا اولا ماتحتاج الى المناظرة فلم تقبل (1)

امثال هذه المناظرات في اوائل القرن الرابع هي التي جرأت الشيوخ وأقوتهم من عزلتهم مواصلين طريق الرفض للوجود الرافضي حكما وعقيدة واحكاما وشعائرا بل وصل بهم الامر الى معاضدة ثورة الخوارج لان الخوارج كما قال الممسي (من اهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام يهرثون ويؤثرون ويؤعبون ليسوا كذلك لانهم ما جوس قال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم) (2) وكان ماكان من خيانة الخوارج لفقهاء القبروان عندما لاحت علام النصر على العبيديين في الافق قرب اسوار المهديّة فانقلب نصرهم الى هزيمة شذما ومجزرة اليمّة ذهب ضحيتها جمعا من هؤلاء الشيوخ الابرار الذين تحدوا الروافض بصمودهم وقوة مناظراتهم وهنائة حججهم . وهكذا تكون قد اعطينا صورة موجزة من الحوار الذي كان قائما بين الفقهاء السني والشيعة في بداية الحكم الرافضي لافريقية والمغرب وراينا كيف ان علماء اهل السنة قد تطور صمودهم السلبي الى صمود ايجابي اتخذ في بعض الاحيان شكل التناظر وفي احبان اخرى شكل المقاومة المسلحة بالإضافة الى استمرارية المقاطعة الكلية لكل ما يصدر عن السلطة من مراسيم هدفها تغيير ملامح المجتمع السني سواء بالقبروان أو بغيرها من حواضر بلاد افريقية والمغرب .

(1) معالم الايمان ج II ص 301 - 302

(2) معالم الايمان ج 3 ص 29

بقينا كلما ازدادت محاولات الرافض للتغلغل في الحياة الدينية والاجتماعية لهذا المجتمع السني كلما قويت مقاومة هذا المجتمع لهذا التغلغل حتى وصل به الحد الى التحالف مع الخوارج لقطع دابر الرافض (1) وطوال هذه الفترة التي امتدت من سنة 297 هـ الى سنة 327 هـ وهي السنة التي برز فيها اول عمل علمي لشيخنا الشاب ابي محمد عبد الله بن ابي زيد القهرواني الذي لم يرد اسمه طيلة هذه الفترة وما ذلك الا لكونه لا يزال صغيرا منصرفا بكليته الى الاخذ والتحمل ولا شك عندى ان ابن ابي زيد كان يراقب هذه الاحداث عن كثب وكانت تصله اصداءها من قرب او من بعد وكلما تقدمت به السن ازداد بالاحداث التصاقا وتكشها معرفة وما تأليفه لكتاب الرسالة الا تعبير منه كشاب سني مثقف يحس بواجبه نحو المجتمع المناضل الذي يلتصق اليه ، ولم يكن هدفه من وراء وضع هذا الكتاب سوى حماية النافذة السنية من البدع الشيعية وخاصة في ميدان العقيدة ولا استبعد ايضا ان يكون قد الف الجزء الاول من الرسالة وهو الجزء العقائدي في هذه الفترة بالذات ولا استبعد ايضا الذي اشار عليه بذلك هو شيخه المجاهد ابو اسحاق السبائي الذي كان من زعماء الفقهاء المناهين لبني عبيد ان لم يمكن من اشد هم مناوأة على الاطلاق .

قلت بداية من 327 هـ بدأ ابن ابي زيد شيئا فشيئا في البروز واصبح اسمه يسجل حضورا في حلقات المشيخة وفي مواعيدهم وكانت سنوات الثلاثينات قد شاهدت كثيرا من تحركات ابن ابي زيد وتصميمه على مجابهة الهجمة الرافضية على مجتمعه وعلى شيوخه وقد رأينا سابقا هذا التصميم في وصوله الى شيخه ابن اللباد ورثائه للشيخ ابي الفضل الممسي ثم رويدا رويدا بدأت مواقفه الفقهية تتجدد مكانها بجانب مواقف اصحابه وشيوخه من ذلك قوله بارتداد كل من اعتنق المذهب الرافضي ولو كان مكرها على ذلك مصداق ذلك ما اردته عياض بين قوله (ولما حمل اهل طرابلس الى بني عبيد اضمروا ان يدخلوا في دينهم عند الكراه ثم ردوا عن الطريق سالمين فقال ابن ابي زيد

(1) معالم الايمان ج 3 ص 29

رضي الله عنه هم كفار لا اعتقادهم ذلك (1) ويذكر صاحب المعالم هذه القضية فيقول (قال يوسف بن عبد الله الرعيني في كتابه قال الشيوخ ابو محمد بن ابي زيد وابو القاسم بن شهلون وابو الحسن القاسي وابو علي بن خلدون وابو محمد الضبي وابو بكر بن عذرة لا يعذر واحد في ذلك لانه اقام بعد علمه بكفرهم وكفرهم ارتدوا وزندقة بخلاف غيرهم) (2) وقال الشيخ ابو القاسم بن الدهان لان كفرهم خالطه سحر فمن اتصل بهم وخالطهم خالطه والسحر كفر (3) مهلق ابن ناجي على قول الشيخ بن ابي زيد قائلا الا قرب انهم ليسوا بكفار وانما صرح ابو محمد بما ذكره مبالغة لتغيير العامة لان المطلوب سد هذا الباب (4)

وبذلك يرى ان طلاب النصف الاول من القرن الرابع قد أصبحوا الان شيوخ مجتمعهم في النصف الثاني من القرن الرابع حيث تسلموا مشعل المقاومة من شيوخهم المناضلين وادوا الامانة بصدق واخلاص مستفيدين من تجارب شيوخهم في هذا الميدان ومعاونين على اقوالهم وكتائبهم في هذا المجال الحيوي من الفكر الاسلامي وعلى الرغم من ازدياد الضغط الرافضي وعنفه واتهماء الصلف العبيدي وطغيانه تبعا للاستقرار الدولة واتساع مواردها وكبر مساحتها فان هؤلاء الشيوخ الشباب لم يتوانوا عن احباط كل مؤامرة تدبر ضد مجتمعهم طمعا في تغيير معالمه السنية بهدف ايقاعه وتشريكه على حد قولهم. هذا انصمود الاجابى استقطب في ايدي العبيديين ما جعلهم ينفرون في نقل عاصمتهم الى مصر بعد ان يسوا من اهل المغرب وفعلوا ذلك في سنة 362 هـ عندما ارتحل المعز المدين الله الفاطمي الى مصر وابتنى هناك القاهرة المعزية وبهذا الارتحال المزعوم فيه من طرف اهل السنة خف الضغط الرافضي وبدأ الاطمئنان يعود للنفس شيئا فشيئا . والملفت للنظر ان ابن ابي زيد قد وضع اغلب مؤلفاته بداية

(1) ترتيب المدارك ج 2 ص 4 و 720

(2) معالم الايمان ج II ص 265

(3) ترتيب المدارك ج 2 ص 4 و 720

(4) معالم الايمان ج II ص 265

من النصف الثاني من القرن الرابع وهى مؤلفات بلغت حوالي الاربعين او تزيد ونحن لو سألناها لوجدناها صنفين صنف دون من اجل تطوير الفقه المالكي وجمع اقوال علمائه وتقريبه من الافهام ويشمل هذا الصنف كتاب الرسالة وكتاب مختصر المدونة وتبذير العقبة والنوادر والزوائد بحيث كل هذه المصنفات هي مصادر هامة على ذمة الفقهاء السنيين يرجعون اليها ويستجدون بها ساعة الحاجة سواء للدرس او للرد .

اما الصنف الثاني فهو يشمل رسائل عديدة دونت لاسباب متعددة منها الرد على البدع الشيعية في ميدان الفقه الاسلامي ككتاب الاقتداء باهل السنة وكتاب الذب على مذهب مالك وكتاب التنبيه على القول في اولاد المرتدين وكتاب تفسير اوقات الصلاة وكتاب المناسك رسالة اعطاء الفتاوى من الزكاة وكتاب فضل قيام رمضان (1) ومواضيع هذه الكتب كلها مواضيع وقع التناظر فيها بين اهل السنة ~~والمذاهب~~ واهل التشيع من ذلك ان كتاب فضل قيام رمضان هو في الواقع رد على البذعة الشيعية القائلة بعدم جواز قيام رمضان لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك وانما هو عمل امر به عمر وموتقهم من عمر وبقية الصحابة معروف يقول الهادي الدريسي في هذا الموضوع عندما اورد اسم الكتاب المذكور آتينا كان لما لكي افريقية عوائد خاصة في قيام رمضان ~~حازل الشيع~~ ابطال هذه العوائد (2) مما ترتب عنه غضب شديد في الاوساط السنية مما دفع علماءهم الى الرد على هذه البدعة الشيعية والغواشي ذلك عديد الكتب منها كتاب ابي محمد هذا . واعتقد ايضا ان تابه : تفسير اوقات الصلاة ما هو الارد على الفقه الرافضي القائل بزيادة حي على خير ال هل في الاذان والهاجع لناقلة النضحى والقائل بالبسطة والسليمتين ولا دل على ذلك مما ورد في ترجمة ابي الحسن الدباغ (359 هـ) (وكان ايام بني عبيد لا يؤمن الاعلى سنة الاذان ولا يقول - حي على خير العمل) فحماه الله منهم ولقد كان اذن فخطبته نفسه

(1) ترتيب المدارك م 2 ح 4 ص 494

(2) DEUXieme Kharidat P. 143

يقولها وإن لم يقلها ، وقالها فلما فرغ إذ اسود ناصب حريته بين كفيه ان لم يقلها طعنة بها
نعناه الله وكان يقول للناس : تعالوا على الأذان على سنة انفسكم فاذا فرغتم فقولوا حي على
خير العمل فانما اراد بنوعبيد خلا المساجد لفعلمكم هذا وانتم معذرون خير من خلا المساجد (1)
وكما تأثر ابن ابي زيد بشيخه ووقف موقفهم فقد اثرني تأميذه فوقفوا مواقفهم سواء في مقاومة
بدع المتدنية كما فعل السمار الغبري بالاندلس او في ميدان الثقة كما فعل ابن السمر قاضي طرابلس
الغرب والذي يعتبر اول من اعاد السنة اعتبارها بالجزء الشرقي من بلاد افريقية والمغرب ايمان
وقعه المشاركة سنة 407 هـ ذلك بكل المواضع واعاد الاذان السني وحذف : حي على خير العمل -
كما اعاد تيام رمضان واداء فائقة الحصى علانية وغير هذا من شتات المجتمع السني (2)
ولاشك عندي بعد هذا العرض الموجز ان ابن ابي زيد كان في حلقات الدبر وفي نشاطه
الاجتماعي كغيره من علماء اهل السنة محللا للاحكام الفقهية مبينا لادلتها داعيا الى التمسك بها
لان في هذا التمسك تمسكا بحبل الله وتعلقا بشريعته المسمحة التي ترفض عبودية الانسان لغير الله
فرحمك الله ابا محمد ورحم الله شيوخك الذين علموك كيف تقف وكيف تدافع عن عزة الاسلام وصفاً تعالىمه
وظهرتها حتى اصبحت تواليك تغني عن مدحك وتنصح عن فضلك وتدل على علمك .

(1) معالم الايمان ج III ص 76 - 77

(2) رحلة التيجاني ص 265 - 267

لاعتقد ان هناك باحثين يختلفان في إيجابية الأمر الذي تركه الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني في منهج الفقه المالكي خاصة وفي راب تاريخ التشريع الاسلامي عامة ويزداد اكبارنا لهذا العيبود الفكري اذا ما وضعنا في عين الاعتبار الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت عليها بلاد افريقية والمغرب منذ نهاية القرن الثالث الى بداية القرن الخامس للهجرة ولايفوتنا ان نقول ان هذا الوضع السياسي كما كانت له مظاهر سلبية على الحياة العامة كان له ايضا تأثيرايجابيا على مجال الدراسات العقائدية والفقهية ذلك ان عزيمة بني عبيد وتصميمهم على عبدالله المجتمع القيرواني السني اوجد في نفسية هذا المجتمع بخاصته وعامة خاصية التحدي فكانت المناظرة والمجادلة وبدون ان يستكين احد الطرفين للآخر وبدون ان يسلم له بصحة آرائه وبسلامة منهجه الفكري ومكانة مذهبه الفقهي العملي، وكانت هذه الاختلافات كثيرا ماتحتم بالسجن او بالاقامة الجبرية في احسن الظروف اما في اسوأها فانها تختم بالضرب والقتل والصلب على ابواب القيروان ويتدر مايزداد هذا الوضع تعقيدا بقدر مايزداد اهل السنة وخاصة الموالك منهم اقبالا على البحث والتنقيب باستقراء النصوص وجمع اقوال الائمة معتبرين عملهم هذا من باب مقاومة الفكر الانراضي التي هي جهاد في حد ذاتها بل انها اعظم اجرا من جهاد الكفار على حد قول جبلة بن حنود مما دفع بعضهم الى ترك امكتنهم في الرباطات والعودة بسرعة الى القيروان لحماية الفكر السني من التلوث ولهذا قالوا لايجوز الخروج من القيروان بأية حالة من الاحوال وحتى لو ان يهدف الجهاد وحماية الوطن من العدوان الخارجي (1) اذن نرى مفهومنا جديدا للجهاد برز اني حيز الفكر وممارسته لا وهو الجهاد الفكري في ميادين المناظرات وطلقات الدروس

وإن نبيحنا ابن أبي زيد أسد الشيوخ الذين رأوا أن هذا المنهج هو الأسلم في مواجهة هذه
 الهجمة الرافضية الشرسة، ولهذا تركز عمله أولاً وبالذات على إعادة النظر في أمهات الكتب في
 الفقه المالكي وإزالة ما علق بها من مخبر السنين الخوالي إلى عصره، إذ كان الفقه المالكي هو
 الفقه الرائد صاحب الأغلبية على الساحة الفكرية بالقيروان لكن تجديد وسائله وتنقية مصادره
 وتبويبها من جديد يقتضي من المجدد ثقافة عميقة وشاملة وهذا ما فعله ابن أبي زيد إذ أقبل
 على دراسة الفروع والتعمق في الأصول والمحافظة بعلم الوسائل وعلوم المقاصد مستفيداً في الآن
 نفسه مما منح الله من صفات تجمعت فيه وتفرقت في غيره هذا بالإضافة إلى العبارة الأكفأ من
 الشيخ الذين أخذوا بيده وسهلوا أمامه سبل التحصيل وبذلك عجلوا بتفتق إمكاناته العلمية
 وسارعوا بانزاله إلى ساحة البذل والعطاء في ظرف كان للمجتمع القيرواني في أشد الحاجة إلى
 أمثاله وقد تحققت هذه الأمنية عندما ألف كتاب الرسالة والذي يقف على قمة التجدد المنهجي
 في ميدان التربية والتعليم الذي شاهدته مذاهب أهل السنة في القرن الرابع ولا أدل على
 ذلك من موجة الفرج والأقبال المنقطع النظير الذي استقبل به هذا الكتاب من طرف الشيخ
 والطلاب على حد سواء هذا النجاح يعود في حقيقته إلى هذا المنهج الجديد الذي برز
 عليه الكتاب إذ صاحبه لم يعمد إلى جمع المحفوظات وإيراد الأقوال على عواهنها بل اختار عملية
 الاستقراء والاستنتاج لما يبين يديه من نصوص أمهات الكتب فهو لا يأخذ بنصوص الدونة على
 غلاتها بل كان يفهمها ويستقرئها فيخرج منها بعد هذا الفهم وهذا الاستقراء ما يعتبر
 خلاصة الخلاصة وزبدة الأقوال ولا أدل على ذلك من النص الذي أورده الدباغ والذي يقول فيه

(وكان أبو محمد يعتبرها على المعنى فقناولها) (1) أي المدونة وبذلك ثلثمران أبا محمد لم يكن من المناقِلين الحافظين فحسب بل كان الناقل الحافظ الذي يعرض المنقول والحفوظ على محك البحث ومنفعة الاستنتاج .

ان هذه الدراسة الواعية الجادة للفقهاء المالكي هي التي جعلت الانساب يقدمونه عند المراجعة والمباحثة ويميلون الى رأيه عند المناظرة والمجادلة ولا ادل على ذلك من تلك المجالس العلمية التي كانت تعقد تحت اشراف شيخهم السبائي والتي كان فيها أبو محمد نزيل الزمان ودرة عقدهم المنظوم حتم ان اراءه كانت تقلد من طرف شيوخه زيادة عن الاصحاب والطلبة وما ذلك الا لقوة ادلتها وسلامة ترجيحاتها اننا قد اوردنا نصحا كثيرة في كتابنا هذا البحث تلهج بعده الخصائص وتثني على هذه الصفات في أبي محمد ولذلك لا ارى فائدة في المجادة ذكرها هنا .

وأبو محمد عبدالله بن أبي زيد لم يكن من العلماء الذين يعيشون في برجهم العاجي بمعزل عن المجتمع واحداً وطموحاته في التحرر من الظلم والاستعباد بل كان يعيش في خضم هذا المجتمع ويتتبع بعين العالم البصير جميع الحوادث ويوجد لها بعلم الشيخ العلامة الحكم العادل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واذا ما اعوزه ذلك فانه كان يقيس النظائر على اشباهها والحوادث على مثيلاتها مختاراً اصح الاقوال بعد ان يترجم بعضها على يعرض بدون ان يخرج على المنهاج العام للمذهب المالكي كمذهب من مذاهب اهل السنة والجماعة .

ولم يكن يقتصر في متابعتة هذه على احداث القيروان وحواسرها القريبة بل كانت متابعة عامة وشاملة لما بعد وقرب من انصار سوا بلاد المغرب او ببلاد المشرق فهو يكتب رسالة الى اهل سجلماسة في تلاوة القرآن وهو يضع رسالة تبين منهاج الحياة لاهل المدينة وضرورة الاقتداء بهذا

رعد د صوته سوف يتألم الماحضون وانفكعوا
وعلماء الثانون على الزمن الخويل الذي يبعوه باغراسهم على تحقيق هذا الاثر الذي ماترك نصية
من تسايا الحياة الا وورد فيها حكما محتمدا في ذلك على مصادر التشريع الاسلامي واقوال العلماء
والسلف الصالح ان دعوتي هذه من فوق هذا المنبر الكريم بعلمه الشريف وباهتمامه فقهائه لاتدم
جامعة في عالمنا الاسلامي هي دعوة مؤمن من يقرات امته الاسلامية الحربية... لان الوقت قد حان
لا لثة الغبار على هذا التراث وعلى صفحاته واخراجه من دها ليزانه تبات الدامة وانزال من على
رفوف المكتبات الخاصة وابرازه للورى حتى يستفيد منه الفكر الانساني وينهض بواسطة نشره الفكر
الاسلامي من سباته ويترك الشطل على موائد الغرب ذات القوانين الوصعية والتي ما نزل الله بها
من سلطان لبشريتها الناقصة ولا هدافها التي تزيد القوى جبروتا والضعيف ظلما ومهانة في
حين ان احكامنا الاسلامية ما هي الا سريعة الله... ولن نستعيد عزتنا وامجاد القيروان الا اذا
ربطنا حاصرنا بما غينا وفدنا بامسنا وذلك عن طريق العودة الى مصادرنا لانها ينبوع لن يجف
معينه ومنهل لن يغور ماؤه مادامت الله اكبر شاربنا وما دام الاذان ميزة مدننا وقوانا .
تلك هي حقائق يدعها الباحث وعو يتجول بين صفحات هذه الموسوعة التراثية ذلك ان
صاحبها لم يكن من الذين يتفنون عند ظواهر النصوص لكن موسوعته خاصة بعصره بل كان من العلماء
الذين يستقرون النصوص وينعون الاحكام للحاضر والمستقبل لانه كان من الذين يقيسون الحوادث
على اشباهها والنظائر على مثالاتها من ذلك انه مثل (ايحوز البحث عن عمل الكيمياء والتفقه على ابيها

على ان الاهابة فيها في حكم النادر - وهل يؤجر على النفقة وعلى نصبه وتعبه ام لا ؟ وهل يسوغ اطلاق اللفظ بالكتاب عن فائدتها بالماه الالاهى ؟ ام هذا اللفظ موهم لايحل النطق به ؟ فاجاب الذى يظهر لي ان طلب ذلك من السفه والنفقة عليه من اضاعه المال لعدم الاصابة في ذلك والله اعلم (1)

والذى يجب ملاحظته ان الكيمياء في عصره ليست هى الكيمياء في عصرنا وذلك لان في عصره لم تكن هناك المعامل الكيميائية ولم يكن الانسان قد اكتشف كل العلاقات التى تربط بين الاشياء ولم تكن لديه امكانيات التحليل الموجودة عندنا اليوم بل كانت الكيمياء في عصره نوعا من التنجيم الذى لا يخضع للقانون العلمي ومنطقه فلورجع ابو محمد الى عصرنا واطلع على ما وصل اليه الانسان في هذا الميدان لكان رايه غير الذى عرضنا عندما اصبحت الكيمياء علما مستقلا له نظريات التى يمكن تطبيقها والاستفادة منها في كل مجالات الحياة وعلى رغم ذلك فان اجابا بي محمد اتسمت بامرئين : اولهما استقلاله في الرأى حيث قال (الذى يظهر لي) وقوله هذا يشعرنا بانه في الامكان ان يكون هناك رأى لعالم آخر قد يكون مناقضا لرأيه وقد يكون مصيبا في هذه المناقضة . ثانيهما : تركه للمجال مفتوحا في قوله في مخالفة رأيه (والله اعلم) وهذا يشعرنا بان ابا محمد نفسه غير مطمئن لما ذهب اليه لما ينتقصه من ادلة وبراهين في حين نجده في غير هذا المكان يصح برأيه قائلا : والذى أقول به والذى عنيه اصحابنا ان الكثير من مثل هذه المواقف تصادفها

في مصول النوادر والزيادات وقد رأيت من تمام الفائدة ايراد امر يتحدث عن هذا الموضوع الذي كان احد معاصري ابي محمد من علماء القيروان من اهل الا- تصاير فيه وهو ابراهيم بن الحارث الخشني (1) (364) قال ابن الغرضي وكان - الخشني - يتعاطى صناعة الكيمياء قلت وفي آخر هذا ينص انه ينسب من دارهمها ونقله عياض والعواني وسكتا واخذ بعضهم بهواز فعلموا من قول المدونة في كتاب الصرف وليس بصواب وانما قصد ذلك لاستعمال الناس له لرخصة وقيل لانه لا يأتي منه الصياغة بخلاف الايريز لانه لا ينكسر على ما يزعم الصانع مع ان اصول المذهب تدل على تحريمها فل الشيع ابو محمد في رسالته ولا يجوز في البيوع التدليس ولا الغش ولا اله- لاله ولا ان يكتم في امر سئته ما اذا ذكره كرهه المبتاع او كان ذكره ايجز له في الثمن فاخذ منه بعض المغاربة ان عملها لا يجوز لان من يدفع له من ذهبها شيء لو علمه ما قبله ولا يمكن ان يثبت له لكونه يخاف على نفسه من السلطان ويقول ايها (وقد كان رجل من اصحاب المازري يطلب تعليمها فسا فر بقصد ذلك ثم باه بدنيا وافرة رأتى بشيء من صنعته فامر المازري باستخباره فنظره اهل المعرفة فكل من رآه يقول طيب فقال : ابقى احد ممن يعرف الخبيث ؟ فقالوا نعم فلان وقد لزم داره من كبر سنه فقال : اصحابه يعرفونهم ما يخبرونه ذلك قال الامر لتلاميذها فامر ان يتصدق بما اكتسبه من السلع وغيرها منها وفيما ذكره نظر ، وقد وجد في ترة ابي عمران الفاسي الزيت الاحمر واشتراه السلطان معز بن باديس امير ارضيه فرده لبيت المال ، فهذا مما يدل على ان ليس كل الكيمياء ترجع الى اهلها وله اعلم فلو كانت كل الكيمياء ترجع الى اهلها لما امر المازري باختبار ما صنع منها وكذلك سمعت من شيخنا

(1) ابن الحارث الخشني فوابو بدائله محمد بن - حارث بن اسد الخشني تنقه بالملياد وابي الفضل العمسي وغيرهما ثم ارتحل الى الاندلس سنة 311هـ 312هـ استوطن قرطبة وتولى السورى بها له تأليف كثيرة منها تاريخ علماء افريقية بالاضافة الى علمه ان عازنا بصناعة الادحان عالما بالكيمياء توفي لثلاث عشرة ليلة هلت من عشر سنة اربع وستين وثلاثمائة - معالم الايمان ج III ص 31 - 33

ابي محمد عبد الله الشيباني انه لما مات ابو محمد عبد الله بن ابي زيد وجد في تركته آلتها ولكن وجود ما ذكر مما وجد في تركه ابي عمران عزيز الوجود فالصواب الجزم بحرمتها (1) ومن هذا النص تستطيع ان تستنتج ان المدونة لا ترى مانعا من ممارسة الكيمياء في حين رأينا ابا محمد يمتنع ذلك لما فيه من غرر وذهاب للمال ولذلك اعتبر عملها من السفه وهذا ما اخذ به من جاء بعده من الفقهاء امثال ابي عمران الفاسي ، والمازري ولا شك ان هناك غير هذين ممن اخذ برأى ابي محمد لقوة حجته ومكانة أدلته ومخالفة ابي محمد لنص المدونة ليس هو بالاول ولا بالآخر ان قلنا انه لم يكن من الحفاظ الناقلين الجاهلين بل كان من الحفاظ المستقرئين ولهذا كانت آراؤه صائبة وترجيحاته مقنعة لانها انطلقت من استقراء للآراء وحوار مع النصوص فكانه كان يتيسر ترجيحاته بميزان الذهب جاعلا نصب عينيه المصلحة العامة التي يحدد لها الشرع وتوضحها النصوص اذا ما وجدت الفكر الذكي والعقل الناجح والمستوى العلمي الرفيع الذي يفرص في اعماق الشريعة ليمسك بزمام مقاصدها ويمتلك حكمتها فيوجهها الى دعم الاحكام الاسلامية والى صلاح حالة المسلمين .

ان عبد الله بن ابي زيد لم يصل هذه المرتبة بسبب دراسته على الشيوخ فحسب بل وصلها بعد ان انتهى دراسته الرسمية ليبدأ مسيرة دراسية جديدة هدفها البحث والتقريب والاستقراء فقد درس المدونة ولخصها ودرس العتبية ولخصها ودرس الواضحة والموازية والسليمانية وحفظ الموطن وأطلع على آراء مالكا الفقهية وتراث المصريين من تلاميذه ومن جاء بعدهم مطلقا في الوقت نفسه على نتائج مدارس الفقه المالكي ببغداد والاندلس وافريقية والمغرب ملما بالفقه الحنفي من خلال شيوخ الاحناف ومن خلال الاسدية التي لاشك انه اطلع عليها على الرغم من اعراض الطلاب على استعمالها وكانت تحوى بالاضافة الى اقوال الموالك اقوال الاحناف ولاعتقد انسه كان بمعزل .

عن احوال الشوافع والحنابلة وخاصة ان المعارك الفقهية كانت قائمة بين هذا المذهب ومذهب المالكي حتى سمي بالذاب عن مذهب مالك بل والفتن، ذلك كتابا هو كتاب الذب عن مذهب مالك بن انس هذا بالاضافة الى انه قد التقى بالكثيرين من الفقهاء لما ادى فريضة الحج اذ من المحقق انه اثر وتأثر.

ان هذا ما شقاة العميقة قد استثمر عمقا شراها عندما دون موسوعته الفقهية المسماة بالنوادر والزيادات اذ ان الاسم الذي اطلقه عليها ليسعنا بالمنهج الذي اختاره لتصريف معلوماته الثرية هي نوادر في منهجها وموضوعها وهي زيادات على ما كان معروفا ومتعارفا عليه في المدرسة الثيولوجية . ان ما اضافته ابو محمد عبدالله ابن ابي زيد الى رحاب الدراسات الفقهية شيئا لا يمكن الا حاطة به اللهم الا بالعودة الى كل مذهب والاطلاع على كل مرجع مع تتبع مجادلات العلماء وارجاع الاراء الى اصولها والاقوال الى مصادرها .

ان هذا العمل الذي قام به ابو محمد في كتابه النوادر والزيادات ليعتبر من الاعمال التي قرنت المذاهب السنية من بعضها بعضا واجدت بينها وحدة استطاعت ان تقام بها الفكر الرافضي في ميداني العقائد والتشريع ولهذا اجتمع المترجمون له بانه مالك الصغير تارة وبانه تطب المذهب اخرى وبانه عالم المالكية وبانه المذهب وبانه عالم المغرب .

ان شخصا قيلت فيه هذه الاقوال ولاقت تأليفه هذه العناية لهو شخص حميري بكل عناية وتقدير وذلك عن طريق دراسة آثاره وابرار ما طر منها وتتبع اقواله وترجيحاته التي اكتظت بها كتب فقهاء اهل السنة عامة وفقهاء المالكية خاصة ولم تنف العناية باثاره عند حدود العالم الاسلامي بل تعدت لفته الى العالم العربي المسيحي اذ ترجمت رسالته الى الانجليزية والفرنسية وعلق عليها الكثيرون . ان التفسير الوحيد لهذه العناية التي وجدها كمنحصر عالم ولاقتها كتبه تبعا له لاهي اقوى دليل على تأثيره الا يجابي والدميق في مجالات الدراسات الفقهية خاصة والفكر الاسلامي عامة وبالله التوفيق اولا واخرا .

لقد واكبنا جميعا السيرة الحياتية للشيخ ابي محمد عبدالله بن ابي زيد منذ نعومة اظفاره

الى ان سطع نجمه في الاوساط الطلابية فعامله شيوخه معاملة صاحب لا الطالب حتى اخذ بعضهم بترجيحاته ومال الى ارائه، بل منهم من طلب منه ان يضع كتابا مختصرا في اعتقاد اهل السنة مع نقه واداب ليعلم ذلك الاولاد المسلمين ويقطع النظر عن نجاح التجربة الا انها في حد ذاتها تعتبر دليلا على تفتق ملكته الفقهية في سن مبكرة جدا فكاننا ولد ابو محمد فقيها بطبعه اذن كيف يمكن لابن السابعة عشرة ان يضع كتابا ينال به اعجاب من اطلع عليه من الشيوخ .

ان دهشتنا سوف تزول اذا ملاحظنا في الاعتبار الذكاء الفطري لابي محمد والذاكرة الواعية، والبيئة الاجتماعية والعلمية التي كان يعيش فيها وما كان يجرى حوله من احداث ذات صبغة دينية حيث تتبارى فيها المذاهب الفقهية وتتناظر فيها المذاهب العقائدية من سنة ومعتزلة وشيعة وخوارج بالاضافة الى ما كان بداخل المذهب السني العقائدي من جدال بين المالكية والحنفية وغيرهما من المذاهب التي تصل اصداؤها الى افريقية من المشرق العربي وان كان ينقصها في افريقية البعد الجطاهيري .

ان وصفنا لافريقية بالمالكية انما يقصد به الاغلبية فقط وليس معناه عدم وجود غيرها بل العكس فقد عرفت في القديم المذهب الحنفي معرفة جيدة، قد برع فيه الكثيرون من الطلبة القيروانيين والقدامى من امثال ابن فروخ الفارسي (176هـ) واسد بن الفرات (213 هـ) وغيرهما من الذين

كتب لهم ان يتفقهوا بفقهاء المدرسين الحجازية والعراقية بل منهم من اخذ مباشرة عن ابي حنيفة
امثال ابن فروخ ومنهم من اخذ عن كبار اصحابه كاسد وغيره ولذلك قلت في غير هذا الموضع من
البحث ان الاسدية تعتبر في نظري اول اثر فقهي مقارن وسوف نرى المزيد من التفصيل حول هذا
الموضوع عند الحديث عن الاسدية كصدر من مصادر النوادر والزيارات وعلى كل فالبيئة التي
عاش فيها ابو محمد كانت بيئة نشطة بعلومها متحركة بالمازاهب الفاطمية في ساحتها والنحل
المتصارعة في رحبات مساجدها ودور تعليمها ، ولا شك عندى ايضا ان ابا محمد قد كان واعيا
لما يدور حوله فاهما لما يقال امامه مطالعا على ما كتبه الاوائل مناقشا لما يلقي عليه في مواعيد
شيوخه المباشرين لعملية تكوينه العلمي ، ولا شك عندى ايضا في ان ابا محمد قد اطلع على الاسدية
التي كانت تعرف بالمختلطة ولا ادل على ذلك من انه لما اراد ان يضع مختصرا في الفقه المالكي
اعتمد في تأليفه هذا على اختصار المدونة والمختلطة فكانت نتيجة ذلك كتاب مختصر المدونة الذي
حوى على خمسين الف مسألة صدق ذلك قول ابن خلدون (ثم اختصر ابن ابي زيد المدونة
والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر) (1)

ان هذه الدراسة الواعية للمدونة بنسختها القديمة والجديدة مكنته من الاطلاع على اراء
واقوال الاحناف الموجود بالاسدية وعمقت معرفته الفقهية بالذهب المالكي الذي حقق مسأله
الامام سحنون بن سعيد على يدى ابن القاسم ودعم مسأله بالانثار المروية والنصوص الشرعية ولم
يقف في اطلاعه على هذه المسألة ومطالعتة على هذين المصدرين بل درس غيرها مما كان معروفا في عصره
من مؤلفات واقوال العلماء والفقهاء في عصره وتقبل عصره من ائمال الكتب التالية : كالواضحة
والمستخرجة والموازية والسليمانية وغيرها كثير وقد عجلت هذه الدراسة الجادة وهذه المطالعة

العميقة المتأنية بامتلاكه ملكة قوية ومثينة في الميدان الفقهي ساعدتها على الإبداع ذاكرة وإعية
وذكاء، مفرط وقدرة على رواية الأقوال وإدائها ونقدها ومناقشتها .

إن أبا محمد لم يصل إلى هذه الدرجة من النقاء البارح إلا يمثل هذه الخصائص التي تجمعت
فيه وتفرقت في غيره .

إننا لو ألقينا نظرة فاحصة ناقدة على تواليه لعرفنا مقدار هذا الإبداع العلمي العميق وهذه
الثقافة الرائدة وما كان ذلك إلا بفضل فهمه الواعي وذكائه الفطري، ومطالعة الجادة إذ كان يعامل
مصابره معاملة الند للند فليس هو كالذي يحمل أسفارا بل كان مثله مثل جامع الزهور الذي لا يقطف
إلا ما جملة شكله ولونه وما فاج عطره وشذاه وهو ينظم هذا المجموع كله وينسقه كاللنان حيث يجعل من
الاشياء البسيطة تحفة تأخذ بمجامع القلوب وتستولي على حنايا الأئدة حيث يقتنع العقل بروعتها ويسلم
الحس الرهيف بفتنتها وكم كان أبو الحسن القاسمي مصيبا عندما لخص لنا هذا كله في كلمة وجيزة
حيث قال : إمام موثق في روايته ودرايته (1) أن تقديم لفظ الدراية على الرواية هو في حد ذاته
دليل على ما قلناه في . لكثير من المواضع في هذا البحث بأن أبا محمد لم يكن من الفقهاء الجماعين
الذين يجمعون الأقوال والآراء ويؤدونها بدون غريل ولا تحصيل بل كان لا يأخذ شيئا إلا بعد أن
يعرضه على فكرة الناقد وعقله الواسع وعلمه الغزير ولهذا لم يخط السبائي عندما قدمه على غيره من
طلبه وفيهم أمثال ابن التبان وابن شبلون ولم يكن شيخه الألباني مخطئا عندما وصفه بقوله (وأما
الثاني من الاثنين فإني رأيت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له
عبدالله بن أبي زيد) (2) وبالإضافة إلى هذه الخصائص الذاتية التي جعلت منه شخصية فذة فإن

(1) ترتيب المدارك ح 4 ص 493

(2) معالم الأيمان ح 3 ص 100

لشيخه الفضل أيضا في اكتمال هذه الشخصية وتوجيهها الوجهة الحسنة .
ان اخذه عن الجمهور الفاضلة من العلماء والذين يدورهم اخذوا من المنافع الصافية جمعه
ثريا في علمه عاليا في اخلاقه عزوفا عن المناصب والالقاء لطيفا بطلبته عطوفا على من قصده في
معرفة او مال .

ان شخصية بي محمد الفقيه البارزة ببرز الشمس في رابعة النهار وواضحة وضوح القمر ليلة
البدر في محافل العلم ومجامع الفقهاء بشرعنا الاسلامي فشددت لقبيراته الرجال وتواردت عليه
الرسائل طالبة الاجازة لاصحابها وتهاوى الناس في شراء كتبه وتسابقوا الى اقتنائها وتفننوا في
كتابتها بالهداد والحبر وحتى بالذهب وتباروا في شرحها والتعليق عليها ونظمها شعرا ليسهل
حفظها واحاطة بمسائلها ويكفيه اعترافا بعلمه وسبقه على غيره في هذا الضماران سعي بمالك
الصغير (1) ويقطب المذهب ومعالم المغرب وغيرها من الالقاء والاصاف والنحوت التي قد يضيق
المقام عن ايرادها كلها مصداق ذلك نقول الامام عياض الذي ما ذكره الا اعقبه ذكره بالترحم عليه .
يقول عياض (وهو الذي لخص المذهب وضم كسره وذبح عنه وملأت البلاد تواليفه عاوش كثير من الناس
اكثرها فلم يبلغوا مداه مع فضل السبق وصعوبة المبتدأ وعرف قدره الاكابر) (2) ويقول غيره
(انتشرت امامته في العلم شرقا وغربا وظهرت فضائله وقوائمه بعدا وقربا واحد الزمان جلالة
وعلمه فريد العصر عقلا وفهها مع ورع حافز وحسن سمت وقار وارتفاع همقة ودية الفاظ وملاحة
ايراد وجزالة معان ضريت اليه الاكباد من سائر البلدان) (3) وقال غيره (وكان امام الطائفة

(1) طبقات الفقهاء للشيرازي ص 160

(2) ترتيب المدارك ج 4 ص 493

(3) معالم الايمان ج 3 ص 110

في وقته وقد رتبهم وجامع مدحهم مالا وشارح اقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ والزراية وكتبه تشهد له بذلك (1) بل هناك من اموالك من ارجع حفظ المذهب وانتشاره في ستة علماء منهم من دافى ذلك ماورد (ويقال لولا الشيوخان والمحمدان والقاصيان لذهب المذهب فالشيخان ابو محمد بن ابي زيد وابوبكر الابهري والمحمدان محمد بن سحنون ومحمد بن الموار والقاصيان ابو محمد عبد الوهاب وابوالحسن القناري (2)

فاننا انت هذه هي مواقف المواقف الخدامي فاننا نجد مثلها عند موالك العصر الحديث فمذا الحجة وبقبول (يعتبرهم من الطائفة العالمية من المؤلفين وعندى انه احق من يصدق عليه حديث يبعث الله لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يحدد لها امر دينها) (3) ويقول الشيخ محمد النيفر (فبرع في علوم الشريعة رفاق الاثران فاشتهر علمه وانتفع الناس بعلومه وضربت له اكباده الابل من الاقاصي للاخذ عنه) (4)

ولم تكن هذه الاقوال المعبرة عن مواقف اصحابها من عبقرية قاضي محمد العلمية نظامه وابداعه في ميدان الفقه خاصة بمتصورة على علماء الاسلام بل تجاوزتهم الى غيرهم ممن ليسوا على الاسلام ان من يطلع على ما كتبه الهادي روجي ادريس لشك انه سيتحقق من صدق الاراء وصحة المواقف التي استعرضنا بعضها فمن اماكن متعددة من هذا البحث لان شهادته بالمخالفة عادة كما يكون منطلقها العقل دون العاطفة وخاصة اذا جاءت معترفة بما هو حق وما هو صدق في المضمود عليه لان صاحبها سوف لا يوصف بالمذهبية الفقهية ولا غيرها لانه ليس بمسلم ولا ينتمي للمالكية بصفة وشهادة الهادي روجي ادريس من هذا القبيل لقد جاء في شهادته قوله (كان ابو محمد عبد الله

(1) الديباج ص 135

(2) معالم الايمان ج III ص 110

(3) الفكر الإسلامي ج 3 ص 120

(4) عنوان الارب ص 34

ابن ابي زيد عبد الرحمان النفزي شخصية فذة اذ يبدو من المؤكد انه هو الذي ضمن الانتصار النهائي للمذهب المالكي بافريقية فقد جمع من جهة عناصر عمل الامام سحنون ومدرسته وكون منها بعد دراسة تحجية المبادئ العامة للمالكية القيروانية واخص هذه المادة من جهة اخرى في كتاب صغير اشبه بالمختصر ليضمن لها انتشارا كبيرا في جميع الارسطا وقد كان هذا المنظر والمبسط للمذهب المالكي بعد تنظيمه واعمال الفكر فيه ايضا تاجرا مفتيا نبيا ومسحوق الكلمة وان فتاويه التي لا تحصى انتشرد على حفاة فكر قادر على النبوغ في كل من الادب المجردة والمحسوسة ان الاسباب التي تفسر شهرة ابن ابي زيد وعمق عمله واستمراره هي اساسا قيمة شيوخه وتنويعهم وغزارة انتاجه ومواهبه الكبيرة في الكتابة طرل العدة التي قضاها في النشاط والتي وصلت الستين سنة خصوصية تفكيره (1)

ان شهادة هذا الباحث وبهرها لكافية في انزال ابي محمد مكان الصدارة بعد مالك في رحاب مدرسة الفقه المالكي خاصة رتبة الفقه السني عامة .

يقول احد الباحثين عند تدرجه بابي محمد (فقيه مفسر مشارك في بعض العلوم) لكن نوضح مفهوم هذه المشاركة بانها لم تكن بمشاركة الهاوي بل كانت مشاركة العالم ، اذ ان ابا محمد هو اول من بسط اصول الفقه في جلاء ووضوح واعتقد ان من يستطيع ان يبسط علما من العلوم انما مرد ذلك الى ما اكتسبه فيه من دقة جهالة قادر على هضم مسائله ولم يكتف بحزائيات مسائله ، ان هذه الماكاة الامرلية هي التي كانت وراء ابداعه الفقهية بما فيه من تخرجات ذكية ومبتكرة ثم التأليف فيه تأليف عظيمة لا يزال فايها الماحول في الفقه المالكي الى عصرنا هذا .

وقد اشار الشيخ العميد المرحوم محمد الفاضل بن عاشور الى هذا النبوغ بقوله : قد اعانه ذلك الذكاء المتأثر على ان يرجع الفقه الى صفاته العلمي وبذلك من قيود الجدليات والعصبية وان يسلح في خدمة المذهب المالكي مسلحا فريدا يضبط من تناثر من مصادره من الاقوال مما تاله مالك وحالفه فيه اصحابه او ما واقفه فيه او ما انفرد اصحاب مالك ومن بعدهم تقريره من الاحكام فدرر الاقوال الفقهية وحقق الصور التي تتعلق بها حيث كانت صرة واحدة واختلقت فيها الانظار اوصيرا مختلفة يترشح كل قول الى واحد منها واهم يترشح كل حكم في نصابه وانك بضبط الاركان والشروط التي تتحقق بها ماهية كل موضوع من مواضع الاحكام الفقهية فكان بذلك عمادا دينا لدرر التطبيق في المذهب المالكي (3)

اما اذا غادرنا مجال علم الفقه الى ميادين علوم القرآن فاننا واجدون لامحالة شخصيات بن ابي زيد
واشقا معالما بيننا لبسات ولقد ساعد على الابداع في هذا الميدان الحفظ الجيد والفهم
العميق وانجيل الفطري الى الاساليب البلاغية والقران تاموي للغة والمثال الاعلى في اساليب
البلاغة فيها ، ويعبر عن ميله ، هذا ما خطه في ميدان الاعجاز القرآني عندما الف كتابه " البيان
في اعجاز القرآن " والذي يستحق ان يكتب في هذا الموضوع لاشك انه من الذين امسكوا بعنان
لغة القرآن وغاصوا على اسرارها المتلألئة وفقهوا ايحاءاتها الخفية وعرفوا معانيها الدقيقة التي سر
كرونها حروفها بعد ما وكسرها وتعلموا من خلال الاسلوب والصيغة المقصد الالهي من وراء الاشارة
الخاطفة واللمحة الخفية .

ان هذا الاطلاع الواسع على القرآن والمعرفة الجيدة بأسلوبه هو الذي ساعده على الفهم
الجيد للقرآن مصداق ذلك ما جاء في فصل افكار كرامات الاولياء من هذا البحث اماما نضيفه في
هذا المرقع فهو نص مروي يبين مدى قدرته على فهم هذا ما اشارات القرآنية المنصوية تحت احكام
عامة لا تتغير ولا تتبدل وان تبدل الاشخاص والاماكن وان تغير الزمن والظرف فقد ذكرت احدي
كتب التراجم (انه توفيت امرأة بالقيروان كانت مشهورة بالزنا فلما جاءت الغاسلة لغسلها
وهي ميتة صرحت بيدها على فرجها وقالت : قد ظالما عصيت الله سبحانه وتعالى
بهذا الفرج فالتصقت يد الغاسلة بفرج الزانية فجاء الناس الى ابي محمد بن ابي زيد
فاخبروه بالقضية فامر بان يقام على الغاسلة حد القذف ففعل فزال يد ها (1) ان مثل
هذا الاجتهاد في الحكم انما هو نتيجة لوعيه بالقرآن .

واخرج عليا عن اللبيدي تلميذ ابي محمد قوله (١) - مع عيسى بن ثابت بالشيخ ابي محمد بن ابي زيد فجرى بينهما بلاء عظيم فلما اراد فراقه قال له عيسى احب ان تكتب اسمي على البساط الذي تحتك فان رأيت دعوت لي فبكي ابو محمد وقال له قال الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فهبني دعوت لك فاي عمل صالح يرفعه (١)

ويذكر الاجد ابي قال : كنت جالسا عند ابي محمد وعنده ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد المؤمن المتكلم فسألنا ما انسان عن الخضر عليه السلام هل يقال انه باق في الدنيا مع هذه النرون ثم يموت لقيام الساعة وهل يرد هذا لقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) ؟ فاجابا معا ان ذلك ممكن جائز وان يبقى الخضر عليه السلام الى النفخ في الصور وان الخلود هو اتصال بقاءه ببقاء الاخرة وان البقاء الى النفخ ليس بخلود الا ترى ان ابليس لعن الله لا يسمى خالدا وان كان من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم (٢)

ولو تتبعنا ما زخرت بمآلفه وتناثر في كتب التراجم من هذا الفهم الجيد للاشارات القرآنية لا يمكن لنا ان نجمع سفرا عظيما منها .

وكما ابدع ابو محمد في معرفته القرآنية فتن السنة دراية ورواية وتمسكا بما جاء فيها : ولا ادل على ذلك من قول ابي الحسن القاسمي فيما قال هو امام موثق في درايته وروايته (٣) كيف لا وقد جلس الى ارباب العارم بالفتنة ورجالاتها والى ابي العرب التميمي العالم المحقق في علم الدراية ونقد الرجال والى غيرهما من شيوخ اهل السنن الذين منهم من كان من تلاميذ سحنون الذي اخذ عن ابن القاسم الاخذ عن مالك الاخذ عن التابعين الاخذين عن الصحابة الاخذين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ان عناية ابي محمد بهذا العلم الجليل تظهر في كل مؤلفاته **هـ** يقال انه عدد المرويات الاثرية بالرسالة قبل اربعة الاف او تزيد (٤) هذا بالاضافة الى ما خطه من كتب في ميدان هذا المصدر الاساسي الشانسي **ممن مصنف**

(١) ترتيب المدارك ج ٤ ص ٤٩٦

(٢) ترتيب المدارك ج ٤ ص ٤٩٥ - ٤٩٦

(٣) ٤٩٣ * * * * *

(٤) انظر مقدمة كتاب الجامع ففقه د. محمد باقر الحليان . د. عثمان بطيخ ط ١٩٩٢ ص ٥٥ . حيث جاء في ابي بكر الصديقي اورد الرسالة كتابا سماه المسلك الى الله في مسند رساله . كتبه فيه جمع مسائل التي سألها اربعة الاف فرغ من كتابها ومعناها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ادلى اهلها به رضي الله عنه .

التشريع الاسلامي فهو يكتب عن عمل اهل المدينة ووجوب الانتداب به وما ذلك الا لآخذهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يكتب عن " فضل قيام رمضان " وهو يؤلف الجامع في السنن والاداب في ارق" هذه بالاضافة الى مجموعة الحديث الموجود مخطوطها بالمتحف البربراني (1) يضاف الى هذا التوليف التي لم تصلنا والتي لاشك ان من بينها الكثير من المؤلفات التي دونت في هذا الحيدان من ميادين هذا العلم الشريف حتى قال فيه نياض (وكان واسع العلم كثير الحفظ رائرية) (2) يضاف الى هذه المعرفة الدقيقة بالفتنهم الجيد للقرآن والاحاطة الشاملة بالسنة المطهرة واسعد فيقق على العربية وعلومها وتعرف بالاساليبها وتمكن ببيانها حتى خلّف كتبه الفقهية اقرب ما تكون من كتب الادب ولذلك يمكن ان نسمح لانفسها بان نصفها بكتب ادب الفقهاء ان مكفي نظرة متفحصة صادقة الى كتاب الرسالة وغير متكفي لاقتناعنا بان اسلوبه ولغته وعرضه للقضايا هوليس بأسلوب ولالغة ولا منهج الفقهاء والذين عاصروه ولهذا اعتني بعض العلماء بالرسالة هني حيث الفاظها وتراكيبها حتى قال الاستاذ الكعك: بل اهتموا بشرح الفاظها. وجعلوا عليها شبه المعاجم اللغوية والاصطلاحية (3)

كيف لا يبدع في العربية وهو الشاعر الذي بكى شيوخه بدموع حرة وبلغه صادقة معبرة قد مرت بنائها ذ من شعره في هذا المجال .

ذلك هو ابو محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني الذي يعتبر بحق مجدد المائة الرابعة وعالمها الذي نفخ روحه العلمية في المذهب المالكي وذلك عن طريق تجديد مناهج البحث واساليبهم ولغتهم وبذلك نفخ عن

(1) برولكمان ج 3 ص 289

(2) ترتيب المدارك ج 4 ص 492 وفي تراجمه فيم انفردى من اعظم احواله علوسدده لانه كان يروى عن يكون

(3) الشرا عدد مارس سنة 1945 ج 3

بواسطته ومن ان المقاسم بواسطته ومن الالابلات
في التواكيد الداني : 8/4

فبار التمثل والتقليد فعاد هذا الفقه جديدا قادرا على الصمود والانتصار في ميادين المناظرة وعلى استقطاب المعتلدين في ميادين الانتشار ولهذا نجح عندما تصدى للزحف الرافضي .
ان الصورة الحقيقية لاعمال هذا المجدد سوف تزداد وضوحا رجاء عندما تبوح الخزائن الخاصة والعامة عن اسرارها وما تخفيه من تأليفه الكثيرة وعندئذ سوف نجد انفسنا رجها لوجه مالك الصغير الذي احيى السنة ونفخ الحياة في مذهبها الذي كاد الرافضيان يجردوه من انتمائه وان يبعدوا عنه مقلديه بالترغيب تارة وبالترهيب اخرى ، وقد صدق المرحوم الشيخ الفاضل بن عاشر عندما قال فيه (قد زكى سمعته العلمية الذائعة ما زان سلوكه الشخصي من الزهد والورع مع العقل الراجح والا لب البارع فكانت قوة عارضته وجزاته رأيه مع ما اوتي من فصاحة اللسانين الشفهي والكتابي ممكنة له مقدرة في خدمة الفقه تدريسا وتأليفا يعزان نتاج لغيره حتى عرف في عصره بشيخ المذهب ولقب مالك الاصغر) (1)

وفاته ابي محمد بن ابي زيد القيرواني،

=====

بعد جهاد ملي مجيد شمل حلقات الدرس ومساجد القيروان وميادين المناظرة
ومجلات التأليف ابي مالك الصغير داعي ربه وذلك مساء الاثنين ثلاثين شعبان سنة ست
وثمانين وثلاثمائة على سن بلغت ستا واربعين سنة (1) وهو ما ذكره عياض ومن جاء بعده من
ارخ الحياة مالكا الصغير خلافا لما ذكره صاحب شذرات الذهب وكشف الظنون وغيرهما من
اصحاب دوائر المعارف في العصر الحديث من حيث كونه توفي سنة 389 (2) .
وقد اعتمدت ما ذهب اليه عياض والديباغ وما نقلته عنهما دوائر المعارف الاسلاميصة
وكارل بروكلمان على اساس ان الامام عياض هو اقرب من غيره لعصر ابي محمد بالاضافة الى كونه
من آئمة المذهب المالكي الذين لهم العام بتراجم اعلام المالكية .
وقد دفن بداره بالقيروان خلافا لما زعم بروكلمان من كونه دفن بفاس وهو زعم باطل لم
يقل به غيره (3) قال صاحب المعالم (توفي ابو محمد يوم الاثنين عند الزوال ثلاثين من شهر
شعبان سنة 386 هـ) قلت وعاش 76 سنة . قال وصلى عليه الشيخ ابو الحسن القاسبي بالريحانية
مئذ باب اصرم يوم الثلاثاء في جمع لا يحصون ودفن بداره وروى عنه انه لما سمع بوفاته سقط الى
الارض وقال الان انكسفت مورتي لما كان ينوب عليه في الفتوى ويكي عليه حتى كان ان يغمر (4)
وذكر عياض (ان ابا محمد ابن ابي زيد رحمه الله روى في مجلسه تحت فكرة وآية فسئل عن سبب
ذلك ؟ قال رأيت باب داري يسقط وقد قال فيه الكرمانى انه يدل على موت صاحب الدار فقل
له الكرمانى مالك في علمه قال نعم : هو مالك في علمه او كانه مالك في علمه ولم يتم الا يسيرا
ثم مات رحمه الله) (5)

(1) ترتيب المدارك ج 7 ص 496 - معالم الايمان ج 3 ص 118

(2) الشذرات ج 3 ص 131 كشف الظنون المجلد الاول ص 1 94

(3) بروكلمان ج 3 ص 286

(4) معالم الايمان ج 3 ص 118

(5) ترتيب المدارك ج 4 ص 497

لقد أثار موت هذا العالم الجليل حسرة في "نفوس العلماء" والطلبة والعامة على حد السواء حتى أن أبا الحسن النابلسي كاد أن يغشى عليه كما مر بنا .

إن هجة الاستياء والحزن هذه قد عبر عنها عشرات الشعراء الذين وثوه بقصائد خلدت ذكراهم وبكت فيه فضائل العالم المجاهد بالفكر والتلم وبالتصرف والسلوك بكت فيه القدرة على الاتقان والعمق في الثقافة والاشعاع في العلم بكت فيه روح التجديد الذي جعلت منه عالم المائة الرابعة دون منازع وكما بكت مالكا في النصف الثاني من القرن الثاني بكت مالك الصغير في النصف الثاني من القرن الرابع إن ما ذكرته كتب التراجم من هذه القصائد لهما النور اليسير مما قيل فيه وما ألقى على جثمانه الظاهر . حتى قال عياش () ورواه كثير من أدباء القيروان يمرث مشجية (1)
وما قاله ابن الخواص الكفيف (2)

ترؤا به الدنيا وآخر مصرع
وتصور أفلاك النجوم الظلم
كيف استطاعت حمل ظهر مترع
ونفتى وحسن سكينه وتورع
من راغب في سعيه متبرع
ذل الأسير وحرقة المتوجع

أرض ولا علم ولا بطمحها
في موكب خفت به النجبا

وحادث هذه أنسى الحادث الجلالا
اشبهنا كسف أم بدرنا افلا
أم الحمام بعيد الله قد نزلنا
فالصدر صاد ومن نار الأسي شعلا
ابكي ؟ وهل سلوة والهد رقد أفلا
وزلزلت لضجيج بالعويل عـلا

هذا ، لعبد الله أول مصرع
كادت تهيد الأرض خاشعة الرسى
عجبا أيدي الحاملون لنعشه
علما وحكما كاملا وبراعة
وسعت فجاج الأرض سعيها حوله
يبيكونه ولكل باك مفهم
وقال أبو علي بن سفيان (3)
غصت فجاج الأرض حتى ترى
مازلت تقدم جمعهم هربا لهم
وقال الشقراطي (4)

خطب ألم فعم السهل والجبلا
ناع نعى ابن أبي زيد فقلت له
أم ما دلت الأرض وأرتجت مسكنها
فان يكن صدرنا حام انحمام به
رزقة عظمت أترابها افلا
رجت لموتها الأرجاء وأرتجفت

(1) ترتيب المدارك ج 4 ص 496

(2) // // // //

(3) // // ص 497

(4) معالم الايمان ج 3 ص 118

والناب... فرق سكرى على فرق
 على الجليل الذى حلت هفا فرة
 كل البسيطة بمسط الحزن قد سحت
 وكيف لا ولى الله حل به
 ما بالصلاة ولا بالصوم فاتهم
 لكن بسر من الرحمان أوقره
 فَرَحَمَ إِلَهُهُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَى مَا قَدَّمَهُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ

وكلهم كلهم خطب به زهلا
 ومن ماثره أضحت كنا جملا
 وقبره سبنا أنواره ابتها
 قطب المنايخ نور للهدى اكتملا
 لو كان هذا المكان الأمر قد سهلا
 بصدرة فليهن الصدر ما حملا